الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
الرقم الترتيبي: ...../2002
رقم التسجيل: .....

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

موقف الشباب من قضايا معاصرة 1925-1939

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر
شعبة: التاريخ

إعداد الطالب
محمد مرغيت

أعضاء لجنة المناقشة:	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
1- الرئيس:	أحمد صاري	أ.التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
2- المقرر:	احميدة عميراوي	أ. محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
3- عضو:	عبد الكريم بو الصفصاف	أ. محاضر	جامعة منتوري
4- عضو:	خليفة حماش	أ.م. بالدروس	جامعة الأمير عبد القادر

تاريخ المناقشة: 13 أفريل 2003.

السنة الجامعية: 1422هـ-1423هـ/2002م-2003م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بســـــــــــــــم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال العماد الأصفهاني رحمه الله:

« إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده أو بعد غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص في جملة البشر » .

وقال جلال الدين السيوطي رحمه الله جل وعلا:

حمدت الله ربي إذ هداني لما أبديت مع عجزي وضعفي

فمن لي بالخطا فأردّ عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى والدي الكريمين أمي وأبي.

إلى أخي العزيز عبد العزيز

إلى جميع اخوتي.

إلى كل إخواني في الله وأخص بالذكر: رابح بن عبيد، يوسف مرغيت، نصر الدين حوش، يوسف هبري، نجم الدين نافع، مسعود، إلياس، سمير، عزالدين.....

إلى كل محب للسُّنة مدافعا عن أهلها، أهدي هذا العمل راجيا من المولى جل وعلا أن يكون خالصا لوجهه وأن يجعله في ميزان حسناتي، إنه على كل شيء قدير.

الباحث:

محمد مرغيت الجيجلي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير.

الحمد لله الواحد القهار، أحمده أبلغ حمد وأزكاهُ وأشملهُ وأنماهُ فاطر القلوب على حب الخير وإقرار الجميل والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى مكافأة صانع الجميل.

أتقدم بخالص الشكر وفائق الاحترام إلى الأستاذ المشرف الدكتور حميدة عميراوي الذي

كان خير عون لي في إنجاز هذا البحث بإرشاداته وتوجيهاته القيمة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أقدم شكري الجزيل إلى الأستاذ نورالدين ثنيو الذي استفدت من بعض توجيهاته القيمة، كما أقدم خالص الشكر وفائق الاحترام إلى حفيد الشيخ العالم نعيم النعيمي الأخ خير الدين الذي أمدَّني يد المساعدة في الحصول على أعداد الشهاب...

ولكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة خالص شكري وامتناني.

والله أسأله التوفيق والسداد لكل محب للخير، وأن يوفق الجميع في خدمة هذا الدين وإعلاء رايته، وهو حسبنا وبه نستعين.

محمد مرغيت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات المستعملة في البحث

ش.و.ن.ت.	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
د.م.ج.	ديوان المطبوعات الجامعية
م.و.ك.	المؤسسة الوطنية للكتاب
د.ط.	دون طبعة
ج.	جزء
م.	مجلد

A.F	L'Afrique française.
R.A	Revue Africaine.
S.N.E.D	Societé Nationale D'édition et de Diffusion.
I.B.L.A	Revue de linstitut des Belles arabes.
C.I.E	Centre d'informations et d'Etudes.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم أما بعد:

إن دراسة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر والبحث فيه، وإعطاء الجديد عنه وتفسير الحوادث التاريخية تفسيرا صحيحا ودقيقا موافقا للواقع التاريخي والإطار الزماني والمكاني الذي أنيطت به تلك الحوادث من دون الرجوع إلى المصادر الأصيلة والوثائق الأرشيفية يعد ضربا من المجازفة التاريخية التي تفقد التاريخ غرضه الأساسي ورسالته الحقيقية في معرفة وكشف وتفسير الحوادث التاريخية ومن ثم الوقوف على الأسباب الحقيقية لحادثة ما ونتائجها وظروفها...

وعليه فإن دراسة الحركة الإصلاحية الجزائرية كجزء مهم من تاريخ الجزائر المعاصرة والبحث عن تفاصيلها، وتطوراتها، وظروف نشأتها، وأهم المراحل التي مرت بها، والوقوف على أهم التقلبات التي رافقتها والعراقيل التي واجهتها، والنتائج التي حققتها من دون الاعتماد على المصادر الرئيسة التي أرخت لها بل ورافقتها يعتبر من المغالطات التاريخية التي تحسب على جيل الاستقلال من الباحثين والمؤرخين، وبهذا الأساس فإن أهم مصدر أرخ للحركة الإصلاحية وساهم فيها بقسط كبير الصحافة العربية الجزائرية الإسلامية ذات الاتجاه الإصلاحي والتي ظهرت إلى الساحة في نهاية الربع الأول من القرن العشرين، حيث بلور الجزائريون من خطابهم النضالي، من العمل العسكري إلى العمل السياسي السلمي، فكانت الصحافة إحدى الوسائل التي ميّزت هذه الفترة والتي تزامنت مع ظهور الحركة الوطنية الجزائرية في شكلها الرسمي مستفيدين من التجربة الاستعمارية في هذا الميدان وكذلك التجربة المشرقية لا سيما المصرية التي قدمت لهم أنموذجا حيا راحوا ينسجون على منواله، غير أن الصحافة الجزائرية وإن كانت تمتاز في جملتها بطبعها السلمي، إلا أنها نوعت من رسالتها وقامت بمعركة ثقافية واجتماعية وسياسية ودينية في جميع جوانبها، وأضحت الصحافة سلاحا سلميا يهدد كيان الاستعمار وأذنابه، وذلك من خلال النشاط المستمر الذي ظل طيلة النصف الأول من القرن العشرين.

ولعل من أشهر هذه الصحف العربية الإسلامية الإصلاحية وأطولها فترة، جريدة أو مجلة(الشهاب) الباديسية التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، والتي هي بمثابة اللبنة الأولى لظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية في شكلها الرسمي بعد أن كانت أعمال المصلحين عبارة عن أنشطة متفرقة وأعمال فردية لا يجمعها سوى الإصلاح ومحاولة إيجاد السبل لتغيير الوضع آنذاك، حيث شكلت هذه الصحيفة خطرا على المستعمر وأبعد أثرا، وأغنى فائدة ونفعا على الفكر الإسلامي في عمقه وأصالته، حيث عمرت هذه المجلة مدة زمنية طويلة مقارنة بالصحف الأخرى، فقد كان صدورها بعد جريدة المنتقد الأسبوعية سنة 1925 إلى غاية عام1939 تاريخ نهاية صدورها حين شب لهيب الحرب العالمية الثانية.

والحقيقة أن مجلة الشهاب تعتبر المحاولة الثانية التي دخل بها ابن باديس عالم الصحافة من بابه الواسع بعد تعطيل جريدته الأولى (المنتقد)، وكان هدفها هو الإصلاح بمفهومه الشرعي الإسلامي، والذي جاء كضرورة في وقت كان المجتمع الجزائري يعيش في أسوأ فترات حياته، من فساد اجتماعي وديني وسياسي وتخلف اقتصادي...وكان تركيز أساطين الإصلاح على الجانب الاجتماعي والديني، الذي هو أصل الفساد نتيجة للظروف الاستعمارية التي كانت الجزائر تعيشها، وخاصة في هذه الفترة ولهذا طغت القضايا الاجتماعية والدينية على الجوانب الأخرى، حيث أولى كتاب الشهاب عناية تامة بقضايا الإصلاح الاجتماعي والديني بحكم:

- أن مهمة العلماء والمصلحين هي إصلاح المجتمع دينيا واجتماعيا وهذا العمل يتناسب وعمل العالم المصلح.
- أن العلماء رأوا أن الكلام في السياسة في مثل هذه الفترة من الخطورة بمكان، وأن التعرض للسياسة الفرنسية أمر خطير، خاصة وأن فترة العشرينات من أعقد الفترات وأصعبها؛ ذلك أن الحركة الوطنية كانت في بداية ظهورها.
- أن العمل الإصلاحي الاجتماعي والديني في نظر رجال الإصلاح الغرض منه هو تهيئة القاعدة الاجتماعية وبلورة أفكارها وتبصيرها بواقعها وإعدادها إعدادا تاما للمطالبة بحقوقها.
- العوائق التي كانت تضعها فرنسا أمام رجال السياسة والمهتمين بالإصلاح السياسي تجلى ذلك في حل الأحزاب السياسية ومعاقبة أصحابها.
- أن الكتابة في السياسة وما يتعلق بها أمر يتطلب التحليل والتعليق، واكتساب الخبرة السياسية في معالجة القضايا الكبرى خاصة إذا ما تعلقت بقضية أمة، إضافة إلى الممارسة الفعلية لهذا الفن والحنكة في التعامل مع الاستعمار.

ولهذا لا نعْدو أن نجد الكثير من المقالات السياسية في الشهاب إنما تمثل مجرد أفكار وآراء لبعض الكتاب الذين آلمهم الوضع المزري للبلاد، وهذا لا ينفي أنها خاضت في بعض القضايا الكبرى وأبدت مالها من مواقف صريحة خاصة في فترة الثلاثينيات والأحداث التي واكبت المجتمع الجزائري والتطورات التي شهدها خلال هذه الفترة.

ونظرا لما تحتله هذه الصحيفة من قيمة تاريخية وأهمية كبيرة في دراسة الحركة الإصلاحية الجزائرية، فقد حاولنا دراسة هذه المجلة والوقوف على بعض مواقفها من بعض القضايا التي كانت سائدة آنذاك وكان عنوان الموضوع: **موقف الشهاب من قضايا معاصرة (1925-1939)** ، وهي الفترة الكاملة التي عمرتها هذه الصحيفة.

دواعي اختيار الموضوع:

- رغبتي في دراسة الحركة الإصلاحية وتراثها المجيد
- مكانة الحركة الإصلاحية في تاريخ الجزائر المعاصرة.
- اهتمامي بتراث الشيخ ابن باديس(رحمه الله) وفكره الإصلاحي باعتباره رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر وأحد رواد النهضة العربية الحديثة.
- رغبتي في الكشف عن بعض الجوانب الخفية في الحركة الإصلاحية بواسطة إحدى وسائلها.
- دور الصحافة العربية الجزائرية والإصلاحية خاصة في أداء رسالتها النضالية رغم ما كانت تعانيه من واقع اجتماعي وسياسي شاذ فرضه عليها الاستعمار الفرنسي.
- محاولة إبراز الفرق بين صحف جمعية العلماء وغيرها من الصحف الإصلاحية الأخرى من حيث التاريخ والمضمون والسياسة فكانت الشهاب إحدى هذه الصحف.
- دوافع علمية ومساهمة منا في إثراء البحث العلمي.
- أن هذا الموضوع وهذه الدراسة تعتبر جديدة في حد ذاتها، بحيث لم يسبق وأن أجريت دراسة أكاديمية على هذه المجلة، رغم تناثر بعض المقالات في بعض الكتب المطبوعة.
- خلو المكتبة الجزائرية من مثل هذه الدراسة، خاصة وأن هذه المجلة تعتبر إلى حد ما في طي النسيان، ومفقودة من المكتبات الخاصة فضلا عن العامة (وللإشارة هنا فإن مجلة الشهاب قد طبعت كاملة من طرف دار الغرب الإسلامي ببيروت تحت إشراف أساتذة مختصين أمثال سعد الله أبو القاسم، وهي الآن في السوق الجزائرية في 16 مجلدا).
- رغبتي في كشف وإبراز دور ونشاط العلماء الجزائريين في مختلف الميادين قبل تأسيس جمعية العلماء وخاصة ابن باديس الذي يعتبر لسان حال الشهاب.

إشكالية الموضوع:

يتعرض هذا البحث لفكرة أساسية ورئيسة وهي: أهم القضايا التي كانت للشهاب معها وقفات، وكيف تعاملت معها والمواقف التي أبدتها من خلال المنهج الذي اتخذته في معالجتها، مع الإشارة إلى تجرد هذه الصحيفة من أية مرجعية حزبية سياسية أو العمل تحت تنظيم معتمد لدى الدوائر الحكومية الفرنسية، وعليه فالسؤال المحوري الذي أوردناه والذي هو أساس البحث: ما مدى مواكبة هذه المجلة لأهم القضايا المعاصرة آنذاك؟ وما هي المواقف والآراء التي قدمتها والقضايا التي عالجتها؟ أما الأسئلة الفرعية المكملة للتساؤل الرئيسي: ما هو دور هذه المجلة في الحركة الإصلاحية الجزائرية؟ وما هي أهداف هذه المجلة وأبعادها؟ وما مدى مساهمتها في صد الكيان الاستعماري ومخططاته آنذاك؟ وإلى أي مدى حققت مجلة

الشهاب أهدافها وغاياتها التي رسمتها لنفسها؟ وكيف تعاملت مع السياسة الفرنسية آنذاك؟ وما موقف سلطات الاحتلال منها؟.

هيكل الموضوع:

وينقسم هذا البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق، أما الفصل التمهيدي فتحدثت فيه عن مفهوم الإصلاح وجذور الحركة الإصلاحية في الجزائر، تطرقت فيه إلى مفهوم الإصلاح في اللغة والاصطلاح والعوامل الداخلية والخارجية في نشر فكرة الإصلاح في الجزائر على أننا ركزنا على أهمها كالجامعة الإسلامية ممثلة في أشخاصها ومنظريها وهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والدعوة الوهابية ممثلة في صاحبها محمد بن عبد الوهاب، ثم أشرت إلى الصحافة المشرقية ودورها في بعث حركة الإصلاح في الجزائر وكذا وقع الحرب العالمية الأولى على المجتمع الجزائري، ثم العوامل الداخلية والمتمثلة أساسا في الحركة التعليمية البادیسية التي تعد الانطلاقة الحقيقية لحركة الإصلاح في الجزائر مع الخلاصة. أما الفصل الأول فجعلته للتعريف بالشهاب، بدأت فيه بإعطاء نبذة مختصرة عن تطور الصحافة العربية في الجزائر(1900-1930) ونظرا لأهمية هذا الفصل فقد أشرنا إلى علاقة الشهاب بصاحبها ابن باديس ، ثم تناولنا الشهاب من الجانب الفني ذكرنا فيه التعريف بها نشأة وتطورا وأهم محتوياتها ومبادئها وأهم كتابها ثم موقف إدارة الاحتلال منها مع الخلاصة.

أما الفصل الثاني فعرضنا فيه قضايا الإصلاح الديني، وكيف كان موقف الشهاب منها بدءاً بالدعوة إلى تطهير العقائد من الشرك وأنواعه وموقفها من الطرقية وانحرافاتها وبخاصة الطريقة العليوية والتيجانية، ثم تكلمت عن موقفها من البدع والمنكرات وبعض العوائد الفاسدة التي تفشت في المجتمع وختمنا الفصل بدعوة الشهاب بالرجوع إلى منهج السلف اعتقادا وسلوكا مع الخلاصة.

ونظرا لارتباط الجانب الديني بالجانب الاجتماعي فقد خصصنا الفصل الثالث للحديث عن قضايا الإصلاح الاجتماعي وكيف كان موقف الشهاب منها، وكانت قضية المرأة الجزائرية من أولويات اهتمام الشهاب، وما أثير حولها من تساؤلات خاصة فيما يتعلق بتعليمها وخروجها سافرة، إضافة إلى هذا أشرنا إلى موقف الشهاب من فئة الشباب ونظرتها إلى هذه الفئة التي جعلتها من أولويات مبادئها ثم ختمنا الفصل بموقفها من بعض الآفات الاجتماعية التي تفشت في المجتمع ومن سياسة الفرنسة والتنصير التي اتبعتها إدارة الاحتلال مع الخلاصة، ثم ختمنا البحث بخاتمة المحنا فيها لما جاء في الرسالة من مباحث وما يمكن أن نستخلصه من هذا البحث، ويأتي بعد ذلك الملاحق والمراجع.

منهج البحث:

اقتضت مني هذه الدراسة أن أستخدم المنهج الوصفي بهدف رصد وتحديد المضمون والقضايا المراد دراستها، والمنهج التحليلي الاستنتاجي ومن ثم نجيب على أهم التساؤلات الواردة في الإشكالية مع الإشارة أننا استغنينا عن استخدام منهج تحليل المضمون لاختصاصه وارتباطه بالدراسات الإعلامية، وبحثنا تاريخي وليس إعلامياً.

الصعوبات:

اعترضت الباحث في إنجاز بحثه مجموعة من العقبات وهي كالآتي:

العقبة الأولى وهي أم العقبات: وتكمن في صعوبة الحصول على مجموعة الشهاب بكامل أعدادها، مما أدى بي إلى البحث عنها عند بعض العائلات القسنطينية، وقد وفقت إلى حد ما في الحصول على مجموعة لابأس بها من عائلة الشيخ النعيمي بعد جهد جهيد ووساطة من حفيده الذي مكنني من الاطلاع عليها، وأيضا ما بين أرشيف ولاية قسنطينة الذي يحوي بعض الأعداد المتفرقة، وبين المكتبة الوطنية "بالحامة" والموجودة (أي مجموعة الشهاب) ضمن "الميكروفيلم" الأمر الذي أدى بي إلى التنقل ما بين هذه النقاط الثلاث مما سبب لي صعوبة في جمع هذه الأعداد والاطلاع عليها وفق الترتيب الزمني من صدورها.

العقبة الثانية: تعذر عليّ الحصول على بعض الأعداد لفقدانها سواء في أرشيف مدينة قسنطينة أو حتى في المكتبة الوطنية بالحامة.

العقبة الثالثة: صعوبة انتقاء المادة العلمية وترتيبها وذلك لكثرتها وكثرة المواضيع التي عالجتها مما أدى بنا إلى عدم الالتفات إلى الكثير من المقالات التي عالجت قضايا عامة و لم تحدد موضوعا مضبوطا، ولهذا اكتفينا بدراسة بعض القضايا التي أفردها الشهاب بالبحث والمناقشة، وأطالت النفس فيها، أما ما تناوله بعض الكتاب من مقالات اجتماعية أو دينية بصفة عامة فيكفي أننا أشرنا إليها ضمن السياق العام أو نشير إليها إشارة أو نعلق عليها في الهامش دون الغوص في التفاصيل، كما وجدنا أيضا صعوبة في ضبط العنوان المناسب للموضوع.

العقبة الرابعة: التكاليف المادية الباهضة التي كلفتني سواء في التنقل أو في تصوير الكثير من الأعداد مما سبب لي إرهاقا نفسيا كدت أن أتوقف عن البحث بسببه.

العقبة الخامسة: من الصعوبات التي تحسب على الباحث عدم إتقانه للغات الأجنبية وبالأخص الفرنسية والإنجليزية خاصة في ترجمة بعض المقالات والنصوص من أهم الكتب المصدرية التي تناولت الحركة الإصلاحية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نقد المصادر:

أما المصادر الأساسية والتي كانت عونا لي في إنجاز هذا البحث فيكمن تصنيفها إلى ثلاث أقسام: قسم رئيس وقسمان مساعدان: أما القسم الرئيسي فهي مجموعة الشهاب باعتبارها المادة الخام للبحث والمصدر الرئيسي وموضوع الدراسة، وبالتالي تكون صحيفة الشهاب المصدر الأول والوحيد في إنجاز هذا البحث مع الاستعانة ببعض المصادر والمراجع المساعدة وهي على ضربين –كما أسلفنا- .

1- الصحف الإصلاحية التي رافقت الشهاب في مسيرها الإصلاحية كالإصلاح، ووادي ميزاب والنجاح، والمنتقد... وكذا الكتب التي اختصت بدراسة الصحافة الجزائرية ككتب محمد ناصر.

2- بعض الكتب والمراجع التي تخصصت في دراسة الحركة الإصلاحية سواء رسائل جامعية أو بعض المؤلفات والمذكرات التي تناولت الحركة الإصلاحية بالتفصيل والتحليل، وكان في طليعة هذه الكتب: كتاب علي مرّاد وكتب عبد الكريم بوالصفصاف، أما كتاب علي مرّاد والذي هو بعنوان: (الإصلاح الإسلامي في الجزائر من عام 1925 إلى 1940م) وهو باللغة الفرنسية وهو مطبوع، فهذا الكتاب وإن كان في طليعة الأبحاث التي عالجت الحركة الإصلاحية والتي تعتبر دراسة جادة، فإن هذه الدراسة حسب ما ذكر بعض الباحثين جاءت في وقت مبكر بعد حصول الجزائر على الاستقلال لم يمكّن الباحث من الإطلاع على الوثائق الفرنسية بل اقتصر على الصحف وبعض الكتابات الأخرى والتي كانت من ضمنها الشهاب التي اعتمد عليها بنسبة كبيرة بل وتحدث عنها بشيء من التفصيل، إضافة إلى اعتمادي على بعض المجلات الحديثة التي تناولت الحركة الإصلاحية وصحفها وأعلامها بالدراسة والتحليل، وهنا لطيفة لابد أن أذكرها وهي أن من الأسباب الحقيقة التي جعلتني أختار مجلة الشهاب بالدراسة المقال الذي كتبه رابح تركي في مجلة الثقافة عدد 81 عن الشهاب بعنوان "الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925–1939) دورها في نهضة الجزائر الحديثة" فكان هذا المقال المحفز الأول لاختيار هذا الموضوع والشروع في إنجازه.

خطوات منهجية:

هناك خطوات منهجية رأيت من المفيد التنبيه عليها:

1–**التراجم:** لم أترجم للأعلام المشهورين وبخاصة الأعلام الذين ليس لهم أهمية في البحث، وأما تراجم كتاب الشهاب فجعلتهم في ملحق البحث نظرا لطول الترجمة وأهميتها.

2 –**التوثيق:** بدأت فيه بذكر اسم المؤلف ثم لقبه ثم اسم الكتاب، ثم الجزء والطبعة، فدار النشر ومكان النشر، ثم السنة والصفحة.

3 –**تخريج الأحاديث**: اعتمدت على التخريج الفني وذلك بعزو الحديث إلى مظانه الأصلية وإن كان الحديث في أحد الصحيحين اكتفيت بأحدهما وإن كان في غيرهما أشرت إلى أحد كتب السنة مع الإشارة إلى ضعف الحديث أو صحته بالاعتماد على كتب محمد ناصر الدين الألباني في تصحيح الأحاديث وتضعيفها. وطريقة التخريج أن أذكر مصدر الحديث، ثم الكتاب ثم الباب ورقم الحديث ثم الجزء والصفحة.

وإنني ، إذ أتقدم بهذا البحث إلى قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، أرجوا أن أكون قد ساهمت في خدمة تاريخنا المجيد، ووضعت لبنة في صرح البحث العلمي.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل الذين قدموا لي مساعدتهم، إرشادا وتوجيها، وتسهيلا... وأخص بالذكر عمال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر، والأخ فوزي القائم على قاعة الأرشيف بمكتبة الحامة بالعاصمة ...

وفي الختام أقدم جزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف حميدة عميراوي الذي شجعني في المضي في هذا البحث بعد أن ثبَّطني البعض، وهو الذي كان دوما يحثني على مواصلة البحث والدراسة، فأشكره على توجيهاته وإرشاداته.

وكتبه:

محمد مرغيت.

يوم: 11-07-1423هـ

الموافق لـــ: 14- 09-2002م

بقاوس- جيجل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دراسات كثيرة تناولت موضوع الإصلاح، أكدت في مجملها عن تعدد المفاهيم وتنوعها، وسنحاول في هـــذا المبحث أن نحدد المفهوم اللغوي من خلال القواميس والاصطلاحي للإصلاح انطلاقا من التراث الفكري الإسلامي والفكر الإصلاحي الإسلامي الجزائري على وجه الخصوص.

مفهوم الإصلاح:

لغـــة: الإصـــلاح "مصدر أصلح الشيء يصلحه، والصلاح ضد الفساد"[1]، نقول: "صلَح يصلَح ويصلُح صُلحا وصَلُوحا، وهو صالح، وصَليح، والجمع صُلحاء، وصلُوح، وصَلُح كصَلَح، والرجل الصالح في نفسه من القوم صُلحاء، ومُصلح في أعماله وأموره، والإصلاح ضد الإفساد، وأصلحَه ضد أفسده"[2]، "وأصلح الشيء بعد فساده، أقامه"[3]، "وأصلَح الدابة: أحسن إليها فصلُحت، والصلح (بالضم) السِّلم، وقوم صلُوح مصالحون"[4]، وأنشد الشاعر:

فكيف بأطرافي إذا ما شتمتني **** وما بعد شتم الوالدين صلُوحُ[5]

وصلاح الشيء: "هو كونه على حالة اعتدال في ذاته وصفاته، بحيث تصدر عنه أوبه أعماله المرادة منه على وجه الكمال، وفساده هو كونه على حالة اختلال في ذاته أوفي صفاته: بحيث تصدر عنه أوبه تلك الأعمـــال على وجه النقصان، والإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد، والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه"[6].

واسم المفعول من الفعل صلح يصلح فهو مصلح، والمصلح من وجد شيئا به فساد فطفق يصلح ما فسد منه، وقد ذكر الإصلاح اشتقاقا أربعمائة مرة.

ولكن قد يقول قائل: إن ثم أشياء فاسدة من أصلها، فكيف يتسنى لهذا المصلح إصلاحها، أيعدمها تمامـــا ثم يوجـــد غيرها ؟ والجواب على هذا الإشكال " أن المصلح بصدد إصلاح الأوضاع الإلهية وهي أوجـــدت قطعـــا صالحة بنظام وإتقان وحكمة، وإنما الانتفاعيون الذين يلبسون الحق بالباطل جريا وراء

---

[1]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج.1، ط.3، المطبعة الميرية، بولاق مصر .1301 هـــ، ص.233 .

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج.2، مادة "صلح"، دار المعارف، القاهرة،.ص . 2479.

[3]- المصدر نفسه، ص . نفسها.

[4]- ابن منظور، لسان اللسان، تهذيب لسان العرب ، ج .2، ط.1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1413 هـــ - 1993، ص .31.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ، ص. نفسها.

[6]- ابـــن باديس، "صلاح النفوس وإصلاحها "، الشهاب، ج . 5، م.6 غرة محرم 1343 هـــ - الموافق لـــ:جوان 1930، ص . 270

ارتزاقهم وتخريفهم هم الذين يدخلون في الدين (وغيره) ما ليس منه، وينسبون إليه ما هو بعيد عنه بعدهم عن إصابة عين الحقيقة"[1].

اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الإصلاح، وتباينت تبعا لاختلاف الرؤى والمذاهب الفكرية والفلسفية حول إعطاء مفهوم الإصلاح وماهيته، وإذا كانت النزاعات الفلسفية والمدارس الأوروبية المختلفة قد ربطت الإصلاح منذ البداية –كاصطلاح– بالقضايا الدينية، والذي ظهر تحت اسم الإصلاح الديني اللوثري[2].

وإذا كان البعض يعتقد أن الإصلاح الديني، قد ظهر على يد الحركة الدينية اللوثرية، وأنهم أول من نـادى بفكرة الإصلاح، فإن هذه الكلمة ليست غريبة عن الإسلام وأهله[3]، وأنها تختلف تماما عن مفهوم الإصلاح لدى الأوروبيين، تبعا لتوجهاتهم، ونزعاتهم المختلفة، والنظرة الضيقة والمحدودة لهذا المفهوم.

والحقيقـة أن الإصـلاح كلمة واضحة المعنى مفهومةلغة –كما تقدم– وشرعا وعرفا. وهي ضد الإفساد،وأجمع العقلاء في جميع الملل والنحل على أن الإصلاح محمود وضده مذموم [4].

وليـس غرضـنا في هذا عرض مفاهيم الإصلاح، وإبراز مختلف النظريات الفكرية والفلسفية التي عالجته وإنما غرضنا إعطاء مفهوم الإصلاح انطلاقا من تراثنا الفكري ومعتقدنا الديني الإسلامي، ومقصدنا في هـذا، الحديـث عن الإصلاح الشرعي المؤيد من التنزيل والذي هو خير من الإصلاح العقلي والعرفي

---

[1]- أحمـد بن عبد الحفيظ السرحاني، " الإسلام لا يقدس الأشخاص "، البصائر، عدد121، جمادى الأولى 1357 هـ الموافق لـ: جويلية 1938،ص .7 .

[2]- الإصـلاح الديـني الـلوثري: حـركة دينية نصرانية ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي في أوروبا، وأدت إلى ظهور البروتسـتانتية، وكـان لها أثر كبير على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوروبا، بل لا تزال آثارها ملموسة إلى اليوم، وتـزعم هذه الحركة مارتن لوثر (1483-1546م) الذي أعلن عن مبادئه، وذلك بمهاجمة صكوك الغفران وفضح مفاسد الكنيسة، حيـث ظهـرت عـلى إثر هذه الحركة العديد من الكنائس البروتستانتية الكبرى، وبعض الجماعات التي أصبحت تنافس الكنيسة الـرومانية الكاثوليكية في كسب ولاء النصارى، وكانت لهذه الحركة أسباب دينية وثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية أدت إلى ظهورها . ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ط.2، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع الرياض، 1419هـ-1919م، ج .2، ص. 250 ،251 . وكذلك: الموسوعة العربية الميسرة، لجنة من العلماء والباحثين، القاهرة، 1905م، ص. 169 .

[3]- Ali Merad. la réformisme musulman en Algéric de 1925-1940, essai d'histoire religieuse et sociale (mouton et co),paris,1967.p.29.

[4]- أبـو يعلى الزواوي، " نحن الإصلاحيون وخصماؤنا "، البصائر، عدد4، 20 شوال 1345 الموافق لـ: 24 جانفي 1936، ص.4

والوضعي. فالقرآن الكريم ساهم في نشر فكرة الإصلاح في الجماعة الإسلامية[1]، ومن الآيات الكثيرة التي اتخذت قاعدة لدى كافة المصلحين، وهي شعار الأنبياء والمرسلين، قوله تعالى على لسان هود عليه السلام: {**إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**}[2]، ولهذا كانت دعوة الأنبياء كلها دعوات إصلاح وتطهير للفساد والانحراف. والآيات الدالة على الإصلاح أكثر من أن تحصر. فمنها قوله تعالى: {**وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**}[3] أي وما كان من شأن ربك وسننه في الاجتماع البشري أن يهلك القرى والأمم بظلم منه لها في حال كون أهلها مصلحين مجتنبين للفساد والظلم[4]، وقال تعالى: {**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**}[5]، وقال: {**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير**}[6]، وقال {**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**}[7].

أما من السنة النبوية فالأحاديث الدالة على الإصلاح والصلح، وما جاء في معناهما أكثر من أن تحصر، فمنها الحديث المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[8] والحديث النبوي الذي يعلن عن التجديد الدوري يبدو في النهاية كحقيقة مقدسة أثبتت صحتها الأيام[9]، وقد قال المحققون من العلماء في معنى هذا الحديث "أن التجديد لا يكون لعلم واحد، ولا في عمل واحد، وأن قوله صلى الله عليه وسلم "من يجدد" عام يصدق على القليل والكثير، وقد يكون في القرن الواحد مجددون كثيرون، فمنهم المجددون في علم التفسير، والمجددون في علم الحديث وإحياء السنة، والمجددون في تنقيح علوم الفقه واللغة، والمجددون في سبيل الله والدفاع عن الإسلام وأهله، وتقويم مسلكه "[10] وإرجاع عزته والتمكين له.

---

[1]- محمد مراد سيد بركات، " ابن باديس المجدد الديني والمصلح الاجتماعي"، الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد 30، شعبان 1417 الموافق لـ 1996، ص.254.

[2]- سورة هود، الآية 88.

[3]- سورة هود، الآية 177 .

[4]- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج.12، ط.1، مطبعة المنار، مصر، 1353هـ -1934م ، ص.192.

[5]- سورة النساء، الآية 35 .

[6]- سورة النساء، الآية 177.

[7]- سورة الأنفال، الآية 1.

[8]- أبو داود عن أبي هريرة، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ، رقم (4191)، ج.4، ص.109، والحاكم (عنه)، كتاب الفتن والملاحم، ج.4، ص.522، وهو صحيح: ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج.2 حديث رقم 59.

[9]- محمد مراد سيد بركات، مرجع سابق، ص 254.

[10]- محمد رشيد رضا، تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده، ج. 2، (دط)، مطبعة المنار، مصر 1350هـ - 1931 م، ص.974.

ولهـــذا لم يمـــر قرن من القرون إلا وبعث الله فيه من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، بسبب الانحرافات العقدية والسلوكية، والمخالفات الشرعية والابتداع في الدين، يقول محمد رشيد رضا[1] في معرض بيان هذا الأمر "فكان عمر بن عبد العزيز (61-101هـ[2]) مجددا في القرن الثاني، لما أبلى قومه بني أمية، واخلقوا وما مزقوا بالشقاق ورقوا، وكان الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ)[3] مجددا في القرن الثالث لما أخلق بعض بني العباس من لباس السنة، ورشاد سلف الأمة، باتباع ما تشابه من الكتاب، وابتغاء الفتنه، وتحكيم الآراء النظرية في صفات الله وما ورد في علم الغيب بالقياس على ما يتعارض في علم الشهادة، وشيـــخ الإسلام ابـــن تيمية[4] (661 هـــ - 728 هـــ) وابن القيم (691- 751 هـــ) [5] مجددين في القرنين السابع وأول الثامن، لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية، والتصوفية والإلحادية من حال الكتاب والسُّنة السنية في جميع الأعمال الدينية... وظهر مجددون آخرون في كل قرن كان تجديدهم خاصا انحصر في قطر أو شعب أو موضوع كبير أو صغير..."[6].

وفي العصر الحديث من أمثال محمد بن عبد الوهاب[7]، وجمال الدين الأفغاني[8]،

---

[1]- ينظر ترجمته لاحقا.

[2]- يـــنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، (دط) ،دار الكتب العلمية،1995، ص. 202، وعفت وصال حمزة، سيرة عمر بن عبد العزيز، ط.1، دار ابن حزم بيروت ، 1418 ه 1998م وغيرهم كثير.

[3]- ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.11، ط.1، مؤسسة الرسالة،بيروت1401 ه 1989م ، ص-ص .177-352 وأحمد بن نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ، ج.9، ط.3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1400ه 1980م، ص-ص.261-233. وابن خـــلكان، وفيات الأعيان، ج.1، دار صادر، بيروت، ،ص-ص.63-65 . ومن المعاصرين ينظر: محمد أبو زهرة، أحمد بن حنبل حياته وعصره وآرائه الفقهية، دار الفكر، القاهرة. وغيرهم كثير.

[4]- ينظر: شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج.4 ، ط.3 ، دار الكتب العلمية، ،ص-ص.1496ه-1998م. ومرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، الكوكب الذرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، تحقيق: نجم عبد الرحمان خلف ط.1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1406ه 1986م.وابن كثير، البداية والنهاية، ج.7، دار الفكر،بيروت،ص-ص.125-141. ، وغيرهم كثير

[5]- ينظر: ابن كثير أبي الفداء، البداية والنهاية ، ص- ص. 234-237.

[6]- محمدرشـــيد رضا، المصدر نفسه (المقدمة)، ص.ج، وكذلك ظهر مجددون آخرون، كأبي إسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام، والشوكاني، وابن الوزير في اليمن، وغيرهم، ينظر: المصدر نفسه، ص. ج.

[7]- هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، ولد ببلدة ببلدة العيينة ، تعلم القرآن وحفظه ، درس على والده الفقه الحنبلي و التفسير والحديث و العقائد ، تنسب إليه الوهابية ، بدأ في الإصلاح الديني بعد أن ثبت لديه حالة الحجاز(نجد) السيئة في ديـــنهم ودنياهم. ينظر : أحمد آل بوطامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ، ط.2 ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، 1395 هـــ ، ص .15.

[8]- جمـــال الدين الأفغاني: من أعلام القرن التاسع عشر، ولد في قرية أسعد آباد سنة 1254 هـــ - 1839 م، أخذ العلوم العقلية والنقـــلية وخـــاض في عـــلوم الشريعة، أخذها عن أكابر العلماء، والأساتذة في بلاده، سافر إلى البلاد الهندية، ثم الأقطار الحجازية وطـــالت مدته في الانتقال من بلد إلى أخر، م)، ينظر: محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام ، ص- ص. 27-99 وكذلك: عبد =

ومحمـــد عبده[1]، وابن باديس[2] الذين رفعوا راية الإصلاح والتجديد والنهوض بالأمة الإسلامية من الركود والجمود إلى مصاف الأمم الراقية.

وهذه الحركات التي تزعمها هؤلاء المصلحون المجددون قد أزاحت ما كان راكدا من الأفكار، وما جمد من المعتقدات الباطلة، والأفكار الهدامة، ولهم في رسولهم الكريم أسوة حسنة "هذا النبي الذي لم يبعث لينســخ باطلا بباطل، ويبدل عدوانا بعدوان، ويحرم شيء في مكان ويحرمه في مكان آخر، أو يدعو قوما عـــلى حساب قوم آخرين ، و لم يبعث زعيما وطنيا أو قائدا سياسيا، يجر النار إلى قرصه ويصغى الإناء إلى شـــقه، ويخرج الناس من حكم الفرس والرومان إلى حكم عدنان وقحطان، أو المهاجرين و الأنصار، وإنما أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، ليخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويخرج الناس من ضيق الدنيـــا إلى ســـعة الدنيـــا والآخرة فهو لم يكن من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من ظهورها، أو يتسللون إليها من نوافذها، ويكافحون بعض الأدواء الاجتماعية والعيوب الخلقية فحسب، وإنما أتى بيت الدعوة والإصلاح من بابه ووضع على قفل الطبيعة والبشرية مفتاحه، وذلك العقل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين في عهد الفترة، وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه دعا الناس إلى الإيمان بالله وحده ورفض الأوثان والكفر بالطاغوت بكل معنى الكلمة"[3] ، وقام في الناس ينادي "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفـــلحوا"[4]، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مصلحا بحق، وبكل ما دلت عليه هذه الكلمة من معـــنى، فمجـــيء النبي صلى الله عليه وسلم كان نذيرا لأهل الشرك والفساد ، وفاضحا لأهل التحريف والتزييف من اليهود و النصارى، ولهذا كان أغلب المجددين الذين أدركوا فوزا عظيما ونجحوا في دعوتهم إنما لاتباعهم نبيهم في الدعوة والإصلاح، والسير على منهاجه في التغيير.

= القـــادر المغـــربي، جمال الدين الأفغاني، دار المعارف، مصر، 1948، ص- ص. 9-12، وجرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، ط .3، مطبعة الهلال، 1992، ص- ص. 52-61 .

[1]- وهـــو أبرز تلاميذ الأفغاني وأحد أعمدة الإصلاح في القرن التاسع عشر، ولد بمحلة (مصر) إحدى قرى مركز(شبرخيت) بمديرية البصـــيرة، سنة 1850 م، تعلم بالجامع الأخضر بطنطا، ثم بالأزهر، وعمل في التعليم وتولى تحرير الوقائع المصرية، اشتغل بالتدريس والتأليف ، وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية عام 1905 . وله أثار ومؤلفات كثيرة، ينظر: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى ، تقديم: مصطفى عبد الرزاق، ط. 1، دار العـــرب، القاهرة، 1957 ص ص 17-27، ، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 هـــ -1993 ص. 475، 476 .

[2]- ينظر ترجمته في الملحق رقم 8.

[3]- علي الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط.2، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1370 هـــ -1951 م ص 68 -69 بتصرف.

[4]- ينظر: علاء الدين على الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ج .7، ط.1، دار الفكر، بيروت، 1407هـــ -1987 م ص.183،184، والحديث رواه ابن حبان عن عبد الله المحاربي، كتاب التاريخ، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم رقم 6528.

وغالـــبا ما عم الإصلاح جميع المناحي الحياتية للأفراد والجماعات، اجتماعية أم دينية أم سياسية أم اقتصـــادية، على أن الغالب في هذا الشأن أن الإصلاح كان دائما يرتبط بالقضايا الدينية والاجتماعية، ثم تعـــدى بعد ذلك ليشمل النواحي الأخرى، ويعتبر الإصلاح السياسي والاقتصادي امتدادا وثمرة من ثمرات الإصلاح الديني والاجتماعي[1].

وإذا كان الإصلاح بهذا المفهوم قد اشتمل على عدة معان ومفاهيم، فعلى ماذا انطوى هذا المصطلح في تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية ؟ وما هو الطابع الذي صبغت به ؟ وما هي المعاني التي اشتمل عليها أثناء ظهوره وتبلوره، والتطورات التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن العشرين ؟

يجيبـــنا عن بعض هذه التساؤلات محمد حسين خيرة في محاولة لإعطاء مفهوم واضح للإصلاح من خلال تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، فهو يؤكد "أن الإصلاح يمثل لحظة المشروعية، والاقتران التام بين الكفـــاح السياسي والتحرر الوطني مع الإصلاح الديني... كما انطوت فكرة الإصلاح على مفهوم عام يحدد عالم الكون وعالم الفساد، كما أن الإصلاح في نظره يقوم على أن الإسلام دعوة إلى العمل ليس في جانـــبها الديني فقط (عبادات وسلوكات...)، وإنما أيضا في جانبها الدنيوي... وهو تصور شامل لكل جوانب الحياة الاجتماعية من دون استثناء، كما أن الإصلاح بهذا المعنى ينبذ التقليد ويدعو إلى تجديد الروح والوعـــي وهو صفة توفيقية بين الإسلام والحداثة، واستيعاب الراهن في ديمومة تاريخية متجددة نسعى إلى التجرد من الأسلاب[2]...".

وإذا تأملنا في مجمل تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية خلال النصف الأول من القرن العشرين نجد أن الإصلاح قد اشتمل على عدة جوانب مست حياة الفرد والمجتمع الجزائري بشكل عام، لعل أبرزها هو الإصلاح الديني الذي يشير إلى تطهير العقيدة الإسلامية التي ران عليها كثير من البدع وممارسات منحرفة عن فهم السلف الصالح، ومحاولة تجاوز الوضع الطرقي[3]، الذي وقع فيه وفي براثنه أغلبية الشعب الجزائري، حيث غرق في مجموعة من الخرافات والبدع وبعض الممارسات غير الأخلاقية ألصقها به أرباب الطرق وهي ليســـت منه، ولا سبيل للخروج من هذه الحالة إلا بتصفية الدين من الانحرافات العقدية، والرجوع به إلى منابعه الصافية.

---

[1]- عـــن الإصـــلاح ومنزلته في الإسلام ينظر: محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، المطبعة السلفية، القاهرة، 1346هـ-1927

2- Mohamed Hocine ben khira, "le mouvement de rénovation: L'islah", Rev, autrement no 95, Paris, déc, 1987, p-p 159-169. بتصرف.

[3]- نـــور الدين ثنيو، قضايا الحركة الإصلاحية عند رابح زناتي الأمين العمودي (خلال الثلاثينيات)، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 1996 – 1997، ص. 32.

ويكاد رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية يجمعون على معنى واحد للإصلاح، وهو تطهير الدين من الشـــوائب والعوائد الممقوتة، وتصفية عقول الناس من الخرافات والبدع والمنكرات، والرقي بهم إلى مجتمع أسمى لنيل الفوز في الدارين. ويعرف مبارك الميلي[1] الإصلاح بأنه "دعوة إلى نبذ الفاسد من العقائد والعوائد وإرشاد الناس إلى ما هو صالح منها، ليؤخذ به، وغايته ترقية المجتمع في سلم السعادتين الدنيوية والأخروية *"[2]، فـــإذا كان الفرد لا يخلو من عوارض وأمراض فإن المجتمع لا يخلو من العقائد الباطلة والعوائد الممقوتة التي تحط من شأنه وتجعله مجتمعا سكونيا جامدا شعاره الجهل ومذهبه التعصب والتقليد.

ثم إن مفهـــوم الإصلاح قد تطور تطورا واضحا تبعا لتطور الوضع في الجزائر والمتغيرات السياسية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري، حيث أخذ بعدا آخر بسبب قوة الوجود الاستعماري الذي أرغم رموز الحركة الإصلاحية على بلورة خطاب سياسي يتحدد بموجبه وضعهم ومستقبل الجزائر[3]، وذلك من خلال الانتقال النوعي الذي أحدثه رواد الحركة الإصلاحية من الإصلاح الديني والاجتماعي إلى الإصلاح السياسي، والذي يتجلى بوضوح في دخول المصلحين المعركة السياسية ليس بأسلوب المواجهة والتحزب، وإنمـــا بمطالب وبرامج إصلاحية سياسية ؛ فقد رفعوا في هذا الشأن مطلبا كشف برنامجهم السياسي وهو طـــلب المواطنة الفرنسية مع المحافظة على النظام الإسلامي للأحوال الشخصية، وهو شعار يشترك فيه مع أطـــراف سياسية أخرى[4] التي كانت تنشط على الساحة الوطنية بمختلف اتجاهاتها وتوجهاتها الوطنية منها والشيوعية أو الاندماجية.

وهـــذا الـــتطور الحاصل لمفهوم الإصلاح الذي ربط بين جميع مناحي حركة المجتمع الجزائري من إصلاح ديني اجتماعي إلى الإصلاح السياسي غير الثوري، يعد بداية لحل القضية الجزائرية عن طريق البرامج الإصلاحية والمطالب الضرورية، وذلك لإرغام الحكومات الفرنسية المتعاقبة على تغيير وتعديل سياستها تجاه الأهـــالي، ولعـــل أبرز هذه البرامج والمشاريع مشروع (فيوليت) الذي أعتبره الجزائريون كأحسن وأعدل مشروع لتحقيق وتحسين الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية لهم، ورغم ما فيه من نقائص وانتقادات وجهت إليه.

---

[1]- ينظر ترجمته في الملحق رقم 8.

* وعن مفهوم الإصلاح لدى أعمدة الحركة الإصلاحية عموما يقول الزواوي: "والمراد بالإصلاح لدى زعماء الحركة الإصلاحية، هو الإصلاح الديني الشرعي أولا، ثم الإصلاح العام حتى في شراك النعل". الزواوي، مصدر سابق ،ص. 4.

[2]- مـــبارك الميلي،"حاجتنا إلى الإصلاح"، الإصلاح، عدد 5، الخميس جمادى الأولى 1348 هـــ الموافق ل: 17 أكتوبر 1929 ص..1.

[3]- نور الدين ثنيو، مرجع سابق، ص . 33

[4]- المرجع نفسه، ص. نفسها .

ولعل هذا التطور لمفهوم الإصلاح في الجزائر لدى أعمدة الحركة الإصلاحية الجزائرية يعطينا فكرة واضحة عن تبلور ونضج أفكار المصلحين وتأثرهم بدرجة كبيرة بالأفكار الخارجية المشرقية منها خاصة، وكذا محاولة منهم للربط بين مختلف الوسائل والطرق، للنهوض بالأمة من الركود والخمول، وبعثها إلى مصاف الأمم الراقية، لتشعر بقيمتها، ومنزلتها أمام الأمم الأخرى فيكون لها وجود يذكر ضمن مجموع الأمم.

وإذا كـــان الإصلاح لدى بعض المصلحين يهدف إلى تطهير العقائد من أدران البدع والشرك وتصـــفيتها، وإرشاد الناس وتوجيههم إلى ما هو صالح لهم ونافع في الدارين فإن الإصلاح عند ابن باديس أوســـع من هذا، فهو يرى أن "صحة العقيدة واستنارة الفكر وطهارة النفس، وكمال الخلق، واستقامة العمل –هذا هو الإصلاح– مما يشترك في بالانتفاع به جميع المسلمين، بل جميع البشر... والمسلم الجزائري حاجـــته أشد وحقه أوجب، فكان المقصود بالقصد الأول على أنه لم يذكر لتخصيصه، وإنما ذكر ليشعر بنفسه فيعمل لإسلامه وجزائريته، فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجموع..."[1]

وإذا كانت فكرة الإصلاح جاءت كضرورة تاريخية متزامنة مع رجوع الحملات الصليبية الأوروبية على البلاد الإسلامية، والتي جاءت كرد فعل على الغرب، وعلى الحركات والفرق الإسلامية التقليدية التي أبقـــت المجـــتمع الجزائري في مرحلة السكون والجمود، وفي دیمومة تاريخية جامدة، فالجزائر كانت إحدى ضـــحايا هذا الركود والجمود، إلى أن بزغ فجر الإصلاح إلى الوجود، وصار في الجزائر حركة إصلاحية إسلامية قوية امتدت على ربوع الوطن الجزائري.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا، ما هي أهم العوامل التي ساعدت على انتشار وظهور فكرة الإصلاح في الجزائر، والتي جعلتها حركة إصلاحية قوية فرضت وجودها، وغيرت المنحى البياني الذي كان عـــليه المجـــتمع الجزائـــري، والتي بدأت سهلة هينة وصارت صارمة متينة لها مركزا قويا، وتأثيرا كبيرا في المجتمع؟

هذا ما نطمح إلى الإجابة عنه في هذا المبحث.

2– العوامل الداخلية والخارجية في نشر فكرة الإصلاح في الجزائر:

إن ظهور فكرة الإصلاح في الجزائر وغيرها من الدول العربية الإسلامية كان ضرورة تاريخية متزامنة مـــع الحملة الصليبية الواسعة التي شنتها الكنيسة على البلاد الإسلامية من جهة، وعلى الحركات والمذاهب التقليدية المنتسبة للإسلام [2] التي ألقته صريعا أمام الغزو الأوروبي الصليبي.

---

[1]- ابن باديس، " فاتحة العام الثاني من العقد الثاني ،" الشهاب، ج .1، م .12، محرم 1355 الموافق لـــ:أبريل 1936 ص.1، 2 .

[2]– المقصود بها أشكال التخلف التي أصابت المسلمين في دينهم من طرقية وانحراف ديني وتقليد وجمود لدى أرباب المذاهب .

والجزائـــر إحدى هذه البلدان العربية الإسلامية التي أنذرت بالخطر، وذلك من خلال سقوطها في براثن الغزو الأوروبي الصليبي، ثم تلا هذا السقوط دول عربية أخرى، حينها استيقظ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربهـــا من سباتهم العميق، حين أدركوا الخطر المحدق بهم، وتعالت صيحات الإصلاح في أنحاء العالم الإسلامي نادت بضرورة الخروج من هذا الوضع وتغييره، وذلك بالرجوع إلى الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم من الضياع. وإذا كانت الجزائر إحدى هذه الدول التي نادت بضرورة الإصلاح والتغيير، فمـــا هـــو الدافـــع لذلك ؟ وما هي العوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت وساهمت في انتشار فكرة الإصلاح، ، وإلى أي مدى كان لها أثر في إيقاظ الهمم وبعث حركة الإصلاح؟

أ- العوامل الخارجية:

تظافرت عدة عوامل خارجية في نشر فكرة الإصلاح في الجزائر وأهمها: الجامعة الإسلامية وزعيمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وكذا الحركة الوهابية وغيرها من العوامل نوردها في هذا المبحث.

- الجامعة الإسلامية:

إن ظهـــور الجامعـــة الإسلامية [1] إنما جاء كرد فعل على الإرهاق الغربي المتوالي الشدة والزيادة، والجامعة الإسلامية على مختلف حالتها وتطوراتها، يجب اعتبارها حركة سياسية دفاعية محمولة ضد الغرب ردا لاعتدائه ودفعا لجوره بل إن منشأها الأصلي هو المشاعر النفسية الوجدانية العميقة في المسلمين لصيانة الوحـــدة وتوثيـــق عرى الجامعة العامة [2]، وكان شعارها هو خدمة الإسلام والمسلمين والتصدي للزحف الصليبي الذي أعاد الكرة من جديد على البلدان العربية والإسلامية، وذلك من خلال الرجوع بالمسلمين إلى الديـــن الإسلامي الصحيح، وإلى منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم – ؛أي إلى العصـــر الذهـــبي للإســـلام، وقد وفقت هذه الحركة إلى حد كبير، وذلك من خلال الربط بين الأصالة والمعاصرة.

وقـــد كـــان ظهـــور هـــذه الحركة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، في وقت بلغ فيه المد الاســـتعماري، أوجه حيث تزعم هذه الحركة مجددو العصر الحديث وهم: جمال الدين الأفغاني وتلميذه

---

[1]- يمكـــن تعـــريف الجامعة الإسلامية بأنها حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوروبي ينظر: أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج.2، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992، ص .1 وهـــي تعني أيضا الروابط الحضارية والدينية والسياسية بين المسلمين وإنعاشها بعد الجمود والتفكك الذي أصاب العالم الإسلامي عـــدة قرون ، بدأت في محاولات وغارات الغرب على الشرق في العصر الحديث أثناء حملة نابليون على مصر وسوريا، و لم تدم هذه الحمـــلة سوى بضع سنوات، ولكن آثارها بقيت ، ولا سيما اليقظة ومحاولة التحديد واللحاق بالأمم الغربية في السلاح والجيوش . ينظر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج .5، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 514.

[2]- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج .1، (د.ط)، القاهرة، 1352، ص 319-320.

محمـــد عـــبده، ورشـــيد رضا[1]، الذين كانوا يمثلون أساطين التجديد في العالم الإسلامي آنذاك، أما على المستوى الرسمي فان عبد الحميد الثاني[2] هو الذي تبنى حركة الجامعة الإسلامية واستغلها. ومن المعروف أن الهدف الرئيس للجامعة الإسلامية هو وحدة المسلمين تحت خلافة قوية، ولهذا السبب رأى عبد الحميد أنه هو الرمز الروحي والسياسي لهذه الحركة.[3]

وعـــلى إثـــر الدعاية السرية والعلنية الواسعة التي اتخذتها الجامعة الإسلامية لنشر مبادئها، ودعوة المسلمين إلى التآزر والتضامن فيما بينهم من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية، والوقوف في وجه المد الصليبي الأوروبي، فقد كان لها أثر كبير على مختلف الحركات والجماعات الإسلامية، ومختلف التنظيمات السياسية والدينية التي بلورت من أساليب كفاحها، وأخذت أشكالا أخرى عملا بتوصيات رواد الحركة ومنظريها. ولقد كان للحركة أثر هام على الحركة الوطنية الجزائرية عموما والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص، ويذكر سعد الله أن مجال الدعوة والإثارة كان قد أعد قبل تطور الحركة في الجزائر، فثورتا (1871-1881) والحركة التي تلت احتلال تونس، وأشعار بعض الجزائريين[4] حول تأثير حروب القرم، كانت كلها علامات "عدم استقرار وطني إسلامي"، ورغم غلق أبوابها، واضطراب حياتها الوطنية فان الجزائر كانت حقلا لدعاية الجامعة الإسلامية منذ أواخر الثمانينات من القرن الثامن عشر[5]، كما كانت مجالا خصبا لاستقبال وتقبل الأفكـــار الخارجيـــة المعادية للاستعمار، وخصوصا بعد فشل المحاولات المتوالية من طرف الجزائريين لصد

---

[1]- محمـــد رشيد رضا: محدث ومفسر ومؤرخ وأديب، وسياسي، ولد في حدود (1299 هـــ -1865م) بقرية القلمون من قرى لبنان، تلقى تعليمه في كتاب قريته، دخل المدرسة الرشيدية، ثم التحق بالمدرسة الإسلامية الوطنية، برع في كثير من العلوم والفنون. ويمثل زعيم الحزب الإصلاحي الإسلامي المعتدل، وصاحب مجلة المنار، اهتم كثيرا بقضايا الإصلاح الإسلامي، وكان شديد الدفاع عـــن مذهـــب السلف، له رحلات عديدة بين مختلف الدول العربية والأوروبية، استقر بمصر وتوفي فجأة سنة 1935، له تصانيف كـــثيرة وأعمال جليلة أشهرها مجلة المنار، وتفسير القرآن الكريم، ينظر: وزارة الشؤون الدينية ، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس ، ج.3 ط.1 دار الـــبعث، 1405هـــ -1984م. ص.83 . وكذلك: الشهاب ، العدد 48، 20 أوت 1926 الموافق لـــ: 11 صفر 1745، ص . وكذلـــك: الشـــهاب: ج.7، ج.8، ج.9، م.11، رجب، شعبان، رمضان 1454 هـــ، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1935م.

[2]- عبد الحميد الثاني: هو أحد سلاطين الدولة العثمانية في أواخر عهدها، تبوأ عرش السلطة والبلاد في أسوأ حال، وقد جهد جهدا كبيرا لإحياء عظم الخلافة الدينية، واسترداد ماكان لها من الجلال والهيبة والخطورة في العالم الإسلامي، فنال مانناله، ليس بسبب من أسباب الخلافة من حيث الاعتبار الديني، بل بسبب الشعور العام، الذي ظهر واستغل في صدور المسلمين لإنشاء الجامعة الإسلامية. يـــنظر: محمد فريد بك المحامي تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: احسان حقي .ط.1 دار النفائس، بيروت 1406هـــ - 1986 م، ص .744، وكذلك شكيب ارسلان، مصدر سابق، ج.1 ص 250.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج.2، ص 109.

[4]- مـــثل أشـــعار محمد بن إسماعيل، حول تأثير حروب القرم، وأشعار محمد السعيد عن الجامعة الإسلامية سنة 1897 ينظر: أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص .109

[5]- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ، ص . 111،112.

سياسية الإلحاق التي اتبعتها الحكومات الفرنسية، المتعاقبة عن طريق الثورات الشعبية، وكذلك أحيت تلك المحـــاولات التي قام بها الزعيمين الجزائريين، حمدان بن عثمان خوجة[1]، والأمير عبد القادر [2] اللذان يعتبران من المصلحين الإسلاميين ومن الكتاب المدافعين عن القضية الجزائرية والعالم الإسلامي، فلم تكن لهم نظرة ضـــيقة محدودة بل كانت لهم غاية أسمى وهي الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وإصلاح حالهم مستفيدين ذلـــك من التجارب الأوروبية في هذا الميدان، وهذا النشاط كان بعد نفيهما من الجزائر، وبذلك أثرا تأثيرا كبيرا على معاصريهم، واستمرا في عملهما الإسلامي مصلحين وكاتبين[3].

نســـتطيع أن نقول أن المساهمة الجزائرية في الجامعة الإسلامية كانت واضحة، إلا أن هناك أسبابا حـــتمية جعـــلت من هذه المساهمات لا تظهر في الجزائر، واضطرت إلى الظهور ضمن الجامعة الإسلامية بالمشـــرق في شـــكلها العام أهمها: أن هذه الحركة كانت قد اضطرت –في معظم الأحيان– إلى أن تقوم بنشاطها في الخارج، وبذلك اختلطت المساهمة الجزائرية بالجامعة الإسلامية في المشرق.

والأمـــر الـــثاني فقدان الحرية السياسية والدينية والاجتماعية بالجزائر، حيث اضطهد الفرنسيون عواطف الجامعة الإسلامية، واضطروها إلى استعمال التعبير غير المباشر فقط، إضافة إلى عدم وجود التأييد مـــن أية أمة أوروبية[4]، لكن رغم هذه العراقيل التي كانت سدا في وجه الجزائريين والتي منعتهم إلى حد ما مـــن الاتصـــال بالعالم الخارجي، فقد استطاع الجزائريون أن يجدوا لأنفسهم منفذا يستطيعون من خلاله الانضمام إلى حركة الجامعة بطريقة أو بأخرى، وكانت الصحوة التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، دافعا قويا للانخراط والانضمام إلى الجمعيات الدينية التي أنشأها دعاة السلطان عبد

---

[1]– حمـــدان خوجة: (1773 م–1840م)، ولد بالعاصمة ونشأ بها، من أسرة ذات أملاك في منطقة متيجة، تلقى تعليمه على أبيه، تـــثقف ثقافـــة متباينة الرصيد، عربية النخوة، إسلامية النزعة، له اطلاع على القوانين والشرائع، اشتغل كأستاذ في الحقوق المدنية، والقوانين الإسلامية، كان ميالا للتجارة، ويحب الأسفار خارج البلاد، ويستفيد من الأخبار، ويلتقي بالشخصيات العالمية تقلد أيضا عـــدة مناصب في عهد الأتراك وبعد احتلال الجزائر 1830 تزعم الحركة الوطنية ونفي إلى باريس سنة 1833، وهناك واصل نضاله السياســـي ثم إلى القسطنطينية، اشتغل بالتأليف وتحرير المجالات، ينظر: محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، دار الثقافة، بيروت 1972 ص– ص89–93. وكذلك احميدة عميراوي، حمدان بن عثمان خوجة، ط.1، دار البعث، الجزائر 1987 ص– ص. 7–11 .

[2]– هو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الجزائري ، أمير مجاهد، شاعر وأديب، وعالم صوفي ولد في القيطنة سنة 1807 م، إحـــدى قرى وهران بالغرب الجزائري، زار عدة بلدان عربية، وعاد إلى الجزائر وبعد احتلال فرنسا الجزائر بايعه الشعب وولاه القيـــادة والقيام بأمر الجهاد، قاتل الفرنسيين وخاض عدد من المعارك ضدهم حتى سنة 1848، حيث أمضى وثيقة الاستسلام، نفى بعدها إلى خارج الجزائر واستقر بدمشق، توفي بها سنة 1883، ينظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص. 103–104.

[3]– أبـــو القاسم سعد الله، المرجع نفسه . ص . 110، وكذلك احميدة عميراوي، المرجع نفسه ص– ص. 80– 86 وكذلك: مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة: حنفي بن عيسى، م. و.ك، الجزائر 1983، ص– ص. 206–208.

[4]– أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص . 111.

الحميد الثاني، حيث استقبل الجزائريين بأذرع مفتوحة، أن ينضموا إلى الجامعة الإسلامية التي أنشئت لتمثيل المسلمين الذين كانوا تحت الحكم الأوروبي[1]، ومن الأدلة على ذلك وعلى الدعاية التي كان يقوم بها دعاة الجامعة ما ذكره "ديبارمي" الفرنسي أنه قد وجد في منطقة "متّيجة" الجزائرية مجموعة من الشعر المكتوب حوالي سنة 1900، وهو عبارة عن منشورات موصى بها من الخارج تدعو إلى الجامعة الإسلامية[2].

ومهما يكن من أمر فإن دعاة الجامعة الإسلامية والقائمين عليها، قد نجحوا بهذه الدعوة نجاحا كبيرا، وأدركوا فوزا مبينا، ويتضح ذلك جليا في البلاد التي وطئتها أقدامهم حيث كان أهلها يتسابقون إلى الانخراط في سلك هذه الجامعة، ويقبلون على معاضدتها ومناصرتها، وهم مرتاحون إلى الغاية الشريفة التي يستوخاها زعماؤها[3] وكان لهؤلاء الزعماء منزلة عظيمة وسمعة طيبة في قلوب الجزائريين، والمصلحين على وجه الخصوص، استطاعوا من خلالها أن يؤثروا بأفكارهم الإصلاحية القائمة على الإصلاح الديني والاجتماعي على جماعة النخبة[4] من الجزائريين الذين استقبلوا هذه الأفكار بصدر رحب، والتي كانت تصلهم إما عن طريق المهاجرين أو عن طريق الصحف والمجلات، ولعل أبرز هؤلاء الزعماء المصلحين الذين كان لهم الأثر الفعال في ظهور ونشر فكرة الإصلاح في الجزائر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد رشيد رضا، وإذا كان هؤلاء قد ساهموا بشكل أو بآخر في بلورة وبعث الحركة الإصلاحية في الجزائر، فما هي أهم الميزات التي امتاز بها هؤلاء عن غيرهم؟ وما هي طبيعة الفكر الإصلاحي الذي قام به هؤلاء حتى تمكنوا من التأثير المباشر على الجزائريين والمصلحين على وجه الخصوص ؟ وإلى أي مدى كانت أفكارهم الإصلاحية نافذة في قلوب الجزائريين ؟

إن المتأمل في واقع العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر خاصة، ليجد أن الاستعمار الأوروبي قد حدد أهدافه ورسم خطته لتمزيق العالم الإسلامي وتفكيكه إرباً إرباً[5]، وذلك بالقضاء على الخلافة

---

[1]- المرجع نفسه، ص. 112، 113.

[2]- المرجع نفسه، ص.113 .

[3]- محمد سعيد الجزائري (الأمير)، مذكراتي، ط.2، دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1371 هـ - 1951 م، ص .34.

[4]- المقصود بهم العلماء والمصلحون الذين كانوا يستقبلون أفكار هؤلاء ويقرؤون ما يكتبون عن الإصلاح الإسلامي ولدى تسميتهم بالنخبة، كما كان يطلق هذا الاسم على ابن باديس وجماعته، ، كما يطلق أيضا على جماعة النخبة السياسية التي ظهرت مع الحركة الوطنية الجزائرية في بداية القرن العشرين .

[5]- و بالفعل فقد تمكن الغرب المسيحي من تحطيم الخلافة الإسلامية والاستلاء على الأقطار العربية التي كانت تشكل أبرز جزء في جسم الخلافة، وهكذا احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830، وتونس 1881، ومراكش 1911، وأذنت الدول الأوروبية لفرنسا فاحتلت لبنان سنة 1860، ثم سوريا سنة 1918، واحتلت إنجلترا مصر عام 1882، واحتلت إيطاليا طرابلس سنة 1911، واحتلت إنجلترا العراق سنة 1917 ثم فلسطين عقب ذلك، وهكذا توالت الدول العربية في السقوط الواحدة تلوا الأخرى، واستطاع الغرب المسيحي أن يحكم قبضته عليها =

الإسلامية الممثلة في الدولة العثمانية، والتي هي بمثابة الرمز الإسلامي، والشعور الجامع للمسلمين قاطبة، انطلاقا من النظرة التقديسية من قبل المسلمين لمركز الخلافة وموقعها في قلوبهم، ومن ثم استطاع الأوروبيون بسط نفوذهم وفرض سيطرتهم على جميع أنحاء البلاد الإسلامية.

وأبرز القادة الذين ظهروا في هذه الفترة واستطاعوا أن يؤثروا على الفكر الإسلامي وأن يبعثوا فيه روح التجديد والنهوض، جمال الدين الأفغاني، وليس غرضنا في هذا المبحث إبراز جهود الأفغاني وأعماله الكاملة، ورحلاته الواسعة عبر مختلف بلدان العالم الإسلامي والأوروبي،[1] وأثاره البارزة، وإنما يكفينا أن نشير إلى أهم المحطات الكبرى في حياته وتأثيرها على الجزائر والنهضة الإصلاحية على وجه الخصوص، فمن خلال حياة الأفغاني[2] الحافلة بالحوادث العظيمة والمسيرة الطويلة التي قادته إلى الظهور والبروز كقائد إسلامي وزعيم إصلاحي، فإننا نجد الكثير من الكتاب يعتبرون جمال الدين الأفغاني : رائد حركة التجديد في العالم الإسلامي المعاصر[3]، ومن المدافعين عن الوحدة العربية والإسلامية بالكلمة والكتابة عن استقلالها وتحررها من قيود الاستعباد[4].

وقد اتضح لنا أن السمة المميزة للأفغاني عن بقية المجددين في ذلك الوقت أنه انتهج منهجا خالف به الكثير من المجددين والمصلحين قبله وبعده، فقد شملت حركته جميع النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إلا أن الطابع الذي صبغت به هو غلبة الجانب السياسي عليها، وإن كان يظهر في ثوب رجل من رجال الإصلاح الديني، إلا أنه وبحكم تكوينه العلمي وظروفه وحياته التي قضاها في رحلات عبر مختلف الدول الإسلامية وغيرها ومن خلال دراسته لواقع العالم الإسلامي آنذاك وما كان يعانيه من ويلات الاستعمار وطغيان الحكومات الإسلامية، فإنه ناصبهم العداء، ورأى بأن أصل الداء الذي

= ينظر: أحمد شلبي، المجتمع الإسلامي (أسس تكوينه، أسباب تدهوره الطريق إلى إصلاحه)، ط.3 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1967، ص. 299.

[1]- ينظر: محمد عبده، الثائر جمال الدين الأفغاني في رسالة الرد على الدهريين ، (دط)، دار الشهاب، الجزائر 1992.

[2]- اختلف الكتاب وأصحاب التراجم حول شخصية الأفغاني من جهة نسبه، وعقيدته، ودعوته، وسياسته، وموته وجنازته بل نكاد نجدها شبه أسطورة أو خرافة، فمن جهة نسبه هل هو أفغاني أم إيراني وفي عقيدته ومذهبه هل هوسني حنفي أم شيعي اثنا عشري وفي دعوته هل هو مصلح إسلامي أم داعية ماسوني، وإذا كان الأخير فهل كان مخدوعا بالماسونية أم جاهلا بمبادئها، وسياسته هل هو اشتراكي أم وطني؟ وفي موته هل مات مسموما أم بسبب إهمال في عمليته الجراحية، وفي جنازته هل مات محتفلا بها أم مغمورة، إلى آخره من الأسئلة التي طرحت حول شخصيته،وفي خضم تضارب الأقوال وتباينها لا نكاد نجزم بالحقيقة ويصعب تحديد شخصيته والحكم عليها. ينظر: صلاح الدين مقبول، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الجماعات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها ،ج.1، ط.2، دار ابن الأثير، الكويت 1996، ص- ص 195 - 201 .

[3]- أحمد حماني، "دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين،" الثقافة، عدد38، ربيع الثاني، جمادى الأولى 1397 أبريل، ماي 1977 ص.110 .

[4]- Mahfoud Kaddache .Histoire du nationalisme algérienne (1919 – 1951) , S.N.E.D , Alger , 1980 , T.2 , p. 219.

يشكو منه المسلمون هو الاستعمار وأذنبه من الحكومات العربية والإسلامية، وما لهذا من أثار سيئة في محو وتشـــويه عقيدة المسلمين وتضليل عقولهم بالخرافات والأفكار الهدامة، وتفريق كلمتهم وتشتيت شملهم[1]، ومن ثم الذوبان والانسلاخ من دينهم الحنيف، ولهذا رأى أن العمل الإصلاحي لا يكون من جانب واحد من الدعوة إلى الإسلام الصحيح، وتصفيته من البدع والخرافات، بل ينبغي العمل على مختلف الجهات والتي أعظمها –حسب رأيه– الجانب السياسي.

لقد انكب الأفغاني على السياسة وشؤونها وما يتعلق بها، وذاك على علوم الدين وترقيتها كما أنه يعد أول مسلم –حسب شكيب أرسلان– أيقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة في الشرق الإسلامي[2]، حيث أدرك تمـــام الإدراك الخطـــر المحدق بالعالم الإسلامي، إن هو بقي على هذه الحال وما ينجر عنها من أثار وخيمة تكون سببا لدمار المسلمين وتقهقرهم، كما فطن الأفغاني إلى أن الاستعمار كان حريصا على إخفاء هـــذه الأهـــداف حتى يتم له تحقيقها شيئا فشيئا، بمختلف الوسائل والطرق، وان كان في بعض الأحيان* يضـــطر إلى الكشـــف عنها متى أجبرته الظروف وباغتته الأحداث[3]، ولا أدل على هذا من بعض المواقف لبعض القادة والساسة الأوروبيين في الكثير من المناسبات إما من خلال التصريحات والكتابات والطعن في الإسلام وأهله، وإما بالأعمال التي يقومون بها من تجنيد كل الوسائل للقضاء على الكيان العربي الإسلامي، كتشجيع التنصير والإدماج وفرض السياسات الجائرة والمستبدة على المسلمين وإرغامهم على الانسلاخ من دينهم وعقيدتهم وسحق الإسلام سحقا.

ونلاحظ أن الأفغاني قد أيقن أن الاستعمار غايته وهدفه يتمثل في القضاء على الإسلام والمسلمين يقـــول: "العـــالم النصراني على اختلاف أممه وشعوبه عرقا وجنسية، هو عدو مناهض مقاوم للشرق على العمـــوم وللإســـلام عـــلى الخصوص، فجميع الدول النصرانية متحدة معا على دكّ الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا..." وأضاف أيضا أن "الروح الصليبية لم تبرح كامنة في صدور النصارى كمون الـــنار في الرماد، وروح التعصب لم تنفك مُعتلجةً في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب بطرس الناسك

---

[1]- أحمد حماني، المرجع نفسه، ص .110، وكذلك عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 - 1945) ، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 1996، ص . 44.

[2]- شكيب أرسلان، مصدر سابق ، ص. 305.

* فعـــلى سبيل المثال لا الحصر، أن فرنسا حاولت القضاء على أهم خصائص الشعب الجزائري وتقاليده ولغته، لكي يسهل عليها إدماجه في رعاياها، ولكن وقف ذوو الإخلاص من مسلمي الجزائر وعلى رأسهم ابن باديس في وجه هذه السياسة المستهدفة، وراح جهـــابذة الإصلاح في الجزائر يدبون عنها وعن كل ما يحوم حولها وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية، واتخذوا شعارا لهم،" الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا" .

[3]- محمود قاسم، " مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر في عصر النهضة المعاصرة، فكرة جمال الدين الأفغاني في الإصلاح "، الثقافة، عدد 81. شعبان، رمضان ن 1404 هـــ - مايو، يونيو، 1984ص . 17.

من قبل، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقرا في عناصرها... وهي أبدا ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الديني الممقوت"[1].

وملخص تعاليم جمال الدين الأفغاني أنه أراد إيقاظ شعور كل مسلم من المخاطر التي تحيط به، والآثار المترتبة على هذه الحال التي فيها المسلمون، كما دعا إلى إعداد القوة الدفاعية الكاملة للتصدي لهذه الهجمات وهذه السياسيات التي أدرك مقاصدها وأهدافها البعيدة، ومن ثم راح يحذر من الغزو الاستعماري والعالم النصراني، كما أراد أن يوضح أن العالم الإسلامي يجب عليه أن يتحد اتحادا دفاعيا عاما كمثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، مستمسك الأطراف وثيق العرى، ليتمكن من الدفاع والذب عن كيانه ومقوماته حتى يضمن لنفسه الحماية من الأخطار والمهالك [2].

ومهما يكن فإن جمال الدين الأفغاني كان يرى أن الإصلاح والنهضة لن تكون إلا بأن يعرف الشرق أدواؤه وأن يسد الثغرات التي نفدت إليها، منها أطماع الدول الاستعمارية وجيوشها، التي ما فتئت تنهش في جسم العالم الإسلامي حتى أردته صريعا لا قِبل له بالمقاومة، وهذا راجع –حسب الأفغاني– إلى الاستبداد الروحي والزمني في بلاد المسلمين الذي قضى على الروح الدينية الحقيقية وعكس المعايير الأخلاقية، ومكن المستعمرين أن يغزو الشرق، وأن يحاولوا طمس حضاراته،[3] أو تشويهها والطعن فيها أو التشكيك في هوية المسلمين وإسلامهم، لذلك رأى أن المسلمين لو عادوا إلى المنابع الدينية الأولى وإلى الإسلام الصحيح الصافي من شوائب الآراء والأفكار الهجينة التي دخلت وتطرقت إليهم في تاريخهم الطويل من مصادر شتى، لاستطاعوا أن يقضوا على أسباب الخلاف بينهم، وفض النزاعات القائمة، ونبذ العصبية التي يتبرأ منها الإسلام؛ إذ لا فرق بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح[4]، ويمكن تلخيص هذه الفكرة في الحديث المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية "[5]

ويتبين لنا أن الأفغاني قد أدرك أن الإصلاح الديني وتقوية روابط المسلمين أيسر منالا وأقصر طريقا، وأن من يطلب الإصلاح دون هذا الأساس، فإنه يتنكب هذا الطريق عندما يجعل النهاية بداية، ويعكس أساليب التربية، ويخالف قانون التطور الاجتماعي[6].

---

[1]- شكيب أرسلان، مصدر سابق، ص .306 وما بعدها.

[2]– المصدر نفسه،ص.307

[3]– محمود قاسم، مرجع سابق، ص .20.

[4]- المرجع نفسه، ص. 31.

[5]- أبو داود عن جبير بن مطعم، كتاب الأدب، باب في العصبية، رقم (5921) ج .4، ص. 332، وهو ضعيف: ينظر: محمد ناصر الدين الألباني،ضعيف سنن أبي داود،، ص. 449.

[6]– محمود قاسم، المرجع نفسه، ص.31.

وإذا كـــانت حـــركة الأفغاني وفكره الإصلاحي قد احتل الريادة ضمن قائمة المجددين، وإذا كان الإجماع يكاد ينعقد في إرجاع فكرة التجديد في العالم الإسلامي المعاصر إلى الأفغاني[1]! فإلى أي مدى كان تأثيرهـــا عـــلى الحركة الإصلاحية في الجزائر ؟ وما هي وسائل تأثيرها على المصلحين الجزائريين وما هي مظاهر هذا التأثر ؟

لقد ظهرت حركة جمال الدين الأفغاني في وقت كانت فيه الجزائر واقعة تحت السيطرة الاستعمارية الحاقدة، بل إن سقوط الجزائر كان قبل ميلاد الأفغاني بتسع سنين، وقد خاضت الجزائر كل أنواع الصراع والجهـــاد ضد الاحتلال الغاصب في الوقت الذي سقطت فيه العاصمة، ومن ثم أخذ الشعب الجزائري في كفاحـــه المستميت ضد الفرنسيين، و لم يتوان ولو لحظة في اغتنام الفرص والقيام بالثورات الشعبية المنظمة وغـــير المـــنظمة، وفي الوقت الذي كان الاحتلال الفرنسي يرى استعمال كل الوسائل للقضاء على هذه الـــثورات والانتفاضات التي أزعجته وزعزعت كيانه،والملاحظ في هذه الفترة الحرجة أن الشعب الجزائري كـــان مستعدا لقبول كل الآراء والأفكار المعادية للاستعمار والمناهضة له، ومن ثم سخر كل جهوده من أجل إيجاد الطرق القوية لصد الوجود الاستعماري.

وعـــلى إثـــر هذه السياسة الفرنسية المتبعة ضد الجزائريين والتي تنوعت وتباينت، فإن من الآثار الإيجابيـــة لهذه السياسة الاضطهادية أن مكّنت الجزائريين من الشعور بالخطر الذي يداهمهم، وكان من بين معالم هذه السياسية –خاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين– سياسة التهجير التي اتبعتها فرنسا وفرضتها على بعض الجزائريين، وكان من آثارها أن احتك الجزائريون بغيرهم في البلدان المجاورة لهم ســـواء بالمغـــرب أو بالمشـــرق، وعايشوا تطور الأحداث في العالم الإسلامي، واستفادوا من أفكار القادة والمصـــلحين، وتمكنوا من معرفة ما يدور وما يحاك ضدهم وضد العالم الإسلامي عموما، وأشربوا حينها روح النهضة والإصلاح وتأثروا إلى درجة كبيرة بالأفكار الإصلاحية السائدة هناك، واستطاعوا أن يتعرفوا على الأساليب الجديدة في النضال والدفاع عن بلادهم، وكان إذ ذاك العالم الإسلامي عموما يشهد نهضة إسلامية إصلاحية قوية منظمة شملت مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية وإن كانت النهضة في الجزائر قد ظهرت متأخرة مقارنة مع النهضة في المشرق فإن تأثير هذه الأخيرة كان واضحا.

---

[1]– أشـــهر تلاميذه الذين نقلوا أفكاره محمد عبده، وإن كانت دعوته (أي الأفغاني) اتسمت منذ البداية بالطابع السياسي وهو بهذا الاعتبار رجل سياسي في ثوب رجل الإصلاح الديني عكس تلميذه عبده الذي خلف شيخه وكان يستعيذ من السياسية، ومن لفظ السياســـية، ومن معنى السياسية، ومن الفعل ساسة يسوس سياسة، وعن كل ما يشتق من السياسة، وكان عبده يؤثر العلم والتعليم والدعوة إلى تطهير الإسلام من البدع والخرافات والأوهام ...

ويبدو جليا أن أراء جمال الدين الأفغاني تسربت إلى شمال أفريقيا وإلى الجزائر بصفة خاصة عن طريق تلاميذه[1] الذين عملوا على نشر مبادئه وأفكاره الإصلاحية [2]، ويذهب الكثير إلى أن حركة التجديد التي قادها الأفغاني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، لم تظهر أثارها في الجزائر إلا في الثلاثينيات، وإن كانت إرهاصاتها قد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر[3]، وإنما حركة التجديد والنهضة في الجزائر ترجع إلى بداية القرن العشرين أو قبله بقليل، حين ظهرت الأفكار الإصلاحية التي قادها كبار المصلحين أمثال محمد عبده، ومحمد بن عبد الوهاب [4]، إضافة إلى الحركة التعليمية التي أحدثها أب النهضة الجزائرية ابن باديس، وكذا الصحف والمجلات التي كانت ترد على الجزائر من مختلف البلدان العربية، وغيرها من العوامل التي ساعدت على بزوغ النهضة الإصلاحية، وأما ربط ظهور النهضة بفترة الثلاثينيات وآثارها فأمر مخالف للحقائق التاريخية ؛ إذ النهضة الإصلاحية قد اكتملت في فترة الثلاثينيات بتكتل الحزب الإصلاحي تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، "الذين كانت بدايتهم حركة اجتماعية تجاوز بفضلها المجتمع الجزائري الجهد الفردي والبطولات الشخصية إلى العمل الجماعي والتنظيم السياسي والبناء الاجتماعي"[5].

ورغم أن الجزائر آنذاك كانت في شبه عزلة عن العالم الإسلامي، فإنها ما لبثت أن أصبحت مرتعا خصبا للدعوة إلى الوحدة الإسلامية، ومما يزيد الأمر تأكيدا أن بعض الحوادث التي كانت تحدث في المشرق كانت لها أصداء وتأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مجرى الحياة العامة في الجزائر، وذلك بفضل المعابر الحضارية التي تربط الجزائر بغيرها من البلاد الإسلامية.

وكان أكبر عامل في تأثير الأفغاني على الفكر الجزائري هو تأسيسه لجريدة "العروة الوثقى" التي كان لها الأثر الكبير على جماعة المصلحين في الجزائر [6]. ومهما يكن فإن قادة الجامعة الإسلامية ودعاتها قد اشتهر أمرهم في الجزائر خاصة فكر الأفغاني[7] ومحمد عبده، ورشيد رضا،

---

[1]- ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق، ص . 111. وكذلك: الإبراهيمي، (محرر) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتاب الجزائر، 1982، ص- ص . 41، 42.

[2]- محمود قاسم، مرجع سابق، ص 21.

[3]- حنفي بن عيسى، "تأثير جمال الدين على الفكر الجزائري المعاصر"، الثقافة، عدد38، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1397 هـ أفريل –ماي 1977، ص .113.

[4]- سيأتي قريبا .

[5]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000، ص- ص. 212، 213.

[6]- سيأتي الكلام على جريدة العروة الوثقى، وتأثيرها في الجزائر في مبحث الصحافة المشرقية وأثرها على الحركة الإصلاحية.

[7]- يذكر مالك ابن نبي أن كلمة الأفغاني قد غيرت ما بأنفس الناس من تقاليد، وبعثتهم إلى أسلوب في الحياة جديد، وكان من آثار هذه الكلمة أن بعثت الحركة في كل مكان، وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطائها، ودفعتها إلى نبذ ما كانت عليه من أوضاع ومناظر ... وقد بلغ تأثير تلك القوة الفعالة في الجزائر فأخذ منها بنصيب . ينظر مالك بن نبي،شروط النهضة،ترجمة:عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين،ط.3،دار الفكر بيروت،1969،ص.28 .

وشكيب أرسلان[1]، فعن طريق الصحف والمجلات والهجرات والرحلات التي كان الجزائريون يقومون بها، تمكنوا من معرفة الحركة القومية التي يتزعمها الأفغاني وتلاميذه ومبادئها، بل إنهم ساهموا في الكتابة في مختلف الصحف العربية خاصة منها التي كانت تحمل أفكار معادية للاستعمار الفرنسي بالأخص، الذي حمل حملة شنيعة على الإسلام واللغة العربية، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الجزائريين، الذين درسوا في الأزهر والزيتونة وجامع القرويين عملوا على نشر مبادئ الجامعة الإسلامية كما تصورها الأفغاني وتلامذته من بعده[2].

وأشهر هؤلاء العلماء: ابن باديس، والطيب العقبي والبشير الإبراهيمي، والعربي التبسي، ومبارك الميلي وغيرهم ممن درسوا في تلك المعاهد ونهلوا من المعارف الدينية، واطلعوا على أحوال العالم الإسلامي وتبادلوا الآراء والأفكار مع إخوانهم هناك، واستطاعوا أن يأخذوا فكرة واضحة المعالم حول آفاق العمل الإصلاحي، وأسباب النهوض بالأمة الإسلامية، وكان أكثر الناس تأثرا بالوحدة الإسلامية الطيب العقبي الذي رجع من المشرق متأثرا جدا بالدعوة الوهابية، وشعارات الوحدة الإسلامية[3]. ويبدو أن ابن باديس أيضا قد عمل على غرار الأفغاني من أجل التجديد في الفكر الديني، من خلال دعوته إلى التربية والإصلاح الشامل وتصفية الدين من البدع والخرافات، وتصفية العقول من الأوهام والضلالات، وفي الفكر السياسي، وذلك من خلال كشف نوايا الاستعمار وفضحها والدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية، ورفعه للشعارات التي تبطل إدعاء الفرنسيين بخصوص سياسة الإلحاق واعتبار الجزائر فرنسية، أثنائها رفع شعاره المشهور "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"[4].

وخلاصة ما يقال في تأثير جمال الدين الأفغاني على الحركة الإصلاحية الجزائرية والفكر الديني والسياسي الجزائري أن حركة الأفغاني:

- ساهمت في تطهير الفكر الجزائري من العقلية الخرافية الباطلة ومن الشوائب والبدع التي ألصقت بالدين وليست منه بل الإسلام ينبذها ويحاربها.

- شجعت الجزائريين على الهجرة إلى بلاد المشرق العربي، حيث مكنهم من الاتصال بإخوانهم المسلمين وأن يتبادلوا الأفكار والآراء حول مصير العالم الإسلامي والأخطار التي تهدده .

---

[1]- شكيب أرسلان: (1869 – 1946م) من أكابر الكتاب، ينعت بأمير البيان، شاعر ومؤرخ وسياسي ولد في شويفات بلبنان ونشأ وتعلم بها، أتقن اللغتين العربية والفرنسية، له رحلات عديدة، تولى مناصب عدة، توفي ببيروت، وله إنتاج علمي غزير ومتنوع ومصنفات كثيرة، ينظر: رضا كحالة، مرجع سابق، ج.1 ص. 818، وكذلك: الزركلي، الأعلام، ج .3، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت 1980، ص- ص . 173 – 175.

[2]- حنفي بن عيسى، مرجع سابق، ص .114.

[3]- Desparmet J, "la politique des ouléma algériens (1911 – 1937)", in l'Afrique Française n 7, juillet 1937, p. 354.

[4]- حنفي بن عيسى، مرجع سابق، ص. 115، 116.

– ساهمت في إثراء الرصيد الفكري الوطني، وبذلك تأتى للجزائريين أن يتصوروا بمزيد من الوضوح الأسس العقائدية للإصلاح.

– أعطت للتيار الوطني بعدا عربيا إسلاميا برفض فكرة التجنيس والاندماج، وغرست في الجزائريين روح الاعتزاز بالتراث العربي الإسلامي، والدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية.

– مكنت الجزائريين من بلورة العمل الإصلاحي الفردي إلى العمل التأسيسي [1].

أما الشخصية الثانية التي أثرت في الفكر الجزائري وأيقظت شعوره فهو محمد عبده تلميذ الأفغاني،[2] وكان أعظم الأثر الذي تركه محمد عبده في نفوس المسلمين، ما كان ينشرله من آراء وأفكار في مختلف القضايا في مجلة (المنار) إلى العالم الإسلامي وينشر دعوته وأفكاره ويؤثر في المسلمين إلى حد بعيد، واستطاع أن يبعث حركة النهضة الإصلاحية عن طريق العلم والتعليم إلى الأمام، وأن يوقظ ضمائر المسلمين وشعورهم بضرورة النهوض من هذه الكبوة التي هم عليها وتحرير العقول من الجمود والسكون[3]، وإذا كان محمد عبده قد بعث حركة التجديد في العالم الإسلامي، وأحيا التفكير الإسلامي الحر، وأيقظ همم العلماء والمصلحين في العالم الإسلامي، وحرك قلوبهم وضمائرهم، فإلى أي مدى كان تأثيره على الجزائر عموما ورجال الإصلاح على وجه الخصوص ؟ وكيف استفاد الجزائريون من فكر عبده ؟ وما هي المنافذ الرئيسة التي استطاع عبده أن يؤثر من خلالها على الفكر الجزائري، وأن يحركه من ركوده؟

تكاد الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة تجمع على إرجاع الفكرة الإصلاحية في الجزائر في بداية القرن العشرين إلى فكر محمد عبده، وأن الميلاد الحقيقي لحركة الإصلاح في الجزائر تنسب إليه أثناء زيارته إلى الجزائر سنة 1903، حيث انبعثت فكرة الإصلاح بقوة بواسطة هذا الأخير،[4] بل إن بعض التقارير الفرنسية أرجعت الفضل في ظهور الشكل الحديث للحركة الإصلاحية الإسلامية إلى محمد عبده وتلميذه رشيد رضا في المشرق العربي[5] حيث كان لهما أعظم الأثر في الجزائر، ويعتبر علماء الجزائر أغلبهم تلاميذ

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص. 119.

[2]– ينظر: شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص. 283. وكذلك ينظر: محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط.4، مطبعة المنار، مصر 1931، ص .159.

[3]– وقد حرر محمد رشيد رضا (تاريخ الأستاذ الإمام) وترجم له ترجمة وافية تطرق فيها إلى حاله بتفاصيلها من المهد إلى اللحد مع ذكر منازعها بدقائقها وعقائدها ومنشاها بنصوصها وأخبار الحوادث التي خاضها، وأبرز المحطات الكبرى في حياته، " فلا تاريخ للشيخ محمد عبده غير هذا التاريخ"، وقد احتوى هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء طبعة دار المنار بمصر سنة 1324 هـ، ينظر: رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، 3 أجزاء ،(دط)، مطبعة المنار، مصر 1324،.

[4]- Ali Merad, op.cit., p.17.

[5]- Note du C.I.E. au préfet de Constantine , Historique et position politique de l'association des oulama de la fédération des élus du parti de peuple algérien du partie communiste et du congrès musulman (4 Decembre 1941) . p.2 . Archive historique wilaya de Constantine .

محمـــد عبده، حيث درسوا كتبه، وتأثروا بدعوته وسلكوا طريقه في الإصلاح[1]، وراحوا ينادون بوجوب تطهير المجتمع الإسلامي من الأمراض الاجتماعية، والعوائد الفاسدة.

والمـــلفت للانتـــباه أن دعوة عبده انحصرت في المشرق بين الخاصة و لم تتسرب إلى العامة، أما في الجزائر فحتى العامة تأثرت بعبده،والدليل على ذلك أن كتبه هي "عماد وُعَّاظها وكتبه في التفسير هو سناد مدرِّسيها "[2]، ومن الأسباب التي ساعدت ومهدت على نشر فكر عبده من خلال زيارته إلى الجزائر (مجلة المـــنار) ومن قبلها (العروة الوثقى)، حيث كان الطلبة والعلماء يطالعون هذه الصحف ويتداولونها فيما بينهم[3] ويقرؤونها في المقاهي والنوادي. ومجلة المنار تعتبر عند عبد الحليم ابن سماية [4] ومحمد ابن مصطفى ابن الخوجة[5] "مدد الحياة"، حيث كان لهذين الأخيرين مراسلات، وكان ابن الخوجة أكثر الأساتذة حرصا على مطالعة ما يرد من المشرق من كتب، وبخاصة رسائل عبده[6] التي أثرت في الجزائريين عموما من خلال قيام بعض المصلحين والعلماء الذين تأثروا بمحمد عبده بتدريسها وشرحها للعامة في المساجد والأماكن العامة.

والواقـــع أن علماء الجزائر في بداية القرن العشرين، وعلى إثر زيارة (عبده) لها، عرفوا واكتشفوا البعد الحقيقي للاتجاه الإصلاحي الذي نقله عبده[7] وصاروا يعملون على استنباط البعد الحقيقي للأخذ بهذه الفكرة الإصلاحية الحديثة، ونقطة انطلاق لثورة التفكير الحديث[8]، التي ستظهر نتائجها في الربع الثاني من القرن العشرين، إضافة إلى تأثر العلماء بأفكار محمد عبده عن طريق المجلات والجرائد والرسائل، فقد كانت الصـــحف الجزائـــرية تنشر أفكاره وأعماله الإصلاحية، فمن بين هذه الجرائد جريدة "المغرب" التي كانت

---

[1]- ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج.2، ط.1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968، ، ص. 30.

[2]- المرجع نفسه، ص. نفسها .

[3]- عمار طالبي ، ابن باديس حياته وآثاره،(المدخل)، ج .1 ، ط.1، دار اليقظة العربية، 1371 هـــ -1971م، ص.25،26.

[4]- عـــبد الحلـــيم بن سماية: 1283هـــ- 1866م -1351 هـــ - 1933): من أوائل المصلحين الجزائريين، تنسب أسرته إلى آل سمايـــة، وهي أسرة تركية، من أتراك آزمير، ولد بالجزائر، وتعلم بها وبتونس، تولى خطة التدريس بالعاصمة، درس بالمدرسة الثعالبية أيضـــا، وله آثار جليلة منها،اهتزاز الأطوار والربى من مسألة تحليل الربا، كما نشرت مقالات في جريدتي كوكب إفريقيا، والإقدام: يـــنظر: عمـــار طالبي، مرجع سابق، ص.28، ومحمد ناصر، المقالة الصحفية، ص. 218، وكذلك: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ،ص- ص. 178،179.

[5]- ولد بالعاصمة الجزائر سنة(1281 هـــ - 1865 م) وتوفي في (1333-1917م) المشهور بالشيخ الكمال شاعر وكاتب وعالم بالشريعة الإسلامية ولد بالعاصمة ونشأ وتعلم بها له مواقف معروفة في مقاومة الاستعمار ومحاربة البدع في الجزائر، ويعتبر أول تلاميـــذ محمد عبده الذين نشروا مذهبه الإصلاحي من آثاره "الاكتراث بحقوق الإناث "، "اللباب في أحكام الزينة والحياة" وغيرها كثير، ينظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص . 138، وعمار طالبي، مرجع سابق، ص.34.

[6]- عمار طالبي، المرجع نفسه، ص .34.

[7]- Ali merad , op , cit, p.32.

[8]- ينظر: عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، ط.1، دار البعث ،الجزائر، 1401 هـــ - 1981، ص .57.

تنشـــر أفكاره عن الشؤون الإسلامية[1] كما كانت جريدة (ذوالفقار) * التي كانت تصدر بالعاصمة تنشر أيضا أفكاره الإصلاحية، بل اعتبر محرر الصحيفة محمد عبده المدير الديني لهذه الجريدة[2].

وبهذا يمكن أن نقول أن محمد عبده استطاع أن يكوِّن مدرسة إصلاحية في الجزائر قبل زيارته إليها، أين وجد تلاميذ له تربوا من أفكاره، ونهلوا من علومه وآرائه عن طريق المجلات والصحف السيارة، وكذا الدعايـــة التي أحدثها العلماء الجزائريون المهاجرون بعد رجوعهم من المشرق العربي، الذين بدؤوا في البناء الاجتماعي، والعمل الجماعي المنظم، ومحاولة تجاوز العمل الفردي.

والحقيقة أن المبادئ التي قامت عليها الحركة الإصلاحية في الجزائر هي نفسها التي كان يدعوا إليها محمـــد عبده، والتي تمحورت أساسا حول الدعوة إلى تطهير الإسلام والعقيدة الإسلامية من كل الشوائب والعوائـــد، وتزكية النفس، وإصلاح الخلق، ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة، ومحاربة الاستعمار وأذنابه، وإحباط مشاريعه الاندماجية، وإعداد الأمة إعدادا نفسيا للثورة.[3]

ويمكـــن القول أن زيارة (محمد عبده) إلى الجزائر، قد أكدت الاتصال الفكري، ودعمت الروابط الحضـــارية الـــتي تربط بين المسلمين في المشرق والمغرب، وزادت من قوة الترابط والاتصال وتبادل الآراء والأفكـــار، ومعالجة القضايا الكبرى المتعلقة بمصير العالم الإسلامي، ومن ثم بدأ زعماء الحركة الإصلاحية بقيـــادة ابن باديس وحزبه في التمهيد، وإعداد حركة ثورية على البدع والخرافات وعلى الجمود والتقليد، وأربـــاب الطـــرق وأذناب الاستعمار، وأشكال التخلف، ومن تم راحوا يعملون بتعاليم عبده في وجوب إصـــلاح القاعدة، وتصفية الدين مما علق به من البدع الاعتقادية والعملية، في حين يجب تربية جيل جديد عـــلى هـــذا الدين المصفى، الخالي من الشوائب والخرافات والعودة بهم إلى الإسلام الصحيح النقي الموافق للفطرة السليمة، وهو ما اصطلح عليه بمنهج "التخلية والتحلية"[4] أو منهج "التصفية والتربية"[5]، ومن ثم يمكن لـــلحركة أن تأتي ثمارها. وقد نجح زعماء الحركة الإصلاحية في تطبيق هذا المنهج، وظهرت آثاره واضحة خلال العشرينيات.

---

[1]- Ali Merad , "la formation de la presse musulman en Algérie (1919 -1939)" .IBLA ,N° 105, 1er trimestre , 1964 , p.15.

*- عن هذين الصحيفتين ينظر: الفصل الأول مختصر عن تطور الصحافة.

[2] - أحمد حماني، مرجع سابق، ص . 100.

[3]- أحمد حماني، مرجع سابق، ص .100.

[4]-ينظر: أبو يعلى الزواوي، "محاضرتي في التخلية والتحلية"، الشهاب ، 19 ربيع أول 1347 الموافق لـــ: 13 سبتمبر 1928 ص-ص.7-9.

[5]- يـــنظر: عـــلي حسن عبد الحميد، التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية، ط.2، دار التوحيد للنشر والتوزيع، الرياض.

وخلاصة ما يمكن قوله أن فكر جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده استطاعا إلى حد كبير أن يؤثـــرا عـــلى الفكر الجزائري، وأن يكونا نخبة من العلماء والمصلحين، استطاعوا أن يحملوا راية الإصلاح والنهضـــة الفكـــرية والأدبيـــة، وان يحبطوا المخطط الاستعماري الهادف إلى القضاء على مقومات الأمة الجزائرية، كما تمكنوا من مجاوزة العمل الفردي والمجهودات الشخصية إلى مرحلة البناء الاجتماعي والعمل الجماعي المنظم والمبنية على أسس تنظيمية محكمة.

الحركة الوهابية:

تنســـب الوهابية[1] إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي ، و هي دعوة قائمة على التوحيد و محاربة الشـــرك و البدع التي أصابت المسلمين في عقيدتهم و عبادتهم ، و كان لها أثر واضح في مختلف بقاع العالم الإسلامي ،و معظم الحركات الإسلامية التي جاءت بعدها[2].

و يمكن تحديد الصلة بين الوهابية و بين كل الحركات الأخرى ، إما عن طريق الاقتباس أو المحاكاة أو مجرد التأثر [3] وإذا كانت الجزائر إحدى هذه البلدان التي تأثرت بمختلف التيارات الخارجية فإلى أي مدى تأثر الجزائريون بهذه الحركة ، و ما هي الوسائل التي مكنتهم من الاتصال بها ؟

يذكر سعد الله أن الكتاب الفرنسيين ، مجمعون -إلى حد ما – على إرجاع الفكرة الإصلاحية لدى العـــلماء إلى الحركة الوهابية و الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى ، والدليل على ذلك أن العلماء أنفسهم صرحوا بهذه الحقيقة و لم ينكروا علاقاتهم بهذه الحركة و غيرها [4].

---

[1]- لقـــب هـــذه الدعوة السلفية لا الوهابية ، فلقب الوهابية لم يختره أتباع الدعوة لأنفسهم ، لكنه أطلق من قبل خصومهم على اخـــتلافهم ، تـــنفيرا للناس منهم وإيهاما للسامع أنهم جاءوا بمذهب جديد خامس يخالف المذاهب الإسلامية الأربعة الكبرى، و الـــلقب الذي يرضونه ويسمون به: السلفيون، و دعوتهم "الدعوة السلفية ".ينظر : حسين عبد الله آل الشيخ "الوهابية و زعيمها محمد بن عبد الوهاب" ، العربي ، عدد ،147 الكويت ، فبراير1971 م، ص. 26.

و الوهابيـــة حـــركة إصلاح دينية واجتماعية وسياسية ، ترمي بالأساس إلى تطهير الإسلام من جميع البدع و الخرافات التي ألصـــقت به مع مرور الزمن و السمو به عن عبادة الأولياء ، وهي أيضا حركة تدعو إلى عقيدة السلف وإلى الكتاب والسنة عقيدة ومـــنهجا ، واعتبارها (أي الوهابية) مذهبا خاصا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي بثها أهل الأغراض و أهل الأهواء من خصومها . عن الوهابية و حقيقتها ينظر : مقال لأبي يعلى الزواوي، "الوهابيون سنيون ليس بمعتزلة كما يقولون هنا عندنا بالجزائر " ، الشهاب، العدد 98 ، 25 ذي القعدة 1345 هـــ الموافق لـــ 1997م .

[2]- عـــن أثر الوهابية في العالم الإسلامي ينظر: صالح عبد الله بن عبد الرحمان العبود ،عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أثرها في العالم الإسلامي، ج.2 ، ط.3 (خاصة) ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، 1419.

[3]- صلاح الدين مقبول ، مرجع سابق، ص.140.

[4]- Saad allah , "the Algerian oulama (1919-1931) " in rev, d histoire maghrebine , N° 2, jiullet/july , 1974 , tunis. p.139.

و كذلك ينظر أصل هذا الكلام في كتاب الحركة الوطنية ، ج.2 ، ص 326.

وتذكـــر بعـــض المصادر أن أول من حمل الدعوة إلى الجزائر المؤرخ الجزائري" أبو راس الناصر" الذي قُدِّرله أن يجتمع بمحمد بن عبد الوهاب في موسم الحج، ويذاكره في أمور انتهى بعدها إلى الاقتناع باتجـــاه حـــركة ابن عبد الوهاب، وكان ذلك بحضور، وفد الحجيج المغربي الذي يرأسه ولي عهد المغرب آنذاك[2]، وقد أشاد المؤرخ الجزائري بآراء ابن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عودته إلى الجزائر[3].

وكـــانت هـــذه المحاولات قبل سقوط العاصمة تحت نير الاستعمار الفرنسي، الذي باغت الجزائر بحملـــته المشـــهورة، وأحكم السيطرة عليها وأغلق جميع المنافذ المؤدية إليها، وسخر كل الطرق والوسائل لتثبيت وجوده، والقضاء على كل محاولة تهدف إلى إيقاظ شعور الجزائريين ، وإرشادهم إلى حالهم، ورغم ظهـــور بعض المحاولات في القرن التاسع عشر لبعض الجزائريين وتفطنهم للوضع الراهن في الجزائر، إلا أنها محاولات فردية، ذات نطاق محدود، وكان على رأس هذه المحاولات حمدان خوجة والأمير عبد القادر. إلا أن قوة الوجود الاستعماري وطغيانه حالت دون انتشار أفكار هؤلاء، ومن ثم كبحت في مهدها، و لم يمكن لها القبول عند الجزائريين لصعوبة تقبل هذه الأفكار وذلك نتيجة للوضع الخطير الذي كانت تعيشه الجزائر – آنذاك– والذي لم يسمح لهم ببلورتها وإعطائها الوقت الكافي لأن تعمل عملها.

---

[1]– هـــو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن ولد الناصر الجليلي المعسكري، ولد سنة(1152 هـــ – 1740 م) المعروف بأبي رأس الناصـــر، حفظ القرآن وهو صغير، تتلمذ على الشيخ عبد القادر المشرقي الذي كانت شهرته العلمية واسعة، اشتغل بالتدريس مدة طويـــلة واشـــتهر أمـــره في أقطار المغرب والمشرق، عاصر أحداث هامة في حياة بلاده الجزائر، من ذلك حملة اللورد اكسفورت (الأوروبيـــة) عـــلى الجزائر، وفتح وهران الثاني، وثورة درقاوة ضد العثمانيين، كما عاصر أحداث هامة في العالم الإسلامي منها: ظهور الوهابية، والحملة الفرنسية على مصر وصعود محمد علي، وبداية الإصلاح في الدولة العثمانية، وقد أثرت هذه الأحداث على مزاجه .له مؤلفات كثيرة منها رحلته إلى الحج (المشهورة)، ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج.1، ط.3 ، دار المغـــرب الإســـلامي، بيروت، 1990، ص- ص(83 – 103) . وكذلك: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج.2. ص –ص 376-393، وكذلـــك محمد المهدي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (دط)، مطبعة البعث، الجزائر، 1400 هـــ – 1980 م ص-ص. 189-103

[2]– هـــو السلطان محمد بن عبد الله الملقب بمحمد الثالث الذي شدته إلى الوهابية بساطتها، وإعراضها عن التأويل مما ينسجم وما كـــان عليه السلف الصالح، وكان ذلك سنة 1803م، هذه السنة التي تعتبر بداية اتصال المغاربة بالأفكار الوهابية، ينظر: بلقزيز عبد الإله، الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر،ط.1،دار المنتخب بيروت،1997،ص- ص. 42-43.

[3]– عـــبد الحليم عويس، " أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر ،" ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب ، (دط)، الرياض، جامعة الإمام، ص. 481، وكذلك:

Ali Merad .op cit . pp. 217-218.

والملاحظ أن سياسة فرنسا – آنذاك – بالرغم من كل الظروف، لم نعدم أن نجد في الجزائر خلال القرن التاسع عشر إشاعات سلفية نفدت إما عن طريق الاتصال بمدرسة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة مباشرة، وإما عن طريق الدعوة السنوسية الجزائرية الأصل والقريبة من الحدود.[1]

والواقـــع أن حركة محمد بن عبد الوهاب بقوتها ونقائها قد نشأت في البلد الذي تؤدى فيه شعيرة الحج، هذا الموسم الذي كان فرصة مواتية في نشر الدعوة على امتداد العالم الإسلامي كله[2].

وهـــذا هـــو الطريق الأول والمنفذ الرئيس الذي انتشرت به الدعوة في الجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية، وأما الطريق الثاني الذي اخترقت به الدعوة الأسوار " فهو طريق معنوي، لم يتمكن الاستعمار الفرنســـي أن يفهمه؛ لأنه لا يستطيع بتركيبه المادي الغربي أن يفهم بناء الإسلام ولا طبيعته الروحية ."[3] وهـــذا توجيه جيد ورأي صائب ؛ فإن الاستعمار الفرنسي كل ما استطاع أن يفعله ويقوم به هو المراقبة الشديدة وتطبيق الإجراءات القانونية الزجرية، إما بالحد من نشاط العلماء والدعاة، وإما بنفي من تشك فيه أنه يعمل على نشر أفكار معادية للإدارة الاستعمارية، أو أن وجوده مشكوك فيه، وهذا الطريق المعنوي ما هو إلا نتيجة للروابط الإسلامية والحضارية التي تجمع بين المسلمين وللروح الإسلامية التي يتمتع بها.

وفي نهايـــة القـــرن التاســـع عشـــر وبداية القرن العشرين ازداد تأثير الحركة الوهابية على الحركة الإصـــلاحية في الجزائـــر، وذلك من خلال الهجرات المتتابعة التي كانت تصل أرض الشام والحجاز، جراء الاضـــطهادات الاســـتعمارية، وتردي أوضاع الجزائريين الاقتصادية، وهذا ما دفعهم إلى الهجرة الجماعية والـــنزول بالبلدان الإسلامية، حيث تمكنوا من الإطلاع على مجريات الأحداث الدولية والمحلية، وتبلورت أفكارهم خاصة الأعيان والعلماء والمهاجرين الذين كانت اتصالاتهم بالحركات الإسلامية مباشرة ومفيدة، إضـــافة إلى اتصـــالهم بـــزعماء هذه الحركات من المفكرين وكبار العلماء والمصلحين، الذين كانت لهم مناقشات وتبادل للآراء حول أهم القضايا المطروحة، -آنذاك – والتي أهمها مصير العالم الإسلامي وما آل إليـــه في خضـــم بوادر زوال الخلافة الإسلامية، وكذا ظهور فكرة الانتداب والحماية التي اتخذتها الحركة الاســـتعمارية كأســـلوب جديد لبسط نفوذها والسيطرة على البلدان الإسلامية، إضافة إلى معالجة بعض العلماء الجزائريين مع إخوانهم المشارقة لقضايا القومية العربية والنهضة العربية، وحركة اليقظة التي شهدتها بعض الدول العربية من حركة تعليمية ونهضة صحفية.

---

[1]- أحمد بن حجر آل بوطامي، مرجع سابق، ص .79.

[2]- عبد الحليم عويس، مرجع سابق ، ص.483.

[3]- عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص. 484.

وكـــان أبرز هؤلاء الذين كان لهم الحظ الأوفر من هذه الاتصالات "الطيب العقبي " الذي تربى في بيئة انتشرت فيه الحركة الوهابية، فأخذ مبادئها وأفكارها، واتضح ذلك جليا في سلوكه الإصلاحي السلفي ولباسه السني، حتى أسماه البعض بالوهابي، وأطلقوا تسمية الوهابية على جمعية العلماء[1].

وفي هـــذا الســـياق يقول العقبي: "إذا كانت الوهابية هي عبادة الله بما شرعه الله لعباده، فإنها هي مذهبنا وديننا وملتنا السمحة، وعليها نحيا وعليها نموت، ونبعث إن شاء الله من الآمنين ، وإن تكن الوهابية شيء آخر غير هذا فإننا منها بريئين وعنها بعيدون".[2]

وأبـــرز الذين كان للطيب العقبي معهم صداقة خاصة أمير البيان شكيب أرسلان، اللذان كان لهما مراسلات عديدة تناولا من خلالها قضايا العالم الإسلامي.[3]

أمـــا الشخصية الثانية التي كان لها اتصال مباشر بالمشرق والحجاز خاصة، فهو البشير الإبراهيمي[4] الـــذي خرج من الجزائر سنة 1911 متجها إلى الحجاز والشام[5]، وكانت الغاية من هذه الرحلة –حسب الإبراهيمي – أمرين اثنين:

الأمر الأول: مشاركة دعاة الخير في هذا الشرق فيما يدعون إليه.

الأمـــر الـــثاني: التعريف بالجزائر المنسية ودعوة الحكومات الإسلامية والعربية على الخصوص إلى إعانتها في نهضتها الثقافية.[6]

---

[1]- أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ماجستير، الجزائر 1991-1992م، ص. 15.
وعـــن تأثـــر العقبي بالوهابية ينظر ما كتبه الباحث أحمد مريوش بتفصيل عن حياة العقبي بالحجاز وعلاقته بالوهابية ودعاتها، ينظر: المرجع نفسه.

[2]- أحمد مريوش، مرجع سابق ، ص .16، نقلا عن جريدة السنة ، عدد.2، 17 فيفري 1933.

[3]- ينظر: محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائري في العصر الحاضر، ج.1، ط.1، المطبعة التونسية، تونس، 1345 هـــ 1926 م، ص. 148.

[4]- ولد ببلدة رأس الواد (قرب سطيف سنة (1887م) بما تعلم القرآن ، وفيها أخذ المبادئ الأولية للعلوم ، هاجر إلى الحجاز مع أهلـــه قبيل الحرب العالمية الأولى ، درس بالمدينة النبوية ، وفي سنة 1913 التقى بابن باديس في موسم الحج، و في عام 1918 سافر إلى الشـــام ، وفي أوائل العشرينات رجع إلى الجزائر، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1931 ، له مساهمات كبيرة في جـــرائد جمعية العلماء ، تقلد رئاسة الجمعية بعد وفاة ابن باديس .ساهم في العمل النضالي مع جبهة التحرير الوطني في المنفى ، شهد استقلال الجزائر ، توفي في ماي 1964 ، ينظر : محمد البشير الإبراهيمي ،"أنا"، مجمع اللغة العربية ، ج .2 ، القاهرة 1966 ،ص 154. فما فوق .

[5]- محمـــد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، وكذلك: محمد البشير الإبراهيمي، "أنا"، ص. 154.

[6]- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج .5، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص. 169.

وخلاصة ما يمكن قوله أن حركة محمد بن عبد الوهاب وجدت رواجا لها عن طريق الهجرات المتتالية إلى الحجاز حيث تمكنوا من فرض وجودها والتأثير على العلماء والمصلحين على وجه الخصوص الذين رفعوا راية الإصلاح الديني الذي اعتبره الميلي ضروريا يقول " فإذا كان الشخص لا يخلو من عوارض فإن المجتمع لا يخلوا من عقائد وعوائد تحط منزلته وتهوي به في دركات الشقاء"[1]، و لم يكن رجوع العلماء من المشرق رجوعا عاديا، فهم لم يتعلموا الأفكار النظرية عن الحضارة الإسلامية فقط، بل تعلموا التصورات العامة عن مشاكل وقوى العالم، ولما وضعت الحرب أوزارها رجع هؤلاء العلماء بأفكار معادية لفرنسا، وشرعوا في وضع برنامج اجتماعي وثقافي يستهدف توهين أسس فرنسا في الجزائر [2].

ومهما يكن من أمر فإن الوهابية استطاعت أن تحط رحالها في الجزائر، إما بالهجرة أو بالحج أو بغيرها، فعن طريق الروابط الروحية التي تجمع بين المسلمين، والمعابر الحضارية الإسلامية تمكن الجزائريون من إفشال السياسة الاستعمارية إلى حد بعيد، وأن يقودوا حركة إصلاحية إسلامية قوية مؤسسة على إصلاح القاعدة الشعبية، وداعية إلى إصلاح شامل، استطاعت أن تشق طريقها أمام كل العقبات التي اعترضتها وصارت هي التيار العام والمسيطر والمؤثر على جميع النواحي في المجتمع الجزائري.

- *الصحافة المشرقية*:

ذكرنا في المبحث السابق أقطاب التجديد في العالم الإسلامي، ودورهم في يقظة المسلمين وتأثيرهم على الفكر الإسلامي المعاصر، وعلى الحركة الإصلاحية في الجزائر، وأشرنا أن من بين الوسائل التي وظفوها في نشر أفكارهم الإصلاحية الرسائل والكتب والمقالات، ورغم أن الجزائريين كانوا في عزلة عن المشرق العربي وبعيدين عن التطورات الجديدة وعجلة النهضة، إلا أنهم استطاعوا أن يخترقوا الأسوار رغم الإجراءات التعسفية التي فرضتها عليهم الإدارة الفرنسية كمنعهم من الذهاب إلى المشرق، وحج بيت الله الحرام، ومراقبة تحركاتهم؛ فإن الجزائريين كانوا متصلين بوسائلهم الخاصة، وكانوا يتتبعون تطور النهضة العربية بشغف من خلال الصحف والجرائد[3]، ولقد أشار أحد الكتاب الفرنسيين إلى هذه الطرق فقال " لقد كان هناك مجرى سري ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين أبدا بالرأي العام العربي".[4]

وبحكم تجربة الصحافة المشرقية المبكرة في هذا الميدان، وأصالة كتابها وتفوق أساليبهم وزعامتها الفكرية للبلاد العربية فقد كانت قبلة تشد أنظار المغاربة عامة والجزائريين، خاصة [5] الذين ترجع صلتهم

---

[1]- مبارك الميلي، مصدر سابق، ص.1.

[2]- ينظر: أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص .386، وما يليها.

[3]- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج .4، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص. 30، 31.

[4]- Ali Merad. "la formation de la presse musulman" , op, cit ; p.23. .

[5]- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، ج. 1، (دط) ، ش. و.ن. ت، الجزائر 1978، ص. 55.

بالصحافة المشرقية إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فقد كانت تصلهم عن طريق تونس، حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة، أو عن طريق المغرب الذي كان لا يزال يتمتع باستقلاله، أو ما بين حقائب الحجاج[1]، والتجار والمهاجرين الذين كانت لهم صلة وطيدة ببلادهم.

والمعـــروف أن محمـــد عبده أثناء زيارته الجزائر قد وجد هناك مدرسة إصلاحية قائمة على أفكاره ومبادئه عن طريق "مجلة المنار"التي كانت تصل الجزائر، وأشهر العلماء الذين كان لهم ارتباط كبير (بمجلة المنار) –كما أشرنا أنفا– محمد بن مصطفى ابن الخوجة، وعبد الحليم ابن سماية وعبد القادر المجاوي[2] الذين تأثروا بها إلى درجة اعتبارها "مدد الحياة"، وذلك من خلال كشف هذه الجرائد والمجلات للشبيبة الجزائرية عـــن الحالة السياسية والاجتماعية والدينية في سائر البلدان العربية ولاسيما مصر، كما كانت تعالج نفس القضـــايا والمشاكل التي يعاني منها الجزائريون هي نفسها التي يعاني منها الشرقيون،[3] إضافة إلي عمل هذه الصحف على نشر الوعي القومي ومجاوزة القديم والتفتح على الأفكار الحديثة و مسايرة ركب النهضة.

وتتجـــلى لنا آثار هذا التعلق بالصحافة المشرقية في المواضيع التي كانت تنشرها الصحافة الجزائرية والـــتي كانت تخصص لها عدة أعمدة في صحفها تعالج أخبار العالم الإسلامي باهتمام[4]، وأهم القضايا التي تـــدور في الساحة، ونظرا لشدة تعلق الجزائريين بهذه الصحف فإن الإدارة الاستعمارية قد شعرت بخطورة هذه الصحف الواردة على الجزائريين، فراحت تشدد الخناق عليها وتفرض مراقبة شديدة حولها بل اعتبرتها مـــن "المـــواد الممنوعة التي يحرم تداولها ". وهذا دليل على قوة التأثير التي أحدثته هذه الصحف، ولذلك راحـــت تصدر القوانين والمراسيم الوزارية بمنع هذه الصحف من التداول والدخول إلى الجزائر، ومن أشهر الصحف التي كانت تصل الجزائر "مجلة المنار" و"العروة الوثقى" ومجلات أخرى كان لها أثر بارز في إيقاظ وبعث حركة الإصلاح.

---

[1]- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ش. و.ن. ت، الجزائر 1980، ص.8.

[2]- هوعـــبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي، نسبة إلى مجاوة ، ولد بتلمسان سنة (1264 هـــ 1848 م) مـــن أســـرة اشـــتهرت بالعلم والدين والذكاء، بدأ دراسته الابتدائية بمسقط رأسه، سافر به أباه إلى المغرب، وهناك أكمل دراسته التعلـــيمية بفـــاس، كان شديد الكراهية وغيور على الإسلام والعربية، رجع إلى قسنطينة سنة 1870، وبدأ حركته التعليمية، رغم المضـــايقات الاســـتعمارية، خلف تلاميذ كثر، وله مؤلفات كثيرة، توفي في السنة التي بدأ بن باديس حركة التعليمية، سنة (1332 هـــ - 1913 م) . ينظر: محمد المهدي شغيب، مرجع سابق، ص- ص. 301-305.

[3]- ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية، ص .57.

[4]- ينظر على سبيل المثال "مجلة الشهاب " التي خصصت أحد أعمدتها وأركانها تحت عنوان "مختبات من الصحف والكتب" وغالبا مـــا خصص هذا الركن والمنبر لكبار الكتاب والعلماء وأشهرهم: شكيب أرسلان، رشيد رضا، مصطفى صادق الرافعي، وغيرهم كثير، حيث أثروا المجلة بكتاباتهم الراقية وأقلامهم العالية. ينظر: مبحث محتويات الشهاب ضمن الفصل الأول.

– العروة الوثقى:

لقـــد أنشئت "جمعية العروة الوثقى"[1] جريدة لها أسمتها "العروة الوثقى لا نفصام لها"[2]، والتي كان يديرها جمال الدين الأفغاني، ويرأس تحريرها محمد عبده، فالأول يمدها بالأفكار والثاني يصوغها في أسلوب عربي متين ومنهجها: "خدمة الشرقيين على ما في الإمكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف، وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آتي"[3]، بـــل تعتبر أول شرارة في الشرق لإلهاب الشعور بالكراهية للحكم الأجنبي، و لم تتأثر بهذه الدعوة وقتذاك الشعوب والحكومات الأجنبية والمحلية، وإنما تأثرت بها طبقة قليلة من المستنيرين في الأقطار الشرقية المختلفة تأثرا كان نواة للحركات الوطنية بعد[4].

ولاشك أن صرخات جريدة العروة الوثقى وجدت في الجزائر الآذان الصاغية والقلوب الواعية يوم كـــانت تصدر بباريس، حيث أثرت في الجزائر مثلما أثرت في العالم الإسلامي، ولعل من دلائل هذا التأثير وأماراته أن الشخص الوحيد الذي عرف من أعضاء جمعية العروة الوثقى وذكر اسمه صراحة رشيد رضا " في تاريخ الأستاذ الإمام "هو الأمير عبد القادر الجزائري، وكان رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية قد بنوا حركـــتهم على أكثر المبادئ التي كان يدعوا إليها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في العروة الوثقى، بل كان ابن باديس يدرس لطلابه سيرة جمال الدين الأفغاني، وفصول من العروة الوثقى * التي جعلها في برامج دروسه للطلبة[5].وكان لها تأثير واضح على الجزائريين خصوصا في نفوس المثقفين وزرعت في نفوسهم أيضا الروح الثورية بحكم طابعها السياسي.

– مجلة المنار:

ومؤسسها محمد رشيد رضا الذي حمل لواء الإصلاح بعد موت محمد عبده، واستطاع هذا الرجل أن يعـــلن ثورة دينية على الفساد الاجتماعي والانحراف الديني والدعوة إلى تصفية الدين وتطهيره، وتنبيه الـــناس إلى حـــالهم، وإيقاظ شعورهم بما كان ينشره في مجلته من أخبار العالم الإسلامي ومعالجته لقضايا الإصـــلاح الديني والاجتماعي والدب عن الإسلام ورد شبه النصارى وأعداء الإسلام من الشبه والطعنات الـــتي يشنونها على الإسلام. وقد كان رشيد رضا في حياة محمد عبده ترجمان أفكاره والمنافع عنه والمدافع

---

1 - أسسها جمال الدين الأفغاني، وكان طابع هذه المجلة سياسيا وسريا للغاية، ينظر: صلاح الدين مقبول، مرجع سابق، ص. 199.

2– صدر العدد الأول منها بتاريخ 13 مارس 1884 في باريس، وآخر عدد كان يوم 16 أكتوبر 1884، وقد بلغت جملة أعدادها(18) عددا فقط، ثم توقفت عن الصدور نهائيا نتيجة محاربة الاستعمار العالمي لها.

3– أحمد حماني، مرجع سابق، ص. 96..

4– أحمد أمين، زعماء الإصلاح، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1979، ص –ص .94-95.

*– ينظر: جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى ، مصدر سابق.

5– أحمد حماني، مرجع سابق، ص– ص. 100، 101.

دونه واضطلع بعد موته بحمل أعباء الإصلاح حيث نكل عن حملها أقوام، وتعتبر "المنار"* انقلابا فكريا في فهم الدين وصلته بالدنيا وكانت تنشر مؤلفات المصلحين القدامى، ما زاد به الإصلاح الحاضر تمكينا ورسوخا، فكانت تلك النهضة غداء صالحا للنهضة العلمية[1] لما احتوته من بحوث علمية عالية، وكتابات بأقلام لكبار العلماء والمفكرين والمجددين، فكانت بهذه الصفة أن استحقت الاهتمام الواسع في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وكان لهذه المجلة في نفوس أهل الجزائر عموما والمصلحين على الخصوص أكبر الأثر وأعظم الفائدة حيث كان المثقفون بالعربية يقرؤونها كلها، وكانت تأتيهم من تونس وأوروبا بطرق خفية لمناهضة الاحتلال لها، ومنعها من الدخول في بعض الأحيان[2]، وقد أدرك المستعمر (بالكسر) خطرها في الدعاية ونشر مبادئ الجامعة الإسلامية وأفكار محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، والذي ساهمت حقيقة في إيصال فكرة هؤلاء وتهيئة الأجواء لاعتناق الفكرة الإصلاحية وتبني الأفكار التي قامت عليها[3]، خاصة وأن رجال الإصلاح الذين قادوا الحركة الإصلاحية كانوا في رحلتهم العلمية، وكانت تصلهم المجلة بسهولة وكانوا يقرؤون ما تنشره عن الإصلاح وعن النهضة الإصلاحية في العالم الإسلامي، بل إن المتصفح لأعداد المجلة ليجدها بحق موسوعة شملت فنون كثيرة ومجالات شتى، إضافة إلى تفسير القرآن الكريم الذي أوضح فيه (أي رشيد رضا) الطريق السليم لفهم الإسلام، وصحح الكثير من المفاهيم حوله وأعطى صورة صحيحة لمعنى الإسلام وعلاقته وموقفه من المدنية الحديثة. "فالتفسير الذي وفقه الله به لكشف أسرار الكتاب العزيز، وهو من آياته الباهرة التي خلدت اسمه في هذه الأمة وقرنته بكبار الأئمة والمصلحين، وله من المواقف الشريفة في الذب عن الإسلام وأهله والدفاع عن عقيدته الصافية، ومن الكتب الجدلية في رد شبهات أعدائه من أنباء الملل والنحل ومن الملاحدة والمعطلة ما لا يقدر أحد في عصرنا هذا أن يدرك شأوه"[4].

---

* صدر العدد الأول من المنار كصحيفة أسبوعية في 22 شوال عام 1315 هـ / 7 مارس 1898 وآخر عدد طبع منه هو الجزء الأول من المجلد 35 الصادر في 30 ربيع الأول سنة 1354 هـ 10 جويلية 1935 أنشأها محمد رشيد رضا وكان الغرض من إنشاء هذه المجلة مسائل كثيرة يجمعها الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة الإسلامية ... إضافة إلى نهجها منهجا إسلاميا يتلخص في إصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات، والتربية والتعليم.

ينظر: محمد رشيد، "مجلة المنار" المنار، ج . 1، م. 1، ط.2، شوال 1315 الموافق مارس 1888، ص .1.

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، (محرر) سجل المؤتمر، ص- ص. 43، 44.

[2]- محمد علي دبوز، مرجع سابق ، ص. 28 .

[3]- عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط.1،دار الأمة، الجزائر، 1998، ص.20.

[4]- شكيب أرسلان، مرجع سابق ص. 284، وكذلك: رشيد رضا .مختارات سياسية من مجلة (المنار)، تقديم ودراسة: وجيه كوثراني، ط.1، دار الطليعة، بيروت 1980.

ولقـــد كـــانت الجزائر بعلمائها ومصلحيها ترى مجلة (المنار) لسان الإسلام الأكبر، ومنبر الإسلام الأعظـــم، وأكبر عون لها في الإصلاح، وكان تأثرهم بها إلى درجة كبيرة، بل ترجى هؤلاء العلماء أمثال محمد بن مصطفى بن الخوجة، وعبد القادر المجاوي وابن سماية من محمد عبده أثناء زيارته إلى الجزائر أن لا تـــتدخل "المـــنار" في السياسة، وأن لا تتعرض لفضائح فرنسا في المغرب حتى لا تتوقف عن الدخول إلى الجزائر[1].

ويتضح لنا أن الجزائريين كانوا دائما يعترفون بفضل صاحب المنار على الحركة الإصلاحية الجزائرية فهذا ابن باديس يقول " أن الحركة الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا كلها من آثار صاحب المنار"[2]، وهذا البشير الإبراهيمي يعترف بأن مجلة المنار " أحدثت انقلابا فكريا في فهم الدين وصـــلته بالدنيـــا"[3]وقد عبر الكتاب الجزائريون أنفسهم عن مدى تأثرهم بأساليب الكُتَّاب الشرقيين فابن بـــاديس يعترف بكل اعتزاز بأنه كان يقلد "المنار" في طريقة تفسيره القرآن الكريم الذي كان يفتتح به مجلة "الشهاب"، بل نشر في أحد أعدادها جزءا من تفسير رشيد رضا اعترافا منه بفضل صاحب المنار[4].

وبالإضـــافة إلى "العروة الوثقى" و"مجلة المنار"، فقد كانت هناك صحف أخرى سيارة لا تقل أهمية في تأثيرها على الجزائر والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص[5] فمجلة "الفتح"*التي كانت تصدر بالقاهرة ويشـــرف عـــليها العالم الكبير والكاتب العظيم محب الدين الخطيب[6]، حيث حملت لواء الدعوة السلفية

---

[1]- محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص. 29 .

[2]- ابن باديس،"حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا"، الشهاب، ج .7، م .11، رمضان 1354 هـــ الموافق لـــ: ديسمبر 1935، ص .510.

[3]-الإبراهيمي، (محرر) سجل المؤتمر ، ص. 44، 24، 23 .

[4]- محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 62 . وكذلك: الشهاب، ج. 9، م.11، أكتوبر 1935، ص .1 وما يليها

[5]- Ali Merad , op .cit , pp. 23 , 24.

*- وهـــي صحيفة إسلامية علمية أخلاقية أسبوعية، صاحب الامتياز فيه الكاتب السلفي القدير محب الدين الخطيب، صاحب مجلة الزهـــراء، ورئيس تحريرها المصلح عبد الباقي سرور نعيم من علماء الأزهر، صاحب المقالات الإسلام وموقفه إزاء المدينة الحاضرة، ينظر: "الفتح"، الشهاب، عدد 34، ذو الحجة 1343، جويلية 1962، ص. 3.

[6]- مـــن الكـــتاب والسياسيين والعلماء المرموقين، ولد بدمشق سنة (1303 هـــ - 1886م) .تلقى تعليمه بها ،سافر إلى استنبول وانتسب إلى مدرسة الحقوق، شارك في إنشاء جمعية النهضة العربية السرية عام 1806 ارتحل إلى اليمن ثم عاد إلى دمشق . هاجر إلى القاهـــرة سنة 1911، أنشأ المكتبة السلفية واشتغل بالصحافة وعمل على تحرير جريدة "القبلة"، وأصدر مجلة "الزهراء"، و"الفتح"، نشـــر العديـــد مـــن الكتب والتراث الإسلامي، له آثار كثيرة وتواليف عديدة، توفي سنة 1389هـــ - 1969م ينظر: خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج.5 ص.282 وعمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج.3، ص .16.

بالمشرق مع أختها مجلة "المنار"، بل إن هذه الصحيفة أنشئت لدفع الملحدين، وتمثيل الإسلام تمثيلا صحيحا للعالمين، وكشف أدعياء الدين من أصحاب الطرق الصوفية المنحرفين وأهل الأهواء المبتدعين. [1]

ومن المجلات والجرائد أيضا التي كان لها تأثير واضح في الجزائر جريدتي اللواء* والمؤيد ♦ اللتان كانتا تدعوان إلى اليقظة وإصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية، ومقاومة الاستعمار والاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، وبث الحرية في النفوس والاعتناء بشباب العرب والإسلام [2] .

وخلاصة ما يمكن قوله أن الصحافة المشرقية من جرائد ومجلات قد هذبت الأمة الجزائرية ونورت أفكارها، واستأصلت العوائد المستهجنة، والخرافات التي لا توافق روح الإسلام، وحررت العقول من القيود والأغلال، وبعثت فيهم روح التفكير الحر، وتدارك الحالة التي هم عليها، وأيقظت شعورهم، ووحدت صفوفهم، وفتحت لهم المجال للكتابة والاستفادة من تجارب المشارقة وفي هذا الصدد يقول محمد خير الدين: [3] "والحركات التحررية في بعض بلدان المشرق العربي مدينة لحركة الإصلاح الفكري والديني التي قادها موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ثم تلميذه رشيد رضا، و لم تكن هذه الحركة بعيدة عنا، بل كان مددها متصلا بنا، فجريده "العروة الوثقى" التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومجلة "المنار" التي كان يصدرها رشيد رضا، ومجلة" الفتح" لمحب الدين الخطيب من الصحف التي

---

[1] – ومن آيات الاتصال بين أصحاب والجرائد والمجلات ماكتبته مجلة الفتح في أحد أعدادها تمهيدا لرسالة ابن باديس في الرد على أحد رؤوس الطرقيين أساء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، والتي عنوانها، "جواب سؤال عن سوء مقال "، حيث قرظت هذه الرسالة بهذه المجلة، ونشر هذا التقريظ في مجلة الشهاب ينظر: عدد 87، 6 رمضان 1345، 10 مارس 1927، تحت عنوان "رسالة جواب سؤال عن سوء مقال".

* أسسها الزعيم المصري مصطفى كمال في القاهرة سنة 1900 وكانت تكتب عن الجزائر كثيرا وتدافع عن أقطار العالم العربي الثلاث في وجه المطامح الاستعمارية، وشديدة الانتقاد للسياسة الفرنسية في الجزائر، وقد أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا بمنعها من الدخول إلى الجزائر .

♦ أسسها الشيخ يوسف في القاهرة عام 1889، وكانت تدعوإلى اليقظة العامة، وإصلاح أوضاع الدول العربية، صدر العدد الأول منها كجريدة يومية في أول ديسمبر سنة 1889 وتوقفت عن الصدور عام 1919.

ينظر: رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ش. و.ن. ت، الجزائر ص. 100، 101 .

[2] – المرجع نفسه، ص. نفسها.

[3] – هو محمد بن خير الدين، ولد ببسكرة عام 1902، بواحات الزيبان، حفظ القرآن الكريم، ودرس بها وفي سنة 1916 انتقل إلى قسنطينة، وتتلمذ على مجموعة من الشيوخ منهم الشيخ الطاهر بن زقوطة، وكانت الرحلة الثانية إلى تونس، حيث تتلمذ على كبار الأساتذة، تحصل على شهادة التطويع سنة 1925، كان من المؤسسين لجمعية العلماء ومن أعضاء المجلس الإداري، عين نائبا للجمعية في الخمسينات توفي سنة 1994، ويعتبر من علماء الإصلاح البارزين والعلماء المجاهدين، ينظر: محمد خير الدين، مذكرات، ج. 1، مطبعة دحلب، 1985، ص- ص. 70 –80 ، وكذلك محمد عباس، رواد الوطنية، ج.2، مطبعة دحلب، الجزائر 1992، ، ص . 284.

كانت تغذي نفوس المصلحين..."[1] واستطاعت أن تعطيهم المعالم الكبرى في السير بالأمة إلى اليقظة، وأن تجعلهم في عمل مستمر من أجل تحقيق الغاية المنشودة وتحرير البلاد من الذل والعبودية والرقي بهم إلى مصاف الأمم المتطورة.

آثار الحرب العالمية الأولى:

من المعروف أن قيام الحرب العالمية الأولى كانت نقمة ونعمة على الشعوب، فمن جهة كانت تلقيحا للشعوب، وتجديدا للحياة ودفعا للبشرية إلى الأمام، ومن جهة أخرى كانت كارثة على الشعوب المستعمرة (بالفتح)، بحكم وقوعها تحت وطأة القوى الاستعمارية، وقد أجبر الاستعمار هذه الشعوب على المشاركة الفعلية في هذه الحرب باسم الدفاع عن الديمقراطية والحرية، والجزائر كانت إحدى هذه المستعمرات التي وجدت نفسها تسبح في وسط المعارك والحروب تحت لغة القسر والإكراه.

ويتضح جليا أن الحرب العالمية قد أفرزت نتائج خطيرة سواء على العالم الإسلامي أو على الجزائر، فقد هزت العالم الإسلامي كله، سيما الدول الخامدة التي أنهكتها السياسات الاستعمارية الاضطهادية، وكانت الجزائر أكثر هذه البلدان تأثرا بالحرب العالمية الأولى من كل الأمم المستعمرة لمشاركتها في هذه الحروب بأموالها وأبنائها، وقد أثرت في كل مظهر من مظاهر الحياة الجزائرية، وتركت بصمات واضحة المعالم في بنية المجتمع الجزائري، وفتحت آفاقا غير محدودة أمام الجزائريين، وأدخلتهم إلى عهد جديد غيّر الكثير من المفاهيم والاعتقادات التي كانت سائدة قبل الحرب.

وما يهمنا في هذا المبحث هو وقع الحرب على الحركة الفكرية والأدبية الجزائرية بحكم أن الحركة في مرحلة النضج والتطور ، فما هي الآثار التي تركتها على حركة النهضة الإصلاحية في الجزائر؟

إن المستفحص لمختلف الكتابات التي عرجت على ذكر آثار الحرب ليجد أن هناك شبه إجماع على أن الحرب العالمية الأولى قد غيرت الكثير من المفاهيم والأساليب التي كان الجزائريون يعتقدون أنها الطريق الأمثل في مواصلة النضال والكفاح في سبيل الحصول على أكبر قدر ممكن من المطالب الضرورية وتحسين حال الجزائريين، وما يستوقفنا هنا أن الحرب قد غيرت مفاهيم دينية كثيرة، فقد أجبر المسلمون الهنود والأتراك والجزائريون وغيرهم على محاربة بعضهم البعض، فكان ذلك بداية لوقفة تأمل طويلة لمراجعة قادة العالم الإسلامي بما فيهم قادة الجزائر علاقاتهم بالقوى التي تستعمرهم، كما أفرزت على المستوى العالمي ظهور أيديولوجيات جديدة ونزعات فكرية جديدة[2].

---

[1]- محمد خير الدين، المرجع نفسه، ص. 342.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر ، ج.3، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص.19، 20.

فظهور الثورة البلشفية الروسية وسقوط عدد من الإمبراطوريات، إضافة إلى طرح مبدأ تقرير المصير للشعوب المستعمرة، وكذا استقلال بعض الدول التي كانت بالأمس أجزاء من الإمبراطوريات المذكورة وغيرها[1] كانت نقطة تحول كبيرة في نفوس رواد الحركة الوطنية الجزائرية والإصلاحية على وجه الخصوص.وتجدر الإشارة إلى اعتبار الحركة البادیسية جزءا من تحرك العالم الإسلامي نحو النهضة والانعتاق، والتي نوعت من مجال عملها من التعليم إلى الوعظ والإرشاد إلى المعركة الإعلامية التي قادها بنفسه.[2]

ويمكن القول أن من ثمرات الحرب العظمى خروج الشعب الجزائري بتطور فكري فجائي نجم عنه انحطاط قيمة المقدسات الوهمية في نظر الكثير من الناس، ومن العوامل التي ساعدت على نمو هذا الأثر في النفوس وتبلوره، تطور زعماء التخريف وأساطين التدجيل وأرباب الطرق وأغلب مشايخ الزوايا على المال والتكالب في جمعه، والانهماك في ملذات ومزاحمة العامة في الوظائف والنياشين[3]، الذين كانوا إلى وقت قريب الزعماء الروحيين والممثلين الشرعيين للقوى الثقافية والدينية في البلاد، وبهذا تكون الحرب قد كشفت الحجاب عنهم وفضحتهم بالتطور الفجائي الذي أحدثته في صفوف الشعب عامة.

ولا ننسى أن هناك عوامل خارجية كانت من آثار الحرب، وكان انعكاسها على الجزائر واضحا، ويتجلى ذلك في الأحداث الإسلامية التي أصابت المسلمين عقب نهاية الحرب، فإلغاء الخلافة الإسلامية سنة 1924 جعل المسلمين يتطلعون ويبحثون عن البديل لهذه الحادثة المؤلمة، الشيء الذي جعلهم يعقدون مؤتمر الخلافة سنة 1925* للنظر في أمر الخلافة، وقد شارك فيه من الجزائر الأمير خالد[4] وأبو يعلى الزواوي هذا الأخير الذي اقترح إنشاء (جماعة المسلمين) بديلا عن الخلافة، إضافة إلى هذا الحادثة فإن انتصار الدولة السعودية سنة 1925 على خصومهم، يعني انتصار الحركة الوهابية التي كانت تصل أصدائها – كما أشرنا

---

[1]- المرجع نفسه، ص. نفسها، وكذلك ينظر: جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر (من 1830 –1960) ط.1، دار المعارف، القاهرة، 1959، ص . 271، 272.

[2]- المرجع نفسه، ص. نفسها.

[3]- الإبراهيمي، مصدر سابق، ص. 48 .

*- انعقد مؤتمر الخلافة الإسلامية بالقاهرة سنة 1925، وكذا مؤتمر الهند سنة 1929، ثم مؤتمر القدس سنة 1930 كلها للنظر في أمر الخلافة، ومحاولة إيجاد البديل لتجميع المسلمين تحت راية واحدة..

[4]- خالد ابن الهاشمي ابن الحاج عبد القادر الملقب بالأمير [illegible]، ولد في 20فيفري 1875 استقرت عائلته بالجزائر سنة 1892 قادمة من دمشق . دخل المدرسة سنة 1893 تحت إلحاح أبيه، دخل المدرسة العسكرية بباريس و لم يكمل دراسته عاد إلى الجزائر عام 1895، حيث ظهر عليه الاستقلال النفسي، وانتقاداته ضد الإدارة الفرنسية، برز كأعظم شخصية في الحركة الوطنية، ويعتبر أب الحركة الوطنية، أسس حركته المعروفة بحركة الأمير خالد، قامت السلطات الفرنسية بنفيه إلى فرنسا ثم مصر، ترأس شرفيا نجم شمال إفريقيا، توفي سنة 1936، ينظر: سعد الله ، " حركة الأمير خالد، " الجيش، عدد 3، جوان 1973، ص- ص 17 – 30 وكذلك:

محفوظ قداس، "الأمير خالد ونشاطه السياسي، " التاريخ وحضارة المغرب، عدد4، جانفي 1986.

آنفا – إلى الجزائر، خصوصا على يد العقبي والإبراهيمي اللذين كانا مقيمين هناك[1]، إضافة إلى هذا، اليقظة السياسية ونشاط الضمير الوطني لهذه الفئة السياسية.

كـــل هـــذه الأسباب جعلت بعض الكتاب يصفون عقد العشرينيات بأنه عهد النهضة في الجزائر، (فديـــبا رمى) الفرنسي يسميه " بعهد الاندفاع الوطني والاتجاه نحو الثورة... والإصلاح الديني والأخلاقي بالإضافة إلى النهضة الأدبية والعلمية".[2]

وأهم ما ميز هذه الفترة أيضا ظهور الحركة الوطنية بصفة رسمية نجم عنها ظهور الأحزاب السياسية، وتبـــلور الفكـــر الديني والسياسي الجزائري عموما[3] مما دفع بالجزائريين إلى إدراك أسباب تخلفهم، وتسلط الاستعمار عليهم الشيء الذي دفعهم إلى التشمير عن ساعد الجد –وقد ثقفتهم الحروب– حيث أقبلوا على التعلـــيم بشـــقيه العربي والفرنسي، وأيقنوا بوجوب الأخذ بأسباب الحياة، حيث كثرت المدارس العربية، وإنشـــاء الصحافة العربية السياسية والإصلاحية،وشن الجزائريون معارك كثيرة لإصلاح النفوس[4]وتهذيب الأخلاق وتطهير العقائد والعقول من البدع والخرافات، نتج عنها تطور ملحوظ في حركة الإصلاح الديني والاجتماعي التي قادها العلماء والقادة الذين حملوا راية الإصلاح والدفاع عن المقومات الشخصية الوطنية، وانـــتهت هذه التطورات في هذه العشرية بعد نهاية الحرب بميلاد جمعية العلماء بعد أن ظلت مجرد أنشطة مـــتفرقة خلال العشرينات لا يجمعها جامع ولا هدف محدد ولا برنامج دقيق، بل كانت تتمثل في جهود فـــردية وقناعات شخصية كلها تنادي بضرورة الإصلاح [5] والخروج من مرحلة العمل الفردي إلى مرحلة العمل الجماعي والبناء الاجتماعي.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ، ص. 20.

[2]– ديبارمي ،"إفريقيا الفرنسية" ديسمبر 1933 ص. 780. نقلا عن أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ، ج.2 ،ص . 288،

[3]– يمكن تصنيف الطبقة المثقفة في الجزائر التي تبلورت أفكارها ، وأدركت بوجوب اليقظة على أربعة أقسامها:

- المثقفين بالفرنسية وخريجي المدارس الفرنسية (أساتذة – أطباء – محامون ....).
- التلاميذ خريجو المدارس الإسلامية (الأزهر، الزيتونة، القرويين، الحجاز.....).
- طبقة المرابطين والطرقيين (العصريين).
- الطبقة المفكرة أوالفلاسفة الذين خلطوا بين العلوم العربية والغربية.

ينظر:

- Bergue Augutin ," les intellectuels algérien" ,in. R .Africain n° 91, 1947, p 127

[4]– محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص . 27

[5]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ص.23.

ب- العوامل الداخلية:

إلى جانب العوامل الخارجية التي ساعدت على بزوغ فكرة الإصلاح في الجزائر فهناك أيضا عوامل داخـــلية كان لها الأثر المباشر في بعث حركة الإصلاح إلى الظهور واستقبال ما يأتي من خارج الجزائر من مؤثرات، وبهذا يمكن القول أن العامل الداخلي يكون بمثابة الوعاء الذي تصب فيه هاتة المؤثرات والعوامل التي ذكرناها آنفا، وأهمها المحاولات الإصلاحية التي قادها ابن باديس بنفسه والتي تمثل المحور الرئيس لانطلاق وتطبيق الأفكار النظرية الآتية من خارج الجزائر.

- الحركة التعليمية الباديسية:

لقـــد كـــانت رحـــلة ابن باديس إلى تونس من أجل هدف وحيد وهو عزمه على تحصيل العلوم والمعارف الإسلامية، فقد سافر إلى تونس سنة 1908 إلى جامع الزيتونة، وقضى هناك زهاء أربع سنين ينهل من العلوم الشرعية نهلا، وفور رجوعه من الزيتونة إلى الجزائر، حاول الاستقرار، لكن لظروف لم يذكرها[1]، عـــزم عـــلى السفر لأداء مناسك الحج[2] ، وبالطبع فإن هذه الرحلة قد أطلعته على الأوضاع الاجتماعية والسياســـية والثقافية، وفيها تعرّف على ما يعانيه المسلمون في بلادهم، وفيها خبر أحوال الناس فيما وسع أفقه، وبصره بطريق الخلاص والثورة الفكرية التي تعتمد على التربية في تكوين القادة من النخبة أو الصفوة المـــبدعة [3] خاصة بعد لقائه بشيخه حمدان الونيسي[4] وبعض المشايخ في الحجاز ومصر[5] أين توسعت مدارك الشـــيخ ومعارفـــه، كما تركت أحداث الشرق التي تمخضت عن الثورة العربية انطباعات كثيرة في نفس الشيخ.[6]

وكـــانت عودة ابن باديس إلى الجزائر قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بقليل، وفي هذه الفترة عاد أيضا الإبراهيمي، ثم العقبي بعد الحرب، الشيء الذي أندر بانطلاق حركة إصلاح قوية واسعة الأفق، وفي

---

[1]- والظاهـــر حســـب بعض المراجع أنه غادر الجزائر خوفا من التجنيد الإجباري الذي فرضته فرنسا على الجزائريين سنة 1912. ينظر: أحمد نبيل بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1990م، ص. 59.

[2] - Ageron charle robert , l'histoire de l'Algérie contomporaire (1871-1919), T.2 édition 1 , presse universitaire de France – paris 1979. P.324.

[3]- عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره (المدخل)، ص . 81.

[4]- هـــو الشـــيخ حمدان الونيسي من مواليد قسنطينة عام (1237 هـــ، 1856 م) هاجر من قسنطينة إلى استنبول مركز الخلافة الإســـلامية يومئذ، ومنها توجه إلى المدينة المنورة ، واستقر بها إلى أن توفاه الله سنة (1339هـــ - 1920م) وهو من تلامذة الشيخ عبد القادر المجاوي، وأحد مشايخ ابن باديس الأوائل، ينظر: محمد المهدي شغيب،ص. 318.

[5] -Ali Merad, La reformism musulman en Algerie ,op ;cit,p.82.83.

[6]- عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920 – 1936)، ج،2 ، م. و.ك، الجزائر ، 1984، ص .156.

هـــذا يقول مالك بن نبي:[1] " لقد بدأت معجزة البحث تتدفق من كلمات ابن باديس، فكانت تلك ساعة اليقظـــة، وبدأ الشعب الجزائري يتحرك" [2] ، وحسب (ديبارمي) فإن ميلاد الحركة الإصلاحية كان قبيل الحرب العالمية الأولى الذي ابتدئها بن باديس بالوعظ والإرشاد انطلاقا من الجامع الأخضر، حيث " أعلن هدفه البيداغوجي المتضمن التعليم القرآني وانتقاد الخرافات الباطلة المنتشرة في شمال إفريقيا"[3].

ويمكن القول أن ابن باديس بدأ في حركة تعليمية منظمة ودقيقة، انطلاقا من إلقاء بعض الدروس في مسجد"سيدي قموش"، وبالجامع الأخضر، وبذلك يمكن اعتبار هذا المشروع الإصلاحي بمثابة الانطلاقة الـــنوعية لحركة إصلاح محددة الأهداف ومتكاملة الأطراف مبنية على مشروع تربوي يرتكز أساسا على نشـــر التعلـــيم وتربية الأجيال الناهضة، وإعدادهم إعدادا يتماشى وظروف الجزائر آنذاك، وقد جعل من الجـــامع الأخضـــر الذي يعد المدرسة الإصلاحية الأولى التي تخرج منها العديد من الطلبة والعلماء[4] – قبلة الوافدين على طلب العلم فيما بعد معهدا علميا ينتسب إليه طلبة العلم، ويفتخرون بالانتساب إليه، والذي يـــتم قبول الطلبة فيه وفق شروط تنظيمية محددة، حيث يتلقون فيه المعرفة والعلوم الشرعية حسب البرنامج لكـــل مســـتوى من المستويات الأربع[5]، والتي تمثل مرحلة تعليمية كاملة يحصل الطالب بعدها على تقدير اعتباري يخول له الانتقال إلى تونس لإكمال دراسته أو الانتصاب للتدريس.[6]

لقـــد أدرك ابن باديس الذي كان بنفسه منبرا حقيقيا ومعلما بارعا والذي كان يهز الجماهير بخطبه ويوقظ روح الجهاد فيهم[7]، أدرك أهمية التربية والتعليم في تكوين جيل قادر على مجابهة الاستعمار وإحباط مخططاتـــه، وهو إذ ذاك، يعد رائد النهضة العلمية والتربوية في الجزائر، بل إن عمله هذا كان عملا تربويا بالدرجـــة الأولى، وهـــو بذلك كان يعمل جاهدا في إعداد جيل ناشئ في وجه الاحتلال، وسياسيا ليقف

---

[1] – كـــاتب ومفكر إسلامي،له طابع العالم الاجتماعي، ولد سنة 1905، درس القضاء في المعهد الإسلامي وتخرج في الثلاثينات، مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة بباريس، سافر إلى مصر واستقر بها ، وتولى عدة مناصب إدارية له آثار كثيرة معظمها بالفرنسية توفي سنة 1933، ينظر: عادل نويهض، ص .282.

[2] – مالك بن نبي، مرجع سابق، ص.30 .

[3]- Desparmet. J." La politique des oulama Algériens (1911-1937) ", in l'Afrique Française N° 07, juillet 1997 . P. 354.

[4] – وكـــان أبـــرز وأشهر تلامذته الذين كانت لهم السابقة في النبوغ: مبارك الميلي، محمد السعيد الزاهري، محمد الهادي السنوسي، محمد بن العابد، السعيد الزموش، وابن عتيق، الفضيل الورتلاني، وغيرهم، وأغلبهم واصل دراسته بالمعاهد الإسلامية بالخارج .

[5] – عـــن الجـــانب العمـــلي والخطة التعليمية التي سار عليها ابن باديس، ومؤسسات التعليم التي أقامها، والإطار التنظيمي لهذه المؤسسات، وبرنامج المواد الدراسية الخاصة بكل فئة، وبكل مستوى وغيرها ينظر: عبد القادر فضيل ورمضان محمد الصالح، مرجع سابق، ص- ص .223-254 .

[6] – المرجع نفسه، ص- ص . 33، 34.

[7]- Mouhandis. L. "ckcikh.B. Badis à tunis " , in AF , N° 6, juin 1937, p. 338.

لمقاومة ومجابهة الفرنسيين والشيوعيين، فهو عمل بناء، وفي الوقت نفسه كان دفاعيا وهجوميا[1]، وهو بهذا المشروع التربوي له أهداف بعيدة المدى ومقاصد محددة كان يعمل على تحقيقها، وقد كشف (ديبارمي) أن دروس الأستاذ ابن باديس كانت موجهة نحو غرض سياسي.[2]

ويـــبدو أن ابن باديس لم يقتصر على تنشيط وتحريك مركزه التعليمي، فقد كان يقوم برحلات في مختلف القطر الجزائري، يلقي فيها الدروس والمواعظ، ويحث الناس على التعليم والإقبال على العلم، وكان يشـــرح للشـــعب برنامجه التربوي التهذيبي الذي يقوم به في قسنطينة، وبذلك استطاع أن يجعل من عمله التربوي هذا حركة علمية واسعة، واستطاع بشخصيته الفذة أن يؤثر على الرأي العام الجزائري، والتي هي إحدى الدعائم التي قامت عليها الحركة الإصلاحية الجزائرية[3].

وبحلول العشرينيات ومن خلال نشاطات ابن باديس المتنوعة استطاع أن يمهد لحركة إصلاحية شاملة محددة الأهداف واسعة الأطراف، وقد أطلق (آجرون) على هذه الفترة " بالظاهرة الإصلاحية الإسلامية" التي جاءت –حسب رأيه– من تقليد محمد عبده ورشيد رضا والتي تدعوا بالرجـوع إلى الأصل[4].

كمـــا اســـتطاع أن يؤسس المدارس الكبرى للتعليم والتربية[5] التي أصبحت في المستقبل وجهة كل جزائري، وقد ظل ابن باديس يجهد نفسه، ويتجاوز العراقيل، ويناضل المناصبين العداء لكل جديد ما يناهز خمسة عشر سنة، حيث ظل يعلّم ويربي الصغار والكبار ويرشد الأمة ويوقظ الهمم وينشر الوعي ويدعو إلى ما يـــنفع الصـــالح العام، مخطط رسمه في ذهنه وطبقة في الواقع[6]، وكانت نتيجة جهوده أن كان أغلبية الذين تخرجوا على يديه أو جهزهم لاستكمال معلومتهم في المعاهد الإسلامية بالخارج هم الآخذون بزمام النهضة الإصلاحية.[7]

كمـــا لا ننســـى تلك المحاولات الإصلاحية التي قام بها بعض العلماء المصلحين الذين آلمتهم الحالة الراهنة، وأقلق ضميرهم سوء الحياة الاجتماعية، وكثرة الضلال، والانحراف إلى الجاهلية، وهؤلاء هم الرواد

---

[1]- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج.14، ط.1، المكتب الإسلامي، دمشق 1411 هـ - 1991 م، ص . 259 .

[2]- J.Deparemet . op , cit :p. 354.

[3]- Ali Merad , op , cit , p. 354.

[4]- Ageron charle Robert , op , cit , p. 323.

[5]- أشهر هذه المدارس " مدرسة الشبيبة الإسلامية" بالجزائر العاصمة عام 1927، ومن بين رجال الفكر والأدب الذين اشتركوا في التدريس فيها، الهادي السنوسي، محمد العيد، عبد الرحمان الجيلالي، باعزيز بن عمر وغيرهم.

ينظر: عبد القادر فضيل ، رمضان محمد الصالح، مرجع سابق، ص. 364، وكذلك رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط.2، ش. و.ن. ت، الجزائر 1981، ص- ص. 200، 220.

[6]- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص. 37 .

[7]- مجهول، " قسنطينة العاصمة العلمية،" الشهاب، ج.10، م.5، جمادى الثاني 1348 هـ الموافق لـ: نوفمبر 1929، ص .36.

الأوائل لحركة الإصلاح الديني والأخلاقي والاجتماعي[1]، الذين مهدوا لانطلاق حركة الإصلاح، وجاءت هـــذه المحاولات ردا على انتشار البدع والاعتقادات الخرافية التي أنهكت المجتمع وأردته صريعا بين أحضان الطـــرقية وطغيانهـــا، وإن كان الملاحظ على هذه المحاولات الإصلاحية قبل ظهور ابن باديس، فإننا نجدها محـــاولات فـــردية محدودة النطاق ومحدودة المفعول ليس لها هدف محدد وبرنامج مسطر، وإنما الغاية التي جمعتهم وهي الإصلاح وتغيير الحالة الراهنة.

ويمكـــن أن نذكـــر من بين هؤلاء الأشخاص الذين كان لهم السبق في الدعوة إلى إصلاح المجتمع وتحـــريكه صالح بن مهنا[2]، الذي كان له الأثر البالغ في إيقاظ شعور أهل قسنطينة، ولكن إدارة الاحتلال أدركـــت خطورته فسارعت إلى إبعاده، وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن. ومن هؤلاء أيضا عبد القادر المجاوي الذي باشر التعليم في المدارس الفرنسية مدة طويلة، وترك لنا عدة مؤلفات تدور حول اللغة العربية، وشـــرحا (لمـــنظومة اللُّمع) في إنكار البدع[3] [4]، حيث سخر جل وقته في التربية والتعليم من المساجد إلى المدارس ناشرا بذلك منهجا تربويا عصريا، حدد من خلاله أدواء المجتمع والطريق لإصلاحه، والنهوض به، كما أشتهر المجاوي بالدقة العلمية في الإسناد والشغف بالعربية وأصولها، وقوانينها النحوية، ولاقى في سبيل نشر أفكاره وتعاليمه إهانات كثيرة من بعض الناس كما لقي صعابا جمة من طرف السلطات الاستعمارية، التي طفقت تنقله من مكان إلى آخر. ومن أسرار القدر أنه في السنة التي توفي فيها المجاوي، ابتدأ عبد الحميد ابن باديس حركته التعليمية، وبذلك اتصلت حلقات الإصلاح متطورة من مرحلة إلى أخرى.

كما كانت محاولات إصلاحية أخرى لبعض العلماء أمثال مصطفى ابن الخوجة المشهور (بالكمال) الـــذي كان شغوفا بمحبة محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والجرائد التي كان ينشرها في "المنار"، وكان

---

[1]- عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره (المدخل) ، ص. 18 .

[2]- صالح بن مهنا: من رواد الإصلاح الأوائل الذين مهدوا للحركة الإصلاحية الجزائرية في بداية القرن العشرين ولد عام (1840)، لـــه مكانة علمية مرموقة، أوذي من طرف أهل قسنطينة بسبب حملته الشنيعة على العوائد الفاسدة والبدع المخالفة للشرع، له آثار عـــلمية توحـــي بمكانة الرجل وقيمته العلمية، تتلمذ على الكثير من الشيوخ رحل في طلب العلم إلى تونس، وتتلمذ على شيوخها هـــناك، انتقل إلى القاهرة ثم إلى الجامع الأزهر، رجع إلى الجزائر و اشتغل بالتدريس بقسنطينة مؤد رسالته العلمية والتوجيهية على أكمـــل وجه إلى أن توفاه الله سنة 1910. ينظر: سليمان الصيد، صالح بن مهنا، ط.4، دار البعث، الجزائر 1983، ص- ص. 27 فما فوق وكذلك: محمد المهدي شغيب،ص- ص. 338 –341.

[3]- وهـــي مـــنظومة في إنكار البدع ألفها الشيخ المولد بن الموهوب، وشرحها المجاوي بشرح أسماه (اللمع على نظم البدع) وهذا مطلعها:

صعود الأسفلين به ذهينا **** لانا للمعارف ماهدينا

طـــبع بالجزائر سنة 1912 في 198 ص، وقرظها محمود كحول، وأحمد بن الشيخ الباشا عدل محكمة سيدي عقبة، ينظر: عمار طالبي، مرجع نفسه، ص .20-24.

[4]- رابح تركي، "نشأة الحركة الإصلاحية"، الأصالة ، عدد24، ربيع 1 و2، 1395، مارس أفريل 1975 ص- ص . 77، 78.

اهـــتمامه أكثر بالحياة الاجتماعية والأخلاقية وبوضع المرأة الجزائرية، ونشر التعليم، ومدارسة القرآن، ولما وصله تفسير سورة "العصر" درَّسه عشر مرات، وشرحه لمن يتتبعون حركة الإصلاح في الجزائر من الطلبة والمثقفين[1]، وأيضا محاولات "المولود بن الموهوب"[2] التي تجلت في المحاضرات التي كان يلقيها في نادي (صالح بـــاي) بقسنطينة، كما لا يخفى علينا "عبد الحليم بن سماية"[3] الذي كان مشتغلا وشغوفا بالتدريس، فقد كـــان يـــدرس (رســـالة التوحيد) لمحمد عبده[4] في المدرسة الثعالبية، والذي كان معجبا به وبطريقته في الإصـــلاح، وأيضا ينبغي الإشارة إلى عمر راسم [5]ونشاطه الإصلاحي، فقد كان هوا لآخر متأثرا بمحمد عـــبده، حـــتى أنـــه جعله المدير الديني لجريدته (ذوالفقار) التي كان يصدرها بالعاصمة قبل الحرب العالمية الأولى.[6]

وإذ نظـــرنا في مجمـــل هـــذه المحاولات التي بدأها هؤلاء العلماء والمفكرون، نجدها امتدادا لحركة الإصـــلاح في المشـــرق، ومن الأدلة الواضحة على هذا الادعاء تبني هؤلاء أفكار الزعماء والمصلحين في المشـــرق، ومـــن ثم شكل هؤلاء بداية لحركة إصلاح ديني واجتماعي، ومما ساعد على ذلك قابلية المجتمع الجزائري لهذه الأفكار التي هي في باطنها حركة معادية للاستعمار وأعوانه، كما يمكن اعتبار هذه الحركة غـــير المنـــتظمة مقدمة حقيقية لحركة ابن باديس ورفقائه، الذين واصلوا البناء والعمل الإصلاحي إلى أن توجت أعمالهم وجهودهم بإنشاء جمعية دينية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة **1931**.

---

[1]- عمار طالبي، المرجع نفسه، ص. 34 –35 .

[2]- مـــن مواليـــد سنة (1866) بقسنطينة، ساهم في تأسيس نادي صالح باي، ألقى عدة محاضرات ثقافية، كما كان يقوم بالوعظ والإرشـــاد والإفـــتاء في الجامع الأخضر، عين سنة 1895 م أستاذ للدراسات الإسلامية بمدرسة "سيدي " الكتاني، وعين مفتيا في المذهـــب المـــالكي سنة 1908، ساهم في الحركة الصحفية بالمقالات المتناثرة في عدة جرائد، كجريدة كوكب إفريقيا، والصديق والإقدام، ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية ، ج.2، ص. 218.

[3]- عمار طالبي، المرجع نفسه، ص- ص 28 – 34 .

[4]- ينظر: محمد عبده، رسالة التوحيد، تعليق رشيد رضا، ط 13، دار المنار، القاهرة، 1368 . وكذلك ينظر ما كتبه رشيد رضا عـــن رسالة التوحيد في المنار. ينظر: رشيد رضا،" رسالة التوحيد ،" المنار، ج. 32، م .1 جمادى الآخرة 1316 هـــ الموافق لـــ: 1899 م، ص- ص .623 – 625.

[5]- مـــن مواليـــد العاصـــمة عام 1884، تعلم بكتاتيبها، عرف بأفكاره الإصلاحية والوطنية معتنقا للفكر العبدوي منتصرا له، له صـــلات واسعة بزعماء الإصلاح في المشرق والمغرب، أنشأ مجلة الجزائر سنة (1908) م ،ثم ذو لفقار (1913) م، أشتهر بانتقائه لـــلخط العربي، ومقدرته في رسم المنمنمات، لاقى المحن الشديدة في سجنه إبان الحرب العالمية الأولى، توفي سنة 1959 من آثاره، تراجم أعلام الجزائر (مخطوط)، ومقالات عديدة، ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية، ، ص. 227.

[6]- Ali Merad. "la formation de la presse musulman" . op . cit ; p. 16.

خلاصة:

ويتضح مما سبق أن بداية القرن العشرين كانت مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر المعاصرة، فقد عبرت بمنطقوقها عن عدم استقرار وطني، تجلى ذلك في ظهور فكرة الإصلاح كإحدى أساليب الكفاح والتغيير المرحلي، وهذه الفكرة في الواقع لم تأت من فراغ و لم تكن وليدة المصادفات، وإنما جاءت نتيجة تفاعل عدة عوامل داخلية وخارجية، كان من نتائجها ظهور حركة إصلاحية إسلامية جزائرية. أما العوامل الخارجية والتي تمثلت أساسا في حركة الجامعة الإسلامية وزعيميها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، اللذان ساهما في تطهير الفكر الجزائري من الانحرافات والأوهام الباطلة، وبعثا في نفوس الجزائريين الهمم وأيقظ شعورهم وبصَّرُوهم بواقعهم، كما شجعت الجامعة الإسلامية حركة الهجرة إلى بلاد الشرق حيث تمكن الجزائريون من الاتصال المباشر بمجريات الأحداث ومختلف التطورات في العالم الإسلامي، كما أعطت للحركة الوطنية التي كانت في مهدها بعدا عربيا إسلاميا عميقا، وأكبر تأثيرا تركه محمد عبده هو أنه استطاع أن يكوِّن مدرسةً إصلاحيةً في الجزائر قبل زيارته لها، وذلك بفضل الجرائد والمجلات السيَّارة التي كانت تردُ على الجزائريين وبخاصة جريدتي "العروة الوثقى" و"المنار"، وبعض الجرائد الأخرى، إضافة إلى هذا وقع الحرب العالمية الأولى على المجتمع الجزائري والتي غيرت الكثير من المفاهيم التي كانت منتشرة فيه، حيث خرج الجزائريون بتطور فكري فجائي نجم عنه تغيرات كثيرة على مستوى حركة المجتمع الجزائري وظهور أفكار جديدة لم تكن من قبل، وبالأخص ظهور الحركة الوطنية بصفة رسمية ممثلة في النشاط السياسي الذي انطلق مع حركة الأمير خالد.

أما العوامل الداخلية فكانت بمثابة الوعاء الذي تصب فيه تلك المؤثرات هذا من جهة، ومن جهة أخرى إدراك الجزائريين وجوب النهوض من هذه الكبوة والحال التي هم عليها، تجلى ذلك في المحاولات الإصلاحية التي قام بعض العلماء الذين تأثروا بطريقة غير مباشرة بالأفكار الخارجية، إضافة إلى الحركة التعليمية التي قام بها أب النهضة الجزائرية ابن باديس، وهذه الانطلاقة تعتبر –في رأينا– مرحلة حاسمة وبداية عهد جديد لحركة منظمة ومحاولة تجاوز العمل الفردي إلى العمل الجماعي التأسيسي المنظم، والذي توج حقيقة بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تمهيد

قبل الحديث عن أهم القضايا التي عالجتها الشهاب، يكون من المفيد التعريف بها قبل دراستها دراسة فنية، وقبل أن نعرج على هذه الجوانب الفنية والشكلية للشهاب رأينا أنه من الضروري أن نعطي لمحة وجيزة عن تطور الصحافة الوطنية الجزائرية من 1900 بداية ظهورها إلى غاية 1930، باعتبار أن الصحافة العربية قد ظهرت في العقود الأولى من القرن العشرين نتيجة للتطور الذي عرفه المجتمع الجزائري تحت تأثير السياسة الاستعمارية من جهة، والحركات التجديدية، والنهضة الفكرية التي ظهرت في المشرق العربي من جهة أخرى، وقد أدرجنا هذا الفصل ضمن الخطة نظرا لأهميته من جهة معرفة (الشهاب) معرفة كاملة، وهذا تسهيلا لمعرفتها والوقوف على أهدافها وغاياتها، وعليه فإننا أشرنا إلى علاقة الشهاب بابن باديس باعتباره مؤسسها والقائم عليها، وأعطينا لمحة وجيزة عن جريدة (المنتقد) باعتبارها أولى الجرائد الإصلاحية وعلاقتها بالشهاب التي تعتبر امتدادا لها، ثم عرجنا على تعريف الشهاب كجريدة وكمجلة وظروف نشأتها وأهم محتوياتها، والمبادئ التي جعلتها شعارا لها، وأهم الكتاب الذين ساهموا في إمدادها بالمقالات والأبحاث العلمية، كما تطرقنا إلى بيان موقف السلطة الاستعمارية من هذه المجلة التي عمرت طويلا مقارنة بالصحف الإصلاحية الأخرى.

و غرضنا من هذا الوصف الفني هو معرفة (الشهاب) معرفة تمكننا من الفهم الدقيق لأهم القضايا التي تناولتها في صفحاتها، ومعرفة أهدافها ومبادئها التي سخرت حياتها في الذب عنها، ومن ثم يمكننا الحكم على هذه المجلة والوقوف على أهم الخصائص التي تميزت بها عن غيرها من الجرائد الإصلاحية .

1- مختصر عن تطور الصحافة العربية الوطنية في الجزائر (1900 - 1930)

إن الانطلاقة الفعلية للصحافة العربية الجزائرية[1] كان منذ مطلع القرن العشرين، وكانت هذه الانطلاقة متزامنة مع ظهور الصحافة الوطنية وبداية النشاط السياسي، وبتقدم الفكر البشري تزدهر الصحافة، وتنطلق في تسجيل ذلك التقدم وتلك التطورات،وفي صراع التطور هذا يشتد إقبال الفرد على مطالعة

1- يمكن تقسيم الصحافة العربية الجزائرية إلى خمسة أقسام:

-صحافة عربية أنشأها فرنسيون .

- صحافة عربية أنشأها جزائريون بإيعاز من الإدارة الاستعمارية .

- صحافة عربية أنشأها وطنيون- وهذه المقصودة في كلامنا- لتوجهاتها الوطنية في خدمة الشعب الجزائري ومقوماته الوطنية، إضافة لارتباطها بالصحافة الإصلاحية والتي هي محل بحثنا، والتي أخذنا الشهاب إحدى هذه الصحف الإصلاحية بالدراسة.

- صحافة عربية أنشأها جماعة النخبة .

- صحافة أنشأها الإدارة الاستعمارية في الجزائر.

وهذا التقسيم يتماشى والترتيب الزمني لظهور هذه الصحف. ينظر : الزبير سيف الإسلام، مرجع سابق

الفصل الأول :

التعريف بالشهاب

تمهيد

1 – مختصر عن تطور الصحافة العربية في الجزائر (1900 – 1930)

أ- قبل الحرب العالمية الأولى

ب- بعد الحرب العالمية الأولى

2 – ابن باديس والشهاب

3 – الشهاب بطاقة فنية

أ- جريدة المنتقد

ب- جريدة الشهاب (1925- 1929)

جـ- مجلة الشهاب (1929 – 1939)

4 – محتويات الشهاب

أ- كجريدة

ب- كمجلة

5 - ظروف نشأتها

6 – مبادئ الشهاب

أ- المبدأ السياسي

ب- المبدأ التهذيبي

جـ- المبدأ الانتقادي

7 – أهم كتاب الشهاب

8- موقف الإدارة الاستعمارية من الشهاب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصحف رغبة منه في الوقوف على ما يدور على مسرح حياتهم من مفاجآت وأخبار وأحداث لها ارتباط بحياتهم وتطوراتهم، وبناء على هذه القاعدة والعلاقة بين الصحافة والسياسة، فإن الصحافة العربية (الوطنية) الجزائـــرية قد انفعلت مع السياسة منذ أيامها الأولى (1900) فتغذت من السياسة التي أنشئت في ظلها أو حولها، وكان لها التأثير المباشر في الظهور والتطور[1] .

ومن العوامل التي ساعدت الجزائريين على تطوير النشاط الصحفي والدخول في معترك الصحافة جملة من العوامل: أن الجزائريين عرفوا بواسطة الصحف المشرقية العربية أفكار حزب الشباب التركي، والشباب التونســـي اللذان يلتقيان مع الحركة الإصلاحية الإسلامية، بالإضافة إلى زيارة محمد عبده وأثرها الكبير في دفـــع وتقوية الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، حيث انتشرت أفكاره في الأوساط الفكرية الجزائرية بســـرعة مذهـــلة [2]، الأمـــر الذي جعل بعضهم اعتبار محمد عبده المدير الديني والروحي لجريدته[3]، وكذا مقاومة الجزائريين للسياسة الفرنسية بطريقة جديدة وأسلوب حديث، تجلى ذلك في معارضة هذه السياسة بـــتقديم اللوائح والعرائض ونشر المقالات في الصحف، كما تركت أوضاع المسلمين الجزائريين الاقتصادية السياسية والاجتماعية من التأثير الواضح على الأوضاع الفكرية للجزائريين في ذلك الحين[4] .

و يبدو لنا من خلال النهضة الصحفية للصحافة الجزائرية الوطنية أن نقسمها إلى مرحلتين أساسيتين* الأولى قـــبل الحرب العالمية الأولى والثانية بعدها، حتى نتمكن من الوقوف على مميزات كل مرحلة، وأهم التغيرات التي طرأت عليها، وعناوين الجرائد التي صدرت، وأهم الصعوبات التي واجهتها، إضافة إلى إبراز أهم القضايا الرئيسية التي عالجتها، والتي كانت محور الاهتمام لديها.

أ- قبل الحرب العالمية الأولى:

يذهب (علي مرّاد) إلى أن النقطة الحقيقية لانطلاق الصحافة الإسلامية (الوطنية) في الجزائر يتحدد في عتبة الحرب العالمية الأولى (1912- 1914)[5]، وأما توفيق المدني فيرى أن أول جريدة عربية صدرت بالجزائر كانت حوالي سنة 1904، وكان مصدرها فرنسي يدعى (مسيو قوسلان)، أصدرها لغاية مادية بحتة، ثم لم

1- الزبير سيف الإسلام، المرجع نفسه، ص .97.

2- المرجع نفسه، ص. نفسها.

3- Ali Merad, " la formation de la presse musulman " , p. 16

4-ينظر : عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة التحريرية (1954- 1962)م. و. ك، الجزائر، 1985، ص .30، 31.

*-هـــناك بعـــض الباحثين من صنف الصحافة حسب التوجهات والأيديولوجيات لكل صحيفة وذلك حسب الأطر المرجعية و السياسية والفكرية لهذه الصحف، ينظر : الزبير سيف الإسلام، مرجع سابق.

5- Ali Merad , op . cit , p. 15

تلـــبث أن ماتت حتف أنفها. وقبل أن نعرض أهم الصحف الجزائرية الوطنية التي ظهرت في هذه الفترة، اتضـــح للباحث أن الانطلاقة الفعلية للصحافة العربية الجزائرية تميز بالنشاط الملحوظ سواء من حيث عدد الصـــحف أو مـــن حيث ديمومة هذه الصحف، وسبب هذا النشاط الغريب في عهد الاستعمار يرجع إلى الـــرعاية الـــتي كـــانت توليهـــا السلطات الاستعمارية العليا للصحافة، وخصوصا من طرف الوالي العام (جونار)[1]، الذي كان يرى أنه من مصلحة فرنسا أن تسمح للجميع بالتعبير الحر حتى لا تحدث مفاجئات كالتي سبقت من حدوث ثورات مسلحة وغيرها[2]، الشيء الذي يصعب على الإدارة التحكم في الوضع، والســـيطرة عـــلى مجـــريات الأحداث، خاصة وأن بداية القرن العشرين وما صحبه من تبلور في النشاط السياســـي، ونمـــو في الوعي الوطني، الأمر الذي يضطر بالإدارة إلى سلوك سياسة المهادنة والتظاهر بمظهر التساهل وعدم التشدد بعض الأحيان.

و رغـــم ذلـــك فإن الإجراءات العقابية قد مسَّت أصحاب الجرائد، وفرضت عليهم قوانين صارمة، وبخصوص حرية الصحافة الذي كان سائدا في فرنسا، الذي نص على أن كل جريدة، أو نشرية أو دورية يمكن أن تكون موزعة على الجمهور بدون رخصة مسبقة أو كفالة مادية، وقد نصت المادة (69) من هذا القانون على أن يكون ساري المفعول في الجزائر أيضا،[3] و قد طبق هذا القانون بحذافيره بل تعدى الأمر إلى تطـــبيق إجراءات (قانونية) وعقوبات ضد أصحاب الجرائد، إما بالسجن أو بغرامة مالية ثقيلة، إضافة إلى تعطيـــل هـــذه الجرائد ومصادرتها ومنعها من الصدور[4]،و ذلك بإصدار مراسيم وزارية تنص على توقيف الجرائد واعتبار اللغة العربية* لغة أجنبية وخطيرة على الرأي العام[5].

1- شـــارل جونار : كان واليا عاما على الجزائر مرتين، الأولى ما بين (1900-1911) والثانية ما بين (1918-1921). ينظر محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1839، (دط)، ش. و. ن. ت، الجزائر 1980، ص.10

2-ينظر:عزي عبد الرحمان، عالم الاتصال،(دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 107.

3 - Cloud Collot," le régime juridique de la presse musulman Algérienne". dans : revue Algérienne des science juridique, économique et politique, N°2, 2eme trimestre juin, 1969. p .348, 349.

4- Ageron , Charle Robert , les Algérien musulman et la France (1871-1919), presse universitaire de France tome. 1. p. 426.

*- من المفيد أن نذكر أن مسألة شرعية اللغة العربية في الصحافة ظلت قائمة بين الإدارة وأصحاب هذه الصحف فالقوانين الفرنسية كانت تعتبر اللغة العربية لغةً أجنبية في الجزائر، ويطبق عليها قانون الصحافة الأجنبية، ولذلك كانت الصحافة المكتوبة بالعربية تعاني اضـــطهادا كبيرا خاصة خلال هذه المرحلة، سيما تلك التي تبنت قضايا وطنية واضحة، وخاصة في منتصف العشرينات، ينظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.5، ط.1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1998، ص. 250.

5- Menout Jean , " les élection indigènes aux délégation financières ". in l'Afrique française , n°2, février 1935. p. 81.

و كـــانت أول صـــحيفة شـــعبية بأقلام عربية وإدارة جزائرية، ظهرت في العاصمة هي صحيفة (الجزائر)، التي أصدرها عمر راسم سنة 1908، والتي لم تعمر طويلا حيث توقفت بعد صدور عددين منها، وكـــان أهدافها كما جاء في العدد الأول توعية الشعب الجزائري، وتثقيفه وإطلاعه على أسرار السياسية الداخلية والخارجية[1]. وظهرت في وهران سنة 1911 جريدة (الحق)، مدافعة عن حقوق المسلمين الجزائريين وكـــان يديـــرها فرنسي يدعى (تابي Tapis) اعتنق الإسلام وأخلص له، ولعل اتجاه الصحيفة المخلص هو الذي شجع بعض الكتاب الجزائريين الوطنيين مثل عمر راسم، فراحوا يشاركون فيها بأقلامهم، داعين إلى التمســـك بالشخصية الجزائرية عروبة وإسلاما، ونظرا لشدة لهجتها فقد كتمت يد الاستعمار أنفاسها بعد أن صـــدر منها ستة وأربعون عددا[2]، ويذكر المدني " أنها أول جريدة عربية فتحت في قطر الجزائر اكتتابا لـــلهلال الأحمـــر العثماني أيام الحرب الطرابلسية" [3] ومن بين الصحف الإسلامية التي عرفت الحياة عشية الحـــرب العالمية الأولى جريدة (الإسلام)[4] 1912 للصادق دندان، [5]والذي يعد من أشدهم حماسا للقضايا الوطـــنية، وكان أهداف هذه الصحيفة هو الدفاع والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين، واطلاعهم عل ما تنشره الصحافة الفرنسية فيما يتعلق بقضاياهم السياسية والاقتصادية بصفة خاصة؛ إنارة لأذهانهم. توقفت عـــن الصـــدور سنة 1913 [6]، وفي سنة 1913 أصدر عمر بن قدور[7] الجزائري صحيفة (الفاروق)*، والتي اعتـــبرها محمـــد ناصر بداية الصحافة الوطنية في الجزائر، رغم سبق بعض الصحف العربية الوطنية —التي ذكرناها- والتي لم تكن حسب تقديره "إلا أبواقا للولاية العامة الفرنسية التي تصدرها، أو تشير على أحد أذنابهـــا بإصدارها، فإنها وإن كانت عربية القلم فهي فرنسية الروح والمشرب والغاية"،[8] وهذا إذا استثنينا

---

1 -أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص. 345، وكذلك :محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص- ص. 32، 33

2 -محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 33، 34.

3 -المدني، مصدر سابق، ص. 345.

4- Ali Merad . " la formation de la presse musulman " , op , cit , p.16.

5-يعـــد الصادق دندان من أبرز العناصر الوطنية في تاريخ الحركة السياسية في الجزائر ولاسيما قبل الحرب العالمية الأولى، وبعدها انضم إلى حركة المتجنسين . محمد ناصر، المرجع السابق، ص. 35.

6-محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 36 .

7- ولـــد بمدينة الجزائر عام 1886 م، تعلم بالكتاب، ثم بمدرسة الثعالبية، عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي ونشاطه الصحفي، أخذ عليه الاستعمار نزعته التركية الإسلامية، فصادر جريدة الفاروق، ونفاه إلى الأغواط حيث مكث حتى آخر سنة 1918، لكنه اعتزل النشاط الصحفي، وأوى إلى شبه عزلة صوفية. توفي سنة 1932، ينظر : محمد ناصر، المقالة الصحفية، مرجع سابق، ص. 221 .

*-للإشـــارة أنه في سنة 1914 كانت أمة الجزائر برمتها تقرأ 8000 عددا من (الفاروق). وذي الفقار، في الشهر على حساب ألف عدد كل أسبوع. ينظر: المدني، مصدر سابق،ص.347.

8- صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، م.و.ك، الجزائر 1984، ص .17.

جـــريدة (الجزائـــر) التي أصدرها عمر راسم. وفي سنة 1913 أصدر محمد عز الدين القلال جريدة (البريد الجزائـــري) حاملة شعارا لها{**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**}[1]، وخطة "مقاومة انحطاط الأخلاق قبل كل شيء"، إلا أن الجريدة لم تعمر طويلا، وسرعان ما توقفت عن الصدور لضعف محتواها، ولم يصدر منها إلا عددان[2]. وآخر جريدة عربية ذات اتجاه وطني صدرت في هذه المرحلة هي جريدة (ذو الفقـــار) (1913)، بشكل مجلة مصورة، والتي اعتبرها توفيق المدني " أول جريدة عربية في الدنيا اكتشفت الخطـــر الصـــهيوني،و نـــبهت عليه[3] أصدرها عمر راسم،و هي جريدة عربية جزائرية،لها توجه إسلامي صرف،ذات نزعة إصلاحية متأثر صاحبها بالأفكار العبدوية الإصلاحية[4]إلى حد الافتتان حيث اعتبر محمد عـــبده (مديـــر الجريدة الديني)، وصرح في افتتاحية العدد الأول عن نزعته تلك بقوله: "ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية، وأنها لا تخرج عن الطريقة التي خططها لها رجال الإصلاح المخلصين..."[5].ونظرا لحرارة لهجـــة هـــذه الجريدة، ودفاعها عن الوطنية الحقة فإن الإدارة سارعت إلى كتم أنفاسها بعد صدور العدد الرابع منها سنة 1914م .

و هكـــذا نلاحـــظ التساقط المتتابع للجرائد الوطنية الواحدة تلوى الأخرى، كما نلاحظ الانقطاع المستمر لها، رغم ذلك ورغم الضغوطات الاستعمارية، والصعوبات التقنية، وجهل الشعب بأهمية الصحافة ...فإنها استطاعت أن تفرض وجودها وان تعبر عن صمودها أمام كل العراقيل والموانع التي وضعت أمامها .

وبـــاندلاع لهيب الحرب العالمية الأولى توقف كل نشاط صحفي في الجزائر، وعملت فرنسا على منع كل محاولة لإصدار أي جريدة، وذلك خوفا من الدعاية المضادة التي قد تلجأ إليها بعض الصحف الوطنية شديدة الحماس، مستغلة بذلك الوضع المتأزم واشتغال فرنسا بالحرب،ومن ثم يمكن لهذه الصحف أن تبلور من أفكار الجزائريين العقيمة وتحدث جبهة أخرى في الصراع.

و هناك بعض الصحف التي من الممكن اعتبارها من حيث محتواها، وشعاراتها أنها كانت من الصحف الـــتي تدافع وتكافح عن مصالح المسلمين الجزائريين وحقوقهم، ولكنها تعتبر من حيث جهازها التحريري فرنسية، وهذا ما نلاحظه في العناوين الفرعية لهذه الجرائد والتي كانت تكتب باللغة العربية، وذلك تأكيدا

1-آل عمران،الآية .103.

2- محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 38

3- أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص .345 .

4- Zohir Ihaddaden , histoire de la presse indigen Algéric ,des origines jusqu'en 1930 , ENAL Alger 1983.P-P.232 .233.

5-مصدر ناصر، مرجع سابق، ص.40. ينظر : العدد الأول 1913/10/15.

لانتمائها إلى الشعب الجزائري.[1] ومن هذه الجرائد : جريدة (المصباح) وهي جريدة فرنسية عربية، يصدرها العربي فخار وهم معلم بوهران (1904-1905)[2] .

إضافة إلى جريدة (الرشيدي) في مدينة جيجل (1911-1914) وكانت أسبوعية وكانت هذه الصحف تدعو إلى التقارب بين العرقين،كما كانت في اغلب الأحيان هي لسان النخبة الاندماجية آنذاك،[3] ويبدو أن هذا الصنف من الجرائد كان يعمل عل الجبهتين: الجزائرية باعتبار الأصل والانتساب إلى الوطن، والفرنسية باعتبار التقارب ومحاولة الاندماج في الحضارة الغربية .

و إن أهم ما ميز هذه المرحلة الانطلاقة المفاجئة وكثرة عدد الصحف وتعدد مواضيعها، وكان الهدف من إنشائها هو الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين،وإسماع صوتهم لدى السلطات الاستعمارية والتعبير عن معاناة الشعب الجزائري الاجتماعية والاقتصادية، و لم تكن المسائل السياسية آنذاك تشغل بشكل كبير فكـــر واهـــتمام أصـــحاب الجرائد، وفي تقديرنا أن الولوج في بحر السياسة آنذاك كان صعب المنال ومن الخطـــورة بمكان،خاصة وأن الحركة الوطنية في مهدها،و لم تظهر إلى الوجود إلا بعد الحرب العالمية الأولى إضـــافة إلى هذا فإن المسائل السياسية وما يتعلق بها كان الخوض فيها محرما من طرف الإدارة، من خلال سياســـة القمع والاضطهاد التي اتبعها في بداية القرن العشرين سعيا منها لسد كل المحاولات التي من شأنها إيقـــاظ الجماهير بضرورة بلورة الخطاب النضالي والانتقال من العمل العسكري إلى العمل السياسي ولهذا كانت المحاولات بطيئة وخاضعة للواقع المفروض آنذاك .

إضـــافة إلى هـــذا فـــإن أهم ما ميز هذه المرحلة المشاكل التقنية التي كانت تقف أمام تطورها، فمن المشـــاكل والعراقيل الاستعمارية والمراسيم الوزارية بالتعطيل والمصادرة ... إلى المشاكل التقنية من الناحية الطباعة والإخراج الفني،و عدم تنوع موادها الصحفية،إضافة إلى كثرة الإعلانات والتي كانت تشغل الحيز الأكبر من الجرائد، هذا وقد ظلت عاجزة عن تجاوز دورها كصحافة مقال إلى صحافة خبر، و لم يكن في هدفها إلا تكوين رأي عام جزائري، أو إبلاغ المسؤولين الفرنسيين والرأي العام الفرنسي تفاصيل الظروف المادية والفكرية التي يعيشها الشعب الجزائري جراء السياسة الاستعمارية[4]

1- Desparmet. J:" la politique des Oulama d'Algérie" , in l' A. F, n°7 , paris , Juillet, 1937,P 356 .

2- Ali Merad ," la formation de la presse musulman" , P. 15,16

3 -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص.247،248

4 -عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق،ص. 41.

ب- بعد الحرب العالمية الأولى[1]:

استفاقت الصحافة الوطنية الجزائرية سنة 1919 بعد نهاية الحرب مع الحركة الإسلامية لطلب الحقوق، فأسس الأمير خالد جريدة (الإقدام)* باللسانين العربي والفرنسي،وكانت أول جريدة عربية بعد الحرب عبرت بلهجة حارة عن عواطف المسلمين، و لم تدم طويلا؛ حيث توقفت أثناء اضطرار الأمير خالد إلى التروح عن وطنه، وتتابعت الصحف في الصدور والظهور، ويمكن أن نلخصها فيما يلي :

ففي سنة 1919 أصدر الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي[2] جريدة النجاح بقسنطينة، وكان ابن باديس من مؤسسيها، وكانت بدايتها ضعيفة ضئيلة،إلى أن أصبحت سنة 1930 جريدة يومية بعد أن كانت أسبوعية، وهي تُعدُّ الجريدة العربية اليومية التي ظهرت في القطر الجزائري قبل الاستقلال، وتعد النجاح أطول الجرائد العربية عمرا، وأحسنها إخراجا، و لم تكن كبقية الصحف الأخرى ذات مبدأ واضح، واتجاه معين؛ إذ كانت تجعل المصالح المادية والرواج الجماهيري فوق كل اعتبار.* كان توقفها مع بداية الحرب العالمية الثانية بسبب الحرب لتستأنف نشاطها في سنة 1945، لتستمر إلى سنة 1956 وهو رقم قياسي في عمر

1- عن واقع الجزائريين أثناء الحرب، وكيف كان المجتمع الجزائري يتابع أخبار الحرب وتطوراتها– وحسب علي مراد – فإن الجزائريين اعتمدوا أثناء الحرب على ثلاث مصادر رئيسة لمتابعة أنباء الحرب :

*- جريدة (أخبار الحرب) التي أصدرتها الحكومة الفرنسية في الجزائر العاصمة (1914-1918) باللغة العربية، وكانت تهتم بتتبع أخبار الحرب وتطوراتها .

*- مجلة (المغرب العربي)و التي كان يصدرها ويقوم على إدارة تحريرها من (جنيف) محمد باشا حمبا التونسي، وقد تخصصت في معالجة مشاكل شمال إفريقيا وبالخصوص تونس والجزائر .

*- صحافة (حركة الشباب الجزائري)، والتي تمثلها صحيفة الإسلام التي عادت إلى الظهور سنة1919 تحت عنوان: الإقدام، الإسلام، الراشدي، واستمرت حتى سنة 1923، وكانت لسان حال مسلمي إفريقيا ينظر :

Ali Merad . op .cit ,p.16.

*يذهب سعد الله إلى أن هذه الجريدة ولدت من توحيد أو دمج جريدتي الإسلام والرشيدي القديمتين ينظر : أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص. 251

2- ولد بمدينة طولقة سنة 1895 ،قرأ القرآن والعلوم المتداولة في عصره التحق بجامع الزيتونة بتونس حوالي عام 1911، وعاد في نهاية 1919 ساهم في إثراء الصحافة الجزائرية بالمقالات السياسية والاجتماعية والعلمية، تقلد عدة مناصب قضائية وتعليمية، توفي سنة 1973م .ينظر : محمد ناصر المقالة الصحفية، مرجع سابق، ص. 219 وكذلك محمد المهدي شغيب، مرجع سابق ص-ص. 343-341.

*-يقول مؤرخو الصحافة أنها تحولت بعد سنة 1930 إلى جريدة موالية للإدارة الاستعمارية، وفي هذا يقول محمد ناصر: " فقد ظهرت صحف عربية كثيرة في هذه الفترة، واستمرت في الظهور دون أن تتعرض لها السلطة بالحجز أو المصادرة"، وقد مثل بجريدة النجاح التي استمرت في سيرها دون توقف مدة سبعة وثلاثين سنة (1919-1956) يشفع لها تملقها للمستعمر، وتعلقها بموكبه. ينظر محمد ناصر،مرجع سابق، ص. 15.

الصحف الجزائرية[1]، كما أصدر عمر بن قدور الجزائري من جديد (الفاروق) 1924. بصفة مجلة أسبوعية، إلا أنها لم تدم طويلا، وابتداء من سنة 1920 صدرت جريدة (الصديق) لمحمد بن بكير التاجر، والتي أسند رئاسة تحريرها إلى عمر بن قدور صاحب الفاروق، وهي جريدة علمية، أدبية، سياسية، وطنية كان من أهدافها الحث على الأخلاق الفاضلة، ودعوة الأمة إلى العمل والاجتهاد، ومسايرة ركب العالم المتطور ... وعلى إثر المضايقات والاضطهادات اضطرت إلى التوقف عن الصدور سنة 1922[2].

وصدرت جريدة (لسان الدين) سنة 1923، وهي جريدة دينية، سياسية، إجبارية، أسبوعية يغلب عليها الاتجاه الإصلاحي في معالجتها للقضايا الدينية من خلال دعوتها إلى تخليص الدين من الشوائب والأخلاق السيئة، وكانت ذات اتجاه طرقي يتضح ذلك في تمجيدها للطريقة العليوية * وصاحبها، و لم تلبث أن توقفت عن الصدور بعد اثني عشر عددا[3] .

ويتضح لنا أن أهم ما ميز هذه الفترة وهذه المرحلة هو ظهور تيارات جديدة، واتجاهات أخرى و دخولها في ميدان الصحافة، وأيضا بظهور الأحزاب والجمعيات تبلورت المواقف وأصبح لكل حزب أو جمعية أو تيار جرائده المعبرة عن اتجاهاته وأفكاره،[4] وكانت في أغلب الأحيان متناقضة، وهذه الميزة تبدأ من سنة 1919م، بظهور الأمير خالد وجريدته (الإقدام)– التي أشرنا إليها – وتعتبر سنة 1925 مرحلة بارزة في ظهور الاتجاه الإصلاحي بقيادة ابن باديس الذي أصدر أول جريدة ناطقة باسم الحركة الإصلاحية الجزائرية، وهي جريدة (المنتقد) والتي حملت حملة واسعة وصادقة على البدع والضلالات والموبقات التي يرتكبها رجال ومشايخ الطرقية ...إلا أنها لم تعمر طويلا فعطلت بعد صدور 18 عددا منها، وصدر مكانها (الشهاب)الأسبوعي ثم الشهري، التي يتولاهما عبد الحميد بن باديس نفسه[5].

وأصدر الشاعر محمد السعيد الزاهري سنة 1925 جريدة (الجزائر) حاملة راية الإصلاح، ذات نزعة وطنية، ولهجة حادة، كثيرا ما تستعمل المعاريض الفاضحة للإدارة الاستعمارية، والنقد اللاذع والتهكم

1-محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 43.

2- المرجع نفسه، ص. 46.

*- عن الطريقة العليوية ينظر الفصل الثاني .

3- المرجع نفسه، ص. 51

4- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص..251

5- ينظر بالتفصيل أكثر لاحقا حول جريدتي (المنتقد والشهاب).

المريـــر بخرافة المساواة والحرية والعدالة وهو شعار كان يتردد دائما على لسان الفرنسيين وعلى إثر هـــذه الخطة التي انتهجتها فقد كتمت أنفاسها الإدارة قبل أن يستفحل أمرها[1].

وأصـــدر أحمد بن العابد[2] في بسكرة جريدة (صدى الصحراء) 1925 التي سارت على نفس النهج الـــــذي خطـــته (المنتقد) في الدعوة إلى الإصلاح الديني،[3]وتطهير الدين مما علق به من الشوائب والبدع ومحاربة الطرقية، وأغلب موادها كانت تتكلم عن بداية النهضة الفكرية والأدبية والوطنية التي بدأت تنتشر في الأفق، ونظرا لسوء التفاهم الذي وقع بين مسيريها أدى بها إلى التوقف عن الصدور بعد أن صدر منها 13 عددا سنة 1926[4].

وفي الجزائـــر العاصمة صدرت جريدة (وادي ميزاب)[5]، وهي جريدة وطنية إسلامية باسم "وادي ميزاب" لسان حال الأمة الميزابية، والفكر الإسلامي عموما،والجزائر خصوصا،ورغم الظروف القاسية التي مـــرت بها هذه الجريدة إلا أنها استطاعت أن تتخطى العقبات وتثبت ثلاث سنوات كاملة،وكانت لسان حـــال الحـــركة الإصـــلاحية بميـــزاب، مركـــزة على الجوانب الاجتماعية، مهتمة بقضايا الوطن العربي والإســـلامي،مجاهدة في الميـــدان الـــتربوي والثقافي،وكان لتعطيلها سنة 1929 صدى كبير على المستويين الداخلي والخارجي نظرا لمكانتها ومنزلتها [6] .

---

1 - عـــن سبب تعطيلها يقول صاحب الجريدة، الزاهري: "ولما عطلت السلطة جريدة الجزائر التي كانت أصدرها في العاصمة منذ تسع سنوات، كان من أسباب التعطيل أن المترجم ترجم عنها كلمة "النهضة" بكلمة فرنسية معناها "الثورة"، وترجم كلمة "فرنسا الظافرة المنتصرة" بمعناه "فرنسا الظالمة الغاصبة"، ينظر : محمد السعيد الزاهري،" في الموقف الحاضر" الشهاب، ج.9، م.9،ربيع الثاني 1352 أوت .1933.

2- من مواليد 1926ببسكرة، أديب وناظم،له اشتغال بالصحافة تعلم بالزاوية العثمانية،بدأ ينشر قصائده 1921في جريدة الصديق ثم أصدر جريدة صدى الصحراء في 23 نوفمبر1926. ينظر عادل نويهض، مرجع سابق،ص.238.

3- Zohir Ihaddaden , op , cit; p. 377.

4-محمد ناصر، مرجع سابق،ص. 62-63، ويذكر مؤرخ الصحافة أن العدد 15 من الجريدة صدر في سنة 1934 بعد غياب دام ثمان سنوات كاملة، وفي هذه المرة انحرفت عن اتجاهها الإصلاحي الأول وفقدت قيمتها الأدبية والفكرية، ينظر : محمد ناصر، مرجع نفسه،وكذلك: zohir Ihaddaden , op , cit p. 337-338.

5- أسسها أبو اليقظان سنة 1926.

6- ينظر عن هذه الجريدة بالتفصيل : محمد ناصر، مرجع سابق، ص-ص. 65-79 .

وفي شهر أفريل 1926، أصدر موسى علي العقبي[1] جريدة (الحق) بمدينة بسكرة، وكان شعارها " الحق يعلو ولا يعلى عليه " ويلاحظ غلبة الاتجاه الديني على هذه الصحيفة، ويبدو من مقـــالات صاحبها تحمس للطريقة العليوية،وإيمانه بنزعتها الدينية. توقفت عن الصدور في18 ديسمبر[2] 1926.

وصـــدرت بقســـنطينة سنة 1927 جريدة البرق أسبوعية لصاحبها محمد السعيد الزاهري ذات نزعة إصـــلاحية، ضمت تحت أعمدتها نخبة من الكتاب البارعين أمثال العمودي، العقبي، والميلي وغيرهم، الذين أثروها بكتاباتهم الراقية ومقالاتهم الرفيعة مما جعل الجريدة تحتل مكانا خاصا ومرجعا هاما في دراسة الحركة الفكرية والأدبية الجزائرية في هذه المرحلة.

وأثناء اشتغال الحملة الإصلاحية التي رفعها أعلام الإصلاح في الجزائر ضد الطرقيين، كان رد الفعل مـــن جانـــبهم بإصـــدار جـــريدة تكـــون لسان حالهم وسلاح دفاعهم،فأصدروا جريدة باسم (البلاغ الجزائـــري)ســـنة 1926 *، عن الزاوية العليوية بمستغانم، ثم انتقلت إلى العاصمة، لتدخل في معركة حامية الوطيس مع الإصلاحيين السنيين، وقد عمرت طويلا حتى سنة 1946 بالتقريب .

أمـــا العقبي فقد أسس جريدته (الإصلاح) ببسكرة سنة 1927، وانضم إلى الحملة الإصلاحية ضد الخـــرافات والـــبدع، معلنا الثورة ضد الطرقيين وأربابها، بلهجة حادة ومواقف ثابتة في سبيل تطهـــير العقيـــدة الإسلامية الصحيحة من رواسب الجهل والابتداع، وتصفيتها مما أشاعته الطرقية في عقول الناس وأفكـــارهم من وساوس التصوف الابتداعي، سارت على هذا الطريق الشاق غير مبالية بأحد، لكنهـــا توقفـــت سنة 1930[3] وذلك بعد تعطل مطبعتها، إلى أن عادت للظهور سنة 1939 وهنا أصبحت تصدر بالعاصمة[4].

1- مـــن مواليد سيدي عقبة، درس بالزاوية العثمانية، ثم استقر ببسكرة للتجارة، أسس جريدة الحق في سنة 1926 ولكنها كانت ضعيفة المحتوى والإخراج، كان من أنصار الحركة الإصلاحية، ثم ارتد إلى الطريقة العليوية، وكانت وفاته في الثلاثينات، ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية، ص.231.

2- ينظر : محمد ناصر، مرجع سابق، ص.79 وكذلك: zohir Ihaddanden , op , cit..

*-ينظر عن هذه الجريدة لاحقا .

3-ذهب علي مرّاد إلى أن جريدة (الإصلاح) صدر منها أربعة أعداد فقط ما بين (1927-1929) لكن الصواب أنها توقفت بعدما صدر منها 14 عددا كاملة .

4-محمد ناصر، المرجع نفسه، ص. 80،81.

وفي سنة 1930 أصدر أبو اليقظان[1] جريدة ثانية باسم (ميزاب) لكنها من سوء حظها لم تلبث أن كتم الاستعمار أنفاسها، و لم يتوان أبو اليقظان في إصدار جريدة أخرى باسم (المغرب) سنة 1930، و لم تختلف هذه الأخيرة عن رصيفاتها التي سبقتها، سواء في حجمها أم في سائر موادها الأخرى عن جرائده السابقة، فقد كانت تشتمل على الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وكانت تقف بالمرصاد لما تنشره الصحافة الفرنسية أو غير الفرنسية من أفكار أو أخبار قد يكون بها طعن في الكرامة الوطنية، أو الشخصية الإسلامية للجزائريين،وقد عطلت سنة 1931م، وقد شيعها ابن باديس بكلمات حارة، وصف من خلالها ما كانت تعانيه الصحافة الإسلامية الجزائرية من المستعمر الفرنسي[2].

هذه هي مجموعة الصحف التي تعاقبت في هذه الفترة وتركت بصمات واضحة على الحياة الفكرية والأدبية الجزائرية[3]. والمتأمل في واقع الصحافة العربية الجزائرية الوطنية بعد الحرب ليجد أن هنالك قفزة نوعية في مجال العمل الصحفي، ويتضح لنا أن الحرب العالمية الأولى كانت حدا فاصلا بين مرحلتين اكتسب من خلالها الجزائريون تجربة ومهارة في فن الصحافة، وزادتهم الحرب تمرسا، واطلاعا على مجريات

1- من مواليد 1888 م، حفظ القرآن وأخذ علوم الفقه والتفسير، تتلمذ على عدة مشايخ، ارتحل سنة 1910 إلى البقاع المقدسة ثم عرج على دمشق وبيروت فأزمير ثم تونس، عاد إلى الجزائر قبيل الحرب العالمية الأولى في سنة 1917 رجع إلى تونس إلى غاية 1925، وحين عودته إلى الجزائر ساهم في الحركة الصحفية بإصدار ثمان جرائد متوالية، كما نشط في جمعية العلماء، وله آثار من النثر والشعر الكثير، ينظر : محمد الهادي السنوسي، مصدر سابق، ص-ص.123-.109.

2-ينظر: محمد ناصر، مرجع سابق، ص- ص93- 107،. ينظر : كلمات ابن باديس في الشهاب ج.4، م.7 أفريل 1931.

3- للإشارة أنه إلى غاية 1930 كانت الأمة الجزائرية تقرأ شهريا 184 ألف عدد من الصحف والمجلات وهذا تفصيلها:

- النجاح 5000 يوميا 150000 في الشهر
- البلاغ 2500 أسبوعيا 10000 في الشهر
- المغرب 2500 أسبوعيا 10000 في الشهر
- الشهاب 2000 شهريا 2000 في الشهر
- الإصلاح 3000 أسبوعيا 1200 في الشهر

ويعلق المدني على هذه الإحصائيات بقوله : "أن إقبال الشعب على الصحف والصحافة أمر لا يحتاج بعد هذا إلى دليل، فلو كانت قوانين 1881 تشمل الصحف العربية كما تشمل الصحف الفرنسية، لكان للصحافة الجزائرية شأن آخر، وأي شأن وقد نالت الطباعة تقدما محسوسا مثل تقدم الصحافة إثر الحرب، إذ لم يكن للمسلمين بقطر الجزائر إلا خمس مطابع ذات أهمية :

- مطبعة دار مراد رو دوسي --مطبعة النجاح بقسنطينة
- المطبعة الإسلامية بقسنطينة -- مطبعة البلاغ الجزائرية بالعاصمة
- المطبعة العربية الحديثة بالعاصمة .

ينظر المدني : مصدر سابق، ص. 348.

الأحداث السياسية، وتطورات الأوضاع الدولية، وأهم ما ميز هذه المرحلة هو ولوج تيار جديد في ميدان الصحافة وهو التيار الطرقي المناوئ لحركة الإصلاح،إضافة إلى هذا تبلورت أفكار الجزائريين وتطورت تبعا للتأثيرات وانعكاسات الحرب على مجريات الأحداث عقبه تبلور في الخطاب النضالي،وتنوع في طبيعة الخطاب والقضايا المطروحة آنذاك، إلا أن أهم ما ميز هذه الفترة الاهتمام بقضايا الإصلاح الديني والاجتماعي على حساب القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية، حيث غلب هذا الاتجاه على غيره،واحتل أعمدة الصحف والجرائد،على أن أهم القضايا المطروحة كانت متعلقة ومستوحاة من أعماق المجتمع الجزائري. وإذا تصفحنا أهم القضايا التي كانت أغلب الجرائد تطالعنا إياها نجد مسألة تطهير الإسلام من العقائد الباطلة والأوهام، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ومحاولة تشخيص أدواء المجتمع الجزائري، ومن ثم يمكن النهوض به من وضعها الراهن ...

على أننا لا نزال نعتقد أن المقالة الصحفية الجزائرية ظلت عاجزة وغير قادرة عن تجاوز دورها كصحافة مقال إلى صحافة خبر ورغم هذا وذاك؛ فإن الصحافة الجزائرية في هذه الفترة قد نجحت في أن تعكس المعالم الأساسية في الحياة الجزائرية في مختلف الميادين، واستطاعت أن تعبر عن واقع المجتمع الجزائري آنذاك، رغم اختلاف مشربها وتنوع اتجاهاتها، فقد تمكنت من خوض المعركة بنجاح مقبول، رغم ما كانت تقاسيه وتعانيه في طريقها .

2 - ابن باديس والشهاب :

لعله من الأهمية بمكان أن نبين حقيقة تاريخية غفل عنها الكثير من الباحثين والكتاب والمؤرخين، وهي أن معظمهم ومعظم من كتب وأرّخ للحركة الإصلاحية سواء كانوا جزائريين أو فرنسيين اعتبروا (الشهاب) من صحف جمعية العلماء المسلمين، وأنها إحدى الصحف الناطقة باسم الجمعية، والحقيقة غير ذلك ؛ ذلك أن الشهاب هي لسان حال ابن باديس وحده وأن فكر ابن باديس الديني والاجتماعي والسياسي إنما تعبر عنه الشهاب، وأن ما يكتبه ابن باديس فيها لا يعبر في الحقيقة عن رأي الجمعية ولا عن المواقف والآراء التي تنشر فيها وللتدليل على هذا نقول:

أولا:أن الشهاب كما هو معروف ظهرت قبل تأسيس الجمعية بست سنين.

ثانيا: أن شعارات الشهاب ومبادئها لا تتفق وأهداف الجمعية، وبخاصة المبدأ السياسي في ظاهره.

ثالثا: أن غلاف الشهاب جاء فيه " أنها مجلة إسلامية تبحث في كل ما يرقي المسلم الجزائري لمنشئها عبد الحميد ابن باديس " .

رابعا: أن بعد تأسيس الجمعية وتأسيس صحفها احتفظ ابن باديس بالشهاب لنفسه، وجعلها لسان حاله، المعبرة عن أفكاره وخطته في عمله الإصلاحي والتربوي والسياسي.

خامسا : أنه لم يرد -حسب علمنا- أن جمعية العلماء المسلمين تبنت الشهاب وجعلتها إحدى صحفها الناطقة باسمها والمعبرة عن حالها، ولهذا نرى أن الخطة التي سارت عليها الشهاب، والمبادئ التي رسمتها لنفسها من الخطورة بمكان أن تتبناه الجمعية، خاصة وأن الجمعية مما جاء في قانونها الأساسي الابتعاد عن السياسة وما يقرب إليها.

و لهذا نرى بعض آراء ابن باديس تختلف تماما من الشهاب إلى البصائر مثلا هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن ابن باديس قد خاض مواقف سياسية واضحة وصريحة لم يكن باستطاعته أن يحمِّلها الجمعية أو أن تتبناها، وخير مثال على ذلك المطالب التي قدمها للمؤتمر الإسلامي سنة 1936 باسمه الخاص على أنه رأي من آرائه[1]، ويتضح الأمر أكثر من خلال فكر ابن باديس السياسي الذي خاض مواقف وعالج قضايا خطيرة في ذلك الوقت كمسألة الوطن والجنسية، وموقفه من السياسة الاستعمارية وخاصة في الثلاثينيات، وبالخصوص بعد مجيء الجبهة الشعبية وفشل المؤتمر الإسلامي الأول والثاني، حيث أظهر ابن باديس مواقف لم يكن لأحد من أعضاء الجمعية أن يتبناها.

و لعلنا نتساءل عن سبب عدم تعطيل الإدارة الفرنسية للشهاب، في المقابل أن صحف الجمعية التي ظهرت في بداية الثلاثينيات تتابعت في السقوط الواحدة تلو الأخرى، وهذا ما يفسر لنا ويؤكد أن الشهاب ليست من صحف الجمعية، إضافة إلى هذا شهادة الواقع التاريخي ومن درسوا الحركة الإصلاحية دراسة تحليلية موضوعية، وهذا الرأي الذي ذكرناه يؤيده علي مرّاد وغيره ممن تتخصصوا في دراسة الحركة الإصلاحية الجزائرية[2] .

هذا وإن قلنا أن الشهاب ليست لجمعية العلماء وإنما هي لسان حال ابن باديس فلا ينفي أن الشهاب صحيفة مستقلة، وإنما هي صحيفة "أنشأت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميع مراحلها وأنها هاجمت البدع في معاقلها وواثبت الخرافات في أيام عزها واشتدادها" [3].

1- الذي يدل على هذا أن المطالب التي قدمها العلماء في المؤتمر الإسلامي وهي لائحة تشتمل على عدة مطالب وكان تصدير هذه المطالب من تحرير ابن باديس خاصة المتعلقة بالأوضاع والمعاملات الخاصة والنيابات، وفي هذا السياق استدرك البشير الإبراهيمي ليؤكد أن "هذا التصدير قدمه الأستاذ ابن باديس باسمه الخصوصي على أنه رأي من الآراء يضم إلى نظرائه"، وبعد هذا بين ابن باديس بإيجاز مطالب الجمعية وقدمها باسمها. ينظر: ابن باديس، " حقوق الأمة الجزائرية التي تطلبها من الأمة الفرنسية"، الشهاب، (عدد خاص بالمؤتمر)، ج .5 وملحق ج.4، م. 12، ربيع الثاني 1355 الموافق لـ : جويلية 1936، ص. 210، 211 .

2- Ali Merad , la réformisme musulman en Algérie. op .cit., p .149.

3- ابن باديس، "مجلة الشهاب والحركة الإصلاحية"، الشهاب، ج.9، م.10، جماد الأولى 1353 الموافق لـ : 12 أوت 1934، ص. 370

و الذي دفعنا إلى بيان هذا الأمر هو أن نكون قد وضعنا أمام القارئ حقيقة تاريخية رأينا من الواجب بيانهـــا هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن نكون واضحين في هذه الدراسة وأن ما كتب فيها لا يعبر عن آراء الجمعية بالكلية وإنما هو لابن باديس وجماعته الأحرار الذين كتبوا في الشهاب وساروا على الخطة التي رسمتها لنفسها في الإصلاح الديني والاجتماعي ومختلف القضايا السياسية التي خاضت فيها.

3- الشهاب بطاقة فنية:

لا يمكن الحديث عن (الشهاب) دون الحديث عن (المنتقد)، وذلك- في رأينا- للاعتبارات الآتية :

الأولى : أن الشهاب امتداد لجريدة المنتقد وخليفة لها .

الثانية : أن الظروف التي ظهرت فيها الشهاب هي نفسها الظروف التي ظهرت فيها المنتقد .

الثالثة : أن نفس الجماعة التي أشرفت على الشهاب هي نفسها التي أشرفت على المنتقد .

الـــرابعة : أن خطـــة الشهاب ومبادئها، وشعاراتها ...ما هي في الواقع إلا امتداد للمنتقد، إذا كانت كذلـــك فماذا عن جريدة المنتقد وما غايتها وما هي شعاراتها والأهداف التي أسست لأجلها والخطة التي رسمتها لنفسها ؟

أ- جريدة المنتقد :

صدرت جريدة (المنتقد) الأسبوعية بمدينة قسنطينة في الثاني من جويلية 1925، وقد أسسها وترأس تحريرها زعيم الحركة الإصلاحية ابن باديس، وأسند إدارتها للسيد احمد بوشمال*.

وتعتبر جريدة (المنتقد) أول جريدة جزائرية إصلاحية جمعت الأقلام الإصلاحية والمتمثلة في الشباب العربي المثقف العائد من جامع الزيتونة والأزهر والشام والحجاز [1]، وهي بحق " لسان حال الشباب العربي الـــناهض في القطر الجزائري "،- كما قال ابن باديس- وهذه المبادرة التي قام بها ابن باديس وجماعة من الشباب المتنور لم تكن مبادرة مفاجئة فهي استجابة اقتضت ذلك [2]، وكان هدفهم واحد يوجزه شعارهم "الوطن قبل كل شيء " .

---

*- مـــن مواليـــد مدينة قسنطينة عام 1899 من تلاميذ ابن باديس الأوائل، تبرع بمحله التجاري ليكون مكانا للمطبعة الإسلامية الجزائـــرية وهو الكائن اليوم بنهج عبد الحميد بن باديس بحي الأربعين شريفا وكان يدعى من قبل نهج "اليكسيس لامبير". عن احمد بوشمال وقصة عمله مع بن باديس ينظر: احمد حماني، مرجع سابق،ج.1.ص-ص.112-119.

1-محمد ناصر، مرجع سابق، ص.54.

و يعـــترف أحـــد الكتاب الفرنسيين (ديبارمي) أن جريدة المنتقد قد جمعت الأقلام العربية الموحدة الأمل وأنها تمثل حزب المصلحين والـــتي أسست أساسا لإصلاح الأخلاق وتهذيبها، ويوضح أيضا أن المصلحين في جريدة المنتقد قد أعطوا الخطوة العريضة لسياستهم ينظر:

.Desparmet. J," la politique des oulama algeriens"(1911-1937) op . cit.p 354.

2- zohir Ihaddaden . op . cit .p. 365.

و جاء في الصفحة الأولى من الجريدة أنها جريدة " تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس من كل أسبوع " وأنها "جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديموقراطية" [1].

ولعلنا نتساءل لماذا اختير هذا الاسم دون غيره ؟ ولماذا أسست هذه الصحيفة وفي أي ظرف ظهرت؟ إن المتأمل في اختيار ابن باديس لهذا الاسم لم يكن اعتباطا، بل اسم على مسمى فقد ظهرت لتحطم ما كان سائدا في وسط أدعياء التصوف من أرباب الطرق وأصحابها في ذلك الوقت تحت شعار "أعتقد ولا تنتقد " فأعلنت حربا لا هوادة فيها على البدع والخرافات التي ألصقت بالدين، فأفسدته، وعلى الأخلاق والعادات الفاسدة والعوائد الممقوتة، وفي هذا يقول ابن باديس " ونقاوم كل معوجٍّ من أخلاق وفاسد من العادات ونحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته وعاد وبال ذلك الفساد علينا وتأخرنا من حيث يكون تقدمنا وسقطنا بما لا نرتفع إلا به لما شوهناه بإدخال ما هو ضده علينا ..."[2]

وعن المناخ الذي نشأت فيه المنتقد، فقد ظهرت في حالة عصيبة متوترة في الحياة السياسية الجزائرية، في الوقت الذي حاول الوالي العام الجديد –آنذاك –(فيوليت) تجديد الحوار مع المسلمين الجزائريين وإعادة نظام المراقبة للصحافة الحرة، الشيء الذي شجع هؤلاء الشباب المسلمين إلى التطلع على الثقافة الإسلامية والتعبير عن آرائهم وأفكارهم، وحاولوا إعادة صياغة المعركة التي بدأها الأمير خالد بخصوص مسألة الأحوال الشخصية وقضية التجنيس التي شغلت فكر الجزائريين آنذاك [3] وكذا البحث عن كيفية النهوض بالمجتمع الجزائري وإحياء التفكير الإسلامي الصحيح المبني على حسن التصور وسلامة الاعتقاد .

إن ظهور (المنتقد) في هذه الفترة جاء في وقت بلغ فيه الانحراف الطرقي مبلغه [4]ودق ناقوس الخطر، وفي هذه الأثناء شعر ابن باديس وحزبه، بخطر الطرق الصوفية وأربابها وما سيكون في المستقبل إذا لم يحد من هذا التيار الجارف الذي أهلك المجتمع وأراده أسيرا في عالم الخرافات، حينها أدرك أن الأمر يتطلب الحزم واستعمال الشدة في ردع هذا السيل الجارف، فهي كما يقول الإبراهيمي " علة العلل في الإفساد، ومنبع الشرور وإن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين، وضلال في العقيدة، وجهل بكل شيء، وغفلة عن الحياة والحاد في الناشئة، فمنشئه من الطرق، ومرجعه إليها"[5].

1-ينظر: الملحق رقم 1.

2- ابن باديس، " خطتنا ومبادئنا وغايتنا وشعارنا"، المنتقد، عدد11،1 ذي الحجة الموافق لـ :2 جويلية 1925، ص1.

3-ينظر : zohir ihaddaden , op , cit .p365 .

4- Not du C.I.E.op ,cit ,p.3

5-محمد البشير الإبراهيمي، سجل المؤتمر، ص.61.

وتعتـــبر (المنـــتقد) تحولا مهما في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر [1]، لما اشتملت عليه من كـــتابات راقية بأقلام عالية[2]، يتضح ذلك في سلاسة أسلوبها، ومتانة لغتها وعمق أفكارها، يحررها خيرة الأقـــلام العربية من خريجي المعاهد الإسلامية المشرقية أمثال مبارك الميلي، والطيب العقبي، وأبي اليقظان، والفرقد، ومحمد العيد، ومحمد الهادي السنوسي (شاعر المنتقد) "[3].

ونظـــرا لشـــدة لهجتها، وانتقادها الرادع وفضحها لرؤوس الطرقيين، وحملتها الصادقة ضد البدع والخـــرافات، كل هذا أثارت حفيظة بعض الطرقيين عليها وساندهم في ذلك بعض رجال الدين الرسميين، فـــأخذوا يسعون لدى الإدارة الاستعمارية بالوشاية والكذب حتى بلغ أجلها فعطلت بقرار حكومي صادر من الوالي العام وكان ذلك بعد صدور 18 عددا منها كانت في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا" .

وبعـــد هذا التعطيل تعجب ابن باديس من هذا القرار الغير مبرر بقوله : " عجبنا أن تعطل جريدتنا بهـــذه التصرفات الإدارية بدون أن نعرف بالسبب أو نناقش فيه لندافع عن أنفسنا أو نعرف على الأقل ما استاءت منه الإدارة لنجتنبه أو نعتذر عنه إن كان يوجب الاعتذار " .لكن ابن باديس عرف حقيقة التعطيل وهي خوف الاستعمار منها يقول: " و لم نعجب من هذا كله: لأن جريدتنا أهلية وسور الأهلي قصير"[4] .

وبهـــذا نجح الطرقيون في وشايتهم وأجمعوا أمرهم عليها حتى عطلت، يقول ابن باديس " ولكن أثار الذيـــن اعـــتادوا التملق صدقها، وكبر على الذين تعودوا النفاق صراحتها، وهال الذين اعتادوا الجبن من الرؤســـاء، أو اعتادوا الجمود من الأتباع صرامتها، أجمعت هذه الطوائف أمرها فأخذوا يسعون في الوشاية ضـــدها وحمـــل الحطب للمراجع العليا [5] لحرقتها [6]".حتى عطلت وكان ذلك يوم 1925/10/29.وما إن عطلت (المنتقد) حتى خلفتها جريدة الشهاب الأسبوعية والتي سنخصص لها المبحث التالي .

فما هي(الشهاب) وماهية ظروف نشأتها وتطوراتها ؟ وما هي مبادئها وأهم محتوياتها هذا ما سنعالجه في المبحث الآتي إن شاء الله .

1- يقـــول عـــنها الميلي : "وأول من حمل إلى الأمة الجزائرية صوت العلم العاقل، ولفتها نحو العمل المجدي هي صحيفة (المنتقد) ســـلف (الشـــهاب) فكانت أداة للتعريف بين الرجال الذين يحملون فكرة تسيير الأمة نحو سعادتها المسايرة لمنافعهم، وكانت منارة ســـامكة تســـمع منها الأمة نداء أولئك العلماء كما يسمع النائمون قول المؤذن آخر الليل " الصلاة خير من النوم. " ينظر: الميلي، "تعليم المرأة الكتابة"، الشهاب،ج.6،م .12، جمادى الأول والثانية 1353، أوت، سبتمبر1936، ص. .253

2- وأما العقبي فقد اعتبر جريدة (المنتقد) أول جريدة عربية يصدق عليها اسم جريدة رآه في القطر الجزائري إلى ذلك الوقت. ينظر العقبي، "جريدة المنتقد في نظر الكتاب "، المنتقد، عدد 5،11 محرمه 1344الموافق ل: 30جويلية 192،ص1

3-محمد ناصر، مرجع سابق، ص. .54

4-ابن باديس، "الشهاب والمنتقد،" الشهاب، العدد 1، 25 ربيع الثاني 12 نوفمبر 1925، ص.1.

5- يقصد بذلك السلطات الاستعمارية العليا .

6 - ابن باديس، "المنتقد والوشاة،" المنتقد، عدد 14، 12ربيع الأول 1344 الموافق ل:1 أكتوبر 1925، ص.1.

ب- الشهاب :(1925-1939)

ظهـــرت (الشـــهاب) بعد تعطيل جريدة المنتقد في 12 نوفمبر 1925 مباشرة، مقتفية نهج رصيفتها (الشـــهيدة)، سائرة على مبادئها وأفكارها، مضمونا وشكلا، حاملة رايات وشعارات (المنتقد) نفسها، وهـــي الجريدة الثانية التي أصدرها ابن باديس بعد اتجاهه إلى عالم الصحافة، بمدينة قسنطينة، مسقط رأسه، ومركز حركته الإصلاحية والتربوية، والصحافية كجريدة أسبوعية، تصدر صبيحة كل خميس[1]. والواقع أن (الشهاب) لم تكن إلا امتدادا ومواصلة للعمل والبرنامج الذي خطه ابن باديس لنفسه، في جريدة (المنتقد)، بل نكاد نجزم أن المنتقد وإن عطلت بقرار حكومي واختفى اسمها في قائمة الصحافة الجزائرية فإنها ظهرت في شكل آخر باسم آخر وهو (الشهاب)[2]، وذلك لمواصلة المعركة حسب المبادئ المنشورة في العدد الأول من (المنتقد)، وكانت بدايتها أسبوعية، قبل أن تتحول سنة 1929 إلى مجلة شهرية .

- جريدة الشهاب : (1925-1929)

لقـــد كانت البداية لهذه الصحيفة في شكل جريدة أسبوعية، وبقيت من حيث أركانها التي حافظت على عناوينها، وبقيت هي نفسها من حيث فريق إدارتها وعنوان مراسلاتها ومديرها، ومن حيث إخراجها وشعاراتها كالمنتقد، فقد كتب في أعلى الجريدة أنها جريدة "تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية تحت إشراف مؤسســـها الأستاذ عبد الحميد بن باديس "، وكتب على الجهة اليمنى منها أنها: "صحيفة سياسية تهذيبية انـــتقادية شعارها:"الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" وكتب على الجهة المقابلة بأنها: " صحيفة حـــرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديموقراطية "، وأسندت إدارة شؤونها وصاحب الامـــتياز فيهـــا للسيد أحمد بوشمال، وفي وسط الصفحة من الجهة العليا صورت نجمة خماسية فوقها اسم الجريدة[3]، وغالبا ما يستفتح في الصفحة الأولى بكلمات لأحد العظماء المسلمين أو غيرهم،ونظرا للمشاكل التقـــنية التي كانت تعانيها الصحافة الجزائرية عموما، والأزمات المالية فقد كانت بداية صدورها في أربعة صفحات، ثم تطورت شيئا فشيئا فأصبحت تصدر مرتين في كل أسبوع وعلى ست صفحات، وهذا ابتداء من السنة الثانية من عمرها ثم تطورت إلى ثماني صفحات ثم إلى 16 صفحة ابتداء من العدد75 (16 ديسمبر 1926)[4] حيث ظهرت (الشهاب) في شكل جديد في 24 صفحة مع تحسن في الشكل والإخراج؛ وفي هذا

1-ينظر صورة لعدد من الشهاب في الملحق رقم 2.

2- والدليل على ذلك أن ابن باديس اعتبر العدد 32من الشهاب بمثابة العدد 50من المنتقد، وصرح به ضمن العدد32 حيث جاء في أعـــلى الصـــفحة الأولى مايلي: (العدد 32 و50 بالمنتقد)، ومعنى هذا أن الشهاب هو نفسه المنتقد وإن اختلف الاسم. ينظر: ابن باديس، " في بحر عام أعمالنا وآمالنا، "الشهاب، العدد 32، 11ذو الحجة 1344 الموافق ل: 24جوان 1926، ص.1 .

3- ينظر الملحق رقم 3.

4- مجهول،" هل يرضى قراؤه شكله الجديد ؟"،الشهاب،العدد 75،جمادى الثانية 1345 الموافق ل:16 ديسمبر 1926، ص.1

العدد صارت (الشهاب) تصدر مرة في الأسبوع بعد أن صدرت مرتين، وقد مدحها بعض الشعراء بقصائد منها هذه القصيدة وهذا مطلعها :

تجلت عروس للمحب جميلة *** تميس بأثواب الجمال البـــديعة .

ولاح لنا بين النجوم شهابها *** سمت رتب به وأخـــرى تدلت

بعلياك يا شهاب سادت جزائر *** وأضحت تباهي الشرق فوق المنصة[1].

وابتداء من العدد 115 حدث تطور ملحوظ في (الشهاب) بحيث أصبحنا نقرأ في الصفحة الأولى منها فهرسا للمحتويات، ومن العدد157 بدأت الشهاب تكتب في السياستين الداخلية والخارجية في كل عدد، قاصـــدة بفصـــل السياسة الداخلية إثارة السبل للقائمين بها والتعاون معهم على النفع العام وخدمة فرنسا والجزائـــر، وبالسياســـة الخارجية تصوير الحالة العامة لسير الأمم السياسي في هذا العالم تصويرا يكسب القارئ الخبرة والعبرة ويجعله في وقت قصير وكلام قليل كأنه عاشر أمما وتتنقل في أوطان[2].

وهكذا نجد أن التحسينات والتطورات التي شهدتها جريدة (الشهاب)، ماهي في الواقع إلا صورة حقيقيـــة لتطور الشباب القائم عليها، والاستقبال الحسن الذي لقيته من قبل مشتركيها والشعب الجزائري عموما .

ولعلـــنا نتساءل لماذا الشهاب ؟ ولماذا اختير هذا الاسم دون سواه؟ وهل في اختيار أسماء الصحف، خاصة الإصلاحية منها سرا ؟

لعلنا نكون منصفين إن قلنا أن اسم (الشهاب) لم يأتي اعتباطا، بل هو خلاصة لقنا عات وتلخيصا لمـــبادئ وبـــرنامجا لمشروع محدد [3]، يقول البشير الإبراهيمي :"وكان اسمها نذيرا بالشر لأهل الضلال فانه مـــتحد لمـــا نهو عنه وهاتك لحرمة ما شرعوه، في كلمتهم التي حذروا بها العامة وهي قولهم " اعتقد ولا تنـــتقد" ويـــرد الإبراهيمي عن بعض الادعاءات حول صحافة الحركة الإصلاحية وهي أنها وليدة الاختيار المقتضـــب والشـــعور الطافر يقول " وغلطوا ...إنما هي وليدة شعور متمكن وتأثر نفساني عميق تزجيه مؤثرات قارة"[4].

1-الـــرابحي، " تهنئة الشهاب الوحيد بشكله الجديد، " الشهاب، العـــدد76، 8جمادى الثانية 1345، الموافق ل: 23ديسمبر 1926، ص..17

2-يـــنظر: " هل السياسة منافية للسلوك الحسن، " الشهاب، العـــدد157،18 صفر1347، الموافق ل:26جويلية1928، وكذا العدد 158.

3- مفيدة بلها مل، وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر 1997، ص . 478.

4-سجل المؤتمر، مصدر سابق،ص. 51.

وقد صرح به ابن باديس وعبر عن مقصود العلماء منه : " فهو شهاب[1] تتجلى بنوره ظلمات الجهل والخرافات والأوهام عن شمس الدين والمدنية المشرقة السَّنَا، وينير سبيل الحق والهداية لدعاة الإصلاح والرشاد ... شهاب رصد على الدين الصحيح من أن تلمسه أيدي دجاجلة السوء وأنصار البدعة ...(شهاب) ثاقب يقذف به كل شيطان رجيم، وأفاك أثيم، ودجال مارق، وقتات منافق، فيخترق من عاند واعتدى، ويسلم من اقتدى بإخوانه من الجن لما لمسوا السماء فوجدوها ملئت حرسا شديدا وشهبا. "[2][3].

فظهور (الشهاب) في هذا الظرف كان تحد واضح للاستعمار وأذنابه من أصحاب الطرق، حيث حملت راية الإصلاح الديني وأعلنت عن مبادئها وغايتها منذ البداية إلا أن ابن باديس الذي كان يتوقد ذكاء اصطنع في تحريرها نوع من المرونة السياسية، فكان يلين القول ويخفف اللهجة مع السلطات الحاكمة في فرنسا، بينما يغلظ فيه القول ويحتد مع أقطاب الاستعمار وأذنابه من معمرين ومستشرقين، ومن طرقيين، ومن لفَّ لفَّهم من المتفرنسين و"الخونة" في الجزائر[4].

يوضح ذلك ابن باديس نفسه بقوله عنها: " فلاقت ما لاقت في سبيلها من العناء والبلاء فثبتت وصبرت وصابرت، وثابرت على العمل تشتد مرة وتلين أخرى"[5].

وقد صدمت الشهاب أزمة مالية في سنتها الرابعة كادت أن تقضي عليها، وتجعلها في طي النسيان، فتحولت إلى مجلة شهرية في (فيفري1929)، وفي هذا يعبر ابن باديس عن الظروف التي أحاطت بالشهاب والتي حاولت أن تقضي عليه يقول: " ولقد غالبته الظروف بما لها من قوة وسلطان ولقد قاومها بماله من حق وإيمان ولو حاربته بغير المال لخرج كعادته غالبا منصورا، ولو أراد الاستكثار من هذا السلاح من كل

1- والشهاب من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم : و(الشهاب) بالكسر السيد الماضي في الأمر، أو النجم المضيء لأن الله حمى به الدين من كل معاند،كما حمي بالشهب السماء الدنيا من كل شيطان مارد قال الشاعر (كعب):

إن الرسول شهاب ثم يتبعه **** نور مضيء له فضل على الشهب.

ينظر : القسطلاني، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللادينية، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ج 4،ط.1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1996،،ص. .197. وفيه ذكر أسمائه الشريفة. وهو لقب جمع كثير من أئمة المسلمين، وقد امتلأت بذكرهم كتب التاريخ والتراجم .وكذلك ينظر : " الشهاب من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم "، الشهاب، العدد103، 30 ذي الحجة1345 الموافق ل:30 جوان1927، ص. 1.

2- ابن باديس، " الشهاب والمنتقد "، الشهاب،العدد1، 25ربيع الثاني1344، الموافق ل:12 نوفمبر1925،ص.1

3-مقتبسة من الآية 8من سورة (الجن)، وهي قوله تعالى: {**وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**}.

4محمد ناصر، مرجع سابق، ص.58 .

5- ابن باديس، " بعد عقد من السنين "، الشهاب، ج. 1،م11.،محرم1354 الموافق لـ: أفريل 1935،ص.2.

وجه لكان نصيبه منه نصيبا موفورا ولكنه عف وتكرم فكانت الغلبة عليه ...تستطيع الظروف تكيفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا ..."[1]

وهكـــذا تحولت (الشهاب) إلى مجلة شهرية راقية، بعد أن قطعت زهاء أربعة سنوات في مرحلة من أهـــم المراحل في تاريخ الحياة الفكرية والأدبية في الجزائر، وكان السبب الحقيقي في هذه الضائقة المالية هو مماطلة المشتركين في دفع اشتراكاتهم لإدارة (الشهاب)[2].

و الغـــالب في سبب توقف الجرائد الجزائرية هو مماطلة المشتركين –كما قلنا –في تسديد مستحقات الجـــرائد، وفي هـــذا يقول محمد ناصر " ونكاد نجزم أنه لم تسلم جريدة عربية جزائرية واحدة من مماطلة المشتركين في دفع ما عليهم من واجب الاشتراكات ...بل إن توقف بعضها عن الصدور كان سببه العجز المادي قبل كل شيء "[3].

وبهذا نرى أن ابن باديس لم يستسلم للظروف التي أرغمته على الاستسلام قهرا لا اختيارا وبحنكته ودهائـــه، رأى أن توقـــف (الشهاب) عن الصدور، أمر ينذر بالخطر، فاصطنع حيلة لا مفر منها،وهو أن يصدرها مجلة شهرية، والغريب في هذا أن إدارة (الشهاب) كانت دائما تدعوا مشتركيها إلى عدم تماطلهم في دفع ما عليهم من واجب الاشتراكات، بل كانت ترسل أحيانا من يجمع الاشتراكات عبر أنحاء الوطن، وهـــذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى إدراك إدارة (الشهاب) ما للمال من أهمية، وحتى لا تقع فيما وقعت فيه رصيفاتها (المصباح)1905 و (الجزائر) لعمر راسم، و(ذو الفقار) التي احتجبت بعد العدد الثالث مدة ثمانية أشهر بسبب عجز المشتركين عن تأدية ما للجريدة عليهم من الحق[4].

ويبدوا أنه من الأسباب الرئيسية التي جعلت الشعب الجزائري عموما يعامل صحافته بهذه الطريقة وهذه البرودة أمران :

1ابن باديس، " الشهاب الشهري بعد الأسبوعي،" الشهاب، ج. 1، م .5، رمضان1347 الموافق لـــ: فيفري1929، ص.1.

2-ومن الأسباب في تحول (الشهاب) إلى مجلة : وجود خسارة في (الشهاب) منذ تأسيسه إلى هذا التاريخ(1929)، حيث ناهزت الأربعـــين ألـــف فـــرنك وبدين يبلغ ثلاثة وثلاثين ألفا (فرنك)، وكان من أسباب عدم تعطلها نهائيا، حق المشتركين الذين دفعوا اشـــتراكاتهم لسنة 1929، و لم تتم السنة، والأمر الآخر صوت الإيمان الذي نادى إلى خدمة الدين والوطن إلى آخر رمق من الحياة، وبذلك اتفقوا على تسليم الصحيفة لمؤسسها ابن باديس ليصدرها مجلة شهرية تصدر في أول كل شهر قمري. ينظر: إدارة الشهاب، " الشهاب مجلة شهرية، "الشهاب،23 رجب 1347، الموافق ل: 3حانفي1929، ص .2-4.

3-محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 17.

4-المرجع نفسه، ص. نفسها .

– الأميـــة المتفشـــية في أوساط الجزائريين نتيجة الجهل وعدم إدراكهم إدراكا تاما لحقيقة الصحافة كأســـلوب حضاري ودوره في إيقاظ الشعوب وبعث الهمم وتبصيرهم بواقعهم وما هم عليه من جمود في الفكر والعقل.

– نفـــوذ رجال الطرق الصوفية الجامدين المتزمتين الذي كانوا يحرمون قراءة الجرائد ويخذلون الناس ويثـــبطونهم عـــن تأييدها ومساندتها، وهم بذلك العمل يحاربون الحركة الإصلاحية ورجالها العاملين : إذ كـــانوا يعتبرون " علم الجور نال " على حد تعبير الطيب العقبي علما محرما لا يقل جرم صاحبه عن جرم لاعب القمار[1].

وإذا كان العقبي يعني بذلك الطرقيين فان الطرابلسي كان يعني بذلك شئ آخر حين قال :" ولقد بـــلغ بهـــؤلاء الخاملين الجامدين الشُرَّه والجشَّع حتى صاروا يحرمون الجرائد والمجلات ويحظرون على الناس قـــراءتها، وكـــل من دفع معلوم اشتراكه في الجرائد والمجلات، فهو عاص لا تقبل معذرته إلا إذا تبرع لهم بمـــثله، أو بيـــنه في ثـــلث وصـــيته "[2].وهذا غاية في الجهل، وجمود في العقل، وتحريف وتزييف للحقائق الساطعة[3].

- الشهاب مجلة : (-1929 -1939)

بعـــد الأزمـــة المالية التي أصابت الشهاب، قرر ابن باديس أن يجعلها مجلة شهرية تصدر كل شهر هجـــري، وقد كتب ابن باديس في رأس الصفحة الأولى من العدد الأول من (الشهاب الشهري) الشعار التالي " تستطيع الظروف تكيفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا "، وصدر العدد الأول منه في شهر فيفري سنة 1929 واستمرت في الصدور حتى سنة 1939.[4]

وتحمـــل مجلة الشهاب على غلافها الخارجي الكلمات الآتية :" مجلة الإسلامية جزائرية – شهرية – تـــبحث في كـــل ما يرقي المسلم الجزائري "،ونجد بعده مباشرة الشعار التالي :" مبدأنا في الإصلاح الديني والدنيوي لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها " [5] .

1- ينظر: المرجع نفسه، ص. نفسها.

2- سمهري (الأمين العمودي)، " بل عندنا "، الشهاب، عدد89، 20رمضان 1345 الموافق ل: 24 مارس 1927، ص. 8، 9.

3-عن ضلال وانحراف الطرقية ينظر الفصل الثاني.

4- ينظر صورة العدد الأول من (الشهاب) الشهري في الملحق رقم 4.

5- اشـــتهر هذا الأثر أنه من قول الإمام مالك والصواب أنه من قول شيخه أبو نعيم وهب بن كيسان نقله عنه الإمام مالك قال: "كـــان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبدا حتى يقول لنا : اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله ". ينظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج.23، مكتبة المؤيد،1991، ص. 10.

ونجـــد تحته مباشرة شعارا أخر وهو :" الحق، والعدل، والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميـــع الواجبات "،أما أركان الغلاف الأربعة فقد كتبت فيها الكلمات الآتية (الحرية، العدالة، المساواة، الأخـــوة، السلام)، وفي الصفحة الداخلية الأولى[1] كتب على الجانب الأيمن هذه الآية {**قل هذه سبيلي أدع إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**}[2] .كما كـــتب عـــلى الجـــانب الأيسر آية أخرى { **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**}[3] ∴.

ويتضح لنا أن (الشهاب) كان يتماشى والظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك، كما اتضح لـــنا أن فكر ابن باديس لم يبق ساكنا مستسلما للظروف، مسلما أمره لله، بل كشفت لنا (الشهاب) عن هذا التطور الملحوظ في فكر ابن باديس السياسي، وذلك بعد فشل المؤتمر الإسلامي الجزائري[4] الذي كان أول مـــن دعا إليه، وحرَّض الأمة على الاجتماع مقدما بعض المطالب المتواضعة التي تقدم بها إلى حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا عام 1936[5]، يتضح لنا ذلك جليا أن ابن باديس حذف من غلاف المجلة الكلمات الأربعـــة المكتوبة على أركان الغلاف الخارجي (الحرية، العدالة، الأخوة، السلام) سنة 1935*.واستبدله بشـــعار له دل عـــلى تطـــور مـــلحوظ في فكره السياسي يقول:" لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله"[6] واســـتمرت على هذا الحال حتى سنة 1939 (سبتمبر) بعد الحرب العالمية الثانية حتى لا ترغمه فرنسا على

---

[1]- ينظر الملحق رقم 5 .

2-سورة يوسف، الآية 108.

3-سورة النحل، الآية 125.

∴-للإشـــارة أن بدايـــة صـــدورها كمجلة كان عدد صفحتها 32ص ثم 36-40-56-64 صفحة، وحسب توفيق المدني وزهير احدادن أن توزيعها بلغ 2000 نسخة في سنة 1930، وكان هذا الرقم في ازدياد متواصل .ينظر: أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص .348. وكذلك :

- Zohir Ihaddaden ,op, cit .p. 374

4-المؤتمـــر الإسلامي الجزائري : انعقد بالعاصمة في السابع من يونيو1936، وهو أول تجمع تشترك فيه كل الاتجاهات، وأول من دعا إلى عقد هذا المؤتمر هو ابن باديس وابن جلول، لدراسة القضية الجزائرية والإجماع على مطالب وتقديمها إلى الحكومة الفرنسية. عـــن هذا المؤتمر ينظر : الشهاب (العدد الخاص بالمؤتمر) ج.5 وملحق ج.4. م.12، ربيع الثاني 1355، الموافق لـــ: حويلية 1936 وكذلك أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945) ج.3،ط.4، دار الغرب الإسلامي بيروت: 1992، .ص 151.

5- رابـــح تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940) ش. و.ن. ت الجزائر، ص. 191-190.

*-كان حذف هذه الكلمات بداية من أبريل 1935. ينظر:الملحق رقم 6 .

6-ينظر صورة من هذا العدد في الملحق رقم 7.

كتابة ما يتناقى مع مبادئها التي أوقف حياته (يعني ابن باديس) على النضال من أجلها بسبب ظروف الحرب والتي تضطره إلى نقل أخبار الحرب والدعاية لصالح فرنسا ودول الحلفاء ضد دول المحور[1].

لقد أوقفت مجلة (الشهاب) حياتها في الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية ضد التيار التغريبي والاندماجي، وناضلت في سبيل الحفاظ عليها طول هذه الفترة، كما لم تتوان في إعلان الحرب على الطرقية في معاقلها وكشف مشايخ الضلال الذين أر كسوا الأمة الجزائرية وجعلوها تتخبط في غيابات الجهل والجمود " ولقد صمد (الشهاب) أمام هؤلاء وكشف ما أدخله القوم (أي الطرقين) على القلوب من مفاسد على العقائد الصحيحة، وعلى العقول من باطل وأوهام، وعلى الإسلام من زور وتخريف وتشويه وتبديل "[2]، حتى ظن القوم (أي المسلمين الجزائريين) أن الإسلام هو الطرقية والطرقية هي الإسلام،وذلك ظنهم الذي أرداهم فجعلهم عقودا طويلة تحت رحمة الطرقية وشيوخها

وجاءت (الشهاب) وقبلها (المنتقد) لترفع راية الإصلاح الديني والاجتماعي شعارا لها، مستعدة لخوض معركة فاصلة، معلنة عن مبادئها وغايتها دعاية إلى إصلاح وأي إصلاح ؟ إصلاح الدين والدنيا في سبيل النهوض بالأمة من براثين التخلف والجهل إلى مصاف المجتمعات الرقية .

4- محتويات الشهاب:

أ- كجريدة:

إن المتصفح لمجموعة الشهاب ليجدها سائرة على خطة واضحة ومنهج واضح في عرضها لأهم المواد العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية، وقد تضمنت الشهاب كجريدة من بداية صدورها عددا من الأبواب هي في الغالب كما يلي:

*- **المقالات** : ويتضمن هذا الباب ما يستفتح به العدد مما يتعلق بالسياسة الجزائرية أو الدعوة الإصلاحية في العمل الديني أو السعي الدنيوي، مما تحرره إدارة الشهاب نفسها، أو عن طريق تعريبه من اللغات الآخرين أو ما يأتيها من مختلف الكتاب مما ينطبق على مبادئ (الشهاب)، ويرمي إلى تحقيق غايتها التي أعلنت عليه منذ تأسيسها.

*- **النشر الحر** : ويرمي هذا العنوان إلى توسيع نطاق التفكير، وتعويد الكتاب على الحرية الفكرية في جميع الشؤون، واطلاع الناس على أفكار بعضهم البعض، فهو يعتبر منبرا حرا للأقلام الحرة، وأقلام الذين يريدون أن يستلموا من الأمة قيادها الفكرية، وتريد الأمة الجزائرية أن تعرفهم قبل أن تلقي إليهم القيادة، كما يسعى هذا المنبر الحر إلى إطلاع الحكومة ورجالها على الناحية التي تتجه إليها الأفكار من فرد

1-ينظر : رابح تركي، المرجع نفسه، ص ..189.

2-عبد الرحمان شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 2000، ص. 77بتصرف.

أو جماعـــة فيكون لهم ذلك خير معين على فهم نفسية الأمة التي لهم إدارة شؤونها، فيسيرون بها في الطريق الأقـــوام عـــن بصر ودراية، وهذه هي غاية (الشهاب)، وما تسعى إليه في سبيل تحقيقه حسب الخطة التي رسمتها لنفسها منذ البداية، وأنها تبحث في كل ما يرقى المسلم الجزائري، غير أنها لا تتحمل معهم شيئا من تـــبعة ومســـؤولية أفكـــارهم، ولاتـــبدي أي موقف بالا يجاب أو السلب لهم فيما كتبوه من النظريات والمدافعات ومختلف الأفكار والمقالات.

*- **آراء وأفكار:** ويتضمن هذا المنبر المسائل السياسية الداخلية والخارجية، والوجوه الإصلاحية، من ناحية التعليم والأخلاق والإرشاد في الرجال العموميين من ناحيتهم العمومية وفي هذا تتفق الآراء وتفترق، وتـــتحد الأفكـــار وتختـــلف، وتقوى وتضعف، ويأتي منها القديم باليا ومتينا، ويأتي منها الجديد صحيحا وســـقيما ... كل هذا يعرض في هذا الباب على العموم لتمحصه الأنظار، وتستخلص ما فيه من نفع أو ضر، والحقيقة بنت البحث كما قيل، وخير البحث ما كان مكشوف للعموم.

*- **الـــنقوض والـــردود** : ويحتوي هذا الباب على بيان الأخطاء التي ترد من الكتاب بعضهم من بعض، وتعتبر الشهاب منبرا للردود * ونقد الأفكار، وغايتها في ذلك توخي الحقيقة وإظهار الحق وإرشاد الـــناس إلى الصـــواب، لأنـــه لا يخل أحد من الكتاب من مجانبة الحقيقة، فيبين له الخطأ ويوضح له وجه الصـــواب فيـــه، ومرشدا له إلى ما يراه صوابا في صراحة وأدب، فجريدة الشهاب كانت كما أعلنت أنها تســـتقبل بشـــكر كل ما يرد عليها من مقالات النقد التريه عليها، وتنشره مقرة ما فيه من حق، ورادة ما يظهر لها من غيره .

* **مجلس المناظرة** : ويعتبر هذا الباب من أثرى المنابر وأوسعها، فإذا طرحت مسألة علمية، وغالبا ما تكون المسائل التي يتناولها هذا الباب مسائل فقهية في الغالب [1]، تتجاذب فيها الآراء والأقوال، ويظهر فيها الخـــلاف، ثم تأتي المسائل الأدبية يتبارى من خلالها كاتبان أو أكثر من خلال تعارض الأدلة بينهما، بحيث تنشـــر فيه الشهاب أدلة كل طرف مع مراعاة شروط المناظرة وآدابها كالبعد عن السباب والشتم والألفاظ البذيئة التي قد تجرح العواطف وتسبب الحقد والبغض، وهذا ما اشترطته الشهاب على كتابها في هذا الباب

---

*-وأشـــهر من كان له نصيب في هذا الباب، الطيب العقبي مع الطرقيين الذي سخر جل وقته –حسب علمنا ومن خلال ما كتـــبه في الشـــهاب وأيضا حياته العلمية –في دحض ومحاربة الطرقية وانحرافاتها، والبدع ومنكراتها، وقد امتاز العقبي في هذه الردود بالشدة والقسوة في الرد على الخصم وهذا في رأينا نتيجة التكوين العلمي وتشربه دعوة التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب في محاربة الشرك والبدع،و إننا – حسب ما نعتقد – أن هذه الشدة في محلها، خاصة وأن الطرقيين قد بلغوا في فترة العشرينات مبلغا عظيما في الانحراف .

1-وأشهرها مسألة الشحوم، ينظر: مبحث أهم كتاب (الشهاب) عند الحديث عن المولود الحافظي في (الحاشية) .

وفي غيره من الأبواب حتى لا تصبح الشهاب منبرا لتبادل التهم والكلام القبيح، ومن ثم يخرج عن مقصده وغايته التي أوجد من أجلها.

*-**ذكر الرجال بالأعمال:** وفي هذا الباب تذكر (الشهاب) الرجال العاملين بأفكارهم أو بأيديهم في نفسع أنفسهم، ونفع الناس،اتسع ذلك النطاق أو ضاق، معتقدة أن الرجال تعتبر بالأعمال، وان الأعمال تعتبر بما فيها من نفع يتعدى العامل إلى غيره ففي هذا الباب تنشر صورهم تنويها بأهل الفضل،وتخليدا لأعمالهم وبعثا لغيرهم على الاقتداء بهم فإن حياة الأمة تقاس بنسبة ما فيه من رجال عاملين.

*- **البدع الضالة والعادات الفاسدة** : ينشر في هذا الباب كل ما هو من البدع والمنكرات والعوائد الممقوتة والعادات الفاسدة المتفشية بين طبقات المجتمع، ونظرا لضررها على المجتمع من ناحية الدين والنسب والعقل والعرض والمال، فإن الشهاب قد خصصت هذا المنبر لكشف ودحض هذه المفاسد البدعية أو العادية في ذاتها، وقبح صنيع من يقوم بها أو يؤيدها سواء بالكتابة أو بالفعل من دون تعيين لشخص ولا مس لشخصيته حتى يكون لهذا التحذير، وهذا النقد قبولا في المجتمع .

*- **الشكاوى والظلامات** : يهتم هذا الباب برفع الشكاوى لكل أحد وان كان من أقل الناس، بكل أحد أوقع عليه حيفا وإن كان من أعظم الناس، ومناهضته جميع الظلم من جميع الظالمين، فيتقبل الشهاب في هذا المنبر كل شكوى تقدم إليه للنظر فيها، أو تقدم إلى من له أهل النظر فيها،كما يعمل (الشهاب)على فضح الظلامات والشكوى مع مطالبة المسؤولين برفع هذه المظالم غير مبالية في سبيل الحق برضا من رضي، ولا سخط من سخط إذا الحق فوق كل أحد كما هو شعارها.[1]

ب- كمجلة:

بعد أن تحولت الشهاب إلى مجلة شهرية، صارت تقدم موادها العلمية، والدينية والسياسية والاجتماعية الأدبية في عدد من الأبواب هي في الغالب كما يلي :

*- **مجالس التذكير** : وهي تصدير (للشهاب) بتفسير آيات من القرآن وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وكان يحررها ابن باديس دائما باعتباره رئيسا للتحرير وصاحب المجلة، وكان ابن باديس في هذا المنبر خبيرا في انتقاء الآيات والأحاديث النبوية حيث كان يعرض هذه الآيات والأحاديث بما يناسب الواقع الجزائري، ثم يقوم بشرحها شرحا عجيبا فاق المفسرين في عصره لحسن تناوله لهذه المواضيع وإسقاطها على المجتمع الجزائري .يقول ابن باديس " ننشر في هذا الما فيه تبصرة للعقول وتهذيب للنفوس من تفسير آية كريمة أو حديث شريف، أو توضيح في أصول العقائد، أو أصول الأعمال معتضدين بأنظار أئمة السلف الذين لا يرتاب في رسوخ علمهم وكمال إيمانهم وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم في نمط وسط بين

1- ينظر: ملخص محتويات الشهاب كجريدة بقلم التحرير، الشهاب، عدد128،5 رجب1346، 29 ديسمبر..1927

الاستقصاء والتقصير".[1] ويمكن تصنيف تفسير ابن باديس ضمن التفاسير التي جمعت بين الرأي والآثار، بل حـــاول ابن باديس أن يتبع طريقة جديدة حاول من خلالها أن يربط بين المجتمع الجزائري المسلم والوحيين الشريفين، على أننا نجد أغلب تفسيره متأثرا بطريقة محمد رشيد رضا في تفسير المنار، وذلك باعترافه.

*- **رســـائل ومقالات** : ويحتوي على الرسائل والمقالات التي كانت تردُ على إدارة المجلة من مختلف أنحـــاء الوطن الجزائري وحتى خارج الوطن، وهي رسائل ومقالات متنوعة في مختلف المواضيع، يقول ابن باديس:" ننشر في هذا الباب ما يأتينا من خطرات العلماء والأدباء مما هو موافق لخطة المجلة في ترقية المسلم الجزائري "[2].

*- **مجتـــنيات مـــن الصحف والكتب** : ويشتمل هذا الركن على أهم ما يكتبه المفكرون والعلماء والمصـــلحون والأدبـــاء في البلاد العربية، وأغلب هذه المقالات مقتبسة عن الصحف الإصلاحية الكبرى وأشـــهرها "المنار" لمحمد رشيد رضا، و" الأمة العربية " لأمير البيان شكيب أرسلان، ومجلة " الفتح" لمحب الدين الخطيب، وغيرها من الصحف المشرقية والمهجرية، مثل أدباء "الرابطة القلمية" في أمريكا،وأيضا تنشر مقالات الكُتّاب الكبار والأدباء أمثال : مصطفى صادق الرافعي[3]، وأحمد حسين هيكل [4]. وكذلك زكي مبارك [5]، وغيرهم ممن اشتهرت أسمائهم في الساحة الدبية العربية والعالمية .

1- ينظر: "أبواب المجلة"، الشهاب،ج.1 م.5، رمضان1347، فيفري1929،ص.35.

2-المرجع نفسه، ص. نفسها .

3- أديب وكاتب وشاعر، أصله من طرابلس الشام، ولد في هيثم سنة (1297 هـــ--1880م) وهي إحدى قرى القيلوبية، درس في مدينـــة دمنهور الابتدائية، فنال الشهادة الابتدائية، عين كاتبا في مكتبة طنطا الأهلية انتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق تـــوفي عام (1356 هـــ - 1937م) له آثار منها : ديوان شعر في ثلاثة أجزاء، تاريخ أدب العرب، إعجاز القرآن. ينظر: مصطفى نعمـــان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ط1.، دار الجيل بيروت1991-1411. ص- ص 101-134، وكذلك : عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج.3 .ص. 867

4- أديب وناثر من كبار الكتاب المعاصرين، وصحفي وسياسي مؤرخ، ولد في كفر غنام من أعمـــال مديرية الدهلقية بمصر سنة (1305ه-1888)، تخـــرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة سافر إلى باريس، حصل على الدكتوراه، اشتغل بالمحاماة وأستاذا بمدرسة الحقوق الفرنسية، انتخب رئيسا لحزبه الأحرار الدستوريين عين عضوا بالمجد مع اللغوي بالقاهرة، تولى وزارة المعارف والشؤون الاجتماعية ورئاســـة مجلس الشيوخ، له آثار أدبية وتاريخية . ينظر : رضا كحالة، مرجع سابق، ج.3 ص. 264 والزركلي، مرجع سابق، ج.3 .ص. 47.

5- أديـــب ناثـــر وناظم، ولد في سنتريس من قرى المنوفية بمصر سنة (1308هـــ-1891 م)، تعلم في الأزهر، تحصل على درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية، ثم من الجامعة السورية، اشتغل بالتدريس بمصر وبغداد، عين مفتشا بوزارة المعارف المصرية، توفي سنة (1371ه-1952)، من مؤلفاته : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال، وديوان شعر . ينظر: رضا كحالة : مرجع سابق، ج.3. ص .305.

*- **في المجتمع الجزائري** : ويحتوي هذا الباب على مقالات تخص المجتمع الجزائري من جميع النواحي اجتماعية كانت أم سياسية أم ثقافية، وأكثر ما ينشر في هذا الركن دون إمضاء على أن أغلب هذه المقالات كان يحررها ابن باديس نفسه، إضافة إلى بعض الإمضاءات الأخرى المعروفة والمشهورة مثل " كاتب كبير "، وهو الشيخ محمد العاصمي، وكذلك " الفتى الزواوي " وهو باعزيز بن عمر. والمتفحص لهذا المنبر يجده تعبيرا صادقا لواقع المجتمع الجزائري وما هو عليه من الآم وما به من أدواء، كانت تحرره أقلام رفيعة المستوى من حيث معالجة القضايا المطروحة آنذاك وتحليلها ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، وذلك من بيان للحق ومعالجته بالحكمة والإنصاف .

*- **المباحثة والمناظرة** :وهو منبر حر جعله ابن باديس لتبادل الآراء والأفكار والبحث والمناظرة، وأغلب هذه الأبحاث هي مناظرات في مسائل فقهية اختلفت الرؤى حولها وتجاذبت فيها الآراء، مع مراعاة شروط المناظرة وآدابها، والتي ترمي من خلالها إلى استجلاء الحقيقة من طريق الدليل، وأشهر من كان يدخل في غمار هذا الباب، الطيب العقبي ومبارك الميلي وأبي يعلى الزواوي، إضافة إلى المسائل الدينية هنالك بعض المسائل الحضارية والأدبية التي كان النزاع حولها قائم بين الكتّاب .

*- **قصة الشهر** : وهي من دون إمضاء و ليست من القصص الفني في شئ، لأنها تنقل عادة من الكتب القديمة تحكي سيرة بطل من أبطال التاريخ الإسلامي أو موقف من المواقف الإنسانية الخالدة [1]، ونحن نميل إلى أن ابن باديس هو الذي كان يحرر أغلب هذا الركن وذلك للأسباب الآتية:

- سلاسة أسلوبه وسهولته .

- أن هذا المنبر يتوافق ومنهجه في التربية والتعليم، من خلال تذكير الشباب بالسلف الصالح وجهادهم وصبرهم ومواقفهم الخالدة أمام المشاهد العظيمة في التاريخ الإسلامي. يقول ان باديس: " ننشر فيه قصة منتقاة، ونتوخى في الغالب أن تكون واقعية وقد نشفعها تعليقا أو تصديرا بما يزيد القارئ خبرة بما فيها من فائدة وعبر."[2]

إضافة إلى هذا يذكر هذا الباب بعض المواقف الخالدة لبعض الحوادث الجليلة، كل هذا بهدف استخلاص العبر والعظات منه لقراء (الشهاب) خصوصا والشعب الجزائري عموما، وإرشادهم إلى قراءة سير السلف الصالح وأبطال التاريخ الإسلامي، ومواقف المجاهدين في سبيل الدين والوطن عبر نهر التاريخ الإسلامي، وفيه تنبيه للغافلين وإرشاد للحائرين وتحفيز للسائرين على هذا الدرب.

---

1 -ينظر محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص.59.

2-محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 59.

*- **نظـــرة عالميـــة**: وهو ركن خاص بقضايا السياسية العالمية، يتطلع من خلاله قراء الشهاب إلى ما يجـــري على الساحة السياسية في مختلف أنحاء العالم، وكان محرر هذا الركن أحمد توفيق المدني[1]، منذ فتح هـــذا الـــباب إلى آخـــر عدد من (الشهاب)[2] وقد انشطر هذا الباب فيما بعد إلى قسمين : "في الشمال الإفريقي " ويخص أخبار المغرب العربي من الناحية السياسية بالأخص، وينبغي الإشارة إلى أهمية هذا الركن والمغـــزى مـــن عرضه، فهو بقصد بيان أحوال البلدان والأمم الأخرى، وما هي عليه من أوضاع سياسية واجـــتماعية، وإبـــراز بعض الحركات التحررية في بعض البلدان وأساليب تحررها، والطرق التي اتخذتها في ســـبيل الخـــروج مـــن ورطتها، على أن هذا الباب كان مقصودا لا شك في ذلك، حتى يتفطن الشعب الجزائري ويفيق من سباته العميق، ويعتبر بالآخرين.[3]

*- **أخـــبار وفوائد**: يهتم هذا الركن بنشر أخبار متنوعة في مختلف ميادين الثقافة والفكر الإنساني، مـــن غـــير إطالـــة، فهي أخبار مختصرة ومنتقاة من مختلف الصحف والمجلات وحتى من الحياة الداخلية في الجزائر.

*-**ثمار العقول والمطابع**: ويهتم بنشر وعرض آخر المستجدات في ميدان الإنتاج الفكري والأدبي من كتب وجرائد ومجلات في مختلف أنحاء البلاد العربية، وهذا دليل على الاتصال المباشر بين الجزائريين المصلحين كتابا ومفكرين، وإخوانهم في أنحاء البلاد العربية الإسلامية.

*- **الفتوى والمسائل**: وهذا الركن خاص بالفتاوى الشرعية التي كان ابن باديس يجيب فيها على أسئلة القراء، و لم يكن منتظم الصدور بل كان يتخلله انقطاع من حين إلى آخر.

*-**حديقة الأدب** : و يهتم بالإنتاج الأدبي شعرا ونثرا للأدباء الجزائريين والمغاربة والتونسيين والأدباء العرب الآخرين من المشرق العربي وفي المهجر[4]، حيث تحتوي الشهاب على ثروة أدبية غنية بالإنتاج الأدبي

1- يقـــول محمد ناصر: خبَّرنا أحمد توفيق المدني، أنه لم يتخلف عن كتابة هذا الباب من أول عدد في الشهاب الشهري إلى آخر عدد فيه. المرجع نفسه، ص. نفسها.

2- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج.2، (دط)، ش. و.ن. ت، الجزائر،، ص- ص. 275، 276.

3- يقول المدني : "صلت وجلت في الشهاب صولات عميقة، وجولات عريقة ما يزيد عن العشرة أعوام، منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري، وما كنت أكتب في الشهاب إخباريا، إنما كنت أكتب توجيهها وما ذكرت قضية من قضايا العالم، وما أشـــدت بكفاح شعب يحاول فك الأغلال وكسر القيود إلا كنت أفكر في الجزائر، أقول لها من طرف خفي : إياك أعني فاسمعي يا جـــارة، أمـــا السياســـة الداخلية فكنت أكثر الناس صراحة، وأشد هم جرأة، وأقدرهم على محاربة الظالمين والخائنين والمفسدين"، المدني،مرجع سابق، ص.275، 276.

4-رابـــح تركي، " الشهاب لسان الإسلام والعروبة الوطنية في الجزائر (1925-1939) دورها في نهضة الجزائر الحديثة " الثقافة، عدد81، يونيو1984 ،ص. 183.

(شعرا ونثرا)، وهذا مما جعل الأدباء الكبار يرسلون أشعارهم وكتابتهم الأدبية إلى المجلة. وأشهر من كان يكتب فيها شاعر الحركة الإصلاحية محمد العيد آل خليفة شاعر الشباب كما لقب بذلك.

هذه هي أهم أبواب مجلة الشهاب مع ملاحظة أن التغيير أو التبديل كان دائما يتناولان بعض الأبواب بالحذف والزيادة أو التغيير، كما يلاحظ عند تصفح مجلة الشهاب أنها كانت منبرا حرا وحيويا للكتاب الملتزمين والوطنيين والمصلحين أو رجال الفكر والسياسة في أقطار المغرب العربي عامة والجزائر خاصة.

و تعتبر أيضا مرجعا هاما للباحثين في دراسة تاريخ الحركات الوطنية والحركات السياسية، كما أنها مرجعا للمعنيين بدراسة حركات الإصلاح الإسلامي والسلفية في العالم العربي والإسلامي، كما أنها مرجعا هاما لدراسة الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر في بداية النهضة الجزائرية الحديثة[1] .

و الحق أن الشهاب كانت "تتطور في أبحاثها ومواضيعها حسب التطورات السياسية والاجتماعية، التي كانت في الواجهة"[2] والتي تتغير مرة على مرة تبعا لتغير الظروف وتطورها .

5- ظروف نشأتها :

لامناص عند الحديث عن الشهاب أو بطاقتها الفنية، وجهادها من أن نعطي لمحة عامة عن الظروف التي ولدت فيها، وعن أهم المعالم الكبرى التي نشأت في ظلها .

لقد ظهرت الشهاب –كما هو معروف – بعد الحرب العالمية الأولى في الفترة هي من أعقد وأكثر العقود حسما في تاريخ الجزائر، ورغم أن فرنسا قد خرجت من الحرب ظافرة منتصرة،فإنها لم تقدم حلا للمشاكل الجزائرية،رغم الوعود المكذوبة والأماني المعسولة. وقبل بداية الحرب العالمية الأولى بسنوات قلائل تمكنت فرنسا بسياستها القمعية وقوانينها الزجرية من إخماد كافة الثروات الجزائرية التي قامت ضدها هنا وهنالك، كما فرضت وبسطت حمايتها على المغرب الأقصى سنة 1921 وبذلك تكون قد أحكمت الطوق حول الجزائر من الشرق باحتلال تونس سنة 1881،ثم من الغرب باحتلال المغرب سنة 1912 .

وأكثر من ذلك أن فرنسا فرضت على الجزائريين قبل اندلاع لهيب الحرب التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، كما أن قانون الأهالي لم يزل ساري المفعول :" وهو القانون الذي تضمن مجموعة من القوانين والإجراءات التعسفية ضد الجزائريين في مختلف الميادين سياسية أم اجتماعية أم فكرية أو غيرها "[3]

1-المرجع نفسه، ص. 183.

2-محمد ناصر، مرجع سابق، ص.60.

3-رابـــح تركي، " الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925-1939) ودورها في نهضة الجزائر الحديثة" مرجع سابق، ص، 184.185.

ولكن بحلول فترة العشرينات وما صحبه من تطورات في الفكر الجزائري ظهرت نخبة من الشباب الجزائري حاولوا في خضم هذا الوضع أن يحددوا أهدافهم، ويوحدوا جهودهم في سبيل تغيير أساليب الكفاح وبلورة الخطاب النضالي، لكن العقبات التي واجهتهم والتي وضعتها فرنسا في طريقهم منعتهم من إكمال الطريق، حيث سلّطت عليهم أقسى العقوبات إما بالنفي أو السجن، وكانت منظماتهم إما بعثرت، وكانت صحافتهم إما منعت عن الصدور وإما أزعجت، وكانت الصحافة الوطنية عموما مثل الأحزاب والمنظمات تحت اضطهاد السلطات الاستعمارية إضافة إلى المراقبة النظامية[1].

كما أدرك الجزائريون أن العمل العسكري لم يعد مجدي النفع وأن العمل السياسي وتعليم الناس وتربيتهم أنجح وسيلة للنهوض بهم إضافة إلى توعيتهم بخطر المشاريع الصليبية الأوربية والزحف الأوربي للقضاء على مقوما تهم الوطنية .

أما الظروف الاجتماعية والدينية *التي أحاطت بظهور الشهاب فلا نجد ما نصف به المجتمع الجزائري في هذه الفترة إلا بالفقر والجهل والتشرد والحرمان والانحلال الخلقي، والفساد الاجتماعي، وانتشار البدع والخرافات، والتأويلات الباطلة، وجمود العلماء وتفرق الكلمة، واضطهاد اللغة العربية والدين والتاريخ، وتوسع حركة التنصير، وتزوير الحقائق التاريخية، والتجهيل المتعمد، والتمييز بين الأهالي ...

هذه هي حالة الجزائريين في هذه الفترة وقبلها، ولقد لخص أبو اليقظان عوامل ثلاثة سلطت على الأمة الجزائرية يقول : " لقد تسلطت على الأمة ثلاثة عوامل لو سلط عامل واحد على أمة كبيرة لزعزع ركنها وهدم بناءها ألا وهي : الجهل والفقر والافتراق[2] " ويضيف قائلا :" فالجهل أفقدها شعورها بوجودها وكيف تذب عنه، والفقر أقعدها عن العمل * وشل أعضاءها عن الحركة، والافتراق أذاب قوّتها، وذهب بريحها فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والاضمحلال والهلاك، وهي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جر إليها الظلم والاستبداد "[3].

1-ينظر: أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية، ج.2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص. 408 .

*- عـــن الوضع العام في الجزائر في مطلع القرن العشرين ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، وكذلك صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الزيتونية للإعلام والنشر، الجزائر.1989

2- أبو اليقظان، " شعور الأمة نائم فماذا ينبهه ؟"، وادي ميزاب، العدد42، 29محرم 1346.الموافق ل:29 جويلية1927،ص.1.

3- المصدر نفسه، ص. نفسها.

هذا بالإضافة إلى الأمية وتفشي البطالة في الأمة بشكل مذهل[1] : أما الأمية فراجع إلى قلة المدارس الكافية لتعليم أبناء الجزائر سواء باللغة العربية التي كانت مضطهدة أو بالفرنسية التي كانت نسبة التعليم بين أبناء الجزائر على اختلاف أعمارهم لا تزيد عن8 %[2] .

في مثل هذه الظروف المعقدة وحالة أمة الجزائر في مطلع القرن العشرين، وإنها لحالة عجيبة رهيبة مدهشة وتفرق بقدر ما فيها من الإلحاد، وجهل عام إلا بطرق الفساد وتيارات مختلفة متباينة ومتناقضة ظهرت جريدة (المنتقد) لابن باديس التي لم تعمر طويلا، أعقبتها مباشرة (الشهاب) التي بدأت سهلة تشتد أحيانا وتلين أحيانا أخرى –قلت – في هذه الظروف بزغت إلى الوجود في هذا الجو المشحون بالمتناقضات والتي قُدِّر لها أن تعيش أمدا بعيدا وعمرا طويلا مقارنة بالصحف الإصلاحية الأخرى حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

6- مبادئ الشهاب :

جاء في افتتاحية العدد الأول من جريدة (المنتقد) التي كتبها ابن باديس تحت عنوان :"مبادئنا وغايتنا وشعارنا" قوله: "بسم الله، ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم، شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون، والمبدأ الذي نحن فيه عاملون ...وهانحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها ..."[3].

و قد أوجز تلك المبادئ في أمور ثلاثة وهي : المبدأ السياسي – المبدأ التهذيبي- المبدأ الانتقادي، وعلى اثر تعطيل جريدة (المنتقد) صدرت (الشهاب) على خطة المنتقد سائرة على النهج نفسه الذي رسمه بن باديس في المنتقد يقول: صدرت الشهاب إثر تعطيل المنتقد على خطته ومبادئه فلاقت ما لاقت ..."[4] وبهذا نقول أن (الشهاب) تبنت نفس المبادئ التي أعلنتها (المنتقد) وصرحت بها في العدد الأول، وسارت عليها بثبات وعزم وهذه المبادئ نوجزها فيما يلي :

أ- المبدأ السياسي :

لقد أعلنت (الشهاب) منذ أن تأسست أنها تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديموقراطية، جاء ذلك في افتتاحية العدد الأول في غلاف الجريدة " وكانت (الشهاب) في جميع مواقفها من القضايا المطروحة ترمي بنفسها في سبيل الأمة الجزائرية، حيث تعطب وحيث تسلم، كما كانت في

1-ينظر: عبد الحفيظ بن الهاشمي، " كثرة الازدحام على المقاهي دليل على فشو البطالة، " النجاح، عدد 850، 16شعبان 1348. الموافق لـــ: 26 جانفي 1930،ص.1 .

2- رابح تركي، المرجع السابق، ص. 186.

3-ابن باديس، المنتقد، العدد الأول، 11ذو الحجة1343، الموافق ل: 2جويلية1925.

4-ابن باديس، " بعد عقد من السنين، " الشهاب، ج.1،م.11، محرم 1354الموافق ل: أفريل 1935،ص. 2.

جميع مواقفها متمسكة ومتشبثة بالجمهورية الفرنسية، مستصرخة عدلها وإنسانيتها مستغيثة بها على كل من يخرج عن مبدأ الحرية والأخوة والمساواة "[1].

غير أن (الشهاب) كانت صريحة وصارمة إذا ما تعلق الأمر بالحقوق الواجب على الفرنسيين القيام بها تجاه الجزائريين، ولهذا نرى أن (الشهاب) لما دعا إلى الارتباط بفرنسا ارتباطا كليا كجميع الفرنسيين اشترط أن تقوم فرنسا بإعطاء جميع الحقوق للجزائريين مثلما قاموا بجميع الواجبات ورغم أن هذه الحقوق لم تنلها الأمة الجزائرية، فإن (الشهاب) كانت دائمة المطالبة بهذه الحقوق.

والملاحظ أن هذا القيد الذي وضعته (الشهاب)، لمن العسير تحقيقه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المقصود بالارتباط هذا، هو الارتباط السياسي لا الارتباط الجنسي (القومي)، والذي عبَّر عنه ابن باديس في موضع آخر [2]، والأمر الثالث أن خطة (الشهاب) اقتضت منها أن لا تصرح بنواياها الحقيقية، حتى لا تتعرض للتعطيل، فهي تلين مع الإدارة الاستعمارية أحيانا وتشتد مع غيرها، إضافة إلى هذا فإن (الشهاب) كانت لا تزال تعلق بعض الآمال في الحصول على الحقوق التي كانت تطالب بها وهي المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات، كما أن الظرف السياسي الذي كانت تعيشه (الشهاب) كان من الخطورة بمكان أن تطالب بأكثر من هذا، ورغم ذلك فقد أثيرت الشكوك حولها بهذه الصراحة التي كانت تجهر بها : يقول ابن باديس: "غير أن هذه الصحيفة كان لها من الصراحة والصدق، والحزم والصرامة ما لم تعرفه الجزائر قبلها فكان غير مستغرب أن يثير الشكوك فيها وأن يخلق لها أضداد ومنافسين ولقد لقيت جراء ذلك ما لقيت مما كان عند ضعاف العزائم عذرا كافيا في النكوص أو السكوت "[3].

على أن هذا المبدأ الذي أعلن عنه (الشهاب) في البداية قد تغير تبعا للتغيرات السياسية والظروف التي كانت الجزائر تخضع لها، فالشهاب كان يتماشى وهذه المتغيرات والتطورات تجلى ذلك في المواقف التي كان يخوضها ويعلق عليها ويدلي بدلوه فيها، وخاصة بعد أن أدرك النوايا الحقيقية للاستعمار الفرنسي الذي حاول تجاهل الأمة الجزائرية وتناسيها، وبخاصة بعد مجيء حكومة الواجهة الشعبية التي علق عليها الجميع آمال كبيرة،وفشل المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي كانت فيه (للشهاب) مواقف واضحة وصريحة ...حينها أدرك ابن باديس أن الأمر قد حان لمراجعة الجزائريين أنفسهم في التعامل مع فرنسا، وجاءت كلمته الصريحة التي هزَّت كيان الشعب الجزائري، وهو يقول: " هل آن أوان اليأس من فرنسا "[4].فلم يبق

1- ابن باديس،" في بحر عام (أعمالنا وآمالنا)، الشهاب، عدد32، 11ذو الحجة 1344، الموافق ل: 24جوان 1926، ص.1.

2-ينظر: ابن باديس،" الجنسية القومية والجنسية السياسية،" الشهاب، ج.12، م.12، ذو الحجة 1355الموافق ل: فيفري 1937.

3-المصدر نفسه، ص1. .

4-ابن باديس، "هل آن أوان اليأس من فرنسا"، الشهاب، ج.6،م.13، جمادى الثانية1356 الموافق ل: جويلية 1937

ابن باديس العشرينات هو ابن باديس الثلاثينيات، بل أدرك تمام الإدراك أن الجزائر ليست ولن تكون فرنسا ولو أرادت، ولم يبق عند ابن باديس شئ يسمى بالمساواة بل اقتنع بشيء اسمه:" الوطن الجزائري للجزائريين ".

ب- المبدأ التهذيبي :

هذا هو المبدأ الثاني الذي أعلن عنه (الشهاب) منذ تأسيسه، ولعل الباحث يتساءل عن هذا المبدأ بماذا يكون ؟ وبأي كيفية يكون هذا التهذيب ؟ وعن الشيء الذي يُهذب ؟ فالتهذيب الذي خطه (الشهاب) هو بإنارة العقول وتقويم الأخلاق، وتطهير العقائد الإسلامية من طريق الإسلام، وأي إسلام يريده الشهاب ؟ فالإسلام الذي يريده إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية والصلاح والفلاح على لسان الصادق المصدوق [1] - [2].

كما دعت (الشهاب) المسلمين إلى الرجوع إلى الهداية الإسلامية كما جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم خالصة نقية مما أحدثه فيها المحدثون في العقائد والأقوال والأعمال، وإلى الزكاء النفسي، والكمال الخلقي، والتفكير العلمي والرقي العمراني والعدل الاجتماعي بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [3].

وإنما طلبوا هذه الهداية الإسلامية من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح قولا وعملا واعتقادا، لأن الكتاب هو أصل الهداية، وسبب السعادة في الدارين، وتبصرة للعقول، وتهذيب للنفوس؛لأن من طلب الهدى في غير ما جعله الله سبب الهدى كان على ضلال مبين، فلذا بين الله تعالى أن هدايته لخلقه إنما تكون برسوله وكتابه فيتمسك بها من يريد الهدى، فالله تعالى قد دلّ الخلق برسوله وبكتابه على ما فيه كمالهم وسعادتهم، ومرضاة خالقهم " وهذه هي هداية الدلالة ". وهي من فضل الله العام للناس أجمعين، وبها وبما يجده كل عاقل في نفسه من التمكن والاختيار قامت حجة الله على العباد، ثم يسر من شاء، وهو الحكيم العدل إلى العمل بما دل عليه من أسباب السعادة والكمال " وهذه دلالة التوفيق " وهي من فضل الله

1-ينظر: ابن باديس،" في بحر عام (أعمالنا وآمالنا)"، مصدر سابق، ص.11 .

2- والحديث الدال على هذه الشهادة هو قوله صلى الله عليه وسلم: " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ..." .رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رقم (2233)،ج.4. ص .1962 ..

3- ينظر: ابن باديس، " حول برنامج الشهاب"، الشهاب، العدد162، 22ربيع الأول 1347ه،6 سبتمبر1928، ص.2 .

الخاص بمن قبلوا دلالته واستسلموا له بالتوحيد وانقادوا له بالطاعة، وأقبلوا عليه على ما آتاهم من عنده فآمنوا برسوله والنور الذي أنزل معه[1].

وأمـــا السنة النبوية فلأن كتبها مجهولة ومهجورة بين خواص الناس فضلا عن عوامهم فلا يسمع الـــناس إلا صـــحيح البخاري، والموطأ، وأكثر ما هو شائع في أيدي الغوغاء من العامة وأشباههم إنما هي الأحـــاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة التي لا تصح نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا رفعها إليه وإنما أخذوها من كتب الوعظ والقصص والمناقب والحكايات ووظفوها في مجالسهم وخطبهم وظنوا انهم يحسنون صنعا، بل وكذبوا على النبي الأمي، وقال أدعياء التصوف إنا نكذب له لا عليه .

وأمـــا ســـيرة السلف من الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم فلأنهم "فهموا الإسلام حقيقة وعمـــلوا به ظاهرا وباطنا، فهم أصح أفهاما بفطرتهم العربية ومجالستهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو قرب زمانهم به، وأصفى أذهانا وأبر قلوبا، وأقوى إيمانا وأزكى نفوسا"[2]. كيف لا نتبعهم وقد زكاهم الله تعالى من فوق سبع سموات، ورضي عنهم " ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها "[3].يقول ابن باديس: "فصمدنا ندعوا الأمة إلى الرجوع إلى هذه الأصول وطرح كل ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد "[4].

كمـــا أسســـت هذه الصحيفة إلى نبذ البدع والضلالات في الدين الذي دنّست محياهُ، وأوجدت لـــلطاغين عـــليه من أعدائه السبيل، وحالت بينه وبين من يمكن اهتدائه إليه عبر أبنائه، ولما كانت الطرائق المنتسبة إلى التصوف، تعج بهذه البدع عجا، والمتمسكون بها (أي الطرقية وبدعها) يعتقدون اعتقادا جازما أنهـــا هـــي الديـــن الخالص، وأن ما سواها باطل وأن من خالفها أو دعاها إلى خلع ماهي عليه، صمدت الشـــهاب تدعوهم إلى الهداية الإسلامية الحقة على الطريقة السلفية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح[5].

جـــ- المبدأ الانتقادي:

كمـــا أسســـت هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسي المتقدم والمبدأ التهذيبي، فلقد وجدت نفسها مضـــطرة إلى المـــبدأ الانتقادي، والذي لايمكن إصلاح إلا به. يقول ابن باديس : " لا يكون إصلاح إلا

1- ابن باديس، " دعوة أهل الكتاب، " الشهاب، ج.3،م.11، ربيع الأول 1354ه، الموافق ل: جـــوان1935، ص ـــص. -144- 135 بتصرف .

2- ابن باديس،"حول برنامج الشهاب "، مصدر سابق، ص.2 .

3- ينظر تخريجه فيما مضى .

4- ابن باديس، " في بحر عام (أعمالنا وآمالنا)، " مصدر سابق، ص. 1.

5-ينظر:ابن باديس، " حول بر نامج الشهاب، " مصدر سابق، ص. 3.

بالانـــتقاد، فـــلذلك وجدنـــا أنفسنا في خطتنا مضطرين إليه "[1].و هذه الانتقادات قد تنوعت تبعا لتنوع المواضـــيع والقضايا المطروحة، فمن انتقادات سياسية واجتماعية إلى انتقادات أدبية ودينية، إلا أن الوجهة الـــتي أولتها (الشهاب)بالنقد هي الجانب الديني والذي ينحصر في تطهير عقيدة التوحيد من أنواع الشرك القولي والفعلي والاعتقادي، والدعوة إلى توحيد الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، لأن التوحيد هو أســـاس الدين لما تضمن من إفراد الله بالعبادة والكفر بما يعبد من دونه، وهذا من مقتضيات كلمة التوحيد (لاإله إلا الله) .

و أمـــا الانـــتقادات الاجتماعية والسياسية فقد وجهت (الشهاب) النقد للذين يتبوءون من الأمة قيادها، والذين يريدون أن يتولوا شؤونها وإدارها، فلهذا جاء في خطتها أنها تتعرض لهم بالنقد والاعتراض، ولا يكـــون الـــنقد موجه إلى الأشخاص وصفاهم ولا إلى أعمالهم الخاصة، بل إلى أعمالهم العامة المتعلقة بالأمـــة من غير تفريق بين حاكم وآخر ولامدير ولانائب ولا من يتولى أمر من أمور المسلمين، سالكة في هـــذا الانـــتقاد طريق الحقيقة والصدق والإخلاص وحسن الكلام، وعلى مبدأ العدل والإنصاف وخدمة الأمة.

ولا أدل مـــن أن ابـــن باديس قد وضع خطة محكمة، وبرنامجا دقيقا ومحددا لمجلته (الشهاب)، ما اشـــترطه عـــلى كتابها في كتاباهم بأن يتقيدوا بخطة الصحيفة، وألاَّ يخرجوا عن مبادئها التي وضعتها لهم، يقـــول: " نـــرجو مـــن كل من يكتب مقالا سياسيا (أو اجتماعيا) أن يضع نصب عينيه خطة الصحيفة السياســـية " الـــتي وضحها وأعلن عنها، كما اشترط على من يكتب في الإصلاح عموما أن يراعي خطة (الشهاب)في الإصلاح وأن يفرق بين موضوعين أساسيين في هذا الجانب :

أمـــا الموضـــوع الأول فيتعـــلق بالكلام على البدع الحية التي يتمسك بها المتمسكون، ويناصرها المناصرون، حيث اشترط أن تكون طريقة الكتابة في هذه بأن تذكر البدعة، وبيان منشأها وأصلها، وإقامة الدليل على بدعيتها من الكتاب والسنة، مع ذكر المضار والمفاسد التي تنشأ عنها، وذكر وسائل فعلها، وإذا كانت تلك البدعة أقيمت بعد إماتة سُنة، فتذكر تلك السُنة وتبين منافعها وطرق إحيائها، من دون تعيين الأشخاص والتصريح بأسمائهم .

وهـــذا أســـلوب عـــلمي محض وطريقة العلماء الجهابذة في عرض المسائل العلمية الشرعية وبيان حقيقتها وردها ردا شرعيا مبينا على الأدلة الشرعية، والبراهين القطعية حتى تكون حجة دامغة للمخالفين وبيان واضحا لعموم المسلمين .

1-ابن باديس، " في بحر عام (أعمالنا وآمالنا) "، مصدر سابق، ص. 1.

و أمـــا الموضوع الثاني فهو يخص آراء لبعض أهل العلم في مسائل دينية، وهذا الأخير قد وضع له ابـــن باديس شرطا واضحا بأن يكتب فيه بطريقة البحث والمناظرة المعروفة عند أهلها، وأضاف إليها قيدا آخـــر بأن تكون المباحثة دائرة في الموضوع، وفي حدود الأدب وبروح الإنصاف[1] بعيدا عن ألفاظ السب والشـــتم والتنابز بالألقاب،وإطلاق الأحكام والأسماء فإن هذا مدعاة للتعصب وعدم قبول قول المخالف، لأن نظرة العالم المصلح إلى غيره من المخالف المبتدع تكون نظرة شفقة ورحمة لانظرة حقد وبغض وتشفي، وهذا دأب أئمة الإسلام في مناظرهم ومباحثاهم مع المخالفين لهم .

وقد سار (الشهاب) على هذه المبادئ، وهو يعلم أنها ترضي أطرافا وتغضب آخرين،إلا أنه وضع الحق والوطن والدين فوق كل اعتبار، غير ملتفت لقول قائل سائرا على مبادئه وخطته مرددا دائما شعاره الرسمي : " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شئ "

7- أهم كتاب الشهاب:

إن لكـــل صـــحيفة أو يومية أو أسبوعية، أو مجلة شهرية كتابها المعروفين، ومحرريها المرموقين، الذين يقومـــون بتحرير المقالات ونشرها على صفحات الجريدة، وإنما تتميز صحيفة عن أخرى ومجلة عن أختها بـــتفاوت قـــيمة الكـــتاب ومترلتهم العلمية وذلك بحسب المادة العلمية التي يقدمونها للقراء، وإذا كانت (الشـــهاب) إحدى هذه الصحف التي كانت تتهافت عليها النخبة المثقفة، ويقبل عليها أبناء الجزائر، ذوي الثقافة العربية الإسلامية نظرا للأبحاث العلمية والمقالات المتوالية، فمن هم أهم الكتاب الذين كانوا يشرفون على تحرير المقالات وينشرونها على صفحات الشهاب ؟وبماذا تميزت مقالاتهم وأبحاثهم ؟ وما هي مترلتهم العـــلمية وقدراتهم الصحفية التي كانوا يتميزون بها عن غيرهم ؟ وبماذا تميز أسلوبهم ؟ وهل هؤلاء الكتاب تميزوا عن غيرهم بكتابتهم المستمرة أم بقدراتهم الفكرية ؟

إنـــه مـــن العسير حصر وإحصاء جميع الكتاب الذين كانوا ينشرون مقالاتهم في الشهاب، ومن الصـــعب الكلام عنهم وعن خصائص كتاباتهم، وإننا في هذا المبحث سوف نركز على أهم الكتاب الذين اشـــتهروا بالكتابة في (الشهاب) باستمرار،[2] و الوقوف على أهم ما ميز هذه الفئة عن غيرها على أننا نجد كـــثيرا مـــن المقـــالات والأبحاث خالية من ذكر أسماء أصحابها، وهذا له ما يبرره [3]، كما نجد أن أغلب

1-ينظر: ابن باديس، "حول برنامج الشهاب "، مصدر سابق، ص. 6.

2- عن تراجم هؤلاء الكتاب ينظر الملحق رقم 8 .

3- ينظر أهم الأسماء المستعارة وأصحابها الحقيقيين وسبب عدم ذكر الأسماء الحقيقية في الملحق رقم 9.

المقـــالات كان يحررها ابن باديس نفسه باعتباره رئيسا للتحرير وصاحب المجلة والتي كان يصدِّرها بتفسير آيات من الذكر الحكيم[1].

أ- : **ابن باديس** (1889-1940) .

لعل أبرز الكتاب الذين كانوا يقومون على تحرير مقالات (الشهاب)، هو صاحب الصحيفة نفسه والـــذي دخـــل إلى عالم الصحافة العظيم –حسب تعبيره – بعد أن حطت الحرب العالمية الأولى رحالها بســـنوات قلائـــل، حيث رأى ضرورة الخروج بالدعوة الإصلاحية السلفية التي شرع فيها ابتداء من عام 1913، مـــن نطاق ضيق محدود مكانيا إلى مستوى أوسع وأشمل [2]، وبهذا يكون ابن باديس قد أضاف إلى الجهـــد التعلـــيمي جهدا آخر يندرج ضمن الخطة الإصلاحية وهو تأسيس النشاط الصحفي الذي أراده ســـلاحا آخـــر يعـــتمده في المعـــركة النضالية التي صمم خوضها بكل الوسائل لمحاربة الأوضاع الفاسدة والتصدي لانتقاد سلوك الإدارة الفرنسية وجمود بعض مشايخ الطرقية[3] : "وهو إذ يخوض العمل الصحفي يدرك تمام الإدراك أن ممارسة الصحافة هي من قبيل ممارسة السياسة ...و ممارسة السياسة في الجزائر يحتاج إلى الكياسة" [4]، ورغم تعطيل جريدة (المنتقد) إلا أن ابن باديس أصدر(الشهاب) التي كان دائما يفتخر بها ويعدها من أعماله الخالدة في حياته وبعد مماته[5].

وتعـــد (الشـــهاب) السلاح الخفي الذي كان يواجه به ابن باديس إدارة الاحتلال وأذنابها، كما تعتبر الصورة الحقيقية لفكره، ولهذا فان تراث ابن باديس أغلبه فيها.

وكـــانت افتـــتاحيات أغلبها بقلم ابن باديس وكثيرا ما كان يُصدِّرها بالكتابة في القضايا الاجتماعية والديـــنية، وعند تحولها إلى مجلة صار يفتتحها بالتفسير والحديث اللذين أخذا حظا كبيرا ونصيبا وفيرا من المجـــلة، بل نكاد نجزم أن ثلاثة أرباع المجلة كانت لابن باديس، إضافة إلى الكتابة في قضايا المجتمع الجزائري الاجـــتماعية والسياسية، ويتضح لنا أن أسلوب ابن باديس في الصحافة يختلف اختلافا كبيرا عن أسلوبه في كـــتابة التفســـير والحديث والموضوعات الأدبية، ويمتاز بأنه أسلوب علمي قوي ومباشر، وقصير الجمل، ومركـــز ومفحم للخصم وطافح بالسخرية اللاذعة، خصوصا عندما يكون الأمر متعلقا بمناقشة المتهجمين

1- ينظر: عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1940)، ش. و.ن. ت، الجزائر، 1983،ص. 103 .

2- ينظر: رابح تركي، مرجع سابق، ص. 186.

3- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص.38 .

4- مجموعة من الأساتذة : سلسلة نوابغ العرب : الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار العودة بيروت: 1946، ص.53

5- ينظر :" ثلاثة أعمال في حياة ابن باديس "، الشهاب ج.4،م.12 ربيع الثاني1355 الموافق ل: جويلية 1936(عدد المؤتمر).

عـــلى مقومـــات الشخصـــية الوطنية والطاعنين فيها، وسواء تعلق الأمر بالجزائريين من أصحاب التفرنج والاندماج أو الأجانب[1] .

إضافة إلى كتابته الشخصية، فان ابن باديس كانت له صلات قوية بزعماء المشرق، وبالأخص شكيب أرسلان الذي كان يصدر مجلة " الأمة العربية " بالفرنسية في جنيف وهذه المجلة كان ابن باديس ينقل منها بعض المقالات لأمير البيان، وينشرها في(الشهاب)، كما كانت له صلات أخرى بالعديد من الشخصيات الإسلامية والعلماء المصلحين الذين كانوا يشرفون على بعض الجرائد والمجلات، وكان ينقل منها بعض الأحيان المقالات وينشرها في (الشهاب).[2]

و قـــد اتضـــح للباحث أن ابن باديس يعد أول كاتب وأشهر محرر كان يخوض غمار الكتابة وتحرير المقـــالات، كيـــف لا يكون وهو صاحب المجلة ومؤسسها، فلا عجب إذن من أن تكون أغلب الأبحاث والمقالات من نصيبه.

ب- **الطيب العقبي** (1890-1960) :

وهـــو الشـــخص الثاني الذي طلع نجمه واشتهر اسمه بين أعمدة الصحافة الإصلاحية وعلى وجه الخصـــوص (الشـــهاب) .و العقبي قد رأى أثر الصحافة الإسلامية العربية في المشرق، وشارك فيها بقلمه الممتازة وهو إذ ذاك قد اكتسب الخبرة في الكتابة، واستفاد منها أيما استفادة ومن أجل ذلك طلب منه ابن بـــاديس المســـاهمة في تحرير (المنتقد)، وقد لبى العقبي هذا العرض الذي قدم إليه و لم يتوان في التأخر، لأنه شعر بفراغ كبير في نفسه، فصار يتمنى أن لو أتاح الله له صحافة حرة يواصل فيها جهاده، ويفرغ فيها ما حوتـــه صدره، وقد وجد ضالته حين بدأ الكتابة في هذه الصحف، وساهم بمقالاته في إثراء جريدة المنتقد الـــتي أعجـــب بهـــا واعتـــبرها جريدة عربية مستوفاة الشروط جامعة في سيرها، وبعد تعطيلها، وصدور الشـــهاب، وجهت الدعوة من جديد للعقبي حتى يساهم بدوره كرجل علم وإصلاح في إثراء هذا المولود الجديد، و لم يبدي معارضة بل رحب به[3].

و إن المتصفح لأعداد (الشهاب)- كجريدة على وجه الخصوص- لا يكاد يجد عددا إلا والعقبي قـــد كـــتب فيه، وملأه بالمقالات الرعدية والصواعق الزجرية على مشايخ الطرقية، ويتضح لنا من خلال تصـــفح أعداد (الشهاب) أن مقالات العقبي لاتخرج عن الإصلاح الديني، والذب عن الإسلام، ومهاجمة

1- يـــنظر: رابـــح تركي، مرجع سابق،ص. 189. وينظر على سبيل المثال مقاله:"حول كلمتنا الصريحة" الذي رد فيه على دعاة الاندماج والتجنيس الذين أنكروا وجود القومية الجزائرية، بأسلوب قوي وصريح وعنيف ... الشهاب ج.3 م.12 جوان1936 .

2- ينظر: المرجع نفسه،ص. 192،191.

3- ينظر: محمد مر يوش، الطيب ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية،ماجستير، الجزائر1992-1991، ص. 85،86

الطـــرقية الضـــالة، وهو بذلك إنما ينشر فكرته الإصلاحية، ويدعو إلى العقيدة السلفية الصحيحة في الدين ويـــنهى عـــن الخرافات وأباطيل الطرقية، ويهاجم الملحدين وكل مفاسد الاستعمار [1]، بل نكاد نجزم أن المعركة التي كانت بين الإصلاحيين السلفيين والطرقيين المبتدعين كان البطل فيها العقبي، ولا نكاد نجد ردا على الطرقية إلا والعقبي حامل لوائه، ولهذا لما دعته (الشهاب) وافق على هذا الطلب وهو يقول: " ودعتني جـــريدة الشهاب التي برزت موافقة لمشربي العلمي والديني باسم الدين والوطن إلى مناصرتها، ووجدت في الوقت فراغا وفي الزمن متسعا، لبيت دعوتها وأجبت ندائها الذي لا أزال أعتبره صوت حق وداعية صدق ..."[2].

و الملاحظ على كتابات العقبي يغلب عليها الشدة والحرارة،[3] وفي رأينا أن هذه الشدة في محلها. كما يتســـم بالاتزان والهدوء، وذلك حينما يتصدى لبحث مشكلة عقائدية، أو مسألة فقهية، وهو بهذا قد جمع بـــين شخصـــيتين، الشدة والاتزان، والمتتبع لمقالاته مع الطرقيين ليجد جُل ردوده —وإن كانت ساخنة — ردودا عـــلمية مســـتوفاة الشروط .وإن سخونة مقالاته وغلظته مع خصومه هو الذي سبب له كثيرا من الـــبلايا والمصائب يقول وهو يخاطب جريدتي البرق والشهاب: " وأعدكم وعدا صادقا بأني(إن شاء الله) ســـأملأ الـــبرق بمقالتي الرعدية وصوا عقبي الزجرية، وسأرسل على رؤوس الشياطين كل ما أستطيع من شهب نارية، فابعث إلى مجلة (الشهاب) ما يليق بها ويملأ الكثير من أعمدتها وصفحاتها من كل ما يتفق مع خطتها، وأرسل لكم بما يلتئم مع البرق ويخطف سنام أبصار المجرمين، ويكون بلاء منصبا على رؤوس غواة الطرقيين ..."[4].

ولا عجـــب إن قلنا أن العقبي كان من المؤسسين الأوائل للنهضة الأدبية والفكرية، والداعين إلى الإصـــلاح الديـــني والاجتماعي، ولا نكون مبالغين إن قلنا أن العقبي هو الشخصية الثانية التي برزت في

1- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ط.2، المطبعة العربية، الجزائر1971.ص.111.

2- الطيب العقبي، الشهاب، عد 8،جمادى الثانية 1344، الموافق ل : 31ديسمبر1925، ص.4 .

3- ولعـــل هذه الشدة والحرارة التي كان يمتاز بها العقبي هو تأثره بالحركة الوهابية بالحجاز الذي تربى فيها وأخذ يدب عن مبادئها وأفكارهـــا، حتى أسماه البعض بالوهابي، وقد أخذ مبادئ وأفكار محمد بن عبد الوهاب التي ترتكز أساسا على الدعوة إلى التوحيد ونـــبذ الشرك بأنواعه وعلى الدعوة إلى الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، وقد عبرالعقبي عن المفهوم الوهابي الصحيح الذي آمـــن بـــه، وأخذ يدعو إليه بقوله:" إذا كانت الوهابية هي عبادة الله وحده بما شرعه الله لعباده فإنها مذهبنا ودينا وملتنا السمحة، وعـــليها نحيـــا وعليها نموت، ونبعث إن شاء الله من الآمنين، وان تكن الوهابية شئ آخر غير هذا فإننا منها بريئين وعنها بعيدون " .ينظر: أحمد مريوش، الطيب العقبي، نقلا عن جريدة السنة، عدد2، 17فيفري 1933.

ونكاد نجد العقبي قد سخر حياته منذ رجوعه من الحجاز في محاربة الاخرافات الطرقية التي اعتبرها من أكبر عوامل الفساد، والتي جنت (أي الطرقية) على العقيدة الإسلامية وأفسدتها، ولذلك حمل حملة شعواء وحربا ضروسا عليها بكتاباته نثرا وشعرا .

4 - الطيب العقبي، " إلى الأمام "، البرق، عدد7، 16شوال 1345الموافق ل: 18أفريل 1927، ص.2 .

(الشـــهاب) بعد ابن باديس، ولدى جعلناه في المرتبة الثانية بعد ابن باديس، ومن المؤسف جدا أن آثاره لم تجمع في سفر مستقل كآثار ابن باديس وأغلبها مبثوث في(الشهاب) .

جـــ- **مبارك الميلي** : (1898-1945) .

وهو من أشهر كتاب جريدة (المنتقد) التي عطلت، وبعد صدور (الشهاب) كان من السباقين للكتابة فيهـــا ونشر المقالات والأبحاث العلمية المتعلقة بقضايا المجتمع الجزائري، واستمر في نشر المقالات فيها حتى نهايتها .

وإن الحديث عن مبارك الميلي هو الحديث عن أشهر وأبرز تلامذة ابن باديس الذين تخرجوا على يديه وتـــربو في أحضـــان مدرسته، واقتفوا أثره في حمل رسالة الإصلاح الديني والاجتماعي فلا عجب إذن أن يـــتولى ويـــتحمل عبئ التحرير في (المنتقد) ثم (الشهاب) بمقالاته الرفيعة وأبحاثه العالية، والتي كان لها دور كبير في إصلاح المجتمع والذب عن عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك .

و قـــد جرد سيفه (قلمه) وكتب سلسلة من المقالات في (المنتقد) ثم في (الشهاب)، هاجم فيها الانحـــرافات الدينية والأخلاقية، والبدع التي تفشت في المجتمع كما كان معول هدم لكثير من الانحرافات الطـــرقية والخرافات السائدة آندك في المجتمع الجزائري، وهو الذي هاجم أيضا بعض الانحرافات السياسية، والـــذي صـــرح أنه ضد فكرة الاندماج والاندماجيين، والذي اعتبر الاندماج موت حقيقي للأمة، موت لانشـــور بعده يلحق بالمجتمع سبة الأبد،- وأنه يختار لو خُيِّر بين حياة تقدم مع الاندماج، وبين حياة تأخر وانحطاط، وبقاء على الحالة السيئة المستقبحة الحالية مع المحافظة على القومية والشخصية الوطنية –فانه يختار الثاني ؛ لان الاندماج موت والحياة المنحطة خير من الموت على كل حال[1].

و كـــان الميلي شديد الانتقاد للبدع والخرافات، وأرباب الطرق الصوفية، كما حمل حملة واسعة على بعض أدعياء التصوف والمنتسبين إليه، وبخاصة مشايخ الطريقة العليوية (دعاة الحلول ووحدة الوجود) .وقـــد كتب مقالات عدة في بيان حقيقة التصوف الصحيح المبني على فقه الكتاب والسنة والموافق لطريقة الســـلف مـــن الصحابة والتابعين، ونشر مقالات متوالية في الحديث عن تاريخ التصوف ومدى نسبة هذه الكلمة وصحتها، وبيان خطأ الكثير من المنتسبين إليه، كل ذلك بأسلوب علمي مبني على الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة الصحيحة وأقوال السلف .

وكانت أغلب مقالاته تارة بإمضائه الصريح، وتارة بإمضاءات غير صريحة وبأسماء مستعارة مثل" بيضاوي " و" سلفي " وتارة من دون إمضاء .

1- ينظر: أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج.2، ط.1، دار البعث، الجزائر 1405هـ-1984 ،-ص. 13، 14.

هـــذا وإن حملته الكبيرة على الطرقية سببت له كثيرا من الفتن والمصائب حيث استاء رؤوس الطرقية منه، ورأوا أنه مسهم مباشرة فقرروا أن يسكتوه إلى الأبد "حتى يغيض المنبع بالقضاء عليه أو على ما ينشره في (الشـــهاب) ويأتي بمثلها أو أقطع "[1]، ولما كانت مقالاته في أغلبها غير ممضاة باسمه الحقيقي، لم يتمكنوا من التعرف عليه، ولما عجزوا عن معرفته قرروا الانتقام من صاحب الشهاب نفسه[2].

وأهم ما اشتهر به الميلي هو كتابه " تاريخ الجزائر في القديم والحديث "[3] الذي يعتبر أول محاولة وطنية لكـــتابة تـــاريخ الجزائـــر كتابة جزائرية بحتة، إضافة إلى هذا برز الميلي في ميدان الكتابة في أمراض المجتمع والانحـــرافات الديـــنية، ويعـــد كـــتابه " الشـــرك ومظاهـــره " من أشهر الكتب التي حاربت الطرقية وانحـــرافاتها[4]،ويذكـــر أحمد توفيق المدني أن الباحثين الغربيين يعتبرون "تاريخ الميلي "، وكتاب " الجزائر " للمدني، وجمعية العلماء، وقد ظهروا معا: " ولادة الملية الإسلامية الوطنية بالقطر الجزائري "[5].

د- **العربي التبسي** : (1895-1957)

مـــن الكـــتاب الذين اشتهرت ألمعيتهم في (الشهاب)، العربي بن بلقاسم التبسي الذي يعد أحد دعائم النهضة الإصلاحية في الجزائر، وأحد مؤسسي جمعية العلماء، و لم يتأخر في الكتابة في (الشهاب) اثر رجوعـــه مـــن مصر سنة 1927، هذه السنة التي تعد نقطة تحول في حياته وبداية جهاده في الجزائر، حيث وجد الصحافة العربية الإصلاحية (الإسلامية) قد شبت واكتملت فشرع التبسي يكتب في (الشهاب) التي تعتـــبر أول صـــحيفة يدخل بها عالم الصحافة بمقالاته البليغة، وأسلوبه العلمي الرصين والقوي، داعيا إلى الإصـــلاح الديني والاجتماعي، مدافعا عن الإسلام الصحيح والعقيدة السلفية الصحيحة، شارحا لفلسفة الإســـلام ومطالـــبا بحقوق الأمة، ومهاجما للاستعمار وأذنابه الملحدين والطرقيين الضالين، الذين كانت للتبســـي معهم جولات وصولات ضمن سلسلة (الشهاب)، ومما امتاز به التبسي عن غيره أسلوبه العلمي

1- المصدر نفسه، ص. نفسها .

2- ينظر فصل الإصلاح الديني ففيه بيان وتفصيل لمحاولة السطو على ابن باديس .

3- عن تاريخ الميلي ومنهجه في كتابه ينظر ما كتبه الكاتب الفرنسي:

.Desparmet. J," naissance d'une histoire nationale de l'algerie" ,in A.F :N°7, juillet ,1933 ,p-p387-392.

.وكذلك:

- Saadeddine Bencheneb ".quelques historiens arabes modernes de l'afrique" ,in revue africaine, n° 100 année . 1956.algerie, p-p.480-485.

4- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، م.و.ك، الجزائر1985،ص.164.

5- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، ص.208.

البـــليغ والقـــوي والمفحم للخصم والمسكت له، وكان في كل مقالاته قوي اللهجة بالغ الصراحة، ونظرا لتكوينه العلمي وذكائه العملي، فانه استطاع أن يؤثر في الأوساط الاجتماعية أيما تأثير[1].

إن رحـــلات (التبســـي) الكثيرة والمتنوعة في طلب العلم والتحصيل، وتأثره بالنهضة المصرية خاصة، وبالنهضـــة الصـــحفية هو الذي جعله يخوض غمار المعركة الصحفية حين أدرك قيمتها وأثرها في المجتمع، وبذلـــك راح ينشر المقالات في (الشهاب) وغيرها من صحف وجرائد جمعية العلماء، وقد جمعت بعض آثاره في سفرين مستقلين .

هـــ- أبو يعلى الزواوي : (1887-1952) .

وهـــو أحـــد الخطـــباء المشهورين والعلماء المرموقين الذين اشتهر اسمهم وداع صيتهم في القطر الجزائري وخارجه، وإذا تحدثنا عن أبي يعلى فهو ذلك الخطيب البليغ والواعظ المفوه الذي اشتهر بالوعظ والإرشاد والدعوة والإصلاح بإحدى أكبر المساجد بالعاصمة،له اشتغال بالفقه والتاريخ ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء وداعية من أكبر الدعاة الإصلاحيين السلفيين إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، ملأ الصحف العربية بمقالات كثيرة، فكتب في الكثير من الصحف العربية المشرقية حين كان بالمشرق، فكتب في " المؤيد "القاهرية وجريدة " ثمرات الفنون " البيروتية "والمعلومات " الصادرة بالأستانة [2]و "المقتبس "[3] و" البرهان "[4].

و بعـــد عودتـــه إلى الجزائـــر انضم إلى فريق الإصلاح في العشرينات، وبدأ ينشط في الدعوة إلى الإصلاح الديني بكتاباته ومقالاته، ومواعظه، وأهم صحيفة لقت انتباهه هي (الشهاب) التي وافقت مشربه وفكـــره الإصلاحي، فراح ينشر فيها المقالات الطويلة، والأبحاث المستفيضة ويهاجم فيها الطرقيين وأهل البدع والأهواء، وكانت له معارك ضارية مع المنتسبين للتصوف وأهل الطرق الذين أفسدوا الدين وشوهوا جماله .

وقـــد اتضح للباحث من خلال تصفح أكثر مقالات الزواوي أنه من الإصلاحيين الخُلَّص الذين لم يعـــتريهم في مـــنهجهم الإصلاحي التذبذب، وإنما كان متأثرا ومدافعا عن بعض مشايخ الطرقية ومساهما بمقالاته بإحدى جرائدهم "ووصفهم بأنهم علماء"ورغم هذه الأخطاء التي وقع فيها الزواوي فإنه دافع عن نفسه وحاول أن يبرء نفسه، وأن يدافع عن بعض ما وقع فيه .

1- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج.2، ط.1، مطبعة البعث 1976، ص. 37.

2- ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان 1980، ص.164 .

3 - أسسها محمد كرد علي في دمشق سنة 1908.

4 - أسسها عبد القادر المغربي بطرابلس الشام سنة 1891.

و لا يسـعنا أن نقول : "وله سيئات مغمورة في بحر حسناته "[1] وهاهو الزواوي يبرئ نفسه بقوله:" إنـي أعلنت عن نفسي إنني سلفي، وأعلنت أنني تبرأت مما يخالف الكتاب والسنة ورجعت عن كل قولة قلـتها لم يقـلها السلف الصالح ...ولعنت الباطنية وسمع ذلك مني الخاص والعام، فاتضح مذهبي وديني، وكذلك أعلن أني إصلاحي كاتب على قدر معرفتي اجتماعي عمراني سياسي ..."[2].

ورغـم هـذا فإن الزواوي ظل ينشر مقالاته (بالشهاب) لفترة طويلة، داعيا إلى الإصلاح الديني والاجـتماعي مدافعا عن الإسلام الصحيح والعقيدة السليمة، خطيبا "بمسجد سيدي رمضان " بالعاصمة وله آثار كثيرة مطبوعة وغير مطبوعة[3].

و- **محمد السعيد الزاهري** : (1899-1956) .

يعـد الزاهري أيضا من رواد (الشهاب) وكتابها الذين استمروا في إمدادها بالمقالات والأبحاث، وقـد عرف الزاهري بأسلوب حاد هاجم الطرقية خصومه الأوائل بعنف وبطريقة فيها الكثير من التهكم والسـخرية، ويـبدو – حسب محمد ناصر – أن الزاهري كانت له عناية خاصة بالمهاترات الشخصية [4]، وكان رجال الإصلاح يحسبونه هو القوة الفعالة في الحركة الناهضة إلى التجديد والإصلاح، وكانت أغلب مقالاته في (الشهاب) ضد الطرقية التي اعتبرها أكبر قوة أفسدت الأمة وصيرتها في حالة اجتماعية يرثى لها. وفي هـذا الشـأن يقـول: " ولقد كان يهون أمر هؤلاء الدجاجلة لو أنهم لم يفسدوا على الأمة حالتها الاجتماعية، و لم يعكروا صفو هذا الجو على المسلمين، ولكنهم وصلوا بالناس إلى حالة لم يستطيع أن يصبر معها أهل العلم والدين ..."[5].

1- أصـل هذه الكلمة قالها الذهبي في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي قال: "و له حسنات مغمورة في بحر دنو به "الذهبي، سير أعلام النبلاء ج.4،ط.1 مؤسسة الرسالة 1401ه- 1981، ص. 343.

2- أبو يعلى الزواوي،" شيوخ الطرق ليسوا بعلماء "، الشهاب، العدد 90، 27 رمضان 1345ه، الموافق ل: 31مارس1927 ،ص. 12.

3- ينظر عن آثاره: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج .2،ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص. 390 .

4- محمد ناصر، مرجع سابق، ص.85 .

5- محمد السعيد الزاهري، " الخرافات والتعصب الأعمى، " البرق، عدد 22، 10صفر1346 الموافق ل: 18أوت 1927.

و نظرا لأسلوبه الرفيع وتكوينه العلمي القوي، وتأثيره الكبير في المجتمع وحربه المستمرة ضد الطرقية، وبخاصة العليويين، فقد آثار هؤلاء حول هذا الفتى غوغاء لاغبة، ولغطا صاخبا، ليستثيروا غضب الأمة عليه، وبقدر ما اشتد عليه خصومه الخرافيون، كان له أنصار يعاضدونه ويؤازرونه من المؤمنين الوطنيين الأحرار[1].

و كان الزاهري أديبا بارعا، قبل أن يكون مصلحا من رواد الإصلاح، لكن أحواله تدهورت واضطربت سيرته فيما بعد، وصار من أعداء الإصلاح، كما اضطربت سيرته السياسية إبان قيام الثورة التحريرية، فتلوثت سمعته الوطنية، فاضطرت الثورة إلى أن تضع حدا لحياته.[2]

ز- أحمد توفيق المدني : (1899-1983)

وهو من الكتاب الذين ملؤا الصحف العربية، والمجلات الثقافية بمقالاتهم وأبحاثهم التاريخية والسياسية، وهو أحد المؤرخين الجزائريين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في الجزائر خلال فترة عسيرة من تاريخ الجزائر المعاصر،[3] و كانت (الشهاب) قبلته، فكان المحرر السياسي لها باعتباره من رجال السياسة الذين تربوا في أحضان الحزب الدستوري التونسي[4]، ولقد صال المدني وجال في الشهاب صولات وجولات عميقة. يقول :" ولقد صلت صولات عميقة وجولات عريقة ما يزيد عن العشرة أعوام، منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهري، وما كنت أكتب إخباريا وإنما كنت أكتب توجيهيا، فما ذكرت من قضية من قضايا العالم، وما أشدت بكفاح شعب يحاول فك الأغلال وكسر القيود، إلا كنت أفكر في الجزائر " .إضافة إلى السياسة الخارجية فقد كان المدني يكتب في قضايا المجتمع الجزائري السياسية فيقول : " أما في السياسة الداخلية فكنت أكثر الناس صراحة وأشدهم جرأة، وأقدرهم على محاربة الظالمين والخائنين، والمفسدين "[5].

1- ينظر عما لاقاه من العليويين من بلاء وخاصة في الأغواط،وعن سبب خروجه منها : " ذووا الأقدار "،البرق، عدد 19، 19 محرم 1346، الموافق ل:12 جويلية 1927، ففيه مقال طويل كتبه جماعة من أولياء التلاميذ يفندون ما ادّعاه بعض الطرقيون .

2- ينظر عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي (1931-1954)، د. م. ج، الجزائر 1983،ص. 510،511.

3- المرجع نفسه، ص. 489.

4 - فاطمة تازير وفضيلة تكور،" أحمد توفيق المدني (1889-1983)"، التاريخ، عدد 18، النصف الأول من سنة 1985، الجزائر 1985، ص..7

5- أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص. 275،276.

و تعتـــبر (الشهاب) سجلا تاريخيا لما احتوته من أخبار وأحداث سياسية كان المدني ينقلها مباشرة لقراء(الشهاب) ويعطي العبرة بدول شبيهة بحالة الجزائر آنذاك، وكان يتألم ويلتهب حماسة ويحلم بالثورة والانتقام من الأعداء، ويصبوا إلى تحرير العباد والبلاد من عبودية الاستعمار.[1]

و لم يتأخر في الكتابة في (الشهاب) في هذا الركن حتى نهاية وتوقف (الشهاب) عن الصدور قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية[2].

حـــ- محمد العاصمي : (1888-1951)

لم تظهر هذه الشخصية الفذة إلا بعد أن صار (الشهاب) يصدر كمجلة شهرية، حيث ظهر هذا العـــالم في الساحة الصحفية وعلى أعمدة الصحافة الإصلاحية، وبخاصة (الشهاب)، التي ملئها بالمقالات الطويـــلة والأبحـــاث العـــلمية العالية، وكان شيخا عالما وأديبا واسع الإطلاع، سخر جل حياته في إلقاء الـــدروس والمواعظ، والكتابة في الصحف مدافعا عن الأمة الجزائرية، يقول المدني :" وكان مجاهدا بقلمه وبدروسه في سبيل الأمة والعروبة والإسلام "[3].

وان المتصفح لأعداد مجلة (الشهاب) ليجدها طافحة بالمقالات الاجتماعية التي كان للعاصمي الحظ الكـــبير مـــنها، وإن أغلب مقالاته – حسب مطالعتنا إياها – تدور حول القضايا الاجتماعية وما يخص المجـــتمع الجزائـــري من جميع النواحي، وقد ساعده في ذلك لغته الأدبية الراقية في معالجة وتشخيص أدواء المجتمع الجزائري ومحاولة إعطاء بعض الحلول والسبل للخروج منها .

و كانت أغلب مقالاته ممضاة باسم مستعار كثيرا ما تردد في الشهاب وهي " كاتب كبير "، ونلاحظ في كتابات العاصمي أنه يغلب عليها الأسلوب الأدبي، أضف إلى ذلك أنه لم تكن لديه اهتماما كبيرا بقضايا الإصلاح الديني، ونعني بذلك أنه لم يبدي موقفا صريحا تجاه التيار الطرقي، وإنما كان يتناول بعض أمراض المجتمع المتعلقة بالجانب الديني إجمالا، وفي تقديرنا أن العاصمي كان يرى أن الإصلاح

1- محمد بلقرد، " الأستاذ الشيخ أحمد توفيق المدني (1889-1983) لمحات من حياته وأعماله، " التاريخ، المجلة نفسها ص. 77.

2 - وحسب محمد الطاهر فضلاء : فإن توفيق المدني لم تكن له مساهمة قط في الكتابة في الشهاب الأسبوعي، وليس له ولو كلمة واحـــدة لا في الـــركن السياسي ولا حتى في صفحة الإعلانات، وفي رأينا أن المدني قد كتب في الشهاب الأسبوعي بعض المقالات القصـــيرة في السياسة خاصة الخارجية منها، وكان يمضي باسم مستعار وهو (المنصور) وفي اعتقادنا أن هذا الإمضاء هو الذي جعل (فضـــلاء) يعتقد أن المدني لم يكتب في الشهاب الأسبوعي. ينظر: محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ط.1، دار البعث، الجزائر 1982، ص. 49،51 .

3- أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص. 94.

الاجتماعي أوسع وأشمل من الإصلاح الديني وأن صلاح المجتمع يتضمن صلاح معتقد الناس ودينهم وما يتعلق به من الخرافات والبدع وفساد في الأخلاق والسلوك .

ط- الطرابلسي (محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي 1887-1948)

وهـــو أحد أعمدة الإصلاح الديني في الجزائر، وأحد الكتاب المشهورين الذين أثروا الشهاب منذ صـــدورها بالمقالات والأفكار الإصلاحية، والطرابلسي لا يختلف كثيرا عن الكتاب السابقين أمثال الميلي والعقـــبي، فقـــد سخر أكثر وقته في محاربة الطرقية وكشف الكثير من ضلالهم وفساد اعتقادهم وكان من الذابـــين عـــن الإسلام المدافعين عنه، ويمتاز أسلوبه بالحرارة والشدة وبالخصوص إذا كان في معرض بيان ضـــلال الطرقيين وما ابتدعوه في الدين، وقد نوع الطرابلسي في كتاباته بالشهاب بين النثر والشعر، وكان مـــن المعجـــبين إعجابا كبيرا (بالشهاب) وبما تنشره من مقالات وأبحاث بين أعمدتها، وقد اتضح لنا أن الطرابلســـي قـــد أولى اهتماما بالغا بقضايا الإصلاح الديني والاجتماعي، وكتب مقالات كثيرة ومتنوعة، ولعـــل تكويـــنه العلمي الرفيع وتأثره بكتابات العقبي والميلي وابن باديس هو الذي جعله يخوض معهم في محاربة الأوضاع الفاسدة والاخرافات العقدية التي مست عقيدة الناس وسلوكا تهم " كما شارك بقلمه في الصحف العربية شعرا ونثرا وهو عضوا بارزا في جمعية العلماء "[1] .

ك – المولود الحافظي الأزهري (1895-1948) .

يعد الحافظي من أشهر كتاب (الشهاب) وأكثرهم كتابة في الشهاب الأولى (جريدة)، حيث بدأ نشاطه الصحفي منذ أن بزغت الشهاب إلى الوجود،فصار يمدها بالمقالات الطويلة المتسلسلة. والحافظى لم يكتف بالكتابة في الإصلاح الديني فحسب، بل تعداه إلى الكتابة في قضايا المجتمع بصفة عامة، ومما امتاز به الحافظي عن غيره طول مقالاته وتتابعها، وقد أثرى الشهاب بمقالات كثيرة ومتنوعة مابين القضايا الدينية والقضـــايا الاجـــتماعية، وكـــانت بيـــنه وبين الميلي مهاترات كلامية، ومناقشات طويلة على صفحات (الشهاب)، أهمها قضية (الشحوم)[2]، وبعض القضايا الدينية الأخرى التي أخذت طريق المباحثة والمناظرة،

1- محمـــد ناصـــر، الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصها الفنية (1925-1975)، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985ص. 680

2- أعظـــم مسألة دينية فقهية جرت حولها المناظرات والمناقشات، هي مسألة الشحوم الأوروبية، حيث وقعت معركة قلميه في هذه القضـــية وانقســـم الـــناس إلى فريقين فمن مانع لها، ومن مبيح لها، وتعددت المقالات (في الشهاب) بخصوص هذه المسألة الفقهية، وطـــالت النقاشـــات في منبر مجلس المناظرة، وليتها هذه القضية تناولتها الشهاب فحسب بل مختلف الصحف الإصلاحية الأخرى وأخـــص بالذكر جريدة (وادي ميزاب)، وفي العدد 103 من (الشهاب) خلاصة الكلام في هذه المسألة، وفيها بيان وجه الحق فيها وكاتب هذا المقال مبارك الميلي، فليراجع .

وأهـــم قضـــية كتب فيها الحافظي أيضا وملأ بها أعمدة (الشهاب) قضية " التعليم " التي خصص لها جزء كبيرا من وقته، ونشرها في (الشهاب) في شكل حلقات تجاوزت التسعة عشر حلقة.[1] .

كمـــا كـــتب الحـــافظي في مختلف القضايا الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري، ويعرف الحـــافظي في كـــتاباته بتحليلاته العميقة واستنتاجاته واستنباطاته الرفيعة التي قلما نجد لها ما يماثلها، وكان الحـــافظي مـــن أنصار الحزب الإصلاحي ومن أعلام الإصلاح الذين نادو بالإصلاح الديني، وكان عضوا بارزا في جمعية العلماء أثناء تأسيسها، و لم يبق الحال على هذا بل ما لبث أن أسس جمعية علماء السنة عام 1932، وانضم إلى التيار الطرقي وأصبح من خصوم الإصلاح والمناهض لمشروعهم الإصلاحي[2].

والملاحـــظ أن هـــناك كثيرا من كتاب الشهاب لم نأت على ذكر أسمائهم، وذلك أنهم لم يكونوا يكتـــبون باستمرار، و لم يكونوا ذوي شأن خطير على النهضة الفكرية والأدبية في الجزائر، وغالبا ما كانوا يكتبون من دون إمضاء لمقالاتهم إما خوفا وإما تواضعا، والأول أرجح.

ونجد في أمر الشعر ما لا نجده في أمر النثر، فقد لاحظنا أن أغلب القصائد الشعرية في (الشهاب) معـــزوة إلى أصـــحابها دائما، وموقعة بإمضاء أصحابها باسمهم الحقيقي، وكان أبرز وأشهر الشعراء الذين كانوا يمدون (الشهاب) بإنتاجهم الشعري، محمد العيد، ومحمد الهادي السنوسي، والزاهري[3] وأبا اليقظان في طـــليعة الشـــعراء الذين كانوا ينشرون أشعارهم في الشهاب، وكانت مواضيع قصائد هؤلاء تتناول في معظمهـــا الأحداث الهامة التي كانت تتخلل الجزائر أو أحد أقطار الوطن العربي[4] إضافة إلى قصائد شعراء آخرين من المشرق وحتى من المغرب التي كانت تنقلها (الشهاب) .

8- موقف الإدارة الاستعمارية من الشهاب :

لاشك أن الإدارة الفرنسية لم تكن غافلة عن النهضة الصحفية القائمة في الجزائر آنذاك، و لم تكن بعيدة عن القضايا التي كانت الصحافة الوطنية والإصلاحية خصوصا تعالجها، بل كانت دائمة المراقبة لهذا النشاط الصحفي الذي تفطنت الإدارة لخطره، وراحت تصدر القوانين والمراسيم الوزارية لتعطيل الصحف والمجـــلات عن الصدور، ولا أدل من السقوط المتتابع لكثير من الصحف الوطنية قبل الحرب العالمية الأول وبعدهـــا .وكـــانت أول جريدة إصلاحية سقطت في ميدان الشرف بعد الحرب هي جريدة (المنتقد) سنة 1925 التي لم يصدر منها سوى 18عددا .

1- ينظر أول حلقة: الحافظي، " صوت العلم يناديكم فهل من مجيب، " الشهاب، العدد 32، ذو الحجة1344، 24حوان 1926.

2- عن جمعية علماء السنة، ينظر الفصل الثاني .

3- ينظر تراجم هؤلاء في الملحق رقم 8.

4- ينظر : عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر، ص.106،105 .

كمـــا كانت الإدارة الاستعمارية تتبع حركة الصحف واتجاهاتها والوقوف على منطلقاتها ومحاولة الكشف عن أهدافها وغاياتها، ونقصد بهذا أن بعض تقارير الولاية العامة كانت تتضمن ترجمات لكثير من الصـــحف الوطنية الجزائرية، وكانت هيئة خاصة تشرف على هذا العمل، وغالبا ما كانت الترجمة سببا في تعطيل الصحف ومصادرتها إما عن قصد وذلك لخطورة هذه الصحيفة على الرأي العام -في نظر الفرنسيين – وإما بسبب الترجمة الخاطئة لبعض المقالات والعبارات والتي غالبا ما تكون هذه الترجمة تحريف وتزييف لـــلحقائق أو لضعف المترجم ذاته[1].و قد أشار ابن باديس نفسه إلى موضوع الترجمة فقال عن الشهاب:" وتتولاه أقلام للترجمة عديدة، أعلاها قلم الأستاذ (ماسينيون) في وزارة الداخلية، وقد اشترك فيه (م.سارو) لمـــا أنيطت به إدارة إفريقيا الشمالية"[2]. وإذا كانت (الشهاب) تتعرض كأخواتها من الصحف الوطنية إلى الترجمة ومحاولة الإطلاع على ما تنشره على صفحاتها، فما هو موقف الإدارة منها ومما تنشره ؟ وإذا كان للإدارة موقف خاص نحو الشهاب فما هي الإجراءات التي اتخذت ضدها؟ رغم أنها لم تعطل طيلة 15 سنة فما هو السر في ذلك ؟

مـــن المؤكـــد أن إدارة الاحتلال كانت تتعامل مع الشهاب كباقي الصحف الوطنية الأخرى من ناحيـــة المراقـــبة وتتبع المواضيع التي كانت على صفحات الشهاب، ولعل الباحث يتساءل عن سبب عدم تعطيل الشهاب مادامت امتداد للمنتقد وعلى خطته سارت؟

إن المتتـــبع لمجموعـــة (الشهاب) في بدايتها والمتصفح لمبادئها وشعاراتها وغاياتها، والأسلوب الذي كـــانت تكتب به ليجد أن ابن باديس قد اصطنع في تحريرها نوع من المرونة السياسية، فكان يلين القول، ويخفـــف الـــلهجة مع السلطات الحاكمة في فرنسا ولا يتعرض لها بالنقد الذي يسيء إليها بينما في المقابل نجده يحمل حملة عنيفة ضد المستشرقين والطرقيين وأذنابهم من ضعاف العقول، ولهذا لا نستغرب إذا وجدنا بـــين صـــفحات (الشـــهاب) بعـــض المواقف والآراء التي قد لا يستسيغها الفرد ويأولها تأويلا لا يليق (بالشـــهاب) ويحمِّـــلها ما لا تحتمل، وإنما هذه المواقف يصح أن نقول أنها مجاملة وخدعة سياسية لا غير، وتماشيا مع الظروف السياسية التي تحيط بها.

و رغـــم هـــذا فـــلقد عان (الشهاب) ما عان في سبيل تبليغ رسالته ولقي ما لقي من طرف الإدارة الاســـتعمارية مـــن مضايقات وتعسفات، ويشير ابن باديس إلى هذه المعاناة بقوله " عان (الشهاب) من الإدارة بســـبب صراحته وجراءته ما عانى، ولكنه صبر حتى ألفت الإدارة تلك الصراحة وتلك الجرأة، وقد

---

1 - ينظر مثلا عن سبب تعطيل جريدة "الجزائر" للزاهري، في مبحث " تطور الصحافة بعد الحرب " .

2 - ابن باديس، " فاتحة السنة الربعة عشر، " الشهاب، ج.1 .م.14، محرم 1357الموافق ل: مارس 1938، ص. 3،4.

عرَّفـــتها الأيام أن صراحة (الشهاب) صراحة الحق والصدق وأن لا غرض وراءها إلا خدمة الصالح العام ..."[1].

و قـــد فكرت الإدارة الاستعمارية في تعطيل (الشهاب)، وذلك حين قدم نائب الحاكم العام الإداري لقسنطينة والموظف بمركز الإعلام والدراسات بقسنطينة اقتراحا بتعطيل (الشهاب) و(البصائر)، وحل جمعية العـــلماء، وقد وعد والي قسنطينة في رسالة بعثها إلى الحاكم العام بدراسة هذا الاقتراح والنظر فيه بتمعن شـــديد قبل أن يصدر أي حكم ضدها، وأشار هذا الأخير إلى أن قانون الصحافة[2]، يسمح بمنع الصحف والنشـــرات والدوريـــات التي تصدر بلغة أجنبية وإيقافها، ويضيف والي قسنطينة أنه ليس هناك أي مبرر قانوني لهذا التعطيل سوى مقالين ظهرا في (الشهاب)، ولكنهما يعبران عن أفكار عامة ولا يقصدان الجزائر بصفة خاصة [3].

و مـــا دام أن محـــرري (الشـــهاب) كـــانوا من العلماء الذين كانوا يمثلون الحركة الإصلاحية ومن الأشـــخاص البارزين والمعروفين بخطورتهم على الإدارة الاستعمارية، خاصة وأن أبرز الكتاب الذين كانوا يحررون مقالات (الشهاب) كانوا ضمن جمعية العلماء المسلمين، فإن الإدارة الاستعمارية لم تكن تفرق بين (الشهاب) وصحف الجمعية، وعليه فإنها عملت على مراقبة مقالاتها حتى تتمكن من تحديد اتجاهاتها، وهذا رغـــم عـــلمها بأن (الشهاب) ليست حال جمعية العلماء، فقد ذكرت إحدى الدراسات أنه من الممكن الـــتعرف عـــلى اتجاه (الشهاب) من مقال ابن باديس الذي نشره في سنة 1936 [4] الذي رد فيه على دعاة الاندمـــاج الذي كتب أن الجزائر لا يسعها إلا أن تكون فرنسية وأن الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتـــبار نفسها أمة فرنسية بحتة، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنســـا، بل وصل الأمر إلى إنكار القومية الجزائرية، وأن لا أثر لها في التاريخ[5]، ولقد كان رد ابن باديس عـــلى هذا المدعي سريعا، وفي أقرب الآجال وكأنه طبق القاعدة الشرعية المعروفة من أنه "لا يجوز تأخير الـــبيان عن وقت الحاجة "، فكان الرد مفحما وقويا يقول ابن باديس: " إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الراهنة (الحاضرة) فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت

1- ابن باديس، المصدر نفسه، ص. 3.

2- قانون الصحافة الصادر في صفر 1319 هـــ، 22 (يوليو 1895).

3- يـــنظر : مازن صلاح حامد مطبقا ني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)، ط.1. دار القلم، دمشق، 1408 هـــ - 1988 م،ص. 126. ينظر :

- Préfecture de Constantine à monsieur le Gouverneur générale de l'Algérie N° 3.327. Action des ouléma dans le département de Constantine , le 8 (juillet 1997).

4- مازن صلاح حامد، مرجع سابق، ص. 126.

5- ابن باديس، "كلمة صريحة،" الشهاب ،محرم 1355 هـــ الموافق ل: أبريل 1936، ص. 42، 43.

كـــل أمـــم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال" ويمضي ابن باديس قائلا " وإن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ..."[1] .

كما تشير إحدى الوثائق الفرنسية[2] في محاولة منها لتحديد خط سير الشهاب بقولها: " إنها تدعو إلى الوحدة العربية، وذلك في مقال نشر في ماي 1936" [3]

و تشـــير الوثيقة ذاتها إلى مقال آخر تصفه بأنه عنيف وخطير، وهو قول ابن باديس " الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنفعة والحضارة، ولسنا من الذيـــن يدعون علم الغيب مع الله ويقولون إن حالة الجزائر ستدوم إلى الأبد ... ويمضي قائلا " وليس من العســـير بـــل إنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية والفرنسية خاصة وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك إنكلترا مع استراليا وكندا "[4] .

و هكـــذا فـــإن الإدارة الاستعمارية كانت تقف عند كل مقال من شأنه يشكل خطرا على السياسة الاستعمارية في الجزائر، وتحلله تحليلا يكشف عن أهداف (الشهاب) وخطته، ورغم هذه الصراحة والجرأة الـــتي كـــانت تتميز بها (الشهاب) ورغم ما لاقت من طرف الإدارة، فإنها صبرت وصابرت على الأذى وبقيـــت طوال 15 سنة تغذي الفكر الجزائري بكتابات أعلام الإصلاح وحاملو رايته، ويمكن أن نلاحظ أيضـــا أن استمرار (الشهاب)، وبقائها على قيد الحياة - وحسب محمد ناصر - راجع إلى نفوذ شقيق ابن بـــاديس لدى الدوائر الحكومية حماية لها من التعطيل[5]، حتى توقفت من تلقاء نفسها عشية اندلاع الحرب العالميـــة الـــثانية حتى لا تضطر إلى كتابة ما يتنافى مع مبادئها وخطتها. الشيء الذي أدى بابن باديس إلى توقيفها عن الصدور.

1- ينظر : الرد الكامل في المصدر نفسه، ص- ص. 42-44 .

2- مازن صلاح حامد،المرجع نفسه، ص 127 نقلا عن وثيقة فرنسية بعنوان :

- Gouverment général de l'Algérie , les courants d'opinion de l'islam Algérienne (No Dat) (10 H 89).

3- الفتى الزواوي، "العروبة،" الشهاب، ج. 2، م. 12، صفر 1355 هـــ - ماي 1936.

4 - ابن باديس، "حول كلمتنا صريحة"، ربيع الأول 1355 هـــ - يونيو 1936 أشارت إلى هذه الاقتباسات الوثيقة الفرنسية.

5- محمد ناصر، مرجع سابق، ص .15 .

الخلاصة:

ويمكـــن القـــول أن الانطلاقة الفعلية للحركة الإصلاحية الجزائرية يبدأ من ظهور الصحافة العربية الجزائرية، والذي تمثل أساسا في الصحف الإصلاحية الذي قام بإنشائها مجموعة من الشباب المتنور خريج المدارس والمعاهد الإسلامية.

وقـــد كـــانت الشـــهاب إحدى هذه الصحف التي ساهمت بقدر كبير في دفع النشاط الإصلاحي والمساهمة فيه، فهي تعتبر من الصحف التي شاركت في تكوين نهضة تربوية إصلاحية متأصلة عميقة الجذور في الجزائـــر ضـــاهت بذلـــك الحركات الإصلاحية التي قامت في العالم الإسلامي، فهي بهذا الاعتبار من الصـــحف والمجـــلات الكبرى في العالم الإسلامي بما احتوته من ثروة أدبية وفكرية، وقيمة علمية وتاريخية ظـــلت تعمـــل طيـــلة فترة من أعقد الفترات في تاريخ الجزائر المعاصرة رغم العراقيل الإدارية والمضايقات الاستعمارية والمشاكل التي كانت تعانيها كرصيفاتها من الصحف الأخرى.

وهي من حيث الإخراج الفني والشكلي تعتبر مجلة رائقة ظلت في تطور مستمر من جريدة أسبوعية إلى مجلة شهرية محكمة يشرف عليها نخبة من العلماء والمصلحين بكتاباتهم الراقية وأبحاثهم العالية مما جعلها تحـــتل الريادة ضمن أكبر المجلات الإصلاحية في العالم الإسلامي آنذاك، بل اعتبرت ثالث مجلة إسلامية بعد العروة الوثقى والمنار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد نظر العلماء المصلحون إلى المجتمع الجزائري نظرة طبيب خبير بمكمن الداء، فوجدوا أن الأمة في انحطاط ديني ما عليه من مزيد: عقائد فاسدة، دعاوى باطلة، عوائد ممقوتة، طرق مختلفة، تشريعات جديدة، بلايا شتى، ووقفوا وقفة المتأمل المتفحص لما سرى في هذه الأمة من الأمراض الفتاكة، والجراثيم المعدية، وكانت نتيجة البحث أن تعددت الأدواء وتنوعت الأمراض في جسم الأمة، وأدركوا وجوب الإسراع بمعالجة هذا الجسم قبل أن يقضى عليه نهائيا ويصير إلى الموت أقرب منه إلى الحياة؛ ذلك هو المجتمع الجزائري الذي أصبح يعيش في فترة من أسوء فترات حياته، وصار مجمعا لكل نقيصة، أنموذجا للبطالة ومثالا للفقر، عنوانا للجهل، أو بالأحرى أ ضحت الجزائر مضربا للأمثال بكل نقيصة.

لندع بعض كتاب (الشهاب) يصف لنا حالة الجزائر الدينية وصف خبير عالم بدقائق الأمور وحقائق العمران: "إن أمتنا اليوم لفي جهل كبير، وخطأ كثير شاب عليه الصغير وهرم عليه الكبير، جهل بأصول الذين وقواعده، وجهل بمقتضياته ومقاصده،جهل بشؤون النبي صل الله عليه وسلم وسنته القولية والعملية الصحيحة، جهل بأئمتنا – رضي الله عنهم –، فلهذا وصل بنا الحال إلى ما نرى، هوى متبع، وشُحٌ مطاع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وعاد الدّين غريبا كما بدأ غريبا، محدِّقا بجيوش الفتك والردى، فمن طوائف إلحادية تريد تغييره وتحويله إلى طوائف تبشيرية تزيد تمويله وإزعاجه إلى علماء سوء وجمود شادين وثاقه وتكبيله"[1].

لقد شعر الجزائريون بالبلايا التي لحقتهم في دينهم، وفي مقدمة هذه المصائب تلك الجيوش المضادة التي عملت على تقويض صرح الإسلام وهدم بنيانه، من سيف الجور والطغيان إلى بلاء الطرائق والفرق، وما ذلك إلا لمخالفة أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم وبعدهم عن دينهم، فالسواد الأعظم من الأمة الجزائرية قد ابتلي بتقاليد فاسدة وعوائد ممقوتة كلها ضد الشريعة، وضربة قاصمة على أحكامها، والخاصة من الناس قد أصيبوا ببعض هذه العوائد، وبحب الرياسة والتظاهر اللذين تمنعانها من الوقوف عند حدود الأحكام الشرعية والخضوع لها والرجوع إليها وتحكيمها في حوادثهم وكما قيل: " آفة العلماء حب الرياسة، وآفة الزعماء ضعف السياسة"[2]، تلك هي الحالة الدينية التي آلت إليها الجزائر، وأضحت تتخبط في ظلمات الجهل، وهذا إنما للفراغ الروحي والديني الذي كان يعمُّ القطر الجزائري، وعدم وجود من يقوم بالإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم جاءت فترة العشرينات أين ظهرت مجموعة من الشباب

1- عمر بن البسكري، " الأمراض الفاشية في الإسلام، " الشهاب ،ج.1، م.10، رمضان 1355هـ الموافق لـ: جانفي 1934، ص.317 .

2 – المولود الحافظي،" العوائد الممقوتة والأحكام الشرعية"، الشهاب، ج.4، م.6، ذي الحجة 1348 هـ الموافق لـ: ماي 1930 ص. 519 .

الفصل الثاني

قضايا الإصلاح الديني

- تمهيد

1 – تطهير العقائد

2 – موقف الشهاب من الطرقية

- محاربة الانحرافات الطرقية
- موقفها من الطريقة العليوية
- موقفها من الطريقة التيجانية
- الصحافة الطرقية والشهاب

3 – البدع والمنكرات

4 – موقف الشهاب من بعض العوائد الممقوتة

- بعض الأنكحة الفاسدة وعادة الناس فيها
- الجمود والتقليد
- الخلاف والاختلاف

5 – دعوة الشهاب للرجوع إلى مذهب السلف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الناهض تحمل راية الإصلاح الديني والاجتماعي، وكانت (الشهاب) مركزا لتجمع هؤلاء الشباب الأحرار يقودهم ابن باديس .

وبما أن حزب الإصلاح الديني ليست له غاية شخصية ينشدها ويترامى من ورائها، إنما غايته وهمه في هذا المشروع الشاق، المحافظة على الدِّين محافظة ترضي صاحب هذه الملة وتحدو حدو السلف الصالح [1].

لقد بدأ حزب الإصلاح الديني بتشخيص أدواء المجتمع الجزائري وتحديد مكمن الداء، وكانت أغلب مقالات (الشهاب) تصب في هذا المجال، فهذا ابن باديس قد جعل افتتاحيات أعداد (الشهاب) (كمجلة) بتفسير بعض الآيات والأحاديث الدالة على الإصلاح الديني، وأهم مظاهر الانحرافات التي أهلكت المجتمع، وتكييفها مع هذا الوضع المزري وإسقاطها بما يناسب وتلك الانحرافات الفاسدة[2] .

وأما القضايا التي عالجتها (الشهاب) فكانت تدور في الجوانب العقدية، وتطهير العقائد من الفساد والانحراف، وفي جانب الأخلاق والسلوك وتربية النشء تربية تتماشى والأخلاق الفاضلة، وفي جانب الفقه والأحكام، الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد والجمود وأسباب الفرقة والخلاف، ومن جانب آخر شغلت قضايا الطرائق، وانحرافات الطرقية والطرق الصوفية وداء البدع والمنكرات أكبر قدر في (الشهاب) واهتمام المصلحين، وهذا ما صرحت به (الشهاب) أن ما أسست له هو الإصلاح الديني، وجعلت شعارها ومبدؤها في هذا :" لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وفي هذا الفصل سنعرض أهم قضايا الإصلاح الديني التي كانت محل اهتمام (الشهاب)، والتي جعلتها في أولى الأولويات، بدءا بالدعوة إلى تطهير العقائد، ثم الكلام على موقفها من الطرقية وانحرافاتها، ثم البدع والمنكرات التي كانت تنتشل جسم الأمة، ثم نختم الفصل بالحديث عن بعض مظاهر الانحراف الديني من جمود وتقليد وأسبابه وبعض العوائد الممقوتة. ثم نأتي بدعوة (الشهاب) بالتمسك والرجوع إلى مذهب السلف الصالح وخطر مخالفته .

1- تطهير العقائد :

يقول (مبارك الميلي):"إن قيمة البحث في العقائد وتطهيرها أول مهم"[3]؛ ذلك أن أي إصلاح لا يأتي من هذه الناحية فهو مضيعة للجهود والأموال، وقد برَّر الميلي قوله هذا بأدلة عقلية وأخرى نقلية مستوحاة من الواقع المعاش آنذاك والحالة المزرية التي آل إليها الإسلام عقيدة وشريعة جراء العوائد الممقوتة والبدع

1- العربي التبسي، " بدعة الطرائق"، الشهاب، عدد 116، 20 ربيع الثاني 1347 هـ الموافق لـ 04 اكتوبر 1928، ص.4.

2 -ينظر: عبد الرحيم صالحي، منهجية التفسير عند ابن باديس، ماجستير، جامعة الجزائر1991-1992، ص- ص. 148 – 174.
وكذلك: ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، " عبد الحميد المفسر "، الرسالة، العدد، 2 - 3، جمادي الأولى والثانية 1400هـ الموافق لـ: أفريل – ماي 1980، ص. 4، 5 .

3- مبارك الميلي، " تطهير العقائد أول مهم، " الشهاب، عدد 110، 19 صفر 1346 هـ الموافق لـ: 18 أوت 1927م، ص.6.

المحدثة فيه التي ألصقت به وألبسته لباسا شنيعا غيرت من حقيقته وجعلته في صورة مخيفة مبنية على الأوهام والخيالات، فضلا عن الخرافات والأباطيل التي حيَّرت العقلاء من الناس وجعلتهم يتيهون مع التائهين في غيابات الجهل والضلال. بل وأردتهم أسارى في أيدي شيوخ الطرق الذين نصبوا أنفسهم في مقامات عليا وادعوا أشياء تأباها العقول السليمة والنقول الصحيحة الصريحة، وأتوا بما لم يأت به الأوائل من القرون السالفة المفضلة " لأن الإنسان فيما يلفظ به من قول وما يأتيه من عمل وما يتصف به من خلق، مبني على قلبه وممثل في مظهره الخارجي كما ينطوي عليه ذلك القلب من عقائد حق أو باطل هدى أو ضلال صحة أو فسادا "،[1] وهذا بعض ما يعنيه الحديث الصحيح " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[2].

فالمجتمع الجزائري في هذه الفترة وقبلها غارق في أنواع الشرك القولي والفعلي، ومتشبع بالبدع المنكرة التي جعلته يهيم بين التقليد والبدع وبين الجهل والتعصب المقيت؛ فالتقليد والبدعة من الأسباب الرئيسة في الانحراف وفساد الاعتقاد والأخلاق والسلوك، والعلاقة بينهما حميمة، فلا نجد بدعة إلا ومرتكبها مقلد ولا نجد مقلدا إلا وهو غارق في البدعة، وأما التعصب فمبني على الجهل والعلاقة بينهما أيضا حميمة، فلا نجد متعصبا إلا والجهل بنوعيه (المركب والبسيط) شعاره والعكس صحيح .

ذلك أن المجتمع الجزائري قد ابتلي بكل هذه الصفات التي جعلته صريعا كالميت بين المغسل؛ إذ كثرت الشركيات وصرفت العبادة[3] لغير الله، وجاءت قاصمة ظهر العقيدة وهي الطرقية تجر البدع والشرك جرا، فأي إصلاح لا يكون إلاَّ بعد استئصال هذا الداء الذي يشكو ويئن منه المسلم الجزائري وهو (فساد العقيدة).

وإن المتأمل في أحوال المجتمع الجزائري وما بلغه من انحطاط اجتماعي واقتصادي وفساد أخلاقي وانحراف عقدي لم يبلغ إلى ما بلغ من السوء إلا بسبب مرض عقول الناس وفساد عقيدتهم، وما جلب ذلك عليهم من ويلات "فالأمر ليس أمر تعليم وإزالة أمية، وإنما هو أمر تصحيح عقائد وتطهيرها من الشرك والبدع"[4]، وعلى إثر هذه المظاهر راحت الشهاب تدعو إلى تصحيح عقيدة الناس من أدران الطرقية؛ إذ الطرقيون والدجالون هم علة فساد العقائد وتشويه صورة الإسلام، ولجهل بعض العلماء

---

1 - المصدر نفسه، ص. 6.

2 - البخاري (مع الفتح)، كتاب بدء الوحي، باب من استبرأ لدينه. رقم (52) ج.1 ص126 ومسلم. باب أخذ الحلال وترك الشبهات. رقم (1599). ج.3، ص.1219، 1220

3 - أجمع تعريف للعبادة ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة". ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج.2، (دط)، دار المعرفة بيروت، ص .361.

4- محمد أبو رية، " تطهير العقائد أساس الإصلاح، " الشهاب، ربيع الأول 1356 الموافق لـ: ماي 1937، ص- ص .139 - 141.

(القاعدين) بهذه الحقيقة لا يفهمون لماذا صرفت الحركة الإصلاحية إلى محاربة الدجل الطرقي جانبا عظيما من مجهودها، واعتبرت تطهير العقائد أساس الإصلاح في البلاد[1].

والملاحظ في المجتمع الجزائري آنذاك، يرى مظاهر مؤسفة من انحرافات عقدية وشركيات منتشرة يقول الميلي: " فكيف يخلص في عبادة ربه من يعتقد أنه لا يصلح هو لمناجاته، وأنه لابد له من واسطة تقربه إلى الله زلفى، وأن تلك الواسطة تضره وتنفعه، وتشقيه وتسعده، وتعطيه وتمنعه ...أم كيف تتهذب أخلاق من يعتقد أن كل ما هو عليه من عوائد فاسدة هو من الدِّين، ومن سنَّة المتقدمين، وأن من يريد إصلاح ذلك من الملحدين ...أم كيف تستقيم أعمال من يعتقد أن شيخه ينجيه من النيران، وأن الذكر الفلاني، والصلاة الفلانية (أو الطريقة كذا) إذا قاله مُحيت عنه جميع الأوزار وزُجَّ في زمرة الأخيار، وأن زيارة قبر شيخه (تعدل عبادة سبعين سنة) أو أن الطواف بقبره كالطواف بالبيت الحرام"[2].

وظهرت عقيدة القدر من جديد، وشربها أغلب الجزائريين من الجهلة والمتصوفة، واستسلموا لما ابتلوا به من استعمار صليبي، واعتبروا أن هذا الأمر مقدر فلا مجال للعمل وتقديم الأسباب لطرده إلا بالصبر، وأن الذي ابتلاهم بهذا هو الذي يرفعه عنهم، ولهذا صار المجتمع الجزائري مجتمعا (سكونيا Statique) جامدا وكأنه أصيب بشلل على مستوى الروح والفكر، وهذا ما جعله يتخبط خبط عشواء لا يدري ما يفعل بل ولا يفكر حتى في الفعل.

بل كيف يرجى لأي عمل من لا يشعر بما فيه من قوة الروح والعقل، وما زُوِّد به من آلات الإدراك والاستنباط، وأدوات السعي والعمل، وما مكن منه من أسباب سعادته في هذا الكون العظيم الذي هو سيده ومالكه ومديره بتسخير خالقه إياه له بترك هذا كله ويعتقد أن الأموات تتصرف له وأنها تدفع عنه كيد الظالمين وقوة الجبارين،[3] ووصل الاعتقاد إلى أوجّه، حيث صار البعض يعتقد أن هذه البلايا والرزايا التي أصابت الجزائريين هي من غضب الأموات، وأنها هي المسؤولة عن هذه البلايا، وهي التي جاءت بهذه الجيوش الجرارة إلى الجزائر .

أما الجانب المتعلق بالأمور الدنيوية وأسباب الحياة والعيش وتقديم الأسباب والسعي لتحصيل المنافع وسبل الخيرات، والتمتع بالدنيا ولذاتها، والعمل على الانتفاع بها؛ فإن هذا الاعتقاد عند شرذمة من الناس في المجتمع الجزائري آنذاك قد حُرِّف عن أصله وضُرب في عكسه، بل صار يعتقد "إن الدنيا لم يخلق لها الإنسان، و لم تُخلق له، وإنما خُلقت لغيره، وإنما هو ضيف راحل فلا فائدة له في عمارة هذه الدار"،[4] ولا

---

1 - ينظر: المصدر نفسه، ص.142 بتصرف.

2 - مبارك الميلي، مصدر سابق، ص. 7. ويشير الميلي إلى بعض عقائد الطريقة التيجانية. وستأتي قريبا .

3 - ينظر: مبارك الميلي، المصدر نفسه. ص.نفسها.

4 - مبارك الميلي، مصدر سابق، ص .7.

الانتفاع بها ولا الإقبال على أنواع الوسائل من الصناعات والأعمال التي تكون سببا في تطور الحياة وتقدمها وهذا مناقض للسنن الكونية والشرعية التي أرادها الله في خلقه وقرَّرها في شرعه، وهذا الاعتقاد هو اعتقاد الطرقية وأهل التصوف المتأخرين، الذين قلبوا الحقائق وحرَّفوا المفاهيم، وغلوا في كثير منها، بل وبدَّلوا أكثرها عن معانيها الأصلية، وخالفوا العقل والشرع، وتمرَّدوا عليه بحجج واهية، حتى أدى بهم هذا التحريف وقلب الحقائق وفساد الاعتقاد إلى اعتبار:"علوم العمران والأكوان التي خدمها أسلافنا أمس وترقت بها أوربا ورقّتها اليوم، هي علوم النصارى ومن يتعاطاها كافر."[1] .

هذه العقائد الفاسدة هي التي كان عليها أكثر الجزائريين من الجهلة وأرباب الطرق ومريدوها التي سيَّرت الجزائريين إلى خسران مبين،[2] وحينها تبجَّح وتسلَّط الاستعمار عليها وراح يروِّج هذه العقائد التي كانت إحدى الأسباب القوية في تثبيت قدم الاحتلال في الجزائر وأطالت من عمره في البلاد بسبب فساد العباد، حتى نال منها ما نال، واستفاد منها في تثبيت أركانه ومحاربة المصلحين وصد هجماتهم (أي الطرقية). فلا نعجب إذن من أن تجعل (الشهاب) تطهير العقائد أول مُهمٍّ وأنه لا إصلاح إلا بعد استئصال هذا الداء وهو فساد العقيدة وتطهيرها من دجل الطرقية التي سنخصص لها بحثا كاملا للكلام عنها وموقف الشهاب من انحرافاتها وأهم الطرق التي جنت (من الجناية) على عقيدة المسلمين الجزائريين، وعطلت من سير الإصلاح والمصلحين وعن أهم البدع المنكرات التي حاربتها (الشهاب) وجعلتها بداية لهجماتها انتصارا لدينها وعملا بمبدئها الديني الانتقادي.

2- موقف الشهاب من الطرقية :

تعددت الجيوش المضادة للإسلام وتنوعت وتباينت، وكلها متفقة على هدمه، وإن كان ظاهرها الدفاع عنه، فمن هؤلاء الجيوش ما يسمى"بالطرقية"[3] الذين انتحلوا لأنفسهم حق الوصاية على النوع

---

1 - المصدر نفسه، ص.6.

2 - وما ذلك إلا لفقدان عقيدة التوحيد الذي هو أصل الدين كله وأساسه، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تتقبل الأعمال إلا به، وما أرسل الله رسولا إلا داعيا إليه ومذكرا بحججه، وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كلمة: " لا إلـــه إلا الله " وهـــي كلمته الصريحة فيه، ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلوا من ذكره أو أمر به والنهي عن ضده. ينظر: ابن باديس، "أصول الهداية،" الشهاب، ج.3،م.6، ذي القعدة 1348 هـــ الموافق لـــ: أفريل 1930، ص .139. وكذلك علي بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج.1،ط.13، مكتبة الرسالة، بيروت 1998، ص.21.

3- معـــنى الطرقي في العرف والمقصود بالذم: الطرقي من أسلم وجهه لشيخ مبتدع واتخذه ربا يستمد منه الرزق والشفاء والنصر على الأعداء، وهداية القلوب، وتفريج الكروب ويعوذ به فيما يحاذره ويلوذ به فيما يؤمله، واتخذه بذلك إلها ثم هو مطيع له فيما أمر، ومنتهى عما عنه زجر .. وذلك يستلزم أمرين إثنين:

العصمة والألوهية: وأيهما كان فهو ضلال مبين، ثم إن التسمي بالطرقي وانقسام الناس إلى قادري ورفاعي وشاذلي وعليوي وتجاني ... من أقبح البدع وأنكرها، ذلك أن الله سمانا المسلمين الحنفاء. فقال: " **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا**" فتبين من خلال هذا أنه لا يجـــوز للمسلمين أن يتفرقوا شيعا وأحزابا وطرائق لم يأذن بها الله ورسوله، وكذا أمرنا باتباع الصحابة والتابعين، و لم نؤمر باتباع =

الإنساني، وشاركوا المولى جل وعلا في تصرفاته، وزعموا أن الأمور بأيديهم يتصرفون فيها كيفما شاءوا وعلى أي وجه شاءوا"يهبون لمن أطاعهم ذكورا وأموالا وجاها ورفعة وحياة، ولمن لا يطيعهم إناثا وذلا وفقرا وموتا "[1] وهذا الجيش أعظم الجيوش خطرا على الإسلام والمسلمين في دينهم وعقيدتهم، لأنه رجع بالمسلمين إلى ما كان عليه مشركوا العرب قبل ظهور الإسلام ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الإفرنج قبل أن يقتبسوا من تمدن الإسلام ورقيه وتقدمه .

وإذا كانت هذه الطرائق على اختلافها في الأسماء فهي متفقة على تشويه الإسلام وإن كانت تدافع عنه ظاهرا – كما سبق – وبهذا لا نعجب أن يحمل رجال الإصلاح وكتّاب (الشهاب) وعلمائها على هذه الفئة والشرذمة من الناس حربا واسعة وانتقادات رادعة لمعتقداتهم، نصرة للدين ومحافظة على سلامة المجتمع ونقائه.

وتكاد جميع المصادر التاريخية[2] تجمع على أن الطرقية قد جلبت على الدين، وجنت عليه ما لم تستطع سلطة الاحتلال أن تفعله طيلة وجودها في الجزائر. وقد يتساءل السائل لم هذه الحملة الشّرسة على الطرقية ولما كل هذه الهجمات عليها وبيان مساوئها وانحرافاتها، وهي التي وقفت في وجه الاحتلال مدة تنيف عن المائة سنة محافظة على المقومات الشخصية للأمة الجزائرية، مدافعة عن كل ما يحاك ضدها ؟ والجواب أننا في محل بيان ما انتقد على الطرقيين من الانحرافات الدينية من قبل كتاب (الشهاب).[3]

أ- محاربة الانحرافات الطرقية

لم تقدم (الشهاب) على محاربة الطرقية إلا بعد أن ظهر من الطرقيين انحرافات دينية مسّت جوهر الإسلام وعقيدة المسلمين، ولهذا يحق للباحث أن يتساءل لماذا تحارب (الشهاب) الطرقية ؟ ولعل أصدق وصف وأحسن إجابة عن هذا السؤال، ما كتبه أحد كتّاب – الشهاب – في بيان سبب محاربة الطرقية، يقول:" لم يتصدوا لمقاومة الطرقية إلا بعد أن رأوا رؤساءها قد قعدوا للمسلمين على كل طريق للخير يصدونهم ... قعدوا على طريق التوحيد، فإذا دعونا إلى عبادة الله وحده وسؤاله وحده والقسم به وحده ...أبوا إلا أن يحلف الناس بهم وأن يخضعوا لهم، ويرجوا تصرفهم ويخافوا دعوة شرهم ... قعدوا على طريق الاتحاد، فإن دعونا الناس إلى أخوة الإسلام أبوا إلا أخوة الشيخ وجماعته ... فصير الناس طرائق

=الشـــيخ الفـــلاني أو الطريقة الفلانية، ومن كان على غير هذا سالك فهو زائغ هالك. ينظر: مجهول، " معنى الطرقي في العرف، " الشهاب، عدد 171، 26 جمادى الأولى 1347 الموافق لـــ: 8 نوفمبر 1928، ص .3،4.

1 – الطرابلســـي، " الإسلام والجيوش العاملة لنقض أركانه"، الشهاب، عدد 165، ربيع الثاني 1347 الموافق 27 ديسمبر 1928، ص.3

2 – المقصود بالمصادر التاريخية تلك التي أرّخت للحركة الإصلاحية الجزائرية بأقلام إسلامية .

3 – يـــنظر: ربيع بن هادي المدخلي، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الكتب والرجال والطوائف، (دط)، مكتبة الصحابة،جدة، 1992

قددا، وجعلوا تحت كل طريق فرقا... وهكذا ما توجه المصلحون ناحية من نواحي الإصلاح إلا ووجدوا الطرقيين قد قاموا في وجوههم يصدونهم عنها، ولهذا رأوا أن لا سبيل إلى شيء من الإصلاح إلا بعد مقاومتهم وكف شرّهم، فابتدأناهم، ومن يلوم المصلحين بعد هذا الذي ذكرنا في البداءة بهم؟"[1]

ويجيب ابن باديس صاحب – الشهاب – بقوله:"حاربنا الطرقية لما عرفنا فيهم – علم الله – من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ... وقد عزمنا أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها."[2] وأما العقبي فيقول: " نحن لا نحارب الطرقيين بعصا ولا "موسي"- سكين – ولا نضربهم بمدية ولا دبُّوس، وإنما نبين عقائدنا بالنطق باللسان والكتابة بالبنان، ونحتج لصحتها بالدليل والبرهان... فهل هم فاعلون كما فعلنا، وهل يتصفون كما اتصفنا؟... ولكن مالهم يعملون أعمال الوحوش وشرار النفوس ويردُّون علينا بالضرب، وبالموسي والدبوس*"[3].

وقد تساءل الكثير من الفرنسيين عن سبب محاربة العلماء المصلحين للطرقية والمرابطين وكان أكثر الناس قصدا العقبي الذي كان عنيفا معهم شديدا في النقد والنقض .

وبهذا ما فتئ العلماء والمصلحون يحذرون منهم ويحاربونهم، وهذا ابن باديس ينصح المسلم الجزائري بأن يحذر كل متربص يريد أن يقف بينه وبين ربه، ويسيطر على عقله وقلبه وجسمه وماله بقوة يزعم أنه يتصرف في الكون، كما حذَّر من كل دجَّال يتاجر بالرقى والطلاسم ويتخذ آيات القرآن وأسماء الرحمان هزءا، يستعملونها في التمويه والتضليل[4]، ويصدق على الطرقيين قول الشاعر :

وكيف وفي الطرائق كل داء *** مبيد يجلب الموت الزؤوما
وذلك ما به هلكت بلادي *** وجرح أهلها جاما فجامـــا
وإنا سوف تدركنا المنايا *** وبالحسرات لم تصل المراما
ألا فلنتحد في السير حتى *** يكون نجاحنا أمرا لزامـــــا
ونفي نذرنا بقتال طرق *** نذرنا قطع دابرها التزامـــا[5]

1-قدرو بن محمد لخضر، " محاربة الطرقية "، الشهاب، ج.5، م .10 محرم 1352 الموافق لـــ: أفريل 1934، ص. 213 .

2 – ابن باديس، "الطرقية"، الشهاب ج.1، م.14، محرم 1357 الموافق لـــ: مارس 1938، ص. 6 .

*–والعقبي إنما ذكر العصا والدبوس، إشارة إلى حادثة الاعتداء على ابن باديس من طرف العليويين. ينظر لاحقا.

3– الطيـــب العقبي، "أين الحكومة لتحفظ النظام العام"، الشهاب، عدد 80، 16 رجب 1345 الموافق: لـــ: 20 جانفي 1927، ص.11.

4 – ينظر ابن باديس، "أيها المسلم الجزائري"، الشهاب، عدد 49، 15 صفر 1345 الموافق لـــ: 23 أوت 1926، ص.1، 2.

5– محمد المكي الناصري، "إلى شباب الأمة"، الشهاب، عدد 88، 13 رمضان 1345 الموافق لـــ: 17 مارس 1927، ص.17، 18

أما شيوخ الطرقية فقد تجرؤا على الله بجهلهم، وأفتوا فتاوى مخالفة للعقل والشرع والفطرة، وانتقدوا كل ما هو جديد ومحدث من أمور الدنيا، كما انتقدوا المدنية العصرية وحرموا قراءة العلوم العصرية، ويصدق عليهم قول القائل :

علماء الوقت فينـــــا *** حرموا كل جديـــد
قالوا علم العصر كفر *** رجمه قبل المريـــــد
نقموا عنا وقالـــــوا *** أنكم أهل جـــور
جردوا سيفا علينـــا *** علّه سيف الهنـــود
جعلوا الدين ستـــارا *** تحت قوات الجمود

وما يلفت النظر أن الحرب التي أعلنها العلماء ضد الطرقية، إنما كانت موجهة للاستعمار الذي كان يؤيدها، ويؤازرها ضد حركة الإصلاح،[1] ويذكر محفوظ قداش: "أن الطرقيين الذين حاربهم العلماء هدَّدوا بواسطة امتيازاتهم العائلية أن يكونوا سندا للإدارة التي طلبوا منها حمايتهم".[2] وهو القول الذي ردده (آجرون Ageron) بقوله: "أصبحت كلمة مرابطين تدل على الجهل والتخلف، وكذلك أصبحت تعني المؤيدين للاحتلال والإدارة الاستعمارية"[3].

ثم إنه من الأسباب الرئيسة في محاربة الطرقيين من قبل المصلحين، دعوتهم -أي الطرقية — إلى التفرق والاختلاف بلسان حالهم، وما حاربهم المصلحون إلا أنهم يعتقدون أنه لا طرق في الإسلام، وإنما هو دين واحد، وطريقة واحدة جامعة هي طريق أهل السنة والجماعة.

هذا وإن مما ابتليت به الجزائر في دينها ودنياها في مطلع القرن العشرين طريقتان مشهورتان داع صيتهما وانتشر خبرهما وسطع نجمهما، أما الأولى فلها امتداد تاريخي وجذور تاريخية معروفة، وهي الطريقة التيجانية، وأما الثانية فهي طريقة مستحدثة أو مولّدة عن طرق أخرى، وهي الطريقة العليوية، التي جدَّد بها صاحبها منهج وسير الطريقة، وأدخل عليها طقوسا جديدة وبدعا مستوردة وعقائد باطنية قديمة وحديثة، وبذلك نالت من الشهرة والانتشار ولقيت قبولا لدى جهلة الناس وغوغائهم ممن لا دين لهم ولا عقل.

1- ينظر: مازن صلاح حامد مطبقاني، مرجع سابق، ص. 139 .

2-Mahfoud Kaddach.op.cit.p.338.

3- Charl Robert Ageron.op.cit.p. 39.

وفي هذا السياق، ما هو موقف – الشهاب – من هذه الانحرافات الطرقية؟ وما هي الطرق الصوفية التي كان – للشهاب – حربا معها؟ وما هو موقف – أي الشهاب– من هذه الطرق؟ وما هو المنهج الذي سلكته في بيان انحرافات الطرقيين ؟

من المعلوم من ديننا الحنيف أن القرآن الكريم جاء برابطة عامة تربط بين جميع المسلمين بعد أن كانوا متفرقين شيعا وأحزابا{**كل حزب بما لديهم فرحون**}[1] وألف بين قلوب كانت إلى زمن قريب متنافرة متناحرة مصداقا لقوله تعالى: " {**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها..**}[2] الآية، والمتأمل في حال الطوائف نجد أنها استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، استبدلوا تلك الرابطة المقدسة العامة برابطة خاصة تدور في فلك محدود وزاوية ضيقة مبنية على التعصب وتقديس الأشخاص " فأنت ترى أيها الرائي وتبصر أيها المبصر أن الطرق على ما هي عليه اليوم، أحالت الأوضاع، فوضعت الفرق حيث وضع القرآن الجمع، مع أن من مصطلحات القوم – أي الطرقية – مقام الجمع ومقام الفرق، فهم بهذا الاعتبار أولى الناس برعاية المقامات وأحقهم باحترام الحرمات فيحصل أن مفسدة الطرق من هذه الوجهة راجحة ومصلحتها – على تسليم وجودها – مرجوحة"[3].

ويمكن القول أن كل بدعة أظهرها الطرقيون وخالفوا بها جماعة المسلمين ودعوا إليها، وتعبدوا الله بها،وقف المصلحون لهم عثرة في وجوههم ونقضوا ما هم عليه من باطل وانحرافات مست عقيدة الجزائريين ودينهم؛ وهم إذ يدعون إلى بدعهم إنما هي في الحقيقة مصائب أركست المجتمع الجزائري وجعلته يتخبط في ظلمات الجهل والخرافة بين أحضان الشيوخ ورؤساء الطرق. ولا نعجب أن يحمل كتاب (الشهاب) تلك الحملات القاسية على مشايخ الطرق بالنقد والنقض معتمدين في ذلك على بيان تلك المعتقدات الباطلة وبيان مخالفتها للإسلام الصحيح و بدعيتها، وما يقابلها من السنن الصحيحة والمعتقدات السليمة التي توافق روح الإسلام وجوهره.

والواقع أن تسخير (الشهاب) بعض الأقلام الساخنة في ردع الطرقيين وضلالاتهم إنما هو في الحقيقة نصرة للدين وتصفية له وإنقاذا للمجتمع من هذه الترهات والخرافات، وما حمل (الشهاب) على ذلك إلا بعد أن رأت كثرة الانحرافات والمخالفات العقدية التي شوَّهت جمال الإسلام وصفاءه. وإن المتأمل في حال هؤلاء الطرقيين، ليجد أنهم أتوا ببدع من الأقوال والأفعال والاعتقادات ما

1- سورة الروم، الآية 32.

2- سورة آل عمران، الآية 103.

3- أحمـــد الهاشمي، "آفة الحق في سكوت أهله عنه"، الشهاب، عدد 113، ربيع الأول 1346 الموافق لـــ: 8 سبتمبر 1927، ص. 7،8

ضاهوا به الفرق والطوائف الباطنية القديمة والحديثة، فقد اتخذوا الزوايا بيوتا يدعون فيها غير الله، ويشركون به في ربوبيته وألوهيته[1].

وكذلك حاربت (الشهاب) تلك الأذكار المبتدعة[2] التي لم يأت بها قرآن ولا سنة ولا فعله سلف هذه الأمة من القرون الثلاثة المفضلة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية، حيث قال فيهم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ..."[3] الحديث، وأما أهل الطرق فلم يكتفوا بالذكر المشروع، بل أضافوا لذلك ما أضافوا من آلة لهو أطربت اتبعوها بالشطح واللغط مما شوهوا به حلوا الذكر، وألصقوا به العار والشنار[4]، وهذه نزعة جاهلية من جنس ما جاء في القرآن في قوله تعالى :{**وما كانت صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**}[5].

كما حاربت (الشهاب) الطرقيين للطريق التي تعامل بها هؤلاء مع الوحي الإلهي والدستور السماوي، الذين عمدوا إليه فخلعوا عنه تلك الحلة التي ظهر فيها للمكلفين، وأرخوا دونه أستارا من التأويلات، وغوامض الألغاز، ومستغلق الإشارات ليلبِّسوا بها على الناس دينهم،"حتى أصبح ذلك الكتاب العزيز بين أيديهم "شبه الآل أو طيف الخيال" ولسان حالهم يردد قول القائل:

كفا بجسمي نحولا إنني رجلا *** لولا مخاطبتي إياك لم تراني

وقول الآخر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا *** ليوم كريهة وسداد ثغر[6] .

كما هجروا القرآن وأولُّوه تأويلا، ويصدق عليهم قوله تعالى في شكوى نبيه من قومه: {**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**}[7]، فمن هجرانه تأويله وتحريفه عن ظاهره" وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره من هجرانه، واجتناب زواجره والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من

---

1 - ينظر المصدر نفسه.ص.8.

2 - ينظر : أحمد الهاشمي، مصدر سابق، ص .8.

3- البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد. رقم (2652) . ج.5، ص.259 ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (2533)، ج.4، ص. 1962

4 - أحمد الهاشمي، مصدر سابق، ص. نفسها.

5 - سورة الفرقان، الآية 30،

6 - أحمد الهاشمي، مصدر سابق، ص.10.

7 - سورة الفرقان، الآية 30.

هجرانه..."[1]. وماذا عليهم لو حكّموا في هذا الباب القاعدة المقررة في الشرع أن المكلف يؤاخذ فيما بينه وبين المخلوقين بظاهر لفظه، فلو أبيح لكل واحد أن يصرف لفظه عن ظاهره لم يوثق بإقرار مُقرٍّ ولا بعقد عاقد، والأصل عدم التأويل، وعند أهل البيان أن التبادر علامة الحقيقة[2].

ومما حمل أيضا كتاب (الشهاب) على بيان انحرافات الطرقيين ومحاربتها ما يتظاهر به أهل الطرق من الصفاء والوفاء والزهد في الدنيا والتقشف... وهم بعيدون عنه كل البعد، فيرى الرائي ويبصر المبصر الكثير من أهل الطوائف أشبه الناس اليوم بأولئك الفقهاء الذين عناهم الشاعر بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم *** كالذئب يدلج في الظلام القاتمِ

فملكتم الدنيا بمذهب مالك *** وقسمتم الأموال بابن القاسمِ

وركبتم شهب البغال بأشهب *** وبأ صبغ صبغت لكم في العالمِ[3]

والمتأمل في حال هؤلاء الطرق ما يراهم يجاهرون به من التهافت على حطام الدنيا ونصب الحبائل وتدبير الوسائل أياً كانت، وذلك لاستجلابه أو استلابه إلى غير ذلك من الخوض "فظن شرا ولا تسأل عن الخبر"[4].

والعجب في أمر هؤلاء الطرقيين أنهم اتخذوا سننا لترويج وإشهار طرقهم عبر الجرائد والمجلات (كجريدة البلاغ) لسان حال الطريقة العليوية، يدعون فيها إلى الرهبانية التي ابتدعوها كأنهم يدعون إلى مطبخ جديد أو إلى سوق جديد فتح أبوابه ليروّجوا بضاعتهم، وليتنافس عليها المتنافسون ولله در القائل.

كل يوم تبدي صروف الليالي *** خلقا من أبي سعيد غريبا[5].

كما عمل كتاب (الشهاب) على كشف انحرافاتهم، ببيان الفهم الصحيح للقرآن الكريم والتطبيق السليم لأحاديث الرسول الكريم، فهماً واستنباطاً واستدلالاً، وذلك أن الطرقيين زعموا أنهم الأولى بتجديد هذه الأمة أمر دينها، لأنهم حسب زعمهم يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم وليلة ولا يغيب عنهم طرفة عين، ويلقنهم كيفية الذكر ويطلعهم على محبيهم في الجنة ومبغضهم في النار[6]،إضافة إلى هذا

---

1 – عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.3، ط.1، دار الفيحاء، دمشق 1994، ص. 423. كذلك ينظر: ابن باديس، "شكوى النبي الكريم من هجرا القرآن الكريم"، الشهاب،ج.2. م.8، شوال 1350 الموافق لـ: فيفري 1932، ص- ص. 68 – 75.

2 –أحمد الهاشمي، المصدر السابق، ص. 10.

3 – أحمد الهاشمي،مصدر سابق، ص.8.

4 – المصدر نفسه، ص. 11.

5 – المصدر نفسه، ص. نفسها.

6 –ينظر: محمد الزهار، "شر المغرورين أو الغروريين"، الشهاب، عدد 88، 13 رمضان 1345 الموافق لـ: 17 مارس 1927، ص. 9.

ارتكابهم المعاصي والمحرمات باسم الدِّين وتلبيسهم على الناس وهم بما يفعلون هذا تقربا إلى الله وهذا حسب زعمهم – أن البعض منهم بلغ درجة من اليقين أسقطت عنه التكاليف الشرعية[1].

والملاحظ أننا نجد أغلب المنتسبين والمريدين من الطرقيين إنما دخلوا وانتسبوا للطريقة ليس استحساناً أو رغبة فيها بل أكثرهم جعلوها وسيلة لجمع المال، لما امتاز رءساؤهم، ولما أتوا من الحيلة والدهاء من ابتكار وسائل جلب المال وادخاره من دون أدنى حركة ولا عمل، "وسائل عجز عن ابتكارها جميع المختصين في فن الاقتصاد، فهم أنكى من البلشفيت الذين يحاولون مصادمة السُّنَّة الإلهية باختلاس أموال الأغنياء وإعطاءها إلى الفقراء، لأنهم يسعون في ابتزاز أموال الفقراء أنفسهم"[2]، وهذا الأمر لا يختلف عن هؤلاء الطرقيين فإنهم استحلوا ما حرَّم الله وحرموا ما أحلَّ الله، يرون من الواجبات الدينية ابتزاز الفقراء والمساكين وإباحة الخمور، والفجور والفسوق والسرقة باسم الذين وتضليل الناس وتشريكهم، وتخليط الرجال بالنساء، والتملك والتزلف والوشاية بالمسلمين الأحرار والنهب وأكل المسامير والزجاج واللعب والدفوف في المقابر، وعلى قبور الأولياء، وغيرها من الشطحات التي ابتدعوها وروَّجوها[3].

ولم يقفوا عند هذا الحد بل انتحلوا لأنفسهم الألوهية التي هي من خصائص الله تعالى وحدهُ، وجعلوا لأنفسهم شركاء لله، وذلك أنهم ادعوا مقامات ومراتب لا تليق إلا بالله عز وجل، فمن هذه الادعاءات: القدرة النافذة والتصرف المطلق في سائر الأكوان كلها علويها وسفليها، لا تتحرك ذرة في العالم ولا تسكن إلا بإذنهم وكل العوالم الأخرى من العرش والحجب والسماوات والأرض، وما في ذلك من أفلاك وأملاك ونجوم فإنها خاضعة لسلطانهم، وفي طي قبضتهم، وبين أصبعين من أصابعهم[4]، ومنها: "أنهم يعلمون الغيب كله كثره وقله : الخمس فما عداها ما كان وما يكون، وما لا يكون وأن لو كان كيف يكون أزلا وأبدا"[5]. قال أحد شيوخهم :

ذراعي من فوق السماوات كلها *** ومن تحت بطن الحوت أمددت راحتِي

وأعلم نبت الأرض كم هو نابت *** وأعلم رمل الأرض كم هو رملـــهُ

وأعلم علم الله أحصى حروف *** وأعلم موج البحر كم هو موجـــهُ

---

1 – المصدر نفسه،ص. نفسها .

2– الفـــرقد، "غبي طالح ...؛ يجني على الجنسية والدين،" الشهاب، عدد 96، 10 ذي القعدة 1345 الموافق لـــ:13 ماي 1927 ،ص.8

3 – المصدر نفسه، ص. 9.

4 – مســـلم غيـــور، "ذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد"، الشهاب، عدد 49، 9 رجب 1345 الموافق لـــ: 13 جانفي 1927، ص.5.

5 – المصدر نفسه،ص. نفسها.

ملكت بلاد الله شرقا وغربـــا *** وإن شئت أفنيـــت الأنـــــــام[1]

وقد وصفهم (الشهاب) بأنهم "مجانين الملاحدة، ومعتوهو الزنادقة، وحمقى الأهكاء المتحيِّرين ... يهرفون بما لا يعرفون"[2].

والحاصل أن كتاب (الشهاب) إنما أجهزوا على الطرقية والطرقيين وحاربوهم لهذه الاعتقادات الباطلة، وهذه المقولات التي شاركوا الله في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته، فلا يشك عاقل في انحراف هؤلاء وضلالهم وبطلان اعتقادهم، فالله تعالى متفرد بالربوبية والألوهية، واحد في ذاته وصفاته وأفعاله تعالى أن يشاركه أحد في الملك وتعالى أن ينازع في كبريائه وعظمته. ومن ثم لا نعجب أن تكون (الشهاب) معول هدم لكثير من البدع والشركيات التي جعلت المجتمع الجزائري يتخبط في أوكار الطرقية بعيدا عن نور الإسلام الصحيح وهدايته .

والمتتبع لمجموعة الشهاب "كجريدة" لا يكاد يخلو عددا من أعدادها إلا وموضوع الطرقية وانحرافات الطرقيين من المواضيع الرئيسة في الجريدة وما ذلك إلا لتصاعد النفوذ الطرقي وتوغله في أوساط المجتمع: وكانت أكبر الطرق حربا مع (الشهاب): الطريقة العليوية. فما هو موقف (الشهاب) من هذه الطريقة ؟

---

1 – المصدر نفسه، ص . 6.

2 – المصدر نفسه، ص. 7.

ب- موقفها من الطريقة العليوية :

إن ثمة حقيقة تاريخية ثابتة، وهي أن الطريقة العليوية[1] كانت أكبر الطرق الصوفية انتشارا في بداية القرن العشرين، وأن صراع المصلحين من العلماء كان مع هذه الطريقة، لما ضمَّت تحت لوائها من كثرة الأتباع، وجنايتها على الدِّين الإسلامي الصحيح، وفساد الاعتقاد وكثرة البدع والضلالات الواقعة فيها، إضافة إلى هذا فإن الطريقة العليوية خلطت في عقائدها كثيرا من عقائد الفرق الأخرى الباطنية على وجه الخصوص.

ورغم جهل صاحب الطريقة ابن عليوة،[2] إلا أنه كان يتوقد ذكاء ودهاء في معاملة الناس، سواء كانوا من مريديه وأتباعه وأصدقائه أم كانوا من خصومه ومقاومي طريقته من دعاة الإصلاح،[3] ولم يكتف ابن عليوة بالأساليب العادية لدى مشايخ الطرق، وبما ورثه عن سلفه، ومنها إقامة حلقات الذكر التي تدعى بـــ: "الحضرة"[4] ولها آداب معلومة عند القوم، وربما رأى هذه الأساليب عتيقة بالية، بل جدَّد أساليب الدعوة إلى الطريقة، ونسبها إلى نفسه، فدُعيت "بالطريقة العليوية"، أو دُعيت بهذا الاسم تكريما له على براعته ونشاطاته التي فاق بها معظم الطرق آنذاك. ومن الطرق والأساليب التي أدخلها على طريقته،

1- طـــريقة صـــوفية تنســـب إلى صاحبها أحمد بن عليوة، وكانت الطريقة العليوية التي جدد بها الطريقة الشاذلية التي ورثها، قد اســـتمدت فروعها في الحاضر والبادي، وتأسست جموعها في أغلب النوادي، وكانت بعض القبائل يحاول رؤساؤهم بكل إلحاح في طلب من يصل إلى ناحيتهم من رجال هذه الطائفة . ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق ص. 161 نقلا عن كتاب الشواهد والفتاوى ص5. واســـم الكتاب الكامل " الشواهد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي" الذي ينسب إلى الشيخ محمد بن عـــبد الباري التونسي الذي أقدم على نشره باسمه وطبعه في المطبعة التونسية وجعله ردا مباشرا على رسالة عبد الحميد بن باديس، والتي عنوانها "جواب سؤال عن سوء مقال" التي قرظها كبار علماء تونس والجزائر والمغرب. وضللوا من تجرأ على مقام النبوة وأساء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ص.166.

2 - ولـــد أحمـــد بـــن عليوة بمدينة مستغانم في الثلث الأخير من القرن (19) عام 1291هـــ، ودفن بزاوية العامرة، وهو من عائلة شـــهيرة، تخـــرج منها عدد كثير من القضاة، وينتسب إلى جده الرابع ابن الحاج علي الملقب بابن عليوة، ولم يكن له حظ كبير من الـــثقافة والعلم بإجماع من عرفوه وترجموا له، وهذا بشهادة آثاره من الشعر والنثر، وقد اعترف بتقصيره في الطلب وضعف كتاباته بالقلم فقال في نظم رسالته العليوية:

معترفا بتقصيري فيما أعلم ***** وضعف الأنامل لأخذ القلم

ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ص-ص. 169-163 نقلا عن كتاب الحلل المرضية في شرح الرسالة العليوية ص.6

3- Ali Merad.la reformisme musulman en Algerie. op.cit. p71

4 - الحضـــرة: عـــبارة عن اجتماع الذاكرين لله تعالى، على وجه مخصوص وكيفية معلومة أذكارها دائرة بين الهيللة (لاإله إلا الله) الاســـم الأعظـــم اســـم الجلالة (الله) واسم الهوية (هو) .. وكيفيتها التحلق والاهتزاز بحركة متزنة، مع شيء من السماع للتشقق والتنشـــيط، حيـــث قال سيدهم أحمد بن يوسف عندما ذكر الحضرة: أوله لسان ووسطه قلب وآخره روح، ولا يخفى على المسلم بدعية هذه الفعل وأنه مخالف للذكر المشروع، ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ص. 170نقلا عن كتاب الشواهد والفتاوى ص.16 ،17.

والتي جدَّد بها هذه الأخيرة ما يسمى بـــ: "الخلوة"[1]، وعبادة الله بالرقص، وما يقع فيه من قول وفعل ينافي السُّنَّة، وإقامة الحضرة، وإعلان الشطحات من أقوال تؤذي الله ورسوله، وليته وقف عند هذا الحد، بل نسب هذه الأقوال والأفعال إلى خير الأنام، وإلى أصحابه – رضي الله عنهم- واستشهد بأحاديث مكذوبة وموضوعة، وضعوها تعضيدا لأفعالهم ونصرة لطريقتهم، حتى يتوهم العامة أن أفعال هؤلاء مستندة إلى دليل شرعي، وأنها غير مبتدعة بل سُنَّة أحييت[2].

فمثال افتراءهم على الصحابة أنهم استدلوا لشرعية هذه (الحضرة) بعمل بعض الصحابة والتابعين، وذكروا أن بعض المفسِّرين من المعاصرين نقل أن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة من الصحابة خرجوا يوم العيد للمصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى، فقال بعضهم: أما قال الله تعالى "يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم"[3] فقاموا يذكرون الله على أقدامهم.

فإذا سلمنا جدلاً أن هذا الأثر صحيح، فليس فيه أمر بالاجتماع في الذكر على كيفية مخصوصة وبصوت واحد مع رفع الأصوات والجهر بها، مع ما يصحبه من الغناء والتطريب، فهذه من البدع الإضافية؛ فالذكر في الأصل مشروع لكن تخصيصه بكيفية معينة وزمان ومكان معين بدعة قبيحة، عملا بالقاعدة الشرعية المعروفة: "أن كل عبادة وردت في الشرع على صفة مقيَّدة فتغيير هذه الصفة بدعة"[4].

أما الاهتزاز والرقص والشطحات فقد زعموا أنه مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث نسبوا إليه أنه قال: "ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب... سبق المهتزون بذكر الله... يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا"، ولا يخفى على من ذاق كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أن هذا الحديث إن لم يكن موضوعا فهو لا أصل له في الشرع لا في كتب السُّنَّة ولا غيرها، والمعروف منذ زمن السلف أن أكثر الوضاعين والأكثر كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، هم غلاة المتصوفة وجهلتهم، ولم يسمعوا للوعيد الشديد الذي توعَّد به رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاذبين عليه حيث قال في الحديث المتواتر:"من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[5].

---

1 – الخـــلوة: هـــي بيت يدخله من مريديه، مرسوم بهذا البيت أمام المريد "الله" ينظر إليها أيام إقامته بالخلوة التي يفقد فيها الأكل والشـــرب ولا يخرج منها حتى يشاهد (الله) جهرة – تعالى الله – أو يرى أبويه الهالكين أو شيئا آخر، وإذا خرج المريد من الخلوة صـــار محـــبا للشيخ وأخا مخلصا لمريديه وعدوا أرزق من عاداهم. ينظر: بيضاوي، "بن ملحم القرن العشرين"، الشهاب، عدد 78، الخميس 2 رجب 1345، 6 جانفي 1927. ص. 4.

2 – ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق ص-ص.183-165.

3 – أحمد حماني، مرجع سابق، ص.170، نقلا عن كتاب الشهائد ص.16.

4 – محمد بن حسين الجيزاني، قواعد معرفة البدع، ط1،دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1998،ص.10

5 – تقدم تخريجه، وكذلك ينظر: تقي الدين الهلالي،" في سبيل الإصلاح" الشهاب، 23 رجب 1347 الموافق لـــ: 3 جانفي1929 ص.8.

كما وضعوا على أبي بكر الصديق حديثا مكذوبا نسبوه إليه محتجين بذلك على مشروعية الرقص والدوران في حلقة الذكر[1] وهو دليل مختلق لم يثبت في حديث صحيح ولا ضعيف أن أبا بكر قام بفعل ذلك.[2]

فالرقص عند الذكر لا أصل له في الكتاب ولا في السُّنَّة ولا عمل به السلف وهم خير الناس بعد النبي، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، ولكنهم وقفوا عند كلام رسول الله، فليسعنا ما وسعهم، ولنقف حيثما وقفوا فإنها النجاة والفلاح، لكن أرباب الطرق زعموا أنها عبادة وأنها تقربهم إلى الله زلفى ويصدق فيهم قول الشاعر:

ترجوا النجاة و لم تسلك مسالكها *** إن السفينة لا تجري على اليبس.

وإن من بين الأشياء التي ترمى بها (الطريقة العليوية) وهي حق، اتصالهم بفرق بدعية ظهرت في القرون الأولى في زمن كثرت فيه الملل والنحل، ودخل في الإسلام من ليس منه واختلط فيها الحابل بالنابل، وهذه الفرق تفاوتت خطورتها وتأثيرها على الإسلام، إلا أن الشيء المؤكد الذي لا ينكره التاريخ، أن هذه الفرق ألحقت بالإسلام وأهله وعقائده من الأضرار ما الله به عليم، حيث مزَّقت وحدته وفكَّكت كلمته، وبجَّجت بيضته، وحينها تبجَّح وتسلَّط عليه الملحدون والمشركون، وما أُسست هذه الفرق أيضا إلا لتفكيك صرح الإسلام والوقوف في طريقه وفي طريق الفتوحات الإسلامية التي بلغت آنذاك مبلغا عظيما، حيث لم يتمكن هؤلاء من صد الزحف الإسلامي والانتصارات العظيمة التي خلَّدها التاريخ في سجلاته، وعندما آيسوا من ذلك وعجزوا بل واستسلموا، اتخذوا طريقا آخر وحيلة أخرى علَّها تكون مجدية لزعزعة الإسلام وإيقاف زحفه. فكان من ذلك أن دخلوا في الإسلام بمذاهبهم الهدَّامة واعتقاداتهم الباطلة وطرائقهم المبتدعة الغريبة عن الإسلام، ومن هذه الفرق فرقة خطيرة ظهرت عبر نهر التاريخ الإسلامي وهي فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا.

وإذا كانت كذلك فما هي حقيقة (الباطنية والقاديانية)، وما علاقتهما مع العليوية في الجزائر وما هي أوجه الترابط والتواصل بينهما؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه باختصارا ودون تفصيل حتى لا نخرج عن المقصود.

---

1 - أحمد حماني، مرجع سابق، ص.170، 171.

2 - احتجوا له بما روي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه – لما تبرع بماله كله وجاء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي التهيؤ لغزوة تبوك، سأله: ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، وهذا الحديث رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما، ولكن الوضاعين زادوا فيه زيادة منكرة، لم تروى لا بسند ضعيف ولا صحيح، قال البوطي: "اختلق بعضهم زيادة في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر إن الله راض عنك فهل أنت راض عنه؟ فاستفزه السرور والوجد، وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: كيف لا أرض عن الله" -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ط. 8، دارالشهاب، الجزائر، 1987، ص. 408.

وإن من شر الطوائف التي أصيب بها الإسلام من أوائل نهضته طائفة الباطنية[1] (الملاحدة) الذين جاءوا بعقائدهم المجوسية والهندية، "وحملوا عليه مقتطعات من الآيات والأحاديث حملاً تتبرأ منه العربية التي هي لغة القرآن وصاحب القرآن، وفهموا من تلك المقتطعات – بزعمهم – ما هو مضاد تمام المضادة[2]" بل إنهم خالفوا السلف أهل القرون الأولى من الصحابة – رضوان الله عليهم – وهم العرب الأقحاح، وخير الناس بعد الأنبياء، اختارهم الله لصحبة نبيه ونقل دينه، وتبليغه للأمم، وجاءوا ببدع من القول والفعل والاعتقاد، بل حرَّفوا النصوص عن ظاهرها[3]، بلا قرينة ولا مسوغ، بل وزعموا أن للقرآن ظاهرا وباطنا، فالظاهر تأويله ظاهر بيِّن للعامة، والباطن لا يفهمه إلا الخاصة، بل خاصة الخاصة، و لم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا من عند أنفسهم أقوالا باطلة لم يأذن بها الله ورسوله ونسبوها وألحقوها بخير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم وهو بريء منها "ثم عملوا لترويج هذا الكفر الأنكر والتزوير الأقدر بالتظاهر بسمة الصلاح والزهد والدعوة إلى الخير ونشر الإسلام، فراجت دعوتهم على العامة وعلى كثيرا ممن يعدُّون من الخاصة، و لم ينج من فتنتهم إلا الفقهاء بالسُنَّة والبصراء بأحوال العمران، والمتمسكون بهدي السلف في فهم النصوص والعمل بها[4]" وإن أشنع ما جاءت به هذه الطائفة من عقائدها الباطلة الزائفة هي عقيدة الحلول ووحدة الوجود، وأنه ما ثَمَّ إلا شيء واحد، هذه المرئيات مظاهره، فلا خالق في الحقيقة – عندهم – ولا مخلوق

---

[1]– وتـاريخ هذه الفرقة معروف ومبثوث في كتب التاريخ الإسلامي، يقول الشيخ أحمد حماني: "ولقد لقي الشعب الجزائري مـن شرها ما التاريخ شاهد على ذلك أثناء حكمهم الدولة العبيدية من نهاية القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس؛ إذ كان مذهـبهم القـول بالحـلول ووحدة الوجود، وأن الله قد حل بإمامهم،تعالى الله علو كبيرا، لذلك فقد جمع في (ذاته) النبوة (والألوهية). وأطلع على الغيوب، وإلى ذلك يشير شاعرهم لما نزل إمامهم المهدي (عبيد الله) بالقيروان وسكن (رقادة) مساكن الأغالبة:

هل برقادة المسيح ***** حل بها آدم ونوح.
هل بها الله ذو المعالي ***** وكل ما سواه ريح

وقد رد عليه شاعر مسلم بلسان الشعب ففضحه وكشف جهله وزيغه، بل وسخر منه سخرية مرة بقوله:

بالجور قد رضينا ***** لا الكفر والحماقة
يا مدعي الغيوب ***** من كاتب البطاقة.

وممن ممثلي الباطنية في عصرنا هذا، طائفتان معروفتان تبرأ منها المسلمون وأصدروا إجماعا من أئمة وعلماء الإسلام على كفرها وكفر أهلها وهما (البائية والبهائية) بفارس، والقاديانية أو الأحمدية بالهند وباكستان. ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق.ج1.ص.2. وكذلك يراجع: لويس برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ط1، دار الحداثة، 1980.

2– الطيب العقبي، "العليوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند وشبه الشيء منجذب إليه"، الشهاب، عدد 79، 17 ذي القعدة الموافق لـ:20 ماي 1927، ص.7.

3 – ينظر صابر طعيمة، العقائد الباطنية، وحكم الإسلام فيها، (دط)، المكتبة الثقافية، بيروت، 1986، ص.ص.11-16.

4 – العقبي، مصدر سابق،ص.7.

ولا ربَّ ولا مربوب ولا عابد ولا معبود، ولازم هذه الأقوال أنهم يسقطون التكاليف ويخلعون ربقة التشريع ولا يبقى -عندهم- معنى للإسلام أصلا[1].

وهذه العقائد الباطنة كفر صريح، ومروق عن الدِّين، وخروج عنه بالكلية، باتفاق أهل الإسلام، بل هو مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولو أنهم بدءوا بدعوتهم الناس إلى هذه الكفريات والترهات لقابلهم عامة المسلمين بالرفض والإنكار، بل هم كالعقارب إن تمكنوا لذغوا، بل يدفعنا القول إلى أن نشك في نسبهم إما إلى المجوس أو اليهود أو النصارى.

وأما القاديانية فهي طائفة حديثة حادثة ظهرت في الهند[2] ادعى صاحب هذه الفرقة أنه هو المسيح المنتظر، وأن الوحي نزل عليه بذلك، وأنه مستمرٌ – أي الوحي – والنبوة في اتباعه، حيث ضل كثير من المسلمين بدعوة القاديانية والبهائية[3]، فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وإيران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها التي فرَّقت المسلمين[4]، ومما جاء به القادياني الذي كان عونا للإنجليز – كما قلنا – إسقاط فريضة الجهاد من الإسلام[5]، وبذلك تمكَّن الإنجليز من كبح جماح بعض الثورات التي كانت قائمة آنذاك؛ لأن الشيء الذي كان يعانيه الإنجليز هنا هو تمسك الهنود بالإسلام مما دفعهم إلى القيام بالثورات المتتالية التي زعزعت نفوذ الإنجليز وأعوانه، ولما أظطر إلى التسليم باستقلال الهنود وإنشاء دولتين في الهند، إحداهما الباكستان للمسلمين، حرصت أن يستلم القاديانيون مناصب ومراكز هامة في الدولة والجيش، ولكن الشعب الباكستاني تململ وثار ضدهم، واستطاع أن يتخلص منهم.[6]

وأصل ارتدادهم عن الإسلام حسب – محمد رشيد رضا – موضوع الرسالة **"الصلاة عند الإسلام"** وصلاتهم صلاة المسلمين في الصورة، وإنما تخالفها في المعنى والعقيدة، ويتضح ذلك جليا في تعليق واضع الرسالة نفسه على تفسير آية من سورة الفاتحة وهي قوله تعالى: **"صراط الذين أنعمت عليهم"** تعليقا صرَّح فيه بأصل ارتدادهم عن الإسلام وهذا ملخصه: "لقد وضع كل دين من الأديان المتبعة نموذجا

---

1 – المصدر نفسه، ص. نفسها.

2 – القاديانية: ديانة جديدة كان الإنجليز السبب في إنشائها كيدا للمسلمين وتفريقا لجمعهم، تنسب إلى ميرزا غلام أحمد القادياني، ظهرت بالهند على يد هذا الأخير بأفكار هدامة واعتقادات باطلة مخالفة لاعتقاد عموم المسلمين، وهي امتداد للباطنية القديمة. أحمد حماني، مرجع سابق، ص. 275.

3 – ينظر: عبد المنعم أحمد النمر، البابية والبهائية،(دط)، مطبعة الشهاب، الجزائر، ص-ص 3-8. وما بعدها.

4 – المرجع نفسه،ص. 278.

5 وكان أول من فضح القاديانية وردَّ على صاحبها في حياته وعلى أصحابه بعد وفاته محمد رشيد رضا صاحب المنار نشرت في (ج 8. م24) تحت عنوان "المسيحية الإسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية".

6 – المرجع نفسه،ص. 275.

خصوصيا ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الإسلام، أن في هذا الدعاء "**أهدنا الصراط المستقيم**" الآية، إرشاد المسلم بأن يتوسل إلى الله أن ينعم عليه بمثل ما أنعم به على أولئك المنعم عليهم، الذين قيل عنهم في موضع آخر من القرآن ما يفهم من أنهم أصحاب النبي والصديقون والشهداء والصالحون ... فالنبوة إذاً هي أسمى المراتب التي يتطلع إليها المسلم ... فالدِّين الإسلامي وحده هو الذي يرشد تابعيه إلى أن طريق الوحي لا يمكن أن يُسدَّ في وجوه الناس ... لقد أنبأنا النبي الأقدس صلى الله عليه وسلم بظهور أحد أعاظم أولئك الذين أنعم الله عليهم وأسماه (المهدي والمسيح)... ولقد ظهر ذلك الذات بالهند بمحلٍ يقال له (قاديان) فلا غرو أن إعلام الناس بأنه من الممكن الحصول على الوحي في أي وقت قد كان من الأخبار السارة التي تدعوا إلى تشجيع المسلم الحقيقي في كل آن وتُعد قياسا للحكم بين الأديان المختلفة.."[1] انتهى.

فمن خلال هذه النصوص لم يبقى أدنى شك في هذه الفرقة الباطنية الحديثة، فقد اعترفت بكفرها، وارتداها عن دين الإسلام ولا أدل من التصريح، والاعتراف سيد الأدلة، وبهذا تبينت حقيقة القاديانية ودعوتها وأصلها.

وقد تصدى لهذه الفرقة المنحرفة والدخيلة على الإسلام (الشهاب)، ونشر شيء من حقيقتها (أي القاديانية الحلولية) ونقلت من (المنار) الكثير من الحقائق عنها، وذلك اتقاء لشرها بما تنشره بعض الجرائد في الجزائر – أي البلاغ – من اعتقاداتهم وانحرافاتهم الباطلة التي شوهت جمال الإسلام وألبسته عقائد المجوس والنصارى، ونظرا لخطورة هذه الفرق الباطلة، فإن السكوت عنها خطر عظيم وضرره جسيم، لهذا لا نعجب أن تحمل (الشهاب) حملة واسعة ضدها وأن ترسل عليها شهب نارية وصواعق رعدية بمقالات ساخنة عملا بمبدئها الديني الانتقادي، وانتصارا لدينها السماوي، ونعتقد أن كاتب هذه المقالات هو العقبي[2] الذي لا يتساهل في مثل هذه الأمور بقلمه السيال ولسانه العنيف، فهو اعتاد المجابهة لا المجاملة، وحارب كل من حاول تشويه الدين الصحيح باسم الدين والانتساب إليه.

وإن شرَّ ما جاءت به هذه الطائفة-أي العليوية- من عقائدها الباطلة هي عقيدة وحدة الوجود (أوحلول الخالق في المخلوق)، أخذتها عن فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا، وهم بهذا يسقطون

1- محمد رشيد رضا، "المسيحية الإسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية "، المنار، ج.8، م.24، 30 ذي الحجة 1341 الموافق لـ:13 أغسطس 1923، ص. 579. 580.

2- والذي زادنا يقينا هو إمضائه تارة باسم "السلفي" وتارة بحرف العين، التي تعني العقبي، وتارة يصرح باسمه إضافة إلى الأسلوب العلمي القوي والعنيف الذي يومئ إلى أنه صاحب المقالات، فإنه في مثل هذه المواقف يتقدم بنفسه. خلافا لما ذكره الشيخ حماني الذي ذهب إلى أن كاتب هذه المقالات هو ابن باديس نفسه ينظر: أحمد حماني، المرجع نفسه، ج1. ص.273.

التكاليف الشرعية عن المكلف، فلا دين ولا ملة، وهذا أمر ترفضه الفطرة السليمة بل هو مخالف للعقل الصريح فضلا عن النقل الصحيح.

ولكنهم لدهائهم ومكرهم يبتدئون دعوتهم بتلقين ذكر سري، والحث على العبادة، ومشاهدة الله – تعالى الله – ثم بالرقص الذي تتهيَّج فيه الأعصاب، ويتفتَّح فيه الخيال، ثم بالخلوة والجوع والسهر حتى تتغلب عليه سوداؤه ويستولي عليه عقله، وهمه وخياله، فيخرج وهو يقول: أنه لا يشهد إلا الله، وأنه ما في الكون إلا الله، وأن الله هو، وأنه هو الله، إلى هذيانات لا تقبلها ملة، ولا يصدِّقها عقل، غير الملة الحلولية، التي أتت بهذه الفضائح، وعقل من قضى مدة تحت تأثير الأوهام والخرافات والمخدرات[1].

وهذا لا شك مخالف للملة الإسلامية؛ فهذه هي العقيدة الباطنية التي جاء بها ابن عليوة وأتباعه، وغيرها كثير[2]، يبثّر بها المسلمين وينشرها بين الجاهلين، ويخذّر بها عقول المريدين، ولقد اختار هو وأتباعه التستر وراء التصوف، والتصوف منهم بريء، وأظهر الدفاع عنه لا لشيء إلاّ لكي يموه عليهم ويصرفهم عن فهم الحقيقة، ولقد كان في ديوان الضلال[3] كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء قصدها، ولكن الله تعالى أراد أن يفضحها فضيحة من عنده على لسان جريدتها، فنشرت في أحد أعدادها رسالة جاءت إلى مديرها من معتمد الجمعية القاديانية بالهند، تلك الجمعية التي تنتمي إلى غلام أحمد القادياني، الذي أخذ يأول (أي يحرف)القرآن تحريفا باطلا مثل ما فعله ابن عليوة في تفسير سورة (النجم) وغيرها[4].

ولا أدل من هذه الفضيحة، "فقد أرسل معتمد هذه الطريقة رسالة مبتهجا بتلك الجريدة، ونشرتها تلك الجريدة الحلولية في صدرها مبتهجة بها، فتعانقت الأختان واتحدت الطريقتان"[5].

وقد هاجمت (الشهاب) لسان حال العلماء المصلحين هذه العقائد الباطلة، والمخالفة لأصل اعتقادهم و لم يكونوا يُقرُّون (بالحضرة) أو الرقص والسماع والشطحات* والحلول ووحدة الوجود، حيث تصدى لها

1- يـنظر: الطبيب العقبي، "العليوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند" الشهاب عدد 97، 17 ذي القعدة 1345 الموافق لـ:20 ماي 1927،ص. 8.

2- عـن معتقدات ابن عليوة وأتباعه وحقيقة دينه، يراجع ما كتبه أحمد حماني،ج1. وكتاب الشهائد والفتاوى، وديوان ابن عليوة وما حوى من اعتقادات تخالف ملة الإسلام.

3- ديوان ابن عليوة صدر من صاحبه عام (1339هـ-1920م)، طبع لأول مرة بتونس، ثم بدمشق عام (1349هـ-1931)، ثم طبع بعد وفاة صاحبه، وبإذن من خليفته الشيخ عدة بن تونس (1355 هـ-1937م)وطبعة رابعة صدرت منه تحت عنوان (روضة المحبين في كلام العارفين) صدرت في فلسطين المحتلة، والطبعة الخامسة سنة 1982 بمستغانم، وهذا الديوان مشحون بالبدع والضلالات والدعاوى الباطنية والدعوة إليها، وبأقوال الحلول ووحدة الوجود وغيرها من العقائد الباطنية التي ذكرناها في الكلام عن العليوية وعقائدهم، ولمعرفة ما في هذا الديوان يراجع أحمد حماني، مرجع سابق، ص- ص. 187-190.

4 - العقبي، المصدر نفسه، ص. 7، 8.

5 - المصدر نفسه، ص. 8.

*- الشطحات: ألفاظ موهمة الظاهر، تستشكل ظواهرها. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت ص. 424.

جهابذة المصلحين وزعيمهم (الطيب العقبي) من الجزائر، ومن المغرب أيضا، حيث لم تكن بهذا الأخير آنذاك صحيفة حرة يتنفّسون فيها، فاتخذوا من (الشهاب) متنفسا لهم وملجأ، ولا يخفى أنه كان بالمغرب كالجزائر أمثال هؤلاء الصوفية المتأخرين** ومن أهل الحضرة الذاكرين الله بالرقصات والشطحات أو أكثر وأخطر والطريقة الدرقاوية منتشرة فيه***، ولقد نشرت (الشهاب) مقالات ساخنة، بإمضاءات مستعارة وأخرى مبهمة، أطلقوا فيها العنان لألسنتهم النارية في كشف أباطيل ومنكرات القوم، وبينوا ما هم عليه بيانا لا ريب فيه حتى يحذر الناس هؤلاء الأفاعي الذين أفسدوا الدِّين والدنيا.

وليس غرضنا في هذا المقام هو إبراز كل فضائح العليوية وانحرافاتها، يكفي أننا ذكرناها إجمالا لنبين للقارئ انحراف هذه الفرقة وأتباعها، وأنهم أتوا ببدع من القول والفعل والاعتقاد، وخالفوا جماعة المسلمين في أصل اعتقادهم، من أجل ذلك كله تصدت لها (الشهاب) بالفضح والكشف وأبانت عن ضلالها حتى لا يغتر بها مغرور، وقد لخصت (الشهاب) غرضها من هذا بقولها: "وما بقي على العلماء المصلحين إلا أن يعرفوا بضلال هذه الطريقة القاديانية الضالة، وليعلم باالقطع ضلال العليوية وأختها المبتهجة بها، لأن الضال لا يلتصق إلا بمثله، والشّكل لا يحن إلاّ إلى شكله، والأمر الآخر ليحذر الجزائريون من عائلة القاديانية التي أرادت أن تتخذ جريدة العليويين الحلوليين ركوبة لها تنشر عليها ضلالتها في القطر الجزائري"[1].

وقد استند المصلحون في إلزام العليويين وشيخهم – بهذه المعتقدات الضالة والمخالفة لما هو عليه السواد الأعظم من المسلمين- وكذلك بعض المتصوفة المعاصرين وبخاصة القول بالحلول ووحدة الوجود، على أقوال رويت عنهم، ونسبت إليهم، ورُوّجت بأسمائهم طبعاً ونشراً، فلم ينكروها و لم يتبرءوا منها[2]،

**-وفي هذا الصنف من المتصوفة المتأخرين يقول ابن خلدون: "ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة (وحدة الوجود) وملئوا الصحف منه مثل الهروى في كتاب (المقامات) له، وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية (الباطنية) المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهما (أي السلف الصالح) فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين". ابن خلدون، المصدر نفسه، ص.423.

***- الدرقاوية: طريقة صوفية كان أول ظهورها بالمغرب الأقصى، وأصلها هي الطريقة الشاذلية، تنسب إلى محمد العربي الدرقاوي (ت1223)وتنسب إلى الدرقاوية مواقف مختلفة منها: أنها خالفت تعاليم الشاذلية في التسامح والحياد إزاء السياسة والمهادنة، ومنها أنها أعطت دفعا جديدا للشاذلية رغم بقائها من الناحية الفلسفية تلميذة لها، ينظر عن تاريخ هذه الطريقة: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.5، ط.1 دار المغرب الإسلامي، بيروت:1998 ص-ص. 112،122.

1- الطيب العقبي، مصدر سابق. ص.8.

2- أحمد حماني، مرجع سابق، ص. 176.

وخاصة ديوان الضلال (لابن عليوة)، وبذلك استحقوا أن ينسبوا إلى هذه الفرق الباطنية القديمة والحديثة، وشبه الشيء منجذب إليه[1].

والواقع أن شيخ الطريقة العليوية (ابن عليوة) يشبه كثيرا القادياني صاحب الطريقة القاديانية من وجوه كثيرة:

- فغلام أحمد القادياني قد أدعى النبوة، وزعم أنه يتلقى الوحي من الله وأن الوحي مستمر، وابن عليوة قد أدعى الألوهية وزعم أنه هو الله كما في ديوانه.

- والقادياني يزعم أن أتباعه ومريديه قد ملؤوا الأرض بكثرتهم وعلى اختلاف أصنافهم، وأن المَلك الفلاني، والأمير الفلاني، والعظيم الفلاني قد اتبعوه واعتنقوا دينه الجديد، وشيخ الحلول (ابن عليوة) يدَّعي أن أتباعه لاتخلوا منهم بقعة من الأرض مشرقها ومغربها، فأهل اليمن في زعمه كلهم من مريديه وأتباعه، وأن زواياه منتشرة في أمريكا وأروبا واليابان.. وليس ببعيد أن يدعي أن سكان المعمورة وأهل السماوات والكواكب الأخرى، قد صاروا أتباعا له ومريدين، بل بلغ به الأمر إلى ادعائه أن كل بطل ظهر في الأرض إلا وهو من مريديه .

- والقادياني يشتم خصومه ومناوئيه بأنهم كانوا مدحوه، حتى أن أحد خصومه أجابه وقال: مدحتك قبل أن تدَّعي النبوة، وكذلك ابن عليوة يسبُّ ويشتُم خصومه، الذين أنكروا عليه هذه الدعاوى والاعتقادات الباطلة وادعائه الألوهية، بأنهم كانوا أثنوا عليه وقالوا فيه خير[2] فيصدق عليه قول القائل: أن شبه الشيء منجذب إليه.

وبهذا افتضح ابن عليوة وطريقته، وصحَّت نسبته إلى غيره من الفرق الأخرى من الباطنية والقاديانية، وأنه أخذ عنهم وجدَّد طريقته بعقائدهم، فالعلاقة بينهم وطيدة ومتصلة، ومما زاد الطين بلة ما قامت به هذه الطريقة من محاولة السطو بابن باديس والقضاء عليه وبالتالي القضاء على الحركة الإصلاحية؛ وذلك لما اشتد النكير على الطرقيين عموما والعليويين بالخصوص من طرف رجال الحركة الإصلاحية وكتابها الأحرار، وحملتهم الواسعة على هؤلاء أذناب الاستعمار الذين ما برحوا ينشرون أفكارهم الباطلة واعتقاداتهم الزائغة، إلا أن العلماء المصلحين وعلى رأسهم ابن باديس لما رأوا الأمر أمرا منكرا[3]، أججوا

1- صدر بيت لأبي الطيب المتنبي. وتمامه: وأشبهنا بدنيانا الطغام.

والطغام: هم أراذل الناس وأوغادهم وأوباشهم. ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1994، ص.473.

2- محمد السعيد الزاهري، "شيخ علماء الجزائر أم شيخ الحلول،" الشهاب، ج.11، م. 9، جمادي الثانية 1352 الموافق لـ: اكتوبر 1933،ص.449، 450.

3- وهذا الكلام صدر بيت شعري ينسب لعلي ابن أبي طالب قاله في حق غلاة الشيعة الذين ألهوه وجعلوه ربا من دون الله، قال فيهم:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا ... أججت نارا ودعوت قنبرا.

أقلامهم وألسنتهم لصدهم وصد كيدهم، وكان إعلان الحرب علانية على هؤلاء القوم بعد تأسيس جريدة المنتقد- الشهيد – الذي هم اسم على مسمًّى، والذي راح ينتقد بشدة وبقوة لاهوادة فيها هؤلاء الطرقيين ...والذي يعتبر الصحيفة الأولى التي ظهرت في الجزائر وحملت راية الدفاع عن الإسلام الصحيح وما ألصق به من البدع والمنكرات ... وكان يكتب فيها رجال من خيرة أبناء الجزائر الذين تربوا في أحضان الإسلام الصحيح، وأشربوا من ينابيعه الصافية، وتخرجوا من خيرة المعاهد الإسلامية بالداخل على يد ابن باديس وبالخارج في المعاهد والجوامع، فراحوا يكشفون حقيقة هذه الطرقية، وما هي عليه من الانحرافات، إلا أن القدر شاء لها أن تعطل بقرار حكومي من طرف الإدارة الاستعمارية وذلك خوفا منها ومن مبدءها، إلا أن ابن باديس ورجاله لم يتوانوا و لم يستسلموا بل ازدادوا إيمانا وقوة فأسسوا جريدة أخرى على نسق الأولى (المنتقد) مع إحداث بعض المرونة في مبدءها وسياستها، إلا أنها كانت على الطرقيين كالشهب النارية، تحمي هذا الدِّين من كل شيطان مارد، ومن كل ملبس خائن.

وأول صدام عنيف بين رجال الإصلاح وأصحاب الطرق الصوفية كان مع الطريقة العليوية وشيخها ابن عليوة، وهذا "بعد أن آلت إليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي"[1] ولكن ابن عليوة كان له طموحا أكبر فجدَّد الطريقة – كما ذكرنا – وأدخل فيها أمورا جديدة، وألبسها لباسا جديدا وأخذ يدعو إليها وينشر عقائدها ...حيث ذاعت وانتشرت في القطر الجزائري وخارجه، وأصبح لها مريدون كثر يعدون بالآلاف، و لم يكن هذا يخفى على ابن باديس وأصحابه من العلماء.

وجاءت القطرة التي أفاضت الكأس وذلك عندما أقدم ابن عليوة على نشر ديوانه وأعلن فيه عن مذهبه واعتقاده وأباطيله، ولمَّا سمع ابن باديس بهذه الأبيات وما حوت من الضلالات وعن سوء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، سئل – رحمه الله –عن حكم من يقولها، وهل جائز أن يوجه إلى رسول الله مثلها؟

وحسب أحمد حماني فإن ابن باديس تردد في الإجابة عن هذا السؤال، وبعد أن استخار الله كتب في الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم غزيرة العلم عنوانها (جواب سؤال عن سوء مقال) الذي انتهى من تحريرها والإجابة عن السؤال سنة 1922 من شهر ذي الحجة، وبعث هذه الرسالة إلى مجموعة من العلماء الكبار في المغرب وتونس والجزائر لقراءاتها وتقريظها[2].

1- أحمد حماني، ج. 2، مرجع سابق،ص. 62، والبوزيدي هو شيخ الطريقة الدرقاوية المتوفي سنة 1909.

2 -منهم: الشيخ محمد النخلي، بلحسن النجار، الطاهر بن عاشور، شعيب بن علي التلمساني، المولود بن الموهوب، العابدين أحمد بن سودة، محمد بن العربي، كما قرَّظها غير واحد من أصحاب الجرائد والمجلات العربية، كمجلة الفتح القاهرية. ينظر: أحمد حماني، مرجع سابق ص.63.

لنتصور كيف كان وقع هذه الرسالة في المجتمع؟ وما هي ردود الفعل عليها؟ وما هي الأساليب والطرق التي اتخذها العليويون لرد هذا الجواب؟

لقد كانت الصدمة عنيفة وقوية أصابت الطريقة وشيخها في مكمن سرِّها وشكّكت في عقيدتها ونبهت جمهور الأمة إلى ما ينشره هؤلاء، حتى اضطروا إلى تأليف كتاب جمعوا فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفاتي والنواب وأصحاب المجالس والأعيان بصحة إسلام الشيخ وسلامة اعتقاده، وأرادوا أن يبرؤا شيخهم مما هو عليه من انحراف وضلال ويلبسوا على الناس أنه يسير مع سواد الأمة، وأنه يدور مع القرآن والسنة حيثما دارا وينهل من علمهما، وهيهات هيهات أن يرجع دعاة الضلال عن دعواهم، فلم يسحب ديوانه من السوق و لم يكتب حرفا واحدا يبين تراجعه عما يقول بل ثبت على عقيدته ومذهبه.

ولما ظهرت الصحافة في منتصف العشرينيات بدء (بالمنتقد) (والشهاب) (والإصلاح) وغيرهم، حملوا حملة شنعاء على دعاة الطرق الصوفية وشيوخها وعلى البدع والمنكرات التي أثخنت وسيطرت على عقول العامـــة ورمت بهم في غيابات الجهل وجعلتهم يستسلمون للقدر ولسان قالهم (كل شيء مكتوب علينا) ونـــبذوا الأســـباب الشـــرعية وراءهم ودخلوا في مذهب جديد ارتأينا أن نطلق عليه (بالمذهب السكوني STATIQUE)، واجتمع جيش المصلحين على هؤلاء بأسلحتهم الوهاجة واشترك في الكتابة فطاحلة العلماء والكـــتاب والمفكـــرين من مختلف البلدان العربية وخاصة من المغرب وتونس، فضلا عن أهل البلد، ولقد اشتدت المعركة وحمى وطيسها وبرز كتاب أشداء على هؤلاء، كان أعنفهم لهجة وأجرؤهم الطيب العقبي ومبارك الميلي اللذين كانا يبثان مقالاتهم بالشهاب تارة بإمضاءاتهم وتارة بإمضاءات مستعارة، وهذا عندما يـــبالغون في الـــنقد والـــنقض يقول العقبي: "وأعدكم وعدا صادقا بأني إن شاء الله سأملأ البرق بمقالاتي الـــرعدية، الزجـــرية، وسأرســـل على رؤوس الشياطين كل ما أستطيعه من شهب نارية فأبعث إلى مجلة الشهاب ما يليق بها من كل ما يتفق مع خطتها وأرسل بما يلتئم مع البرق ويخطف سناء أبصار المجرمين"[1]، وأمـــا (الميـــلي) فيقـــول عنه محمد علي دبوز: "وكان يهجم على الإلحاد الذي تبثه المدارس الاستعمارية ويهاجم ضلالات الطرقيين الضالين (كزردات القبور) وحفلات مواليد الطرقيين واعتقاد العامة في الشيخ وطريقـــته ما ينافي الدِّين... ولقد هاجم الشيخ الطرقيين في دروسه وكتاباته وانقض عليهم بمعاوله..."[2] وأمـــا أحمـــد حمـــاني فيؤكد: "أن قلمه كان شديدا في حرب الضلالات والبدع والخرافات ودجل بعض المنتســـبين إلى التصـــوف وخاصـــة (دعاة الحلول ووحدة الوجود) لبعدهم عن الحق في القول والاعتقاد والسلوك"[3].

1- الطيب العقبي، "إلى الأمام إلى الأمام"، البرق، عدد 7، مصدر سابق. ص.2.

2- محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة، ط.1،المطبعة العربية، الجزائر، 1389 هـــ 1969. ج. 3 ص. 268.

3- أحمد حماني، مرجع سابق. ج. 2. ص. 14.

ولما عجز العليويون عن المجابهة وأيقنوا أن المعركة ليست في صالحهم، وأن الفشل ذريعهم راحوا يكيدون كيدا ويدبرون أمرا، وهو الإنتقام من الحركة الإصلاحية عموما وزعمائها خصوصا، ورأوا بمكرهم وخبثهم أن ينتقموا من زعيم الحركة الإصلاحية بن باديس، وذلك بالتخلص منه، والقضاء عليه، وظنوا ظن السوء أن بموت ابن باديس تموت حركة الإصلاح في الجزائر، وذلك ظنهم أرداهم فأصبحوا من الخاسرين.

وهكذا عقدوا اجتماعا لهم بمدينة مستغانم، مركزهم ومنبت دعوتهم وقرروا قتل ابن باديس حيث أرسلوا إليه فدائيا منهم يدعى (ممين أو ميمان)[1] فسافر لأداء مهمته (الخبيثة) من مستغانم[2]، وركب القطار ووصل إلى قسنطينة، وشرع مع إثنين آخرين أو ثلاثة من أعوانه يترصد للشيخ والتحقق في معرفة مسكنه وتحركاته وأوقاته... ثم أقدم مساء تسع من جمادى الآخرة 1345هـ الموافق لـ: 14ديسمبر 1926 على محاولته الآثمة، فأصابته بضربتين على رأسه وصدغه من هراوة وأدماه، وحاول أن يسل (موسي) من نوع (بوسعادي) ليجهز عليه ويطعنه ولكن شاء الله أن يبقى ابن باديس ويبطل كيد هذا القاتل[3]، وقد دُبرت هذه المكيدة بالليل في منتصفه بعد رجوع ابن باديس من دروسه التي كان يلقيها في الجامع الأخضر ولكن الله أراد خيرا **{ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}**[4].

وقد اعتبرت جريدة (النجاح) هذا السطو ليس سطوا على الشيخ عبد الحميد بن باديس بل هو سطو على من انتسب للعلم والمهنة الصحفية[5].

هذه هي العليوية وهذه حقيقتها وغاياتها، بل لا نرى دليلا أوضح من مكر وخبث هذه الطريقة وأتباعها وشيوخها من هذا الدليل ومن سوء قصدها.

1- اسمه محمد الشريف من دوار الجعافرة بلدية مجانة دائرة برج بوعريريج ولاية سطيف.

2- يذكر الميلي عن السبب المباشر في الانتقام من ابن باديس أن هذه الشردمة (من العليويين)اجتمعت وتحدثت فيما بينها فيما تنشره (الشهاب) – عرضا – ضد ترهات شيخها وقررت الانتقام من "بيضاوي" ولما لم تعرف شخصه هولت على جريدة (الشهاب) وطلبت منها تعيينه لها فلم يؤثر ذلك في الإدارة شيئا وأجابتها بالرفض وهناك قررت بإجماع الأصوات، أن تعبث بحياة الأستاذ بن باديس لكونه المشرف على تلك الإدارة. ينظر: بيضاوي (الميلي)، "ابن ملجم القرن العشرين"، الشهاب، عدد 78، 2 رجب 1345، الموافق لـ: 6 جانفي 1927. ص.4.

3- أحمد حماني، مرجع سابق ص. 64.

4- سورة الأنفال، الآية 30.

5- مجهول، "أبهذا تعامل العلماء"، النجاح، عدد 382، جمادي الثانية 1345 هـ الموافق لـ: 17 ديسمبر 1926، ص. 2.

وكان وقع هذا الحادث فضيع في الأوساط الداخلية والخارجية، وبذلك انكشف الغبار عن هذه الطريقة[1]، وبانت حقيقتها ودخلت نهر التاريخ الأسود الذي لا يرحم، وقد قيل في هذه الحادثة الفظيعة من النظم والشعر حينئذ في مختلف الصحف الجزائرية وغير الجزائرية الشيء الكثير. نشرت (الشهاب) الكثير منها[2]، وقد تناولها – أحمد حماني – بالتسجيل والشرح[3].

والحق أن هذه الحادثة التي استنكرها القاصي والداني حتى من أصحاب الطريقة نفسها قد أثرت ثروة أدبية من النثر الفني ومن الشعر مباحث علمية وأدبية ودينية راقية، وقصائد شعرية رائقة[4]، بل يعتبر هذا الحادث إضرام نار جديدة وصراع جديد بين أنصار السنة وأصحاب البدعة بين العلماء السلفيين والطرقيين المبتدعين، وبدأ عهد آخر من الصراع، واشتدت الأقلام في التحذير من هذه الفرقة الباطنية. والمتأمل في (الشهاب) يجد أن صراعها مع الطرقية يكاد يكون منصبا وموجها للطريقة العليوية وشيخها ابن عليوة.

جـ– موقف الشهاب من الطريقة التيجانية:

من أشهر الطرق وأكثرها انتشارا في القطر الجزائري الطريقة التيجانية[5]، التي ما برحت تنشر عقائدها ودعاويها في نفوس الشعب الجزائري، وتضلل عقولهم، وجعلتهم يتيهون في بحر من الخرافات والاعتقادات الباطلة،وهذه الطريقة تتفق مع الطرائق الأخرى في كونها قد جاءت ببدع من الأقوال والأفعال

1- حتى سماها (أي العليوية) صاحب جريدة النديم حسين الجزيري "طريقة الدبوس"، والنديم: جريدة تونسية هزلية اجتماعية. صاحبها حسين الجزيري من أقدم الجرائد التونسية، ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية ج.1. ص. 117.

2 -ينظر: تفاصيل الحادث ابتداء من العدد 75 وما بعده .

3- ينظر: أحمد حماني، ج1.مرجع سابق.

4- عن بعض القصائد التي قيلت في هذا الحادث ينظر:

- العدد 78.
- العدد 79 قصيدة طويلة للزاهري (محمد السعيد)
- العدد 81 قصيدة طويلة لمحمد السعيد
- العدد 83 قصيدة طويلة للعقبي (الطيب)
- العدد 94 قصيدة طويلة بإمضاء (غريب) و (علوي) وهما قصيدتان.

5 – الطريقة التيجانية: نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني (ت 1230هـ.1814م)، والتيجانية ظهرت في الوقت الذي بدأ العثمانيون يتوجسون خيفة من نشاط الطرق الصوفية عموما، وقد أخذ التيجاني طريقته من كثير من الطرق منها القادرية، والطيبية، والرحمانية، والحبيبية، والمدنية (بالمدينة المنورة)، والخلوتية (بالقاهرة)، وكثير من الشيوخ، ولكن مصادر التيجانية تذهب إلى أن الشيخ قد تخلى عن جميع الطرق بعد أن ظهر له الفتح الكبير (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم)حسب زعمهم، وهو الذي أمره بترك جميع الطرق، والتيجانية لها مبادئ خاصة بها، انفردت بها عن سائر الطرق الأخرى منها التضييق على التابع وإلزامه على البقاء فيها إذا اختارها، وعدم الدخول في أخرى وهو فيها، وقد جمعت في عقائدها وأورادها بدع كفرية ضاهت بها بقية الطرق الأخرى ولهذا لقيت اهتماما كبيرا من طرف الكتاب والباحثين حيث أفردوها بالدراسة والبحث، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص-ص.191-244

خارج عن دائرة الذين الصحيح والاعتقاد السليم، وتتفق معها أيضا في تشييد القباب والبناء على القبور والتوسل بها والذبح لها، ودعاء غير الله، وعقد الولاء والبراء على الشيخ وتفضيله على سائر الناس، وتفضيل أهل بيته ...هذا جملة ما تتفق مع الطرائق الأخرى ولهذا استُحقت أن تدعى طريقة، إلاّ أن الشيء المؤكد والذي تدل عليه معظم المصادر التاريخية وكثير من الكتب العقدية أن الطريقة التيجانية انفردت باعتقادات خالفت به الطرائق في كثير من طقوسهم ومناهجهم، وإذا كانت كذلك فما هي أهم مظاهر انحرافها وما هي بدع هذه الطريقة؟ وما هو موقف رجال الإصلاح وعلماء الجزائر من المصلحين وكتاب (الشهاب) بالأخص من هذه الفرقة التي انتحلت لنفسها مهيعا جديدا ومنهاجا مخالفا لاعتقاد المسلمين؟

إن المتتبع لعقائد التيجانيين وما كتبوه عن طريقتهم واعتقاداتهم واختراعاتهم في الدِّين وما كتبه عنهم معظم الدارسين من المؤرخين الذين أرّخوا للطرق في الجزائر وتاريخها، وكذا بعض من كتب في العقائد الإسلامية والفرق الإسلامية الأخرى من المعاصرين بالأخص، لنجد أن جملة عقائد التيجانية تتلخص في خمسة أصول اشتهرت عنهم وصارت علما عليهم[1].

لقد ادعى المنتسبون إلى الطريقة التيجانية:

1- أن قراءة (صلاة الفاتح) أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرة، متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن.

2- أن صلاة الفاتح علمها النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب الطريقة و لم يعلمها لغيره.

3- أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم ولا يترتب عليها ثواب إلاّ لمن اعتقد ذلك.

4- أن مؤسس الطريقة التيجانية أفضل الأولياء .

5- وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر ذنوبه الصغار والكبار وحتى التبعات[2].

هذا ملخص ما يعتقده أصحاب الطريقة التيجانية، تلك الطريقة التي انتشرت في ربوع العالم الإسلامي ولها مريدون كثر، وأتباعا يعدُّون بالآلاف.

---

1 - وقد تناول الباحثين والكتاب عموما الطريقة التيجانية بالبحث، وحتى الأجانب، وكذا بعض الدراسات الجامعية التي أفردت هذه الطريقة، وعن دورها في إفريقيا عموما، وكانت أغلب هذه الدراسات منصبة على بيان الانحرافات العقدية لهذه الطريقة من جهة، ومن جهة أخرى اهتمت بعض الدراسات التاريخية ببيان دورها في مقاومة الاستعمار، وكذا ركونها وخضوعها له وتسخيرها في خدمة مآربه. عن مصادر هذه الطريقة، وأهم الكتب التي تطرقت لها، ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص. 191، 192

2 - ابن باديس، "جواب صريح"، الشهاب، ج.7، م.14 رجب 1357 الموافق لـ : سبتمبر 1938، ص،50، وكذلك، مسلم غيور، "ذكرى لمن كان له قلب،" الشهاب، عدد 79، 16 رجب 1345 هـ الموافق لـ 20 جانفي 1927، ص.11.

ونظرا لخطورة هذه الطريقة على عقيدة المسلمين ودينهم، فقد تصدى لها العلماء المصلحون بالرد عليهم وفضح عقيدتهم، وبيان باطلهم، وتحذير الناس من الوقوع في حبائلهم وشراكهم، وفي هذا السياق كان من أبرز العلماء الذين رأوا من واجبهم الديني أن يبين انحرافات هذه الطريقة، ابن باديس صاحب (الشهاب) الذي دحض بعلمه الصحيح المبني على الكتاب والسنة الصحيحة وأقوال السلف وقواعد الدين، كل شبهة وكل أصل تشبَّث به هؤلاء القوم ودادوا عن حياضه بتأويلات فاسدة وافتراءات كاذبة، إضافة إلى انحرافهم في الدين، فقد صاروا من أنصار الاستعمار الفرنسي، ولهذا اشتد النكير عليهم من جهتين: من جهة الانحرافات العقدية، ومن جهة مساندتهم للاستعمار الفرنسي، وتسخيرهم في قضاء مآربه[1].

وما كانت (الشهاب) لتحاربهم إلاّ أنهم صاروا خطرا على المجتمع، حيث أوقعوه في خرافات واعتقادات جعلته أسيرا لها، وهذا ما يناسب فرنسا التي عملت على تشجيعها ومساعدتها ماديا ومعنويا واستعمالها كسلاح لضرب الحركة الإصلاحية وتفكيكها.

ثم إن ابن باديس وجماعته من العلماء لم يكونوا هم السباقين لكشف عقائد التيجانية وأباطلها بل تعرض للتيجانية بالنقد والرد وكشف عقائدها وأباطلها كثير من العلماء، منهم من عاصر التيجاني، ومنهم من جاء بعده[2].

ولقد أصدر ابن باديس فتوى في معرض ردِّه على التيجانية وعقائدها وخلُص إلى هذه الحقيقة بعد أن عرف عقائدها وما عليه القوم بقوله: "فالمندمج في الطريقة التيجانية على هذه العقائد ضال كافر، والمندمج فيها دون هذه العقائد عليه إثم من كثر سواد البدعة والضلال ... والطريقة التيجانية ليست كسائر الطرق في بدعها، والمشاهد اليوم من أضرارها بل هي طريقة موضوعة لهدم الإسلام تحت اسم الإسلام، فإن كتبها وأقوال أصحاب صاحبها مطبقة على هذه الطوام وأكثر منها ... ولو كان عالما عاملا بالكلمة المنسوبة إلى صاحب الطريقة – والله أعلم بصحة نسبها – (زنوا كلامي بميزان الكتاب والسنة) لأعدموا تلك الكتب، أو حرَّموا على جماعتهم قراءتها أو حدثوا منها تلك الكفريات والأضاليل وأعلنوا البراءة منها للناس لكن لم يقع شيئا من ذلك، فبهذا صارت الطريقة التيجانية في نظر أهم العلم بالسنة والكتاب كأنها مسجد الضرار ضد الإسلام... فالله يقول في نبيه خاتم الأنبياء، وهم يقولون في الشيخ

---

1 – ينظر: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900)، م. و. ك، الجزائر، 1984، ص. 25.

2 – من بينهم أبو القاسم الزياني في كتابه (الروضة السليمانية)، وابن عبد السلام محمد بناني، وله مجموعة نفيسة تعرض له في مواضع منها وسيدي أحمد البكاي في منظومة له، وكتاب له بالخصوص في مجلد، ومن بعده أيضا محمد ابن عبد الكريم في كتابه (الكمال المتلالي) والشيخ سيدي الفاطمي، في بعض تقاييده عليها، وابن عزوز التونسي في مجلد، ورشيد رضا في المنار. ينظر: الشهاب، عدد 80، 16 رجب 1327 الموافق 20 جانفي 1345، ص. 12، 13 و لم أتمكن من الإطلاع على هذه الكتب وعلى أصحابها، لقلة الوقت وصعوبة معرفتها ومعرفة مظانها.

التيجاني هو الختم هو لبنة التمام للأولياء فحجروا على ملكه وقطعوا المدد المحمدي وهم لا يبالون أو لا يسعون، وحتى إن شعروا فالمقصد يبرر الواسطة ... فهذه الطريقة ما وُضعت إلاّ لهدم الإسلام ولا أجزم بأن صاحبها هو الذي وضعها هذا الوضع فقد يكون فيمن اتصل به من كيد هذا الكيد ودسّ هذا الدسّ وليس مثل هذا الكيد جديدا على الإسلام[1]..." وختم ابن باديس كلامه بكلمة وجهها إلى العلماء، ولكل عالم تيجاني بأن ينظروا فيما كتبه ابن باديس، والإجابة الصريحة أن يُقرُّوا ما أنكره العلماء والمصلحون وأن يعلنوا إقرارهم وإذا أنكروا ما أنكره العلماء والمصلحون فيعلنوا إنكارهم له ويُصرّحوا:

- أن صلاة القاتح ليست من كلام الله.
- وأنها ليست مثل الصلاة الإبراهيمية.
- وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها لصاحب طريقتهم.
- وأن لا فضل له ولأتباعه إلاّ بتقوى الله.
- وأن المنتسب إلى طريقتهم لا يمتازوا من المسلمين من غير المنتسب إليها[2].

هذا هو موقف (الشهاب) من هذه الطريقة ومن المنتسب إليها، وإن كان قاسٍ معها وعنيف في الحكم عليها، فهذا عملا بالقاعدة: "أن الشرع لا يُجامل"، فبقدر ما يكون الانحراف بقدر ما يكون الرد والنقد.

لعل ما ذكرنا عن الطريقة العلوية والتيجانية من عقائد أفسدت الذين وعقّدت من سير الحياة، وجعلت من المجتمع الجزائري بين هذه وتلك كاف لمعرفة حقائقهما وسوء قصدهما، وقد يقول قائل ما هي الأسباب الرئيسية التي مكنت هذه الطرق وبالأخص هذين الطريقتين أن يبلغا ما بلغا إليه؟ قلنا لعلّها جملة من الأسباب أهمها:

- الجهل المخيم على أغلب الشعب الجزائري والأمية المتفشية في أوساطه.
- التعصب والتقليد وتحكيم الرجال مكان الحق.
- الاستنان بالرجال دون الحق.
- تلبيس إبليس على العوام وحتى الخواص من أصحاب التصوف وأهل المعرفة بالله.

---

1 – ابن باديس، المصدر نفسه، ص-ص. 55-57.

2 – ابن باديس، المصدر نفسه، ص. 57. وعن معتقدات التيجانية وأهم مصادرهم وعلمائهم ينظر ما كتبه (ابن باديس) في المصدر نفسه، وكذلك ينظر: المختار من الأقوال التيجانية في الأنبياء والصحابة والأولياء والطرق والعقائد والتشريع، وهي مختارة من كتب التيجانية كـــ: جوهر المعاني، المطبوع بالمطبعة الأزهرية سنة 1345، والإفادة الأحمدية المطبوع بمطبعة الصدق الخيرية سنة 1350، وبغية المستفيد، وبهامشها الجيش المطبوعين بمطبعة التقدم سنة 1326هـــ، وهذه من أمهات كتب التيجانية، وقد نقلت لنا الشهاب مختارات من أقوال التيجانية من هذه الكتب. ينظر: إبراهيم القطان، "المختار من أقوال التيجاني"، الشهاب، ج.7، م.10، ربيع الأول 1353 الموافق لـــ : جوان 1934 ص-ص. 302-309.

- دور الاستعمار في نشر هذه الطرق ومساندتها وتسخيرها في خدمة أغراضه.
- البعد عن الدين الصحيح واتباع الهوى وتقديم العقل مكان النقل.
- استغلال بعض من ينتسب إلى العلم والصلاح جهل الناس في قضاء مآربه.
- الجهل بالدين الصحيح الذي كان عليه سلف هذه الأمة أدى إلى الغلو فيه.

وأسباب كثيرة وعديدة أدت إلى تغلغل الطرقية داخل المجتمع فقضت عليه وعلى الفكر الإسلامي الصحيح، مما أدى بالعلماء والمصلحين إلى القيام بهذا الواجب الكفائي في صد انحرافات هؤلاء ومحاربتهم وبيان ضلالهم علّهم يرجعوا أو يتراجعوا عن عقائدهم وأباطيلهم.

د- الصحافة الطرقية والشهاب:

لم تجد الطرقية متنفسا أما هجمات المصلحين وحملتهم الصادقة على انحرافاتها وضلالها، من خلال صحفهم السيارة وأقلامهم الشديدة، في فضحها وكشف ما هي عليه من ابتداع في الدِّين وانحراف في العقيدة، ولم تجد ما ترد به هذه الهجمات سوى الرد بالمثل، وذلك حين أدرك الطرقيون ما للصحافة الإصلاحية من تأثير في المجتمع وحالها من انتشار وقبول لدى الشعب، ولدى عمدوا إلى تأسيس جريدة لهم تكون لسان حالهم وقوة دفاعهم، فـــأسسوا جريدة (البلاغ)[1] لسان حال الطريقة العليوية سنة1926، ويتزامن هذا التأسيس مع الانطلاقة القوية للصحافة الإصلاحية..

والمتصفح لهذه الجريدة منذ أعدادها الأولى يلاحظ أنها كانت تغلب عليها الناحية الدينية، إضافة إلى اهتماماتها بقضايا المجتمع الجزائري، والقضايا الإسلامية بالأخص، وقد تصدت لمختلف القضايا المطروحة آنذاك، على أن أهم الموضوعات التي طرقتها جريدة البلاغ، وعالجتها هي قضية التجنيس والتي وقفت ضدها وتصدت لها وبينت حكم الشرع فيها، وأنه يحرم التجنس بالفرنسية.

وما يسجل لهذه الجريدة من مواقف حميدة كشفها الفاضح لخطط المنصرين وخطورتهم على عقيدة النشئ الجزائري، وما يتبعه من الانسلاخ من أهم المقومات الأساسية للمسلم الذي هو الدِّين، كما نجد بها مقالات أخرى تهاجم موجة الإلحاد التي أخذت تتفاقم إبان العشرينات في المشرق العربي خاصة، التي بدأت آثارها تظهر في الجزائر وفي صفوف الشباب خاصة[2].

---

1 - البلاغ: صحيفة علمية، إرشادية، دفاعية، أسسها أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية، لتكون لسان حال هذه الطريقة التي أخذت الصحافة الإصلاحية تهاجمها منذ سنة (1926). وقد صدر العدد الأول منها في 1926/12/24 بمدينة مستغانم مقر الزاوية، حيث كانت تطبع بالمطبعة العليوية، لكنها ما لبثت وإن انتقلت لتطبع بالعاصمة، حيث أنشأت لها مطبعة عصرية، وذلك ابتداء من سنة 1930. ينظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص.80.

2 - ينظر: محمد ناصر، المرجع نفسه، ص.81.

والحاصل أن (البلاغ) هي الجريدة الوحيدة التي استطاع الطرقيون أن يدخلوا بها عالم الصحافة، والدفاع عن التصوف والطرقية، وحاولوا إلباس التصوف لباسا عصريا، وتجميع مختلف الطرق حولها حتى صارت من أقوى الطرق وأكثرها اتباعا ومريدين.

ومن هذا المنطلق كان لابد لها وأن تدخل المعركة مع الحركة الإصلاحية، فكان بينها وبين جرائد الحركة مشادات كلامية ومهاترات بلغت إلى درجة السب والشتم وتبادل التهم.

ويبدو أن ألدّ خصومها هي (الشهاب) التي دخلت معها في معركة ساخنة، حيث دارت بينهما مناقشات طويلة وانتقادات عديدة خاصة من جانب (الشهاب) التي أرخت العنان لألسنة المصلحين في فضح ونقد ما ينشر في (البلاغ)، من ترويج للمعتقدات الطرقية والانحرافات العقدية، التي كانت تنشر بها إضافة إلى إحيائها تلك المعتقدات الباطنية القديمة والحديثة ونشرها بين الناس موهمة إياهم أنها تدافع عن الحق والفضيلة، وعن التصوف الإسلامي.

والواقع أن الصراع بينهما طال عدة سنوات، حمل فيها كتاب الشهاب أمثال العقبي، والميلي، والتبسي، والزواوي حملة واسعة ومنكرة، كيف لا يكون ذلك، وهي تمثل العدو الثاني لرواد الإصلاح الديني الذين سخروا جهودهم وبذلوا كل ما في وسعهم لمحاربة الطرقية وأنصارها وكشف أباطلها وحقيقتها، بل إنه كان من أهداف ومبادئ (الشهاب) الدينية محاربة الطرقية وكل انحراف يمس الاعتقاد الصحيح والسلوك القويم وكل تحريف وتشويه للدين الإسلامي الصحيح، لكن هذه الجريدة ما انفكت تنشر البدع والضلال والانحرافات والأوهام، وتأييد أضداد الذين ومقاومة المصلحين، ومحاولة تشويه سمعتهم بما هم منه براء وما ينطبق إلاّ على حضرات أصحابها وأذنابها[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى مساندها الاستعمار الفرنسي وتسخيرها له أياها في تجهيل الشعب الجزائري وإفساد عقيدته، وجعله في دوامة من الجهل والمزيد من الانحطاط ووضعه في بوتقة من الصعب الخروج منها.

وكانت هناك جرائد أخرى غير (الشهاب) تعد من ألدّ الخصوم (البلاغ)، كجريدة (البرق) للزاهري، (والإصلاح) للعقبي، (والمغرب) لأبي اليقظان، وقد حمي وطيس المعركة بينها وبين جرائد جمعية العلماء أيضا، ولا سيما بعد أن تكونت جمعية: "علماء السنة"[2] في سنة 1932، وانشقاق شيوخ الطرقية عن جمعية العلماء[1].

---

1 – ينظر: مصطفى بن شعبان، "الجريدة الطرقية والشباب الناهض،" الشهاب عدد 124، 6 جمادى الثانية 1346 الموافق لـ1 ديسمبر 1927. ص. 14.

2 – جمعية علماء السنة: أسسها جماعة من الطرقيين بعد إنشقاقهم عن جمعية العلماء المسلمين، وذلك عندما رأوا أن أمر الجمعية قد أفلت من أيديهم واستحوذ بها المصلحون وحدهم، وذلك عندما اقتنع بعض المحافظين، وكما تبين ابن باديس نفسه أنه لا سبيل للمفاهمة بين الكتلتين؛ لأن الشقة بينهما واسعة دينيا وسياسيا وأنهما على طرفي نقيض، ففضلوا تكوين جمعية رسميا يوم 15 سبتمبر =

وكانت في صراعها مع الحركة الإصلاحية تستعين بالكتاب والشعراء معا؛ إذ نجد من كتابها (الحافظي) الذي خرج عن الحركة الإصلاحية في الثلاثينات، والعاصمي، وشاعر يطلق على نفسه شاعر السُّنة والسُّنيين، وذوا الفقار، كما كان يقف إلى جانبها كُتَّاب من المغرب الأقصى عرفوا بنزعتهم الطرقية[2] وعدائهم للإصلاح والمصلحين، ولذلك وصفها مبارك الميلي بقوله: "اتخذت العليوية ورقة دعتها دفاعية، وندعوها في حقيقتها لا حقيقتهم هجومية على الأعراض، وبما أن الكشوت* لا عروق لها، فقد استعانت بعروق أخرى، واستعانت منها الورق، وأصدرت ورقة باسم الدفاع عن الصوفية عامة لا عن عرقها العليوي خاصة ..."[3]

وهكذا راح الشباب الناهض (الشهابيون) يدافعون عن الإسلام الصحيح "صادقون في دعوتهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، غايتهم هداية الأمة، وإرجاعها إلى أصلها، فهم ينكرون على المبتدعين والطرقيين الدّجاجلة والملحدين أقوالهم وأفعالهم بدعوتهم إلى روح الدِّين، ونبذ عقائد المشركين الذين لا يعبدون إلها واحدا، بل يعبدون القبور ويقدسون الموتى ويقبلون الأضرحة، ويتمسحون بالتراب ويتمرغون على كرم الهندي ويأكلون الزجاج..."[4] وليس القصد من (الشهاب) وكتابها ومن هذه الردود والانتقادات والنقوض التي حملوها على (البلاغ) إلاّ هدايتهم وتعريفهم بالإسلام الصحيح المبني على الإخلاص والمتابعة وإرجاعهم إلى ما كان عليه أهل القرون الأولى من الصحابة وتابعيهم اعتقادا ومنهجا وسلوكا. يقول التبسي عن البلاغ العليوية: "... والذي أجزم به أن كل من قرأ صحيفة البلاغ يعلم أن تحت ضلوعهم داء دويا، وأنهم يكتبون ما يكتوون، لقول الرعاع والغوغاء أتباع كل ناعق الذين وضعهم الله تحت رعايتهم، فغشُّوهم، وما نصحوا لهم وتحيَّلوا اللعب بعقولهم ليقولوا أنهم يدافعون عن الدِّين وتبذون الخصُوم وتذبُّون عن الصوفية..."[5].

=1932، وجعل على رأسها المولود الحافظي الأزهري، وتبنت هذه الجمعية جريدة تكون لسان حالها، وهي جريدة (الإخلاص) تحت إشراف الحافظي وإدارة عمر إسماعيل، وكان أول عدد لها صدر يوم 16 شعبان 1351 الموافق لـ: 14 ديسمبر 1932. ينظر: عبد الرحمان بن العقون، مرجع سابق، ص.249. وكذلك أحمد الخطيب. مرجع سابق، ص-ص. 180. 182.

1 – محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 82.

2 – المرجع نفسه، ص. نفسها.

* – الكشوت: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض. محمد ناصر. مرجع سابق، ص. 82.

3 – مبارك الميلي، "حول ثرثرة الحافظي"، الشهاب، عدد 113، 11 ربيع الأول 1346 الموافق لـ 8 سبتمبر 1927، ص. 4.

4 – مصطفى بن شعبان، "جريدة الطرقية والشهاب"، مصدر سابق، ص. 14-15.

5 – العربي التبسي، "لقد سمعنا باطلا فأين حقه"، الشهاب، عدد 124، 6 جمادى الثانية 1346 الموافق لـ: 1 ديسمبر 1927، 12 ، 13.

ويمكن القول أن العراقيل التي واجهت زعماء الإصلاح في طريقهم والتي كانت عثرة في سبيلهم هي جريدة (البلاغ) – الشيء الذي دفعهم إلى صرف الكثير من الوقت في نقد ما تنشره وبعض ما تدعيه من اعتقادات وسلوكات مخالفة للمنهج الصحيح والطريق القويم، ورغم ذلك فقد أثرت المناقشات والمهاترات والمناظرات ثروة دينية وفكرية هامة ساعدت في تبلور الفكر الإسلامي الجزائري من مرحلة الجمود والتقليد والسكون إلى مرحلة النقد وتبادل الآراء والأفكار، وبذلك تحرر هذا الفكر وصارت القضايا الدينية والاجتماعية محل أخذ ورد، وفتحت أبواب المناظرات التي كانت إلى زمن قريب في طي النسيان.

3- البدع والمنكرات:

لا يخفى أن الداء الذي سرى في جسم الأمة الجزائرية، وأنهك قواها وأفسد عليها دينها ودنياها هو داء الابتداع في الدين، أو داء البدع* الذي شوه جمال الإسلام الطاهر وألبسهُ حُلة من الخرافات والأوهام، وزاد تعقيدا في الحياة الدينية والاجتماعية، وصار الناس ينظرون إلى الدِّين وكأنه مجموعة من الأوهام والخرافات، بل وانقلبت تلك الصور المخزية إلى دين، وأصبحت السنة بدعة والبدعة سنة. وإن أشنع ما أصاب الأمة الجزائرية في دينها وأصل اعتقادها بدعة الطرقية التي أحدثت في الدين بدعا كثيرة واستحسنتها للناس وجعلتها دينا يعبد وشرعا يتبع، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وجاءوا ببدع من الأقوال والأفعال والاعتقادات، وكثير من السلوكات المحدثة، على أن أكثر البدع والمنكرات التي أصابت المجتمع الجزائري منشؤُها من الطرقية ومشايخها ومن جهلة الناس وغوغائهم.

ولهذا حملت (الشهاب) حملة منكرة على هذه البدع والمنكرات التي تفشت في المجتمع وغيَّرت الكثير من مفاهيم الإسلام الصحيح، بأوضح البراهين وأقطعها، مستعينة في ذلك على التشهير بالبدعة لا بصاحبها ونقدها نقدا مبنيًّا على قواعد الشريعة وأصولها موضحين سبب بدعيتها ومخالفتها للشرع[1].

هذه البدع التي تفشت في الأمة عوائد ممقوتة في نظر الشارع، ولا يمكن التقرب إلى الله بفعلها لأنه لا يعبد إلا بما شرَّع، والمجتمع الجزائري آنذاك أضفى على هذه البدع صفة القُدسية والتفضيل على الأحكام الشرعية في سائر الحوادث التي تتجدد حينا فحينا، حتى صارت في نظرهم عقيدة راسخة في نفوسهم لا يمكن الميل عنها ولا مخالفتها، هذا ومهما حاولت أن تفهمهم بأن هذا الفعل مخالف وعلى طرفي نقيض لنصوص الوحيين، بل قد يسرى إلى أذهان القاصرين المنتسبين للعلم أن الشارع يوافقها لأنه

---

* – والبدع جمع بدعة، والبدعة كما عرفها الشاطبي: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة، فهي: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"، ينظر: أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، تحقيق سليم بن عبد الهلالي، ج.1، ط.1، دار بن عفان، 1518هـ. 1997م. ص.50، 51.

[1] – عن موقف العلماء من البدع والبدعة ينظر: Ali Merad. La reformme musulman en algeric. op. cit p-p .228-234

يوافق العادة والعرف في كثير من الأحوال، وقد غاب عنهم أن الشارع يوافق العرف الذي لا يصادم ولا ينافي الأحكام الشرعية، والذي لا نص للشارع فيه كما هو مقرر في كتب علم الأصول.[1]

والحامل لكثير من الناس على الابتداع في الدين أمور منها: الجهل والتقليد والتعصب والاستنان بالرجال دون الحق، واعتبار القائل لا القول، إضافة إلى غرور إبليس وتزيينه وتضليله وتلبيسه على الناس وجهلتهم وبعض المنتسبين إلى العلم، وقد حذرنا الله تعالى منه ومن كيده فقال: {**يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان**}[2] وقال:{**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا...**}[3] وقال: {**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان...**}[4] وقال تعالى لإبليس: {**وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد...**}[5]، وقال اللعين: {**لأزينن لهم في الأرض** (أي البدع والمعاصي) **ولأغوينهم أجمعين**}[6]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا سبيل الله،ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه وقرأ {**وأن هذا صرا طي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**}[7]-[8] والمراد بالسبيل هنا الطريق المستقيم، والمراد بالسبل الأديان المختلفة، والملل الأخرى، والطرق الزائغة، والبدع ومحدثات الأمور.

وإن من الأمور التي أنكرها المتصوفة وأهل الطرق على جماعة المصلحين والعلماء أنهم لا يتعرضون للمنكرات العامة والمنتشرة والظاهرة في المجتمع كالربا والخمر والقمار والسرقة والعهر... وكان رد العلماء المصلحون على هذه الشبهة، مع اعترافهم بوجوب محاربة هذه الأشياء والنهي عنها مع وجود بعض الفتور والتقصير فيها، إلا أن هذه الأمور وهذه الخبائث معروفة بالضرورة لكل أحد، مع إخفائها في كثير من الأحيان وعدم المجاهرة بها وعدم التداعي إليها، ويضاف لكل هذا أن صاحب الأفعال يعتقد وهو يفعلها حقارة نفسه واعترافه بوقوعه في النهي والحرمة، أما أن توازي هذه الأفعال والخبائث بضرر البدع فذلك أمر غير مسلّم به، فالبدع أشد من المعاصي، فإذا

---

[1] ينظر: المولود الحافظي، " العوائد الممقوتة والأحكام الشرعية، الشهاب، ج.4، م.6، ذي الحجة 1318 الموافق لـ : ماي 1930، ص. 220،221.

[2] - سورة النور، الآية 21.

[3] - سورة فاطر، الآية 6.

[4] - سورة يس، الآية 60.

[5] - سورة الإسراء، الآية 64

[6] - سورة الحجر، الآية 39.

[7] - سورة الأنعام، الآية 153.

[8] - رواه الدارمي، باب في كراهية أخذ الرأي، ج.1، ص. 67-68، وابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم 17،وصححه الألباني.

كانت المعصية تلحق الضرر بالفرد على نفسه فالبدعة تلحق الضرر بالدين وأصله مع اعتقاد المبتدع أنه يعبد الله على حق وهو خلاف ذلك.

مـــثال ذلـــك: "أن الزاني يعتقد أن الزنا مفسدة في الحال والمثال "علاوة عما يحتقر به نفسه بارتكابه لهذه الفعلة الخبيثة وإخفائها عن أعين الناس إن استطاع إلى ذلك سبيلا، مع إقراره بأن الزنا محـــرَّم ولأنـــه كبيرة من الكبائر، بخلاف المبتدع فإنه يعتقد أن بدعته قربة ومجلبة لرضا الرحمان، بل ويجهد نفسه في إشهارها ودعوة الناس إليها والمبالغة في التعبد بها حتى أن من لا يجبه إليه يعدّه محروما من مقاصد الخيرات"[1].

والدليـــل على عدم موازاة البدعة لإجرام المعصية، أن الله قد توعد بمضاعفة العذاب لمرتكبها وعدم قَبول عمله، فلو لم يكن في ذم البدعة إلا قوله صلى الله عليه وسلم "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[2]" لكان كافيا في الزجر والردع، والآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة وآثار السلف وكتبهم في التحذير من البدع وأهلها مما لا نستطيع حصره وعدّه، قالت عائشة رضي الله عـــنها قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم **{إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء}**[3] من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال:هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع، وأصـــحاب الضـــلالة من هذه الأمة. يا عائشة إن لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليـــس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم مني براء[4]"، والآثار الموقوفة والمرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصر.

وإن المقارن بين حال المجتمع الجزائري آنذاك من كثرة البدع والضلال وبين الإسلام الصحيح يجـــد بونـــا شاسعا وفرقا واضحا، وهذه أمثلة على ذلك وعلى البدع الواقع فيها المجتمع والخاصة بأركان الإسلام الخمس:

ففـــي الشـــهادتين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" نجد دعوة غير الله وصرف أنواع العبادة لغيره، فدعوة الأولياء والذبح عند قبورهم والاستغاثة بهم، إضافة إلى النذر لهم وغيرها من أنواع الشرك التي وقعوا فيها، في المقابل أن الله قد أمر بإخلاص العبادة له وعدم دعوة غيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل...والله

---

[1] - عمر ابن البسكري، "سوء التفاهم وأثره السيء في الوحدة الإسلامية"، الشهاب،ج.1. م.9، رمضان الموافق جانفي 1933 ص. 12 بتصرف.

[2] -مسلم،كتاب الاقضية،باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور،رقم1718، ج.3،ص.1343.

[3] -سورة الأنعام، الآية 159.

[4] – أخرجه: ابن أبي عاصم، كتاب السنة، الحديث رقم (4) وإسناده ضعيف، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (ص 116). وضعفه الألباني كما في ظلال الجنة ج.1. ص. 8.

فرض الصلاة وأوجب علينا فيها الخشوع والطمأنينة والاعتدال، فنقروها نقر الديوك فرادى،وجُعل المقصد الوحيد منها إنما هو تأديتها على أي وجه كانت. والله فرض الزكاة وجعل مصرفها الثمانية أصناف، فتعدوها باختراعاتهم وإبداعاتهم لغيرها، وجُعل مدارها حولا كاملا فجعلوا مدارها دخول الشهر المحرم. وفرض الله شهر رمضان وأمر بالاستعداد له بأنواع البر والطاعات فاستعدوا له بأنواع المآكل والملاهي وتراجم الروايات العربية بدل تلاوة القرآن ومدارسة السُّنة النبوية[1]، وغيرها من التحريفات والتغييرات التي أدخلت على معظم العبادات والسلوكات وغيرت من معانيها ومقاصدها وزادت فيها زيادات لا أصل لها.

وقد حذَّر ابن باديس في معنى قوله تعالى {فليحذر الذين يخالفون عن أمره}[2] بقوله: "أن أبين المخالفة عن أمره وأقبحها الزيادة في العبادة التي نعبد الله بها على ما مضى من سنته فيها وأحدث محدثات على وجه العبادة في مواطن مرت عليه، و لم يتعبد بمثل ذلك فيها، وكلا هذين زيادة وإحداث وابتداع مذموم يكون مرتكبه كمن يرى أنه اهتدى إلى طاعة لم يهتدي إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبق إلى فضيلة قصَّر فيها رسول الله، وكفى بهذا وحده فتنة وبلاء[3]".

ومن حكمة ابن باديس أنه دائما يربط تفسيره للآيات بضرب الأمثال لذلك من سيرة الإمام مالك – رحمه الله – وذلك أن هؤلاء الذين ابتدعوا في الدين بدعا لم يأذن بها الله ورسوله وتعبدوا الله بشرع لم يشرعه الله، يدعون الانتساب إلى مذهب مالك، والحاصل أنهم لم يعتقدوا عقيدته و لم يتبعوا مذهبه، و لم يسيروا على طريقته في السلوك والتزكية[4]، ولذلك أراد ابن باديس أن يبين خلل ما يعتقدون وما يدعون وبطلان انتسابهم إلى مالك – رحمه الله – وبذلك ما فتئ يضرب لهم الأمثال من سيرة هذا الإمام وموقفه من البدع والمنكرات التي حدثت في زمانه؟

يقول ابن باديس "وقد طبق الإمام مالك – رضي الله عنه – هذه الآية – السابقة – الكريمة على هؤلاء المتمردين، أحسن تطبيق وأبلغه وأردعه لمن كان له فهم وإيمان[5]"وفي هذا السياق أورد قصة ذكرها

---

[1] – ينظر: عمر بن البسكري، المصدر نفسه، ص. 13.

[2] – سورة النور، الآية 63.

[3] – ابن باديس، " الاجتماع العام للأمر الهام"، الشهاب ج.3. م.13،صفر 1356 الموافق ل: أبريل 1937، ص.75.

[4] – ففي الاعتقاد سلوك مسلك الأشاعرة، وفي الفقه تعصبوا وابتدعوا قولا من عندهم لم يعتمدها الإمام في مذهبه، ولا قالها أصحابه الأوائل، وفي السلوك غرقوا في التصوف المغموم وتربوا في أحضان الطرقية "وهل يرجى ممن نشأ في أحضان الطرقية وفتح عينه على ما فيها من مال وشهوات ميسرة ومخاييل من ملك أن يكون سلفيا ولو سلسل الدنيا كلها بسلسلاته ..." ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج.2، ش. و. ن. ت، الجزائر، ص. 622.

[5] – ابن باديس، المصدر نفسه، ص. نفسها.

ابن العربي[1] بسند المتصل إلى سفيان بن عيينة[2] رحمه الله تعالى: سمعت مالك بن أنس – وأتاه رجل – فقال يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: إني أريـــد أن أحرم من المسجد، من عند القبر، قال : لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة قال : وأي فتنة في هذا ؟ إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى نفسك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله صـــلى الله عـــليه وســـلم، إني سمعت الله يقول: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم"[3].

وهكـــذا وقف ابن باديس والعلماء في طريق كل بدعة، وحاربوها بعد أن جعلوا شعارهم الإغضاء عن السبِّ والشَّتم والتسامح عن اللوم والعتاب خشية تضييع الوقت فيما لا طائل ... ولا نفع وراءه[4].

وحســـبنا أن نذكـــر أهـــم البدع والمنكرات التي اشتهر فعلها وداع صيتها في أوساط المجتمع والتي أقدمت (الشهاب) على بيانها ونقضها، وفضحها ومحاربتها والتي خصَّصت لها منبرا حرا لكشفها والحديث عنها وعن أصولها بأدلة من القرآن والسنة وأقوال الأئمة.

فمنها بدعة بناء المساجد على القبور التي انتشرت انتشارا النار في الهشيم، وصار الناس يعتقدون في الموتى اعتقادات باطلة، وجعلوا يتقربون إليها ويصلون فوقها[5]، ومنها شد الرحال إلى القبور والسفر إليها عـــلى رأس كل سنة، وما يصحب هذه الزيارة من منكرات قبيحة، كالشهوات والرقصات وما يتبعه من استعمال المزامير والبنادير[6].

---

[1] - هو محمد ابن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، قاض من حفاظ الحديث، ولد سنة (468 هـــ- 1076م)، رحل إلى المشرق برع في الآداب، وبلغ درجة الاجتهاد في علوم الدين، وله تصانيف كثيرة في الفقه والحديث والأصول والتفسير والتاريخ توفي عام (543هـــ - 1148م)، ينظر: خير الدين الزركلي، مرجع سابق ج.6، ص. 230، وكذلك ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج.4، ص. 296 – 297.

[2] - ابن أبي عمران، إمام كبير من أئمة التابعين، ولد بالكوفة سنة 107 هـــ، وطلب الحديث وهو حدث، ولقي الكبار، حمل عنهم علما جما، وأتقن وجود وجمع وصنف، حدث عنه خلق كثير توفي سنة 198 هـــ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ص. ص 400 – 418، وكذلك : أحمد فايز الحمص، تهذيب سير أعلام النبلاء. تحقيق:شعيب الأرناؤوط، ج.1، ط.2،مؤسسة الرسالة،بيروت 1413-1992، ص. 301.

[3] – أبو بكر ابن العربي، عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ج4،(د. ط) دار الكتاب العربي. ص. 34. 35.

[4] – ينظر: سعيد بن سالم، "دعاة الإصلاح لا يتقهقرون"، الشهاب، عدد 104، 7 محرم 1346 الموافق لـــ 7 جويلية 1927، ص. 4.

[5] – ينظر: ابن باديس، " بناء المساجد على القبور"، الشهاب، ج.5. م.17. محرم 1350 الموافق لـــ: ماي 1931، ص. 296. وكذلك: ينظر مجالس التذكير من حديث البشير النذير (وزارة الشؤون الدينية)، ط.1. مطبوعات الوزارة، الجزائر 1403 هـــ – 1983م، ص. 150

[6]- ينظر: علي ابن عمارة، "قتل بدعة شنيعة، الشهاب، عدد 97،17 ذي الحجة 1345 هـــ الموافق لـــ: 20 ماي 1927 ص. 9

ومنها بدعة الزردة* التي أهكت قوى الأمة الجزائرية المادية والأدبية عموما، وإذا بحثت عن القائمين بهـــذه (الزردة) لوجدتهم كلهم ينتمون إلى الطرق الصوفية.[1] ومنها بدع الذكر التي ابتلي بها المسلمون في الجزائر، وما تقوم به الطرائق المنتسبة إلى التصوف من كيفيات وأوضاع مخترعة تضاهي الشرعية ابتدعوها في الذكر وانصرفوا وانحرفوا بها عن الأذكار النبوية المأثورة المبثوثة في كتب السُّنة، وانتهى بهم الابتداع إلى قـــبائح وفضائح ينكرها العقل والنقل، وتأباها النفوس السليمة، وقد جاهد العلماء قديما وحديثا في إنكار هذه المحدثات وبيان بدعيتها،[2] وقد طال تحذير العلماء وكتاب (الشهاب) خصوصا من البدع من يوم أن أعلـــنت جـــريدة (الشهاب) عن مبدئها الديني الانتقادي، ومنها بدعة تحديد الأذكار للأتباع وهي بدعة طـــرقية.[3] وكذا بدعة الذكر عند حمل الجنازة[4]، وهناك بدع أخرى كثيرة يطول ذكرها كانت متفشية في المجتمع معكرةً صفو الحياة فيه.[5] هذه مجمل البدع التي كان لها وجود يذكر وشهرة واسعة في أرجاء القطر الجزائري وقد طال إنكار الشهاب لها وبيان الحق في هذه الأعمال والأفعال المنافية للإسلام الصحيح بالأدلة الواضـــحة والبراهين القاطعة مستندين في ذلك كله إلى الكتاب والسنة الصحيحة وأقوال وأعمال السلف الصالح.

---

* – الزردة: الزردة في عرف أهل الجزائر طعام يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحه، ولها رحلتان: رحلة الخريف عند الاستعداد للحرث، ورحلة الربيع عند رجاء الغلة. والقصد منها التقرب من ذلك الصالح أو الولي الذي يعتقدون فيه الضر والنفع كي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث، أو حفظا للغلة. ينظر: مبارك الميلي رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق: محمود أبي عبد الرحمان، ط.1، دار الراية، الرياض، 1422هـ – 2001، ص. 379.

[1] – ينظر: جماعة من الطلبة، "أفضل الجهاد"، الشهاب، عدد 104، محرم 1346 الموافق لـــ: 7 جويلية 1927، ص. 6. وكذلك بلقاسم بن أورات، "الزردة رأس كل شر"، البصائر، عدد 63، 4 صفر 1354 الموافق لـــ: 16 أفريل 1937، ص.1.

[2] – ينظر: يوسف الدجوي، "بدع الذكر"، الشهاب، ج.12. م.10 شعبان 1353 الموافق لـــ: نوفمبر 1934، ص.529.

[3] – ينظر: العربي التبسي، "بدع الطرائق"، الشهاب، عدد 166، ربيع الثاني1347 الموافق لـــ: أكتوبر 1928، ص. 5.

[4] – ينظر: ابن غانم الوهراني، "نقض مقال"، الشهاب، 7 محرم 1346 الموافق لـــ: 7 جويلية 1927، ص.12.

[5] – ينظر: الطيب العقبي، "يقولون وأقول"، الشهاب، عدد 123، جمادي الأولى 1346 هـــ الموافق لـــ: 24 نوفمبر 1927، ص. 19 وكذلك: مكاتب الشهاب: " قتل بدعة شنيعة،" الشهاب، عدد 60، 27 ربيع الأول 1345 الموافق لـــ: 17 أكتوبر 1926، ص. 2.

4 - عوائد ممقوتة

مـــن المعروف أن الأحكام الشرعية إنما وضعت لتطهير النفوس وتزكيتها من العوائد الفاسدة التي رانت على قلوب كثير من الناس وأرجعتهم إلى عادات وأعمال الجاهلية، كما أنها جاءت لسعادة الإنسان ورفعه من مقام الجهل إلى مقام العلم ليستضيء بنوره، وليسلك في طريق الحياة بحثا وسعيا وراء النجاة.

وإن مما أصاب المجتمع الجزائري في حياته الاجتماعية والدينية بعض العوائد الممقوتة التي هي في نظر الشرع عوائد منبوذة ومضادة لما يجب أن تكون عليه الحياة الدينية للفرد المسلم، هذا وإن بعضها ليس غريبا ولا دخيلا على المجتمع الجزائري، وإنما بقي يسري في جسم الأمة من مصر إلى مصر ومن عصر إلى عصر حـــتى حطّ رحاله في الجزائر كسائر البلدان الإسلامية ما دام الذي يجمع بين المسلمين هو دينهم وعاداتهم وتقاليدهم، تلك هي بعض المظاهر المخزية التي تمكنت من عقول الجزائريين واستحسنوها بعقولهم القاصرة عن إدراك المقاصد العالية للأحكام الشرعية وحكمة التشريع الإسلامي.

وإن المـــتأمل في الســـواد الأعظم من الأمة الجزائرية آنذاك ليبصر أنها ابتليت بتقاليد فاسدة وعوائد ممقوتـــة جـــلها ضد الشريعة وضربة قاصمة على أحكامها، وسبب ذلك هو مجاوزة حدود الشرع وعدم الوقوف أمام أحكامه، وعدم الخضوع للقرآن والسنة وتحكيمهما في سائر الحوادث ومن ثم تمكّن هذا الداء في قـــلوب العامـــة والخاصة وجرى فيهم مجرى الدم في العروق، ولا يمكن للنفوس البشرية أن ترجع إلى رشدها وأن تصلح صلاحا شرعيا، وأن تشفى من هذه الأمراض والأدواء إلا سبيل واحد وهو أن تطبق ما جعلته (الشهاب) مبدأ في الإصلاح الديني والدنيوي مما اشتهر عن مالك بن أنس قوله " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

تلك هي بعض البدع الضالة والعوائد الفاسدة التي عالجتها (الشهاب) وقرّرها في صفحاتها وأبدت مـــا كـــان لها من أدويتها فمن بينها: بعض الأنكحة الفاسدة وعادة الناس فيها، وظاهرة الخلاف وأسبابه وكـــذا ظاهرة الجمود والتقليد التي أصابت الأمة الجزائرية وأنهكت قواها، وأخيرا نختم هذا المبحث بدعوة (الشهاب) إلى الرجوع إلى مذهب السلف قولا وعملا واعتقادا سلوكا ومنهجا.

أ- بعض الأنكحة الفاسدة وعادة الناس فيها:

مـــن العوائد الممقوتة التي انتشرت في بعض أنحاء المجتمع الجزائري وصار الناس يقدسونها ويفضلوها عـــلى الأحكـــام الشرعية، عادتهم في بعض الأنكحة التي صارت دينا يتبع، رغم مخالفتها لنصوص الشرع وقواعـــد الديـــن، بـــل قد يسري إلى أذهان بعض المنتسبين إلى العلم والقائمين بتبليغ أحكام الشريعة، أن الشـــارع يوافقها ودليلهم في ذلك أن العادة والعرف لا تُعارض الشريعة وأحكامها في كثير من الأحوال والحـــوادث المـــتجددة، وقد خفي عليهم أن العرف الصحيح ما لا يخالف نصا من نصوص الشريعة، ولا يفوّت مصلحة معتبرة، ولا يجلب مفسدة راجحة، وأما العرف الفاسد فهو ما كان مخالفا لنص الشارع، أو

يفوّت مصلحة معتبرة، ولا تجلب مفسدة راجحة، وأما العرف الفاسد فهو ما كان مخالفا لنص الشارع، أو يجلب ضررا، أو يدفع مصلحة، والحق أن العرف معتبرا في الشرع – كما هو مقرر في كتب الفقه والأصول – ويصح ابتناء الأحكام عليه، وكونه كذلك فهو في الحقيقة ليس بدليل مستقل ولكنه يرجع إلى أدلة الشريعة المعتبرة وبشروط معروفة لبناء الأحكام عليه[1].

والنكاح سنة شرعية، جعلها الله في عباده من لدن آدم إلى قيام الساعة، وذلك محافظة على النوع الإنساني والنسل البشري، ويقابل النكاح – تقابل الضدين – السفاح، والشارع أباح الأول، ونهى عن الثاني نهيا مؤكدا متوعدا فاعله في الدنيا والآخرة، ولهذا كانت جميع منافع النكاح التي ذكرها الشارع الحكيم وشرحتها السُّنَّة وفصّلتها وتوسع فيها الفقهاء تنقلب إلى مضار في السفاح ومع السفاح[2].

من أجل ذلك ومن أجل التفريق بين ما رغّب فيه الشرع وما نهى عنه، اعتبر الشارع شروطا ضرورية لعقد النكاح، فإذا توفرت هذه الشروط والأركان صحّ العقد وصحت تسميته عقدا شرعيا معتبرا شرعا وعرفا وتترتب عليه الأحكام المعروفة من طلاق وإرث ووطأ...وإذا فُقِد ذلك اعتُبر هذا العمل نكاحا باطلا لا يعتد به ويلغى في نظر الشرع ويُصنف ضمن الأنكحة الفاسدة.

هذا ومن جملة الشروط التي وضعها الشرع ووضحها الفقهاء أن تكون المرأة التي يراد نكاحها خالية من العدة، سواء في ذلك عدة أقراء أو أشهر أوضع حمل أو عدة وفاة[3]، وهذا مصداق لقوله تعالى {**ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله**}[4]، وقد تقرر أن النهي يفيد الفساد وغاية هذا النهي بلوغ الكتاب أجله وهو خروج المرأة من عدتها وفراغها منها، والنهي صريح في عقدة النكاح و هي الإيجاب و القبول بين الزوج والزوجة، ووجود ولي الزوجة وخلو المحل من الموانع وتقرير المهر،فيفيد النهي من باب أولى وأحرى عن الدخول، فالنهي عن العقدة بالمنطوق وعن الدخول بالمفهوم الموافق أو القياس

---

[1] – ينظر: عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه،ط.7 مؤسسة الرسالة، بيروت:1419 هـ – 1998 م. ص. 253، 254.

[2] – ينظر: المولود الحافظي، "العوائد الممقوتة والأحكام الشرعية"، الشهاب ج.5، م.6، محرم 1349 هـ الموافق ل: 1930م، ص. 299

[3] – المصدر نفسه، ص. 300، بل يحرم التصريح بالخطبة مطلقا على قول المالكية، قبل انقضاء العدة، سواء كانت العدة من طلاق أو وفاة أو استبراء كان الزوجين بالغين أو صبيين، لأن هذا الأمر تعبدي غير معقول العلة ومن عقد قبل انقضاء العدة فتحرم عليه للأبد، أي حكم العلماء بحرمتها عليه (أي الزوج) تأبيدا، بمعنى أنه لا يجوز له نكاحها بوجه ولو بعد زوج، وهذا مقيدا بشرط بأن يمسها العاقد عليها قبل انقضاء العدة بالوطء، أو مقدماته كالقبلة والمباشرة على وجه الشهوة، أو مسها بعد انقضاء العدة مستندا للعقد الذي وقع فيها لكن بالوطء. وهذا قول المالكية خلافها للشافعية والحنفية ينظر: عثمان بن حسنين المالكي، سراج السالك شرح أسهل المسالك، ج.2، مؤسسة العصى للمنشورات الإسلامية، ص. 35. 36.

[4] – سورة البقرة، الآية 233.

الأولـــوي[1]، ونظير هذا قوله تعالى في حق الوالدين"**ولا تقل لهما أف**"،فمن باب أولى أن لا تضربهما ولا تسبهما...وهذا مقرر في مظانه في كتب أصول الفقه.

وقـــد نـــص الفقهـــاء أن كل نكاح في العدة مفسوخ أبدا غير أنه إن كان الدخول في العدة أيضا فبالاتفاق،وإلا فبالاختلاف واشترطوا لذلك تجديد عقدة أخرى بعد الفراغ من العدة من غير نظر واعتبار العقدة الأولى ولا استنادا لها[2].

واعتاد الناس بل أكثر الناس في المجتمع الجزائري عوائد فاسدة مخالفة لما نص عليه الشارع ظنا منهم واعـــتقادا أن ظواهـــر الشـــريعة توافقها، كما أن هناك صنف من الناس من لا يعتبر الحرمة أبدا بل يعمل بقـــاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة" على إطلاقها من غير قيد ولا حد، بل ويستدل صنف آخر بتأويلات باطلة لم يأذن بها الله ورسوله.

ذلك أن المرأة المعتدة – في أغلب الأحوال- كثيرا ما يُعقد عليها في أيام عدتها،وقبل الفراغ منها،بل في أوائـــل عدتها من غير التفات ولا مراعاة لأحكام الشريعة المنوطة بها،ويحتجون في صنيعهم هذا المخالف للمشروع مخالفة كلية، بأنهم يبادرون إلى العقد عليها خوفا من أن يسبقهم الغير إليها.

وهذه الحجة فاسدة الاعتبار والاحتجاج لمخالفتها النصوص الشرعية من جهة،ومن جهة أخرى فإن هذا الفعل تعد على حرمات النصوص.ويزيدون حجة ثانية-وهي واهية و ملغاة في نظر الشرع-وهي إنما يقومـــون بهذا الفعل بقصد تجديد عقدة النكاح بعد الخروج من العدة و قبل الدخول،ويزعمون أنهم يلغون العقدة الأولى الواقعة في العدة، وهذا لا شك من تلبيس إبليس على العامة و على خاصتهم من المنتسبين إلى العلم،وتحيل على الشرع.

والعلة في ذلك-حسب الحافظي-أن العادة الممقوتة الجارية و المعمول بها أنهم بعد الوعد بالزواج التي هـــي الخطبة، الركون من الطرفين ركونا تاما لا يبقى معه أقل احتمال يُوجِدون معنى العقد الذي يبنى على أركانـــه المعـــروفة مـــن إيجاب من طرف ولي الزوجة والقبول من طرف الزوج بصريح العبارة بعيدا عن أساليب التلويح والتعريض، بحيث يتوثق كل واحد من الطرفين تمام الوثوق، ولهذا يقوم الزوج بتقديم بعض الهدايـــا مـــن الملابـــس و شيء من الحلي لتكون على ثقة من نكاحها، وفي أغلب الأحيان بحضرة أقارب الـــزوجين ومن في معناهم كالأصدقاء كشهود،كما أنهم في بعض الأحوال لا يتعرضون لذكر والتصريح بمسألة الصداق في مجلس الخطبة و يؤجلون الكلام عنه إلى مجلس و لقاء آخر[3].

---

[1] – الحافظي، المصدر نفسه، ص. 300.

[2] – المصدر نفسه،ص. نفسها.

[3] – الحافظي، مصدر سابق، ص. 301.

وقـــد تقرر في كتب الفقه "أن الشهود شرط صحة – لا ركن فيه – في الدخول و كمال في العقد وأن المهر إن كان فسمي وإلاّ فصداق المثل يتقرر بعد الدخول، وإن نكاح التفويض جائز إجماعا، وصحة الدخول تتوقف على ذكر الصداق والإشهاد على قول المالكية"[1]، وعقدة النكاح ترجع إلى أقل ما تتحقق به وهي الإيجاب والقبول والصيغة والولي[2].

إذا عرفـــنا هـــذا فتجديد العقد بعد الفراغ من العدة لا يكون معتدا به إلاّ إذا صار العقد الواقع في العدة لاغيا بحيث لا يستند إليه واحد من الطرفين، وبشرط أن يسحب الزوج الملابس والحلي والهدايا التي قدمهـــا أولا إلى هذه الزوجة بنية الانفصال، وعدم الاعتداد بتلك العقدة الأولى، لأن النكاح الذي حصل زمـــن العدة متفق على فساده ويفسح بغير الطلاق[3]، وهذا من غير تسمية المهر وسائر التوابع عرفا كهدايا للـــنكاح، بحيـــث أن كل واحد من الطرفين يكون على اختيار تام إن شاء قبل وإن شاء امتنع من غير أن يتخذ واحد منهما العقدة الأولى حجة على صاحبه عند النزاع والخلاف إن حصل[4].

فـــلو كـــان تجديد العقد بهذا المعنى الذي أشرنا إليه آنفا، للزم القول بصحة النكاح على ما فيه من بطلان وفساد العقدة الأولى، والأصل خلاف ذلك، غاية ما في الأمر أن بعض الناس يُجدون العقد صورة فقـــط، بحيث إذا وقع أقل نزاع أو خلاف أو إنكار من أحد الزوجين فإن الآخر يحتج عليه بالعقدة الأولى فيضطر الآخر إلى موافقته[5]، وبذلك يكون الأصل خلاف ذلك لأن ما بُني على فاسد فهو فاسد.

والأدهـــى من هذا كله أن مجالس العقد وما يتبعه يحضرها المنتسبون إلى العلم والصلاح وهم الذين يكـــون بيدهم إنشاء العقد، وتحديد المهر، وتلقين الناس صيغة العقد من الإيجاب والقبول وما يلحقه، فآفة الحق سكوت أهله عنه، فلو تعهد هؤلاء العلماء بنصيحة الناس، وبيان أحكام النكاح الصحيحة بأدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة وأقوال الفقهاء. ولو نصحوهم ونهوهم عن الزواج وإبرام عقدة النكاح في العدة قبل انقضاءها، وأن هذا الفعل بدعة ضلالة وتقاليد فاسدة ومخالفة لما شرعه الله، وبينه رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم لمـــا كان هذا الفعل، لكن حضورهم هذه المجالس وسكوتهم عنها دليل على إقرارهم لهذه المنكرات، فكيف إذا كانوا هم من يتوسط في إنشاء العقد وما يتبعه.

---

[1] – عثمان بن حسنين المالكي، مصدر سابق، ص. 36.

[2] – ينظر: الحافظي، المصدر نفسه، ص. نفسها.

[3] – ينظر: المالكي، المصدر نفسه، ص. 36.

[4] – ينظر: الحافظي، المصدر نفسه، ص. 302.

[5] – ينظر: المصدر نفسه، ص. نفسها.

هـــذا وإننا اقتصرنا على تصوير المسألة دون الغوص في فروعها وتفاصيلها، والغرض من ذكرها هو وصـــفُ حالة الناس في بعض عاداتهم الفاسدة، ولهذا تصدت (الشهاب) لبيانها، وبيان فسادها وبطلانها، وإنما منشأ ذلك هو الجهل والتقليد والتعصب المذموم الذي سنتكلم عليه في العنصر اللاحق.

ب- الجمود والتقليد:

إن من المصائب التي أصابت المسلمين عموما والجزائريين خصوصا، وهي من أكبر عوامل الانحطاط التي شهدها المسلمون هو داء الجمود و التقليد، الذي ذهب بالمسلمين خطوات إلى الوراء، خاصة في هذا العصر الذي أخذت الأمم الأخرى تخطو إلى الأمام، وتشق الطريق إلى حياة أفضل، ولو قلّبنا صفحات من الـــتاريخ الإســـلامي لشـــهدنا كيف كان الإسلام وكيف كان أهله آخذين بعين الاعتبار الفترة الذهبية للإسلام، و مع مر الأيام وتقارب السنين بدأ الإسلام في التراجع إلى أن بلغ به الحد ما بلغ.

وليـــس بـــبعيد هذا الداء عن المجتمع الجزائري الذي راح ضحيته؛ إذ الأمراض الإنسانية عموما – حسب ابن باديس – قسمان: "أمراض أرواح وأمراض أبدان، وكلاهما أنواع. وأمراض الأرواح المقصودة بالذات هنا ترجع إلى نوعين: مرض العقول ومرض النفوس، فأما الأول – وهو المقصود – فبسبب جمود النظر وفساد الإدراك وتقليد الآباء واعتقاد الباطل والشك في الحق[1]" وهذا على خلاف ما دعا إليه القرآن مـــن وجـــوب النظر والتفكير والتدبُّر والاعتبار وإعمال الفكر البشري وتحريره من القيود والأغلال، ولا نكـــون مبالغين إن قلنا أن جميع أمراض المسلمين إنما منشؤها، عدم التفكير والنظر والجمود – وأعظم آية دعـــت إلى هـــذا قولـــه تعـــالى {**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا...**[2]} الآية.

هـــذا وقد وقفت (الشهاب) أمام هذه العوائد موقفا حازما فبينت خطرها وسبب انتشارها وآثارها على المجتمع بيانا شافيا.

واعتـــبرت (الشهاب) المصائب التي حلّت بالمسلمين الجزائريين إنما منشؤها من التقليد،[3]* والناظر في الحالة التي عليها السواد الأعظم من الأمة آنذاك، "والمتتبع ما نشأ من الافتراق وما تسرَّب إلى المسلمين من الشقاق وجد منشؤه من علماء التقليد الذين انتحلوا لأنفسهم حق الوصاية على النوع الإنساني[4]" ويصدق

---

[1] – ابن باديس، " القرآن شفاء ورحمة"، الشهاب، ج.5 . م.7، محرم 1350هـ الموافق لـــ: ماي 1931، ص. 291.

[2] – سورة سبأ، الآية 46.

[3] – مصطفى بن شعبان، "التقليد والاجتهاد"، الشهاب، عدد 7، جمادى الثانية 1344، الموافق لـــ: ديسمبر 1925، ص. 2.

* – التقليد: هو قبول قول الغير من غير معرفة دليله، ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص. 214.

[4] – الطرابلسي، "أسراء التقليد، نحن وأنتم، عندنا... وعندكم، الشهاب، العدد 104، 7 محرم 1346، الموافق لـــ: 7 جويلية 1927، ص.3، 4.

عليهم قوله تعالى في معرض خطاب المشركين {**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا**}[1]، الآيـــة، وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى، ومن هنا غلق باب الاجتهاد وقُيِّد العقل بالأغلال و وماتت حرية العلم والتفكير والنظر، واستولى عليهم سلطان التقليد وعلى كل داع للنهوض والتقدم والرقي.

ومـــن الأمور التي جعلت أعداء الإسلام والمسلمين ينظرون إلى الإسلام نظرة اشمئزاز وسخرية، آت من هذا الداء العضال، الذي حمل لوائه أسراء التقليد "الذين يكَفِّرون ويهجرون من خالف سبيلهم وعدل عن طريقهم وخرج من حزبهم ليطلق عقله من سلاسل التقليد وأفكاره[2]" إلى حرية العقل وتطلعاته.

وإن مما ابتلي به المسلمون في الجزائر وغيرها وجعلهم أسارى في أيد أصحاب العمائم من الجامدين والمتمزقين، ونقصد بذلك أسراء التقليد الذين شدوا عضدهم بأرباب الطرق والطرقية وأهل الشعوذة فاتحدا الفريقان وتعانقا الأخوان على جرِّ الأمة إلى ظلام دامس من الصعب الخروج منه.

ومـــن مظاهـــر هذا الداء، أن أمثال هؤلاء المقلّدين يدعون إلى الصلاح والعلم والتقوى، ولكن في الحقيقـــة "صـــاروا جوائـــح أممهم وبوائق وطنهم، وذلك لضعف عقولهم على أفكارهم، وتقييدها بقيود التقليد[3].

ومن مظاهر هذا الداء أيضا ما يُرى عند قاصري الفكر من مواضع الرقص العصرية، ومقاهي الموت في بيعها سمّ الخمور، وتبديل لباس النسوة الأوروبيات والمسلمات، المطلق عليه لفظه (موضة أو لا مود)، وكذلـــك نوع التقليد الذي يُرى في القرد، وهل هناك شبه بين القرد والإنسان؟ والجواب نعم، ولكن لا فـــيما حازه البشر من شرف الرأي الذي يصون عن الخلل، وأما إذا سُلِّم الرأي للغير، من دون بحث ولا نظر صار قردا مذلولا تحت تجبُّر غيره[4].

ومـــا أكثر مظاهر التقليد في المجتمع الجزائري دينية كانت أم دنيوية، أما الدينية: "فصار شيوخ العلم وأربـــاب الطـــرق مقيـــاس الحق يأمرون فيطاعون وينهون فلا يعصون، وصار ما قاله فلان حق ولو تبين خـــلاف ذلك من غير التفات لحجج الله ورسوله وما ساقه القرآن منها في بيان الطريق الأقوم في الإدراك الصحيح، والسبيل الأشد في الفهم والتفهيم، ناعيا على المقلدين تقليدهم كاشفا لأهل الباطل عن باطلهم ذاكـــرا من قواطع البراهين البينة الواضحة ما لا يبقى معه خفاء في الحق ولا ريب[5]" وأما الدنيوية ما دعاه

---

[1] – سورة البقرة، الآية 170.

[2] – الطرابلسي، المصدر نفسه، ص. 2.

[3] – المصدر نفسه، ص. 3.

[4] – ينظر: مجهول، "نهوض الأمم الخاملة وليد الظروف والآمال"، الشهاب، ج.12، م.5، شعبان 1348 الموافق لـــ: جانفي 1930

[5] – ابن باديس، المصدر نفسه، ص. 291.

قـــوم بحجة المدنية العصرية ومسايرة ركب الحضارة، وهي حجج واهية، وإنما هي من تلبيس إبليس عليهم فراحوا يقلدون الفرنسيين في عاداتهم وتقاليدهم ودخلوا معهم حيثما دخلوا، فخسروا دينهم ودنياهم فهم لا لهـــؤلاء كســـروا ولا لهـــؤلاء نصروا، وصاروا مذبذبين حائرين قد انسلخوا من مقوما تهم وعاداتهم وتقاليدهم وصاروا في شك مريب.

وإذا كـــان الأمر كذلك "فيجب علينا أن نطلق حرية العقل ولا نضغط عليه لأنه مرآة ترى بها عين الحقيقة، وميزان نزن به العلم الخالص من شوائب التقليد، كما يتحتم علينا أن نعلن براءتنا ممن أراد القضاء عـــلى عقولنا، وتقييدها بقيود التقاليد، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي ظلت قرون عديدة متلبدة فـــوق ســـماء العقول حتى حجبتها عن معرفة دينها القويم وصدتها عن الصراط المستقيم بل ألقتها في بحار الجهل تعبث بها الرياح"[1].

ومـــن مظاهر الجمود التي رانت على عقول كثير من المتنطعين، وصارت عقيدة راسخة في عقولهم، مـــا حمـــل بعـــض هؤلاء إلى الافتراء والتنطع ضد أصحاب الجرائد والمجلات التي صارت في الجزائر دليلا واضحا على النضج الفكري والتطور العقلي للفرد الجزائري، التي عمّ بها النفع البلاد والعباد، حيث وصل الأمر بهؤلاء إلى اعتبار هذه الجرائد بدعا لم يعرفها سلفهم وقالوا لمن طلب منهم المساعدة "إنك لغوي مبين تريد أن تصدّنا عما وجدنا مدونا في كتبنا التي خلّفها لنا علماؤنا والتي أخذناها عن شيوخنا، وتلقيناها من أساتذتنا الذين طلقوا الدنيا وهجروا لذاتها وزخارفها وعبدوا الله في الكهوف وقرون الجبال و لم يعرفوا هذه الجرائد والمجلات التي هي من علامات الساعة"[2].

ولقـــد بلغ بهؤلاء الجامدين حتى صاروا يحرِّمون الجرائد ويحظرون على الناس قراءتها وأسموا قراءتها **(بعلم الجورنال)**، واعتبروا كل من دفع معلوم اشتراكه في الجرائد والمجلات فهو عاص ولا تقبل معذرته إلا إذا تـــبرع عليهم بمثله، أو يثبته في ثلث وصيته[3]، وهذا جهل مطبق وغلوٌ يدل على سفه هؤلاء وإذا كانوا كذلك جاز للفقهاء وأهل العلم أن يُحجروا عليهم.

وقـــد حذَّرت (الشهاب) هؤلاء الشرذمة من الناس من الوقوف أمام أرباب الجرائد والمجلات الذين يعمـــلون عـــلى تطهير الأفكار وتحرير العقول من الخرافات والأوهام، وتبصير الناس بأحوال العمران وإلاّ "فيقال لهم ادخلوا مساكنكم وألزموا أحجاركم لا تحطمنكم الكتّاب بأقلامها وأنتم صاغرون[4]".

---

[1] – الطرابلسي، مصدر سابق، ص.4.

[2] – سمهري (الأمين العمودي)، بل عندنا ا..، الشهاب، عدد 89، 20 رمضان 1345 هـــ الموافق لـــ: 24 مارس 1927،ص.8.

[3] – المصدر نفسه، ص. 8، 6.

[4] – المصدر نفسه، ص. 9. بتصرف.

والحاصـــل أن المسلمين تفرقوا فرقا فرقا وصاروا طرائق قددا، لا يجمعهم جامع وإنما الذي يفرقهم أكثر مما يجمعهم، واستفحل التقليد والجمود والتعصب، وعظمت المصيبة على أهلها وصاروا أمة متفرقة لا رابطة تجمعهم ولا منهج يوضح لهم الطريق المستقيم، وكان من آثارها أن جعل كلام غير الله أصلا وكلام الله ورسوله فرعا يُذكر لتقوية وتعضيد وتأييد ما هم عليه، فإن وافق فذاك وإلاّ قوبل بالتأويل والتحريف، لهـــذا تصـــدت (الشـــهاب) لبيان خطورة هذا الداء الفتاك والمرض العضال الذي أورث المجتمع الجزائري الويلات والمآسي في الدين والدنيا.

جـ- الخلاف والاختلاف:

مـــن عوامـــل الشقاء التي ابتلي بها المسلمون عموما والجزائريون خصوصا داء الخلاف والاختلاف الـــذي ســـرى في جســـم الأمة وفكّك وحدتها وجعلها طرائق قددا، إذ هو مبعث كل شر وحيثما ذكر الخلاف والاختلاف في القرآن والسنة النبوية إلاّ وذكر مذموما بكل أنواعه، إذ الخلاف كما أثر عن بعض الســـلف كـــلّه شـــر، وبؤرة كل فساد، وهو الجرثومة التي تسري عفونتها فتسمم المحيط الذي تعيش فيه الجماعـــة، وهـــو المرض الفتاك والداء العضال "الذي ما انتاب أمة إلاّ خدّر أنباض نهضتها وأورثها الفقر والجهل "[1] وأورثها الأحقاد والأضغان وجرّها إلى خلافات أخرى.

وإذا كان الخلاف و الاختلاف قد قدّره الله على هذه الأمة و لا مفر منه إلا إليه، فقد ادّعت بعض الطوائـــف و الفرق أنه رحمة على العباد مستندين في ذلك إلى حديث منكر نُسب إلى النبي صلى الله عليه وســـلم بقولـــه:"اخـــتلاف أمـــتي رحمة"[2]، بل توسع بعض المشايخ المقلدين الجامدين،بالدعوة إلى إقرار الاختلاف،ويزعمون أنه توسعة على الأمة،وأما الحديث المذكور فإنه مع ضعفه فهو مخالف للقرآن الكريم بدليـــل الآيـــات الواردة في النهي عن الاختلاف في الدين،والأمر بالاتفاق فيه[3]، وهي كثيرة وأجل من أن تحصـــر فعلى سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: {**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**}[4]، وقال:

---

[1] – محمد العاصمي، "ماهي عوامل الشقاء وما أنجع الوسائل لمحاربتها ؟"، الشهاب، ج.3، م.6، رجب 1349 الموافق لـــ: ديسمبر 1930 ص، 671.

[2] – قال الألباني: لا يصح الحديث، بل هو باطل لا أصل له، ونقل كلام السبكي فيه قال: " لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع" وإنما هذا الحديث روي بلفظ: "... اختلاف أصحابي لكم رحمة"، و"أصحابي كالنجوم فبأيهما اقتديتم اهتديتم"، وكلاهما لا يصح: فالأول واه جدا، والآخر موضوع، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي (المقدمة)، ط.2، (الطبعة الجديدة)، دار البيان، الجزائر 1993، ص. 59. وكذلك: ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئ في الأمة، رقم (57. 58. 59. 61).

[3] – الألباني، صفة صلاة النبي، ص. 58.

[4] – سورة الأنفال، الآية. 46.

{ولا تكون من المشركين من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون}[1]، وقال: **{ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك}**[2].

وإذا كان الخلاف كذلك، فإن من طبيعته إذكاء الأحقاد وبث الضغائن في النفوس و توتير العلائق بين أبناء الملة الواحدة و القومية الواحدة والدّين الواحد،وقصم كل عروة وثقى يعتصم ويتمسك بها الأفراد و الجماعات[3].وماذا يقول غير المسلمين إذا اطلعوا على هذه الخلافات الواقعة بين الأمة الواحدة والدين الواحد،لا شك أنهم يعتقدون أن هذا الدين فيه تحريف وتزييف وكذب وضلال.

والمجتمع الجزائري إذ ذاك كان يتخبط في هذا الداء و يشرب من سمومه وآثاره السيئة التي ظهرت نتائجها في الواقع،حيث نتج عنه استسلام الأمة، وأصبح هو الحكم بين الناس فيما شجر بينهم،و صار يتعبد به، وهذا رغم علمها بحكمه الجائر، وسلطانه القاتل، ورغم علمها أيضا بفساد أوضاعه الموروثة عن إحن وحزازات شخصية عتيقة بالية ونزعات هوجاء سياسية،قد ذهب بها الزمان الذي ذهب بأربابها الذين بقوا محل لمن خلفهم من الأجيال[4].

من أجل ذلك عده أحد كتاب(الشهاب) "في مقدمة العوامل الهدامة، بل من أشد العوامل عداء للعلم والثراء، وكل دعامة يقوم عليه المجتمع... بل هو أكبر معول استطاعت الظروف أن تهدم به كل قوة مادية وأدبية والجامعة التي تنضوي تحت لوائها مئات الملايين من المسلمين، وتزعزع وحدة الإسلام وتفكك أوصاله وتهدم صرحه"[5].

ثم إننا نجد من بعض ضعاف العقول وضحال العلوم من اعتبر المذاهب الفقهية السنية سبب في تفريق المسلمين، وتشتيت شملهم، ورموا أصحابها بأنبز الألقاب وإن لم يصرّحوا بها فقد عرّضوا بها، والأصل خلاف ذلك؛ فإن المذاهب الفقهية في ذاتها لم تفرق المسلمين، وليس أصحابها هم الذين ألزموا الناس وأرغموهم بها "أو فرضوا على الناس تقليدهم، وإنما هم نصحوا و بيّنوا و بذلوا كل جهد في الإبلاغ، وحكّموا الدليل إلى ذلك السبيل، وأتوا بالغرائب في باب الاستنباط و التعليل و التفريع والتأصيل ولهم في باب استخراج علل الأحكام وبناء الفروع على الأصول، وجمع الأشباه بالأشباه والاحتياط ومراعاة المصالح ما فاقوا به المشرّعين من جميع الأمم"[6]، وإنما الصحيح الذي عليه عقلاء الأمة أن الذين جاءوا من بعدهم

---

[1]- سورة الروم، الآية. 31، 32.

[2]- سورة هود، الآية، 118، 119.

[3]- ينظر، العاصمي، المصدر نفسه، ص. 971، 672.

[4]- ينظر: العاصمي،المصدر السابق، ص.672.

[5]- المصدر نفسه، ص.نفسها.

[6]- محمد البشير الإبراهيمي، (محرر) سجل المؤتمر، ص. 23.

هم سبب الفرقة و الخلاف، وتشتيت الأمة شيعا و مذاهب، والأصل أنهم مجتهدون يؤجرون على اجتهادهم و يغفر خطأهم على نية الاجتهاد، وأن الحق يدور في هذه المذاهب الأربعة ولا يخرج عنها إلا نادرا إلى المذاهب الأخرى السُّنيَّة المندثرة.[1] وفي هذا السياق يقول ابن باديس: "إن الذي يسع المسلمين ليس هو مذهبا بعينة، وإنما هو الإسلام بجميع مذاهبه، وقد كان ولا زلنا لا نلتزم مذهب مالك في كل جزئيا ته..."[2].

ولا يسعنا أن نأتي على ذكر كل الخلافات الواقعة بين المجتمع الجزائري، الدينية منها خاصة، وإنما نذكر بعض مظاهر الخلاف، فمن بينها ما وقع من خلاف في مسألة الآذان في غرداية بين المالكية والأباضية، هذه الأخيرة التي أقدمت على منع المالكية من الآذان في مساجدهم محتجين في ذلك بأن منع الآذان ليس بنص شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله أو بحكم فقهي مبني على ذلك بل هو من العرف والعادة فقط، والأصل خلاف ذلك، فإن هذا مصادم للشرع والعرف، فإن الآذان فرض على مساجد الجماعات، وأفرادهم (على ما ترجح لنا)،وهذا المنع إنما جاء تعصبا على المالكية[3] لا لشيء إلا أنهم يخالفونهم في أغلب أصول الدين وفروعه.

ولهذا دعت (الشهاب) إلى توحيد الصفوف والجهود لمكافحة هذا الداء الفتاك قبل مكافحة كل عامل آخر، واعتبرت الإجهاز عليه إنما يعد إجهازا على الفقر والجهل، لأنه من طبيعته الحيلولة بين نور العلم وقوة الثراء وبين طلابهما، ورأت أن من أنجع الوسائل لمحاربة عوامل الشقاء – وعلى رأسها الخلاف – التمسك بالوحدة الإسلامية التي قضت على النزعات الجنسية وما إليها[4]، إضافة إلى هذا فإن تحكيم الكتاب والسنة والرجوع في فهمهما إلى سلفهم الصالح يعد ضربة قاصمة لأسبابه وأن يجعل قوله تعالى

---

[1]- لقد تواتر عن الأئمة الأربعة قولهم "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، فقلبه الأتباع بقولهم (كلام إمامي مذهبي) خالف السنة أم وافقها وصار الاستنان بالرجال دون الحق، واعتبار القائل لا القول وبذلك تمكن الخلاف من الأمة، ورفع شعار التعصب هو الحكم، ينظر: ملخص أقوال الأئمة في الاتباع الألباني، مرجع سابق، ص- ص، 45، 47، وعن التعصب المذهبي وأسباب الخلاف، ينظر: محمد عيد عباسي، بدعة التعصب المذهبي وآثاره الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين، ط.2، المكتبة الإسلامية عمان، 1986، وكذلك ينظر: محمد السعيد رزار، بدر التمام في اقتصار الاعتصام للشاطبي، دار الإمام مالك، الجزائر، 1419 هـ – 1999، ص. 135.

[2]- ابن باديس، "التشريع الإسلامي، الأخذ بمذاهب الإسلام جميعا، الشهاب، ج1، م11، ذي الحجة 1354 هـ الموافق مارس 1936، ص. 654.

[3]- ينظر: مجهول، "أثر ما كتبناه في مسألة الآذان عند العلماء"، الشهاب، ج1، م7، رمضان 1349 هـ الموافق فيفري 1931، ص، ص. 53، 55.

[4]- ينظر: العاصمي، المصدر السابق، ص. 673.

{فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...}[1] الآية، حكما وقاضيا ومرجعا لهم حتى يستأصل هذا المرض وتُخنق أنفاسه ويُستراح من جراثيمه وآثاره القاضية على كل ائتلاف واتفاق.

5- دعوة الشهاب بالرجوع إلى مذهب السلف:

مـــا بـــرحت (الشهاب) منذ ظهورها إلى عالم الصحافة، تدعوا المسلمين إلى الرجوع إلى مذهب السلف الصالح، متخذة شعارا ردَّدهُ كثير من العلماء والمصلحين في دعواتهم إلى الإصلاح جاعلة إياه مبدءاً في الإصـــلاح الديـــني والدنيوي، وهو قول أحد أئمة الإسلام: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولهـــا"، ولا يمكـــن تفسير (أولها) إلاّ بالقرون الأولى التي جاء ذكرها على لسان الصادق المصدوق، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم، الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا وطبقوه عملا لا قولا، واتخذوه نهجا في حياتهم.

ذلـــك أن الرجوع إلى مذهب السلف هو التطبيق الصحيح للإسلام اعتقادا وسلوكا ومنهجا، ولا سبيل للنهوض بالأمة الإسلامية مما هي عليه اليوم إلاّ بالرجوع إلى ما كان عليه الصدر الأول من المسلمين، بعيديـــن عـــن كل ما يفرق ولا يجمع وعن كل اعتقاد أو فرقة أو طائفة بعينها وإنما هي جماعة واحدة لا جماعات، يقول الزواوي "لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أشعريين، ولا ما تريديين ولا شيعة ولا أباضـــية، وهـــلُم جـــر... وكذلـــك لم يكونوا قادريين ولا خلوتيين ولا شاذليين ولا رفاعيين ولا عيساويين... ستة وأربعين طريقة... وإنما كانوا مسلمين ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام..."[2].

وإنما قولنا إلى مذهب السلف إنما هو الكتاب والسنة وفهم السلف والابتعاد عن كل ما سواهما من الابـــتداع في الدين أو الاستدراك على الشرع المبين، وإنما الغاية الوحيدة هي الدعوة إلى التوحيد في القول والعمل والاعتصام بالحق ونبذ التفرق وما يفضي إليه، والحث على الاجتماع والجماعة، فالجماعة ما عليه الســـلف... فمالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة وغيرهم من الأئمة والأعلام سلفيون يتبرءون من جميع ما عادى الكتاب والسنة وأعمال سلفهم الصالح، وكان دستورهم المدني والعسكري القرآن فيه الهدى والحق المـــبين، وكان طريقهم أو طريقتهم السنة الصحيحة محمد صلى الله عليه وسلم، بيد أنهم كانوا مستغنيين بالطريق عن الطريقة،[3] كما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال "خط لنا رسول الله ..."[4] الحديث.

---

[1]- سورة النساء، الآية .65.

[2]- أبو يعلى الزواوي، "توحيد التربية والتعليم والرجوع إلى مذهب السلف"، الشهاب، عدد، 54، 2 ربيع الأول 1345 الموافق لـ: 9 سبتمبر 1926، ص. 1.

[3]- المصدر نفسه، ص. نفسها.

[4]- سبق تخريجه.

هـــذا وإن دعوة (الشهاب) إنما جاءت مبنية على أصول الدين الصحيح وقواعده المتينة متحرية في ذلـــك الصواب معتقدة اعتقادا جازما أن المسلمين لن تقوم لهم قائمة إلا برجوعهم إلى الإسلام الصحيح الخـــالص مـــن كل ما ألصقه عمدا أو جهلا من خرافات وبدع واعتقادات باطلة شوهت جمال الإسلام وطمســـت معالمه الأصيلة، كما دعت إلى اتباع الأئمة المجتهدين مالك وأحمد الشافعي وأبو حنيفة وغيرهم فيما يوافق الحق بقولها:" فمالك في المدينة وأبو حنيفة في العراق والشافعي في بغداد فمصر... وكانوا ثمانية عشر ... ولا يضرهم إذا صرنا مذهبا واحدا، ولنا أن نأخذ من جميع مذاهبهم توفيقا أو تلفيقا* وإنما المرجع إلى الكتاب والسنة والترجيح لمؤتمر العلماء الذي ينبغي أن يعقد في مكة المكرمة، ومصر الكنانة... ونسمي ذلـــك اجتماعا ومذهبا سلفياً ويجد كل واحد فيه أصحاب كل مذهبٍ مذهبهم**[1]"، وبالتالي يُقضى على أكبر قدر من الخلافات وتصبح المرجعية واحدة في فهم الإسلام.

---

* – قوله (تلفيقا وتوفيقا) أي أنه يرى ذلك جمعا لهم ما دمنا نقول بصحة تلك المذاهب التي أجمعت عليها الأئمة منذ ألف سنة وزيادة على خلاف ما يرى بعض المغفلين من أن ذلك يعد تخليطا في المذاهب.

** – كما قال الكاتب المصري وجدي فريد في رسالته إلى اليابان: أن النصارى واليهود إذا أسلموا يجدون نصرا نيتهم ويهوديتهم في القرآن والإسلام مستدلا بقوله تعالى :"شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا". سورة الشورى، الآية 13، ينظر: الزواوي، مصدر نفسه، ص. 1

الخلاصة

تلك هي أهم القضايا التي عالجتها الشهاب، وأسست من أجلها، حيث أبدت مواقف صريحة تجاه الكثير منها والتي جعلتها في أولى أولوياتها حيث:

جعلت تطهير العقائد من البدع والشرك أول مهم، بحكم أن المجتمع الجزائري في تلك الفترة غارق في أنواع الشرك بكل مظاهره وأنواعه، كما حاربت الطرقية التي أثقلت كاهل الجزائريين ببدعها وعقائدها وخرافاتها، حيث سخرت خيرة الأقلام في ردع التيار الطرقي والحد من نشاطه في وقت بلغ فيه مبلغه، وبخاصة الطريقة العليوية التي كانت الحرب بينها وبين كتاب الشهاب ساخنة، وكذلك الطريقة التيجانية، التي عملت على كشف عقائدها وتحذير الناس من الوقوع في شراكها وفي حبائل مشايخها، كما أجهزت على البدع التي كانت منتشرة في أوساط المجتمع الجزائري الذي كان يتخبط بين الجهل والتقليد والتعصب، فأماتت الكثير من البدع وأحيت الكثير من السنن التي كانت مهجورة، كما وقفت على الكثير من العادات والتقاليد الفاسدة المنافية للشرع والتي كانت متفشية في أغلب جهات القطر الجزائري فصحَّحت الكثير منها وأبطلت ما يتنافى والدين الصحيح الذي ما فتئت تدعوا إليه وإلى العقيدة السلفية الصافية النقية عقيدة ومنهجا وسلوكا، فهي بهذا الاعتبار من **المجلات السلفية** التي حملت لواء الدفاع عن **منهج السلف الصالح**.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

لم تكـــن قضايا الإصلاح الديني المقصد الأسمى تحقيقه في نظر(الشهاب) فحسب، كما أنها لم تفرده بالاهـــتمام و العـــناية عـــلى حد سواء، فإن إصلاح العقائد وتطهيرها من أوضار الشرك ومضار البدع، والإجهاز على الطرقية التي هي علة العلل ومكمن الداء والخلل، إنما هو جزء من غاياتها وأهدافها ومبادئها، بل إنها كرست جهودها وعملها أيضا في إصلاح المجتمع من كل ما يدنسه ويصيبه من مشاكل وأمراض، وأســـباب التخـــلف، ومظاهر الفساد والانحراف والبحث عن طرق سعادة المجتمع، والرقي به إلى مصاف الأمم المتحضرة، وذلك بمعرفة أسباب نهضة الأمم وتخلفها، والأخذ بمحاسنها وترك قشورها ومضارها.

وقـــد شعر المسلمون عموما، والجزائريون على وجه الخصوص بالبلايا والمحن والرزايا التي لحقتهم، وفي مقدمـــة هذه البلايا سيف الجور المنصب على رؤوسهم، وأدرك المصلحون منهم أن سبب ذلك هو مخالفتهم عن أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم، فأخذت صيحات الإصلاح ترتفع في جوانب العالم الإسلامي في جميع جهات المعمورة، تدعو الناس لمعالجة أدوائهم، بقطع أسبابها، واجتثاث أصلها.

وإن المـــتفحص لحال الجزائر الاجتماعية في هذه الفترة وقبلها ليجد أن أدق وصف يمكن أن نطلق عليه كنظرة تقييمية مستوحاة من الواقع المرير الذي صبغت به وصارت علما عليه، إنما هو الجهل، والفقر، والفرقة، أو بالأحرى فهي مأساة اجتماعية، إلى جانب كونها غزوة صليبية بكل ما تحمله من شعارات براقة ونوايا سيئة، ورغم أن الجزائريين وقفوا لمجابهة العنف بالعنف والسيف بالسيف، لكن الجرح الأنكى، والداء العيـــاء، هـــو هذه المأساة الطويلة النفس، المرعبة الملامح، التي ظهرت نتائجها وأبعادها في الحياة الفكرية والأدبية.

وقـــد رفعـــت (الشـــهاب) راية الإصلاح الاجتماعي إلى جانب الإصلاح الديني، وكرس رجال الإصـــلاح فيهـــا أقلامهم في تشخيص الأدواء وعلاجها، وبيان خطرها على الأفراد والمجتمعات وواجب المسلمين تجاه مجتمعهم في الظروف القاسية التي تعيشها بلادهم، ولم يخف على المصلحين عموما هذه البلايا التي ألمت واستفحلت داخل المجتمع، بل وقفوا كرجل واحد في طريقها، وسخروا كل الأسباب لتخفيفها والتقـــليل مـــن انتشارها، كما عملوا على بيان أسباب التقدم والرقي، وصححوا بعض المفاهيم الخاطئة والاعتقادات الزائفة التي ذاعت في عقولهم وسيطرت على مجامع قلوبهم في هذه الفترة.

ومـــع مســـتهل الثلاثيـــنيات أخذ الشعب الجزائري يدرك طريقه إلى الإصلاح والتغيير، وأصبحت المشـــاريع الفكـــرية والقضايا الاجتماعية تتماثل للعيون، وصار الإصلاح مطلب كل جزائري، وكان من الوســـائل الـــتي ساهمت في الإصلاح الاجتماعي، الصحافة الإصلاحية التي أكثرت من طرح التساؤلات والإشكالات حول الخروج بالمجتمع من هذه الورطة.

الفصل الثالث

قضايا الإصلاح الاجتماعي

- تمهيد

1-المرأة الجزائرية

أ- بداية المعركة

ب- تعليم المرأة

جـ- سفور المرأة

2 – الشباب

أ- اعتناء (الشهاب) بالشباب

ب- مقاومة الإلحاد بين الشباب

3- الآفات الاجتماعية

أ- الرذائل

ب- الجهل

جـ- الفقر

د- الخمر

هـ- البغاء

4- محاربة سياسة الفرنسة

أ- سياسة الفرنسة

ب- موقف (الشهاب) منها

- المحافظة على اللغة العربية

جـ- سياسة التنصير

- موقف الشهاب من التنصير

- مسلك التحذير

5- الدعوة إلى الإسلام الصحيح.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكـــانت (الشـــهاب) مـــن المجلات التي حملت راية الإصلاح الاجتماعي في هذه الفترة وأسهمت بنصيب كبير في معالجة أهم القضايا المطروحة آنذاك والتي كانت السمة البارزة في المجتمع الجزائري.

وأما القضايا التي كانت (للشهاب) معها جولات وصولات، فيمكن وصفها بالقضايا الكبرى التي كـــانت تميـــز الجزائر عن غيرها من البلدان، ولهذا ما فتئت (الشهاب) من الخوض في إصلاح المجتمع بدءا بإصـــلاح الفـــرد؛ ولأن أساس إصلاح المجتمع هو إصلاح الفرد، على أننا ركزنا في هذا الفصل على أهم القضـــايا المطـــروحة آنذاك وكيف كان موقف (الشهاب) منها؟ وما هي الطرق والوسائل التي سخرتها لإصـــلاح المجتمع؟ وأهم هذه القضايا هي: قضية المرأة الجزائرية وواقعها في المجتمع والظروف المحيطة بها، والجـــدل الـــذي أثير حولها، إضافة إلى قضية الشباب الذي يتبوأ مكانة مرموقة في المجتمع ووضعه في ظل الســـيطرة الاســـتعمارية والدعايات والاغراءات التي تُفرض أو تُعرض عليه، وكذا الآفات الاجتماعية التي كـــانت منتشـــرة في البلاد، وكيف عالجتها (الشهاب) في ظروف صعبة وقاسية، وأخيرا سياسة التنصير والفرنســـة التي وظفتها الإدارة الاستعمارية كمشروع صليبي يهدف إلى إدماج الجزائر في فرنسا، وموقف (الشهاب) منها، هذا وإننا لم نستقص كافة القضايا الاجتماعية، وإنما أتينا على ذكر أهمها وغالبيتها، وهذا ما سنعالجه في هذا الفصل.

1 - المرأة الجزائرية:

إن مـــن أهم القضايا الكبرى التي عالجتها (الشهاب)، وتناولتها في صفحاتها، قضية المرأة الجزائرية ومنزلتها في المجتمع ودورها كقطب ثانٍ لا تستقيم الحياة ولا تنتظم إلاّبه، ورغم ما للمرأة من الدور الهام في ســـير الحيـــاة الإنســـانية واستمرارها، فإنه قد أثيرت حولها عدة إشكاليات، وصارت محل جدل ونقاش، وأخذت هذه النقاشات طابع الجدل والأخذ والرد.

وإن الأمـــر الذي لا مرية فيه، أن للمرأة مكانتها المرموقة، ومنزلتها المرفوعة في المجتمع، وإذا كانت كذلـــك فلا نستغرب أن تُجعل محل دراسة وبحث في كثير من القضايا التي تخصها في أمور دينها ودنياها، بحكـــم انتمائها إلى الإسلام وتكليفها بأحكامه، هذا وإن علماء الإصلاح في الجزائر إنما تناولوا قضية المرأة من جهة أنها تختلف عن الرجل في بعض الأحكام والتكاليف وأنها تعيش وضعا أخطر من الرجل، هذا إذا عرفـــنا أن أهم ما امتازت به المرأة في هذه الفترة وقبلها هو الجهل العظيم وارتفاع نسبة الأمية، ورغم هذا فإنها كانت مضرب الأمثال بكل فضيلة، من حسن الأخلاق والحشمة والتمسك بدينها، أو بالأحرى فهي مجمع للخلال الكريمة والسجايا العظيمة، وهذا بفضل إيمانها المتين المبني على قاعدة "إيمان العجائز".

ورغم ذلك فإن المرأة الجزائرية كانت تخضع كبقية العناصر الفاعلة في المجتمع إلى التغير والتبدل تبعا للتطورات والتغيرات التي أعقبت تطور المجتمع الجزائري في شتى المجالات ومختلف النواحي التي كانت محل

بحـــث ونقاش، فإذا كانت قضايا الإصلاح الديني قد احتلت فيها الطرقية وبدعها الشطر الأوفر في (الشـــهاب) بـــين رجال الإصلاح وغيرهم، فإن الإصلاح الاجتماعي أهم قضية كانت مطروحة فيه هي قضية المرأة التي بدأت المعركة حولها بين العلماء المصلحين أنفسهم، والتساؤلات التي نوردها: متى وكيف كانت بداية المعركة؟ وما هي أهم القضايا التي أثيرت حولها؟ وما هي التصورات والآراء التي بنى عليها كل فريق رأيه ومذهبه؟

أ- بداية المعركة

حسب بعض المصادر التاريخية التي أرّخت لتاريخ الجزائر الثقافي، وحسب الصحف الجزائرية العربية الإصـــلاحية، فـــإن المعـــركة حول قضية المرأة في القطر الجزائري لم تبدأ إلاّ بعد سنة 1930 ولعل فترة الثلاثيـــنيات تعد مرحلة حاسمة في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر لما انطوى حولها من تحولات وتغـــيرات مست جميع الجوانب في حركة المجتمع الجزائري، لعل أبرزها تكتل الحزب الإصلاحي تحت لواء جمعيـــة العلماء المسلمين، وتعدد وتنوع الصحافة الإصلاحية، وظهور أفكار جديدة وتيارات حادثة أثرت الحركة الفكرية الجزائرية بأفكار جديدة، وآراء عبرت بمنطوقها عن مدى تبلور الفكر الجزائري الإسلامي وتطوره، إضافة إلا هذا كثرة الدعوات والنداءات من بعض الكتاب والكاتبات ذوي النزعة المتفرنسة ممن تخـــرجوا من المدارس الفرنسية، وشربوا من الأفكار التغريبية وتأثروا بها، حيث وجدوا في بعض الصحف الصادرة بالفرنسية مجالا واسعا لنشر أفكارهم وبث سمومهم في الوسط الجزائري الإسلامي[1].

ويـــرجع هذا الاهتمام حول قضية المرأة إلى وضعها وحالتها الاجتماعية، فأغلب المصادر تذكر أن الآفـــة الكـــبرى الـــتي أصابت المرأة الجزائرية، هو الجهل الذي أركسها دهرا من الزمن تتخبط في ظلماته وتعيـــش في كـــنفه، فهـــذا العدو الألد عصب أعين النساء وأخذ بأيديهن إلى بيوت النصابين والدجالين وأصحاب العقول المعتوهة من السحرة والمشعوذين، يقدمن الضحايا والقرابين، ويسرجن الشموع، ويحرقن البخور، ويفرقن الصدقات والنذر، ويقمن حفلات الرقص والمجون باسم ملوك الجن والشياطين إلى أولياء الله الصالحين، كل هذا زادها جهلا بالدين وابتعادا عنه[2].

---

[1]- مثل صحيفتي: "الصوت الأهلي" و"وصوت المستضعفين" الصادرتين بالفرنسية، ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.1،ص-ص، 227-228، وكذلك:
Ali Merad, op, cit, p, 317.

[2]- محمد ناصر، المرجع نفسه، ص. 232.

ويؤكد أحمد الخطيب أيضا هذا المذهب بقوله: "إن المرأة الجزائرية التي حرمت كل شيء ما عدا قدرة الإنجاب أصبحت فريسة سهلة للخرافات والبدع والسحر والشعوذة وأصبح نشاطها الاجتماعي يدور حول نقل الاحجبة ونقل البخور وزيارة الأولياء"[1].

وحسب (الشهاب) فإن ظهور قضية المرأة في الساحة الفكرية كمسألة منفصلة عن غيرها من القضايا الاجتماعية الأخرى يعود بالأساس إلى ظهور المدارس الحرة التي أنشأها بالأخص ابن باديس وجماعته، وهذه الأخيرة أرغمت رموز الحركة الإصلاحية وأساطينها أن يجعلوا التعليم شاملا للجنسين على حد سواء يشير إلى ذلك (مبارك الميلي) بقوله: "ولما أخذت حركة تأسيس المدارس ظهرت مشكلة من يعمرها من النشء، فقال فريق نعمرها بالبنين والبنات وآخرون قالوا نعمرها بالبنين دون البنات، ولا يكاد يخلو مجلس من مجالس أركان الإصلاح التي يذكر فيها التعليم من الحديث في هذه النقطة"[2].

والملاحظ في هذه القضية أن كل ما أثير حولها أخذ الطابع الجدلي والأخذ والردّ وأضفي عليها الجانب الفقهي الشرعي، باعتبار أن حياة الإنسان وتصرفاته ومعاملاته ووجوده تخضع إلى الشرع، وهنا طرحت استفهامات حول المرأة وما يتعلق بها، فمن بينها: مسألة تعليم المرأة وحقها فيه، ومسألة السفور والحجاب وبعض التقاليد الفاسدة والعوائد المذمومة.

وقد أُخذت هذه القضايا وصيغت في قالب فقهي بحت. والحق أن بعضا من هذه المسائل لم تكن وليدة ظروف حادثة أو نوازل عصرية، بل هي مسائل فقهية، وأن الخلاف بين الفقهاء ليس وليد هذه العصور المتأخرة بل هو قديم يرجع إلى القرون الأولى.

ونلاحظ أن هناك تطورا ملحوظا في المقالات الصحفية نحو قضية المرأة قبل وبعد الحرب[3]، وقد برزت (الشهاب) كإحدى هذه الصحف الإصلاحية التي خاضت في هذه القضية مبدية ما كان لها من القول فيها، على أنها نَحَت منحى جدليا بين متعصب –على حد تعبير البعض– وآخر معتدل، "وقد مس

---

[1]- أحمد الخطيب، المرجع نفسه، ص. 84.

[2]- مبارك الميلي، "تعليم المرأة الكتابة"، الشهاب، ج.6، م.12، جمادى الأولى والثانية 1355 الموافق لـ: أوت سبتمبر 1936، ص.254.

[3]- أول من حمل لواء هذه الفكرة صاحب (الشهاب) نفسه ابن باديس، الذي أضاف منبرا وركنا جديدا ضمن صفحات (الشهاب) تحت عنوان (رجال السلف ونساؤه) وإنما أوردها للعبرة والاتعاظ، لتنطلق بعد ذلك الكتابات المتوالية حول المرأة وما يتعلق بها، يقول ابن باديس: "هذا باب جديد فتحناه (للشهاب) أردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونسائنا من سلفنا الصالح، ما لهم من صفات أكسبهموها الإسلام، وما كان منهم من أعمال في سبيله، ففي ذلك ما يثبت القلوب ويعين على التهذيب، ويبعث على القدوة، وينفخ روح الحياة..." ينظر: "رجال الإسلام ونساؤه"، ج.1، م.10، رمضان 1352 هـ، الموافق لـ: جانفي 1934، ص 14. وهذا التاريخ أول عدد في هذا الباب، وبدأه بالصحابي الجليل عبادة بن الصامت.

هـــذا التطور الموضوع في بعض جوانبه كما بعث في الأسلوب روحا جديدة، ودفعت به إلى الأمام خطـــوات بارزة"[1]، وهذا ما يلاحظ من أن هناك تبلورا في النظرة الضيقة والمحدودة مكانيا والتي لم تتجاوز حدود القطر عند الكتاب عموما، إلى نظرة أوسع وأشمل؛ أي أن هذه القضية أخذت طابع الشمولية؛ ذلك أن تطور الحركة الإصلاحية عموما واتصالها بما يجرى في العالم الإسلامي والمشرق العربي خصوصا، زاد في إثراء الموضوع وظهور قضايا جديدة وحوادث لم تكن من قبل.

وهـــذا الـــتطور –كما يبدو- حسب (محمد ناصر) يرجع إلى عاملين أساسيين داخلي وخارجي.

الداخـــلي: ظهور بعض الاتجاهات الفكرية التي انحرفت عن الطريق الذي سطرته الحركة الإصلاحية لتسير عـــليها المرأة المسلمة الجزائرية في حياتها الإسلامية والاجتماعية، سواء منها ما دعا إلى تحرير المرأة وإطلاق الحرية الكاملة لها ومساواتها مع الرجل في بعض الحقوق... أو ما دعا إلى التحجر والجمود، والحفاظ على المرأة في كسر بيتها لا تبرحه أبدا...

الخـــارجي: انتشـــار كـــتابات المشارقة، وبزوغ اتجاهين متناقضين: تقدميين ومحافظين في موضوع الحجاب والسفور وغيره، واطلاع الجزائريين على هذه الآراء على ما ينشر على أعمدة الصحف والمجلات المشهورة آنذاك كالمنار والفتح[2]...

وانطلاقا من هذه المعركة حول هذه القضية الشائكة، فما هي أهم القضايا التي عالجتها (الشهاب)؟ ومـــن هم رواد هذه الأفكار الذين خاضوا فيها، وأبدوا ما كان لهم فيها من القول؟ وما هي المرجعية التي انطلقوا منها في بحث مثل هذا الموضوع؟

ب- تعليم المرأة:

أثـــيرت مســـألة تعليم المرأة –كما أشرنا آنفا- منذ ظهور المدارس الحرة، والتي كان يشرف عليها مباشـــرة المصـــلحون أنفسهم، حينها وجد المصلحون أنفسهم على اختلافهم، واختلاف نظرتهم إلى المرأة وحقهـــا في التعليم في محل جدل، فمن مبيح لها التعلم، ومن مانع لها إلاّ في حدود ضيقة، وأخذت القضية بعدا آخر، واستحوذ عليها الجانب الشرعي، وأُدمجت ضمن مسائل الخلاف المتنازع عليها، كل يدلي بدلوه معتضدا بأدلة شرعية مستوحاة من الكتاب والسنة وأخرى عقلية مبنية على الاستقراء والاستنباط والواقع، وإن دل هذا فإما يدل على اتساع مجال التفكير ومجاوزة حدود الجمود والتقليد، والتحرر من أيدي أرباب التعصب، ويعبر أيضا على مدى التطور الفكري الفجائي لدى أعمدة الحركة الإصلاحية خاصة بعد الحرب العالمية الأولى التي غيّرت الكثير من المفاهيم الدينية وصححتها.

---

[1]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص. 236.

[2]- المرجع نفسه، ص. 236-237.

- دعاة تعليم المرأة:

لا شـــك أن للمرأة حقوقا وواجبات مثل ما للرجل من حقوق وواجبات، فمن حقوقها حقها في التعليم، وما دامت المرأة المسلمة مكلفة بأحكام الإسلام؛ فإن الخطاب الإلهي يشملها كما يشمل الرجل إلاّ فـــيما اختص كل واحد منهما بخصيصة تجعل كل واحد ينفرد بأحكام تخصه، وإذا كانت أول آية نزلت عـــلى النبي صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى: "اقرأ"[1]؛ فإن هذا الأمر يشمل الرجل والمرأة، والخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم هو خطاب موجه لأمته إلاّ فيما خصه الله تعالى به، وإن المرأة شريكة الـــرجل في الحيـــاة في جميـــع أطوارها، وقد أولاها الشرع الحكيم اهتماما بالغا لما لها من تأثير في الحياة الاجـــتماعية "فمن شاء أن يعرف مبلغ ارتقاء أمة من أمم في سياستها وأخلاقها وشرائعها وآدابها عليه أن يسأل عن مركز المرأة فيها، فهي العامل الحي المؤثر في كل طور من أطوار الحياة"[2].

ولهـــذا ذهـــب أكـــثر كتاب (الشهاب) من العلماء والمصلحين إلى وجوب الاهتمام بتعليم المرأة وتهذيـــبها، فهـــي من جملة ما خلقت له حفظ النسل وتربية الإنسان في أضعف أطواره {**وحمله وفصاله ثلاثـــون شهرا**}[3]، فهي ربة البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به والسهر عليه، وفي هذا الشأن يقول ابن باديس –وهو أحد الرواد الذين دعوا إلى تعليم المرأة: "فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه لـــلقيام بوظيفتها، ونربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف الرجل ونصف المرأة، فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها"[4].

ونلاحـــظ في كـــتابات المصـــلحين (في الشهاب)، عند التعرض للحديث عن (المرأة) إضافة إليها (المسلمة الجزائرية)، ولعل هذا دليل على تميز المرأة المسلمة الجزائرية عن غيرها من النساء المتفرنسات، وقد أشار إلى ذلك ابن باديس بنفسه بأصرح عبارة وعبر عن هذا المقصود فقال: " المسلمة: فعلينا أن نعلمها ما تكـــون به مسلمة، ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها، ونفقهها في مثل قوله تعالى: {**إن المسلمين والمســـلمات والمومـــنين والمومـــنات ...**إلى قوـــله **... أعّد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**}[5*6]، ثم قال "الجزائرية: بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا ولنا يحفظون أمانة الأجيال الماضـــية للأجيال الآتية ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره، ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم

---

[1]- سورة العلق، الآية 1.

[2]- فارس حداد، "تأثير المرأة في الحياة الاجتماعية"، الشهاب، عدد 73، 1 جمادى الثانية 1345 الموافق لـــ: 6ديسمبر1926،ص.1.

[3]-سورة الأحقاف، الآية 15.

[4]- ابن باديس، "الرجل المسلم الجزائري"، الشهاب، ج.10، م.5، جمادى الثانية 1348 الموافق لـــ: نوفمبر 1929، ص.13.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 35.

[6]- ابن باديس، المرجع نفسه، ص. 13.

الناس أجمعون"[1]، وجعل ابن باديس الطريق الموصل إلى هذا هو التعليم، تعليم البنات تعليما إسلاميا يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن: "فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا –عليهن الرحمة– خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها، تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم"[2].

ونظرا لتبوء المرأة منزلة رفيعة داخل الحياة الاجتماعية، فإن منعها من التعليم أو التضييق عليها تعد على حقوقها وظلم لها، ولهذا سار ابن باديس ومن سلك طريقه في التدليل على وجوب تعليم المرأة من الأثر والنظر، وما فتئ ابن باديس يضرب الأمثال بسير السلف من الصحابة والصحابيات، فقد كن (أي الصحابيات) يشاركن الرجال في الحرب، وهي أبعد الأشياء عن طبعهن وخلقتهن، ويقمن معهم بما يليق بهن، فهم القدوة الحسنة لمن بعدهم والمثال الذي يجب أن يقتدى به في الحياة، وهذا الأمر حقيقة ثابتة مقررة في كتب السير والتراجم[3]

ثم إنه لما اشتد النكير على بعض النساء والفتيات بسبب خروجهن إلى المدارس والمكاتب الحرة، إضطر بعض المصلحين إلى بيان وجه الحق في المسألة بحجج قوية وبراهين ساطعة على وجوب تعليم المرأة تعليما إسلاميا يتماشى والتقاليد الإسلامية من دون اخلال ولا انحراف عن جادة الصواب والوقوع في المحاذير الشرعية، ومن ثم انقسم المصلحون إلى فريقين: فريق يرى بوجوب تعليمها وإشراكها في الحياة، والآخر يرى عكس ذلك بل وضيق عليها وجعلها أسيرة بين أربعة جدر، وكأن المسألة أخذت منحى المناظرة والجدل، وهذه حجج الفريق الأول: ويمكننا عرضها على طريقة المناظرة والمقارنة.

حيث احتج من ذهب إلى وجوب تعليم المرأة بحجج عقلية وأثرية وهذا ملخصها:

1 – إن فساد القلوب وانحطاط العقول كانا شاملين للأمة ذكورها وإناثها، فيجب أن يكون إصلاح القلوب وترقية العقول عامين في الذكور والإناث دون إقصاء طرف.

2 – أن المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية، فلتكن شريكته في التربية والتهذيب والتعليم، ولا تظلم بحرمان حقها من ذلك.

3 – إن الأم هي المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأبناء معلوماتهم الأولية التي تصير كطبيعة لهم، ولهذا وجب إصلاح هذه المدرسة حتى تهيأ للمجتمع أبناء قادرين على تغيير المجتمع...

4 – إن الأنثى مكلفة في حكم الإسلام بمثل ما يكلف به الرجل –كما ذكرنا سابقا– لا يفترقان إلاّ فيما يرجع إلى القوة والسيادة، فيختص بالرجل كالإمامة وولاية مناصب الحكم، وأما ما يعود إلى الضعف والحنان فيختص بالأنثى كالحضانة والقيام بشؤون البيت أو تنزل اثنين منزلة واحد في الشهادة.

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 14.

[2] – المرجع نفسه، ص. نفسها.

[3] – ابن باديس، "الربيع بنت معوذ"، الشهاب، ج.2، م.13، صفر 1656 الموافق لـ: أفريل 1937، ص.83.

5 – أن المـــرأة شـــريكة الرجل في مترله، وقرينته في حياته لا غنى لأحدهما عن الآخر، فلابد من تشاركهما في التهذيب، وتقارهما في التثقيف، ليرغب الفتى في الفتاة، وتعرف الفتاة كيف تعاشر الفتى، ثم ليكون –هما زوجان– أقرب إلى الوفاق والائتلاف وأبعد عن الشقاق والفرقة والاختلاف[1].

أمـــا الحجج النقلية، فقد استند هذا الفريق إلى جملة من الأحاديث النبوية والآثار السلفية في نصرة مذهـــبهم، فمنها حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت يا رســـول الله: إني كـــبرت ولي عيال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده"[2]، قال ابن باديس في شرح هذا الحديث أنه "يرشـــدنا إلى وجـــوب القيام عليها (أي المرأة) وتهيئتها لذلك بالتربية والتعليم، فتكون تربيتنا وتعليمنا لها يقوي فيها صفات العفة، وحسن تدبير المترل والنفقة فيه، والشفقة على الولد وحسن تربيته –وكل زيادة على هذه– بعد تهذيب أخلاقها وتصحيح دينها وتحببها في قومها، فهي ضارة بها أو مخرجة لها عن مهمتها العظيمة ملحقة الضرر بقومها..."[3]، ومنها حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: "ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من أولادها إلاّ كان لها حجاب من نار" فقالت امـــرأة: واثنتين، فقال:"واثنتين"[4]، وقد شرح ابن باديس هذا الحديث شرحا موجزا، واستخلص منه بعض الفوائد والأحكام التي تدل على سعة علمه ودقة استنباطه، يقول: "فالنساء شقائق الرجال في التكليف فمن الواجب تعليمهن، وقد علّمهن صلى الله عليه وسلم وأقرهن على طلب العلم واعتنى بهن وتفقدهن"[5] كما جاء في حديث ابن عباس –رضي عنهما– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " خرج ومعه بلال فظن أنه لم يُســـمع النســـاء، فوعظهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه"[6].

ومـــن الأحكام أيضا عدم جواز اختلاط النساء بالرجال في التعليم، فإما أن يفردن بيوم كما في هذا الحديـــث، وإمـــا أن يتأخرن عن صفوف الرجال، كما مرّ في حديث ابن عباس، وهذا الأمر مما عمَّت به

---

[1]– مبارك الميلي، "تعليم المرأة الكتابة،" مصدر سابق، ص. 254 بتصريف.

[2]– مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل نساء قريش رقم (2527)، ج.4، ص، 1958،1959.

[3]– ابن باديس، "خير النساء"، الشهاب، ج9.، م.11، رمضان 1354 الموافق لـــ: ديسمبر 1935، ص.198.

[4]– البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ رقم (101)، ج.1، ص. 195،196.

[5]– ابن باديس، "حق النساء في التعليم"، الشهاب، ج.2، م.15، صفر 1358 الموافق لـــ: مارس 1939، ص.65.

[6]– البخاري، كتاب العلم، باب عظة الإمام للنساء وتعليمهن، رقم (98)، ج.1، ص. 193.

البـــلوى وصار حكم الاختلاط في طي النسيان، وكأن شيوعية الفعل وانتشاره دليل على جوازه والأصل خلاف ذلك.

ومـــن الفوائد التي استخلصها ابن بادبس أيضا، أن البداية بالتعليم بما تشتد إليه حاجة المتعلم، "فإن حـــنان النساء وضعفهن يحملانهن على الجزع الشديد، وقد يخرج بهن إلى القبيح، فذكر لهن ما يكون عدة لهن وقاية عند نزول المصيبة"[1]، وكأنه يشير إلى قوله تعالى: {كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب}[2]، والرباني هو الذي يعلم صغار العلم قبل كباره.

ومـــنها حديـــث الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقـــال لي: "ألا تعـــلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة"[3]، وفي هذا الحديث دليل واضح على الإذن بتعلـــيم المـــرأة الكتابة، قال الخطابي[4] في شرحه لسنن أبي دواد:" وفي الحديث دليل على أن تعليم الكتابة للنساء غير مكروه."[5]

وذكـــر أبـــو عمر بن عبد البر[6] في ترجمة الشفاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها:"علّمي حفصة رقية النملة كما علّمتها الكتاب"[7]، والكتاب والكتابة شيء واحد.

---

[1]- ابن باديس، المرجع نفسه،ص. نفسها.

[2]- سورة آل عمران، الآية 79.

[3]- أبو داود، كتب الطب، باب ما جاء في الرقى، رقم (3887)، ج.4، ص.11، وهو صحيح: ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود. ج.1،ط.1، مكتبة المعارف، الرياض، 1419 هـ 1998،، ص. 468.

[4]-أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابي البستي، محدث، لغوي، فقيه وأديب، كان مولود في سنة (319هـ، 931م) ووفاته سنة (388هـ،998م)، من تصانيفه معالم السنن في شرح كتاب السنن لأبي داود، فتح الباري شرح البخاري. ينظر: عمر رضا كحالة، مـــرجع ســـابق، ج.1. ص.232. وكذلك: جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكى، النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة: تحقيق: إبراهيم: على طرخان، ج.4،(ط.د). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،. ص.199.

[5]- الخطابي أبي سليمان، مختصر سنن أبي داود للمنذري(شرح له)، تهذيب: الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج. 5 مطبعة السنة المحمدية، 1368هـ. 1941م، ص.364.

[6]- ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي من أكابر حفاظ الحديث يقال له حافظ المغرب،فريد زمانه في الأندلـــس ولـــد بقرطـــبة سنة 368هـ، له رحلات عدة في طلب الحديث ولي قضاء لشبونة وشنترين،له تصانيف كثيرة أشهرها: الـــتمهيد لمـــا في الموطأ من المعاني والأسانيد(24مجلد) والاستذكار في شرح مذاهب الأمصار(30مجلد) وغيرها كثير.ينظر:عمر رضا كحالـــة، مرجع سابق،ج.4،ص.170،171 . وكذلك:عبد الحي ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج.3، (دط) دار الآفاق الجديدة،بيروت،ص-ص314،316.

[7]- يـــنظر: يوســـف أبي عمر عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب . والحديث أخرجه الحاكم،ج.4، ص.414، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ 1995م ج4، ص423.

وجاء في حديث آخر قوله صلى الله عليه وسلم:" طلب العلم فريضة على كل مسلم[1]"،وقد يعترض على هذا القول بأن الخطاب موجه للرجال دون النساء، وغيره من الآيات والأحاديث التي جاءت عامة وظاهرها تخصيص الرجال؛ أي أن الخطاب جاء بصيغة التذكير، والجواب على هذا الاعتراض ما ذكره ابن باديس من أن أقوى الاستدلال هو الاستدلال بعمومات الآيات القرآنية المتكاثرة الشاملة للرجال والنساء، فإنه مذهب الجماهير من أهل الفقه والنظر- وهو المذهب الحق- أن الخطاب بصيغة التذكير شامل للنساء إلاّ بمخصص أو قرينة شرعية تخرجهن من نص أو إجماع أو بضرورة طبيعية- كما سيأتي-؛ "لأن النساء شقائق الرجال في التكليف، ولا خلاف أنه إذا اجتمع النساء والرجال ورد الخطاب أو الخبر مذكرا على طريقة التغليب"[2]

ونظير هذا الإيراد قوله تعالى: {وليكتب بينكم كاتب بالعدل}[3] وقوله: {واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء}[4]، فإن الشارع الحكيم قد نص في الآية الثانية على الرجال لمّا كان مقتضيا لهم، وأطلق في الآية الأولى فدل على أنه لا فرق بين أن يكون الكاتب رجلا أو امرأة، وهو من أدلة مشروعية تعليم النساء الكتابة، وكل آية دعت إلى الكتابة[5]، ولأن من لوازم العلم تقييده بالكتابة.

والعمومات إذا تكاثرت واستفاضت أفادت القطع، ولهذا جعل ابن باديس هذا الطريق-أي الاستدلال بعموم الآيات- أقوى من الاستدلال بالحديث الذي هو أغلبه خبر آحاد وخبر الآحاد- من حيث ذاته- يفيد الظن وإن كان صحيحا[6]، وهذا مقرر في مظانه في كتب أصول الفقه والحديث.

وممن ذهبوا هذا المذهب (محمد العاصمي)*، الذي حث وألح على تعليم المرأة وترشيدها وتكوينها تكوينا دينيا، وذلك بإنارة ذهنها إنارة صحيحة، وتعليمها ما هو من مهامها دينيا وإسلاميا تعليما يتماشى

---

[1]- ابن ماجة (مقدمة)، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (224)،ج.1.ص.81، وهو صحيح، دون زيادة "وواضع العلم..." الحديث. فإنه ضعيف جدا، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ج.1، ط.3، مكتب التربية العربي لدول الخليج. 1408هـ 1988م،ص.44.

[2]- ابن باديس، "تعليم النساء الكتابة،" الشهاب، ج.3،م.15، ربيع الأول 1358 هـ الموافق لـ: أفريل 1939، ص.111.

[3]- سورة البقرة الآية، 282.

[4]- سورة البقرة، الآية نفسها.

[5]- ابن باديس، المصدر نفسه، ص. 112.

[6]- المصدر نفسه، ص، نفسها.

*- ينظر ترجمته في الملحق رقم8.

مـــع الحشمة والعفاف والصيانة[1]، هذه الصفات التي أودعها الله فيها، وجعلها أنموذجا لكل فضيلة، وثمة حقيقـــة خفيّـــت على الكثير من أنصار تعليم المرأة، وذلك أنه لا يمكن للمرأة أن تتعلم إلاّ بتعليم الرجال تعلـــيما يـــتوافق وتعاليم دينهم ومحاربة الأمية والجهل وسائر التخلف والجمود المتفشية في أوساط الشعب الجزائـــري، وعـــلّل هذا الصراع بأن أمية الرجال عائق كبير أمام ما يبتغى إليه من وصول المرأة الجزائرية المســـلمة إلى الغاية المنشودة، ولهذا يجب على القائمين بالتعليم من العلماء والمصلحين مكافحة أمية الرجل والمرأة في آن واحد.

ومـــا جعـــل الـــتفاؤل في مستقبل الفتاة الجزائرية قويا آنذاك، ما أبدته (جمعية التربية والتعليم) إذ صـــرحت في بـــرنامجها الأساسي بوجوب الشروع في تعليم البنات مجانا و بصفة استثنائية[2]. هذه جملة ما اســـتدل بـــه القائلون بوجوب تعليم المرأة مثل الرجل، وأما الطرف الثاني فسنورد ما احتجوا به على منع الفتاة من الخروج إلى المدارس والتعلم فيها.

وكـــان مما أدلى به الفريق الثاني من منع البنت التعلم إلاّ في إطار ضيق ومحدود حيث استدلوا بذلك بأدلـــة عقـــلية ونقلية، مبنية على معرفة الواقع ونتائج تبين مدى خطورة تعليم البنت وإطلاق العنان لها في الخروج، والذهاب إلى المدارس ومراكز التعليم، ومّما استندوا إليه:

1 – أن إدخالهـــا المكـــاتب والمدارس جمع بينها وبين الابن، وفي ذلك الاختلاط ما تخشى عاقبته وخطـــره على العفاف والفضيلة وتحطيم لسُور الحياء، وأن مفاسد الاختلاط راجحة على المصالح المتوخاة من التعلم...

2 – أن تعلـــيمها الكـــتابة مثلا يسهل عليها الوصول إلى وساوس نفسها، ويقرب ما يدعوها إليه هواها، وعبر بعضهم عن هذه النقطة بقوله: "المرأة المدّادة تحتاج إلى قوّادة"[3] .

ومـــا اســـتدل به على عدم جواز تعليم المرأة الكتابة، أن الشارع نهى عن تعليمها الكتابة، وذلك للحديث الذي سنورده في هذا السياق، وهو حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تنزلوهن الغرف ولا تعلّموهن الكتابة –يعني النساء– وعلموهن المغزل وسورة النور"[4].

---

[1]– كاتب كبير (محمد العاصمي)،" الفتاة والمرأة الجزائرية"، الشهاب، ج.3،م.7. ذي القعدة 1349هـ الموافق لـ:مارس 1931 ، ص 163.

[2]– المرجع نفسه، ص. 164.

[3]– مبارك الميلي، "تعليم المرأة الكتابة،" ص. 256.

[4]– الحـــاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب النهي عن تعليم النساء الكتابة للنساء، ج.2، ص.396، وقال: هذا حديـــث صـــحيح و لم يخرجاه (أبي البخاري ومسلم). والصواب أن الحديث موضوع، كما قال الذهبي (في التلخيص)، وآفاته عبد الوهـــاب بـــن الضحاك، قال أبو حاتم: كذّاب، ينظر: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج6، ط.1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1372هـ 1953م، ص. 74، ومع جلالة الإمام الحاكم في علم الحديث، فإنه لا يعول عليه في كثير =

وخلاصـــة ما استدل هذا الفريق هو الاسترابة بالبنت، والمحافظة على خلق الحياء والحشمة والعفاف وصيانة عرضها وشرفها من أن يدنس...

وأجابوا عن حجج الفريق الأول بجواب واحد وهو أن تلك الحجج التي أوردوها في وجوب تعليم المـــرأة مقيـــدة بأن يكون تعليمها على قدر ما تعرف به دينها وإدارة منزلها، وتربية الأولاد، وذلك ممكن بطريقة التلقين الخالي من الكتابة والاختلاط بين الذكور[1].

وقد تعقب بعض من يرى وجوب تعليم المرأة أقوال هؤلاء، وبحمل إيرادهم، وأجاب عن بعض ما ذهبوا إليه، ومنهم (الميلي)، الذي أجاب عن استدلالهم بالحديث، وهو أنه لا يثبت سندا بل هو موضوع، وأجـــاب عـــن اختلاط البنين بالبنات في المدارس والكتاتيب بأن البنت ما لم تبلغ حد الحجاب مختلطة مع الابـــن في الأزقـــة والرحاب، وليس الاختلاط في الأزقة حيث لا مربي ولا رقيب بأضمن لعفة البنت في مستقبلها من الاختلاط في المكتب أمام المعلم المربي .

وأجـــاب أيضا في قوله بتلك المفسدة التي أنيطت بكتابة البنت، أنها مفسدة متخيلة لم تتحقق بعد، وأمـــا اتخاذ التلقين سبيلا لتعليم البنت؛ أن اللقانة لو كانت تغني عن الكتابة لأغنت الذكور، فالاعتماد عن اللقانة –حسب الميلي– تعمد لترك البنت في جهالة[2]*.

هذه هي حقيقة الواقع الجزائري، ونظرة كل فريق إلى المرأة وتعليمها، وفي رأينا أن الواقع الاجتماعي الجزائري هو الذي فرض مثل هذه القضايا، وبعثها إلى الوجود بعد أن كانت مفقودة من الساحة الفكرية، إضـــافة إلى هذا فإن تبلور الفكر الجزائري وتأثره بما ينشر ويكتب في مختلف الصحف والمجلات المشرقية، والنهضة الفكرية التي شهدتها هذه الفترة، جعله يفيق من سباته. والحقيقة أن الحركة الإصلاحية عموما قد غيّرت الكثير من المفاهيم والأفكار التي كانت سائدة آنذاك.

وإذا كان الخلاف بين دعاة الإصلاح والتجديد حول تعليم المرأة وحقها فيه، فإن ما يجب أن تتعلمه أثـــار جـــدلا واضحا أيضا، ولهذا تساءلت (الشهاب) ما ينبغي أن تتعلمه المرأة؟ ونكاد نجد الاتفاق على

= من تصحيحاته، وإن النقاد من علماء الحديث وجهابذة الجرح والتعديل قالوا: لو لم يؤلف المستدرك كان خيرا له، قال السخاوي: وهو كثير التساهل بحيث أدرج في كتابه هذا الضعيف بل والموضوع المنافية لموضوع كتابه. ينظر: محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع، ج8، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص. 10.

[1]– مبارك الميلي، مصدر سابق، ص. 256.

[2]– المصدر نفسه، ص. 256،257.

*– وممن ذهب إلى تعليم المرأة من المصلحين أيضا (الأمين العمودي) الذي اعتبر تعليم المرأة من الواجبات التي لا عذر لمن يتهاون في القيـــام بهـــا، لأنه –حسب رأيه– أحسن وسيلة لتحسين حالتها الخاصة وحالة الهيئة البشرية المتركبة من أفراد ليست هي من أقلها، يـــنظر: الأمين العمودي، "المرأة المسلمة الجزائرية"، الإصلاح، العدد 8، 27 جمادى الثانية 1348 الموافق لـــ: 28 نوفمبر 1929، ص. 1.

البعض منها كتعليمها أمر دينها والتفقه فيه، وقد أجابت (الشهاب) على ما يجب أو ينبغي أن تتعلمه منها: الديانة (الفقه في الدين) اللغة، القراءة، الكتابة، إتقان حرف يدوية، تربية الأولاد، والمعالجة الأولية لمختلف الأمراض، شؤون المترل، الجغرافية، التاريخ والحساب[1].وهناك من ذهب إلى تعليمها أمر دينها فحسب حتى تكون خير عون في تربية النشء تربية إسلامية متينة.

ولعل وقوع الخلاف بين دعاة الإصلاح في مسألة تعليم المرأة لم يكن وليد الصدفة بل حسب اعتقادنا جاء في سياق تلك الكتابات والنداءات والدعوات إلى تحرير المرأة تحريرا كاملا متأثرين بالأفكار التي ظهرت في المشرق العربي، وحتى في البلدان الأوروبية والفرنسية على وجه الخصوص، وحينها عولجت المسألة بين إفراط وتفريط وغلو وتقليد.

وإذا نظرنا إلى موقف الشرع الحكيم من هذه القضية، وتعمقنا في معرفة جوانبها، نجده قد سلك مذهبا وسطا، هذا ولسنا ناقمين على كلا الفريقين؛ فإن كلاهما معه أكثر الحق، وأصابا في كثير من استدلالاتهم، وإذا تتبعنا واستقرأنا عموم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآثار السلفية المروية عن أئمة الإسلام، نجد أن الدعوة إلى العلم والتعليم عامة في غالب الأحيان، وكما تقدم، فإن الاستدلال بعمومات الآيات القرآنية يفيد القطع والجزم،وهذا من أقوى الأدلة على تعليم المرأة وتثقيفها، كيف لا يكون ذلك والله تعالى قد أوجب عليها عبادته، ولا تكون هذه العبادة إلاّ على علم وتعليم، ولهذا بوّب الإمام البخاري في كتابه (الصحيح)، (باب العلم قبل القول والعمل)[2]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، ولا يكون العلم إلاّ بالتّعلُّم.

وإذا تأملنا في حقيقة ما ذهب إليه كل طرف نجد أن الخلاف لفظي، وأن الكل متفق على ضرورة تعليم المرأة وإنارة عقلها والخروج بها من ظلام الجهل إلى نور العلم وهدايتها إلى ما فيه سعادة الدارين، وأما استدلال الفريق الثاني بالحديث الوارد في النهي عن تعليم النساء الكتابة، فقد عرفنا بطلان هذا الاستدلال، وإذا تقرر بطلانه وعدم ثبوت آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن تعليم النساء الكتابة[3]، بل قد ثبت خلاف ذلك، فقد جاء الإذن بتعليمها في غير ما آية من آيات العمومات القرآنية،

---

[1]- ينظر: الشهاب، ج.11، م.12، ذو القعدة 1355 الموافق لـ: جانفي 1937.

[2]- ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، (باب العلم قبل القول والعمل)، ج.1، (دط) دار نمر النيل، ص.23.

[3]- وفي الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي من الأحاديث النبوية، برقم 207، هل صح في النهي عن تعليم النساء الكتابة شيء ؟ فأجاب بذكر ما انتهر من الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي وردت في هذا الباب، وحكم عليها بالوضع والضعف، وفي السياق أثبت= =صحة حديث حفصة –المتقدم– الوارد في الإذن بتعليمها الكتابة سندا ومتنا، ينظر: محمد بن عبد الرحمان السخاوي الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي من الأحاديث النبوية، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، ج.2، ط.1، دار الراية، الرياض 1418 هـ– 1998م، ص-ص.787-791.

وفي غـــير ما حديث –وقد تقدم ذكر بعض منها– وبالتالي سقط استدلالهم وبطل بالأثر والنظر، وفي هذا السياق يقول الميلي: " إذا اعترفنا بضرورة تعليم البنت فلا وجه للنزاع في لزوم تعليمها الكتابة، وإنما علينا أن نفكـــر في طـــريقة الجمع بين تعليمها والمحافظة على أنوثتها وعدم ترجلها"، وهذا وجه مقبول للجمع والمقاربة بين القولين: إذ السؤال الفلسفي الذي ينبغي أن يطرح، كيف يمكن أن نعلّم المرأة وأن ندمجها في المجـــتمع وفي المدارس، مع المحافظة على شرفها وعفتها وصيانة عرضها وعدم الوقوع في المحاذير الشرعية؟ وذلـــك إذا أخذنا في الاعتبار الإطار الزماني والمكاني الذي تعيش فيه المرأة، فقد كانت في زمن الاستعمار محاطـــة بين عدوين بين الانفساخ والتفتح ومسايرة ركب الحضارة الغربية دون قيد، وبين الجهل الذي هو مبعث كل شر وعنوان كل نقيصة.

وخلاصة ما يمكن قوله أن تعليم المرأة أمر محتم؛ لأن هذا الأمر يستوي فيه الرجل والمرأة، وإخراجها وإقصائها بتعليلات واهية ظلم لها وتعد عليها، كما أن إطلاق العنان لها من دون قيد ولا ضابط تضليل لها، والحـــق أنه يجب تعليمها في إطار الضوابط الشرعية وتغليب المصالح على المفاسد ودرأ المفاسد ما أمكن، خاصة أن مما عمت به البلوى الاختلاط، بحجة الضرورة من جهة، ومن جهة أخرى عدم الالتفات إلى مثل هذه الضوابط والشروط.

وإذا كانت مسألة تعليم المرأة أثارت الجدال والنقاش، فإن سفورها وخروجها متكشفة قد أثار أيضا جـــدالا واســـعا ونقاشا حادا، هذا وإن الخلاف ليس بحادث بل إنه قديم جديد، وهذا ما سنشير إليه في المبحث الموالي.

جـــ–سفور المرأة:

أثارت مسألة سفور المرأة وخروجها متكشفة، جدلا بين دعاة الإصلاح والتجديد فضلا عن غيرهم مـــن دعـــاة التحرير والحرية، والحق أن مسألة سفور المرأة مسألة قديمة جديدة، فهي قديمة لأن النزاع فيها معـــروف منذ عهد السلف من الصحابة والتابعين، وجديدة لأن الخلاف في هذه المسألة معتبر وبالتالي لا يزال قائما بين العلماء والمصلحين، ما بين قائل بوجوب ستر المرأة وجهها وكفيها، وبين قائل باستحباب ذلـــك لها، ولكل دليله، والأصل أن هذه القضية فقهية بحته باعتبار أنها تستند إلى نصوص قرآنية وأحاديث نبوية.

وقد أثيرت هذه المسألة بين دعاة الإصلاح في الجزائر، على صفحات (الشهاب)، وأبدوا ما كان لهم من آراء حولها، وفي اعتقادنا أن الباعث على الخوض في هذه القضية وإحيائها من جديد ليس مقصودا في ذاتـــه، وإنمـــا جـــاء كرد فعل مباشر على دعاة السفور وتحرير المرأة من قيود الاستعباد والتقليد –حسب زعمهم– والرقي بها إلى مسايرة ركب الحضارة العصرية والتخلي عن تلك التقاليد البالية والعادات العتيقة الـــتي ذهبت مع أصحابها، بل أرجع البعض أن سبب تخلف المجتمع الجزائري وعدم نهضته كان سببه عدم

مشـــاركة المرأة الرجل في سائر أنماط الحياة، ولهذا تعالت الأصوات من المشرق وحطت رحالها في المغرب بالدعوة إلى سفور المرأة ومساواتها بين الرجل في الحقوق والواجبات، فما كان من أساطين الإصلاح إلا أن رفعـــوا أقلامهم قاصدين بذلك رفع الالتباس وبيان الحق ودفع شبهات هؤلاء مستندين في ذلك إلى القرآن والسنة وأقوال أئمة الإسلام فيها.

ولقـــد حرصـــت (الشـــهاب) أشد الحرص على كشف دعاة الرذيلة والباطل الذين يحاولون خلع الحجـــاب عن المرأة ودعوتها إلى مشاركة الرجل في مناحي الحياة العلمية والعملية من دون قيد ولا ضابط "متعلـــلين في نفـــث تلك السموم الفتاكة؛ بأن نهضة الأمة الجزائرية متوقفة على مشاركة المرأة للرجل في الانـــتعاش بـــنور الحياة ومُتعها، التي لا توجد حقيقة إلاّ في الشوارع والأماكن التي يترع فيها برقع الحياء والحشمة وتُداس فيها الفضيلة"[1]، وتحل محل الرذيلة، والغريب في هذا أن هؤلاء الذين يريدون سفور المرأة وتـــبرجها، وخلعها لجلباب الحياء لا يجاهرون بهذه الدعوة، وإنما يعملون في الخفاء، إما بالدعوات الباطلة بحجة العصر والحرية، وإما بالدعوة السرية لنشر هذه الأفكار الهدامة، وبعثها في صفوف الأسرة الجزائرية، وإنمـــا جـــاء صنيعهم هذا سرا حتى لا يتعرضوا للفضح والكشف من طرف دعاة الفضيلة من التشهير بهم والـــتحذير منهم على صفحات الجرائد والمجلات السيارة، والحق أن هؤلاء شرذمة قليلة حاولوا أن يجدوا لأنفســـهم موقعا في المجتمع الجزائري بحكم أنهم لا للحضارة الغربية الفرنسية كسروا، ولا لمجتمعهم وأمتهم نصروا[2].

وأمـــا دعاة الإصلاح فلم تثر لديهم قضية الحجاب، إلاّ على أساس التمسك به، وإنما منشأ الخلاف الـــذي حصل بينهم، في ستر وجه المرأة وكفيها، وهذه المسألة –كما سبق– فقهية والخلاف فيها مشهور ومعـــروف، والملاحظ أن هذه القضية لم تثر إلا على أساس الزيادة في صيانة المرأة وعفتها ودرأ الفتنة عنها ما أمكن.

وذهـــب الـــبعض إلى وجوب ستر المرأة وجهها وكفيها مستدلين بقوله تعالى: {**يأيها النبيء قل لأزواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن...**}[3]، والذي فُسر بالوجهين والكفين– لا بالوجـــه فقـــط– هـــو لفظة(ما) في قوله: {**ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها**}[4]،وهي واقعة على الزينة

---

[1]– كاتب كبير، (محمد العاصمي)، مصدر سابق، ص. 164.

[2]– وقـــد نشرت الشهاب على صفحاتها مقالات مطولة نقلتها عن مجلة المنار لمحمد رشيد رضا يحتوي على أزيد من خمسين صفحة تحـــت عنوان "يجب مساواة الرجل بالمرأة"، وهذه المناظرة جرت وقائعها بالجامعة المصرية بكلية الحقوق بين رشيد رضا الذي يمثل النظرة الإسلامية الصحيحة وبين الدكتور محمود عزمي الذي يمثل الاتجاه العلماني.

[3]– سورة الأحزاب، الآية 59.

[4]– سورة النور، الآية،31.

الظاهرة؛ إذ الزينة منها باطن كالسوار للذراع، والدملج للعضد، والقرط للأذن، والقلادة للنحر والخلخال للساق، ومنها ظاهر كالكحل للعين والخاتم للإصبع، والزينة هي هذه الأشياء المتزين بها ونحوها، والحاصل أن الخطـــاب قد تعلق بها باعتبار محالها، بدليل إذا لم تكن في محالها لا يتعلق بها هذا الخطاب، وهذا ظاهر الآيـــة ومفهومها[1]، واستدل من ذهب إلى هذا بأقوال كثيرة لأئمة الإسلام وفقهائه، منها ما قاله أبو بكر الجصـــاص[2]، في تفسير قوله تعالى" يدنين عليهن من جلابيبهن[3] بعد نزول هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيها.."[4].

ثم إن القائلين بهذا استندوا إلى أدلة كثيرة وآثار عديدة مروية عن السلف والخلف، ورجحوا وجوب الستر للوجه والكفين، دون قيد ولا قرينة أو التفصيل بل عملوا بإطلاق النصوص من دون مراعاة أو تفريق لترتب الأثر على الإبداء أو عدمه.

وذهب البعض إلى التفصيل وهو الأقرب للتوفيق بين الموجب للستر وغير الموجب، وكان من الذين آثروا التفصيل مع فيه من إعمال لجميع الأدلة-لأن الجمع أولى من الإهمال- ابن باديس، وقد ساق حديث مـــالك بن أنس عن عروة عن فاطمة بنت المنذر قالت: "كنا نخمّر وجوهنا ونحن محرمات، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها"[5]، وقد سلك ابن باديس في بيان هذه المسألة مسلك التوفيق والجمع مع ما فيه من الدقة في الاستنباط واستخراج العلل والأحكام، يقول شارحا له: " ستر وجه المرأة عن رؤية الأجـــنبي مشروع بالتقرير النبوي له في وقت الإحرام الذي هو وقت كشف وجه المرأة...وما نهيت المرأة عن النقاب في الاحرام إلا وقد كان النقاب من شأنها وعادتها، والعادة التي يقرها النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة تصيرمن الدين، باستنادها إلى التقرير النبوي الذي هو أصل من أصول التشريع، والمصلحة المراعاة

---

[1]- ابن باديس،"حول كلمات لأستاذ كبير في تفسير آيات الزينة"، الشهاب. ج.2،م.5.شوال 1347 الموافق لـــ:مارس 1929،ص.1

[2]- أحمد علي الرازي الحنفي المعروف بالجصاص (أبو بكر)، ولد سنة 305 هـــ –918م، فقيه مجتهد، ورد بغداد في شبيبته ودرس وألـــف، وتخرج على يديه المتفقهة، توفي ببغداد سنة 370هـــ 981م، من تصانيفه: أحكام القرآن. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص. 232.

[3]- اختـــلف أهل التفسير في معنى الإدناء: فقال قوم: أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منها إلاّ عينا واحدة وهو قول ابن عـــباس، وابـــن ســـيرين، وقال قوم:بل أمرن أن يشددن جلابيبهن جباههن، وهو قول ابن عباس أيضا، وقال آخرون: أي يقربن عليهن،وأصـــل فعل دنا أن يتعدى بمن تقول دنوت منه وأدنيته وإنما يتعدى بعلى، إذا كان في الكلام معنى الإرخاء،أو الضم كما في قولـــه (ودانية عليهم ظلالها)... وكما في (يدنين عليهن)، ينظر: محمد جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج.22، ط4، دار المعـــرفة بـــيروت 1400 هـــ 1980، ص33، وكذلك: مجهول،مصدر سابق. والجلباب: على اختلاف –عبارات اللغويين في تفسيره – هو الثوب الأعلى الذي تجعله المرأة فوق رأسها وترسلها على بدنها كالملحفة ونحوها.

[4]- أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (د.ط) دار المصحف، القاهرة، ج5، ص245.

[5]- مالك (رواية أبي مصعب)، كتاب المناسك، باب تخمير المحرم وجهه، رقم (1050)،ج1،ص.415.

هـــنا هـــي سد ذريعة افتتان الرجال بالنساء بسبب النظر"[1]، وسد الذرائع أصل من أصول الاستدلال عند علماء الفقه والأصول، وهو مدرج ضمن الأدلة المختلف فيها.

والغالب في أكثر الأحكام الشرعية التي حرمت، إنما جاءت كذلك سد للذريعة، واستبراء للدين من الوقـــوع في المحظور، وأمثال ذلك قوله تعالى :{**قل للمومنين يغضوا من أبصارهم**}،[2] وقوله:{**ولا تقربوا الزنا**}[3]، وغيرهما كثير... وتقريرا لهذا الأصل إنما جاء الأمر بمشروعية ستر الوجه دفعا للفتنة وهذا الدفع دل عـــلى اعتباره قول النبي وفعله، كما جاء في حديث ابن عباس المسمى بحديث الخثعمية[4]، ولما لم يكن وقوع الإنسان في الفتنة محققا في جميع الأحوال، دلّ ذلك على أن ستر الوجه ليس أمرا محتما في كل حال، بل يجوز للمرأة الكشف عند تحققها كما في حديث الخثعمية.

وحديث الخثعمية رواه ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان الفضل ابن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتي، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر"[5]، وفي عدم الأمر بستر وجهها (أي الخثعمية) دليـــل على جواز ذلك، وهذا بناء على أنها كانت مكشوفة الوجه، كما هو الظاهر من نظر الفضل إليها، ومن خوف الفتنة، وهو الذي فهمه أكثر الناس، من الفقهاء[6]، ولهذا استثنى ابن العربي جواز كشف المرأة لوجههـــا عند سؤالها أو عمن يعرض عندها، ومع هذا فإنه يرى أن المرأة كلها عورة بدنها وصورتها قال: "فـــلا يجـــوز كشف ذلك إلاّ لضرورة أو حاجة كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعنّ ويعرض عنها"[7].

والـــذي يظهر أن إيجاب ستر وجه المرأة من السُّنَّة، إلاّ إذا خشيت الفتنة فعندئذ يوجب عليها ستر الوجه، وإنما أبيح للمرأة ترك البرقع عند أمن الفتنة؛ لأن الناظرين إذا افتتنو بها نصبوا كل حيالة لاصطيادها مع إرسالهم النظرة بعد النظرات، والزفرة إثر الزفرات، لعدم مقدوراتهم على كتمان عواطفهم وهذه غريزة إنسانية منذ أن خلق الله السماوات والأرض[8].

---

[1]– ابن باديس، "ستر المرأة وجهها"، الشهاب، ج.1، م.13، محرم 1356هـ الموافق لـ: مارس 1937، ص.6.

[2]– سورة النور، الآية 30.

[3]– سورة الإسراء، الآية 32.

[4]– الخثعمية: امرأة من خثعم إحدى قبائل العرب بالجزيرة.

[5]– البخاري، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى : {**يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت...**} رقم (2026)،ج.11، ص. 8.

[6]– ابن باديس، المصدر نفسه، ص.7.

[7]– محمد بن عبد الله (ابن العربي)، أحكام القرآن، ج.2، ط.1، مطبعة السعادة، مصر. 1331 هـ، ص. 182.

[8]– حمزة بوكوشة، "حجاب المرأة دين" البصائر، عدد 58، 29 ذي الحجة 1355 الموافق لـ: 12 مارس 1937، ص. 4.

وهـــذا يتـــبين مـــن خـــلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية أن المسألة تحتمل الدليلين،وإن اختلاف العلماء والفقهاء دليل على وجود احتمال كلا الوجهين ومن هنا يظهر أن ستر وجه المـــرأة مـــن حيث الأصل مشروع راجح، وكشفه عند أمن الفتنة جائز، وعند تحققها واجب، وأمر الفتنة يختلف باختلاف الأعصار والأمصار والأشخاص والأحوال، فيختلف الحكم باختلاف ذلك ويطبق في كل بحسبه، وهذا اختيار ابن باديس، وهو اختيار مقبول وإعمال لكلا الدليلين[1].

وإن أحســـن من طبق الترجيح وهذا المذهب ابن باديس نفسه، وذلك أن الفتوى تختلف باختلاف الأمصـــار والأحوال والأشخاص، ذلك أن المجتمع الجزائري يختلف من المدن إلى الأرياف "فمن المسلمين الجزائـــريين أقوام- معظمهم من غير أهل المدن والقرى، ألفوا خروج نسائهم سافرات فلا يلفتن أنظارهم بذلك، فهن لا يطالبن بستر الوجوه مع بقاء حكم غض البصر أو حرمة تجديد النظر، ومن المسلمين أقوام معظمهـــم من أهل القرى والمدن ألفوا ستر وجوه النساء وتكشف المرأة بينهم وجهها يلفت الأنظار إليها، ويغرى أهل الفساد بها ويفتح باب القيل والقال في شأنها وشأن عشيرتها،فهؤلاء يجب عليهن ستر وجوههن اتقاء للشر والفتنة، والوقيعة في الأعراض والطعن في الأنساب[2]"

فهناك إذن سفور بين المسلمين وهو كشف المرأة وجهها-على ما تقدم- وهناك أيضا سفور إفرنجي فيه كشف الشعر، والعنق، والأطراف مع التبرج والزينة وما إليها من التفنن في إظهار المفاتن الفاضح[3].

ثم إنه رغم تنازع العلماء والمصلحين حول ستر وجه المرأة من عدمه، فإنهم متفقون على أن السفور والتهافت على الأزياء الحديثة والمنافسة في مظاهر البذخ ليس أمرا يُشرِّفُ المرأة ويعلي من قدرها، ويكسبها إعجـــاب العقـــلاء وذوي الألباب، واحترام النبلاء، وإنما هو سمو الأخلاق، وعزة النفس ومجانبة ما يدنس الفضيلة ويحافظ على شرف الأسرة ويرتقي بها إلى أعلى مراتب العفة والحشمة[4].

والملاحظ أن (الشهاب) كانت دائما حريصة على تشخيص أدواء المجتمع وإعطاء الدواء بما يناسب وتلك الأمراض الفتاكة، ولهذا ما فتئت تحذر المسلمين من دعاة السفور من هؤلاء المغرورين بمناهج المدنية الحديثة، الذين جرفهم سيل تقليد الأجانب في تلك المفاسد الأخلاقية التي تتنافى مع الفطر السليمة والنفوس الطاهـــرة، وهذا التقليد لاشك نهايته وخيمة وعواقبه جسيمة؛ إذ الانحلال والانفساخ هو المآل والخسران، ونكـــران العـــادات والـــتقاليد المشرقة بنور الإسلام ونقاوته لا ريب هو نتيجة هذا التقليد، والحاصل أن الإســـلام الصـــحيح هو الحصن الحصين والملجأ المتين لهؤلاء المخدوعين، والإسلام هو الذي يحمي به من

---

[1]- ابن باديس،" ستر المرأة وجهها"، مصدر سابق، ص، 7.

[2]- المصدر نفسه، ص. 8 بتصرف.

[3]- المصدر نفسه، ص. نفسها بتصرف.

[4]- عبد الله كنون، "أو تزني الحرة"، الشهاب، ج.9، م.7، جمادى الأولى 1350 الموافق لـــ: سبتمبر 1931، ص. 567.

ضـــربات الدهـــر المتوالية، والتي بلغت فيه الأمة غاية الضعف والانحلال، ولولاه لكان قد محي اسمها من صحيفة الوجود منذ أزمان طويلة[1].

وملخص الكلام في هذه المسألة أننا أتينا على عرض مجمل لها، دون الدخول في التفصيل والتفريع، ثم إن محـــلها كـــتب الفروع، وما يمكن أن نلاحظه أن مسألة المرأة قد فتحت باب النقاش وتجاذب الأفكار والآراء، وأنتجت ثروة فكرية وأدبية، وحررت العقول من الجمود والتقليد ومن النظرة الضيقة المحدودة إلى مســـتوى أعـــلى ومقـــام أسمى، كما كشفت عن كثير من الدعايات المغرضة ونداءات السفور والتبرج، ووقفت ضدها مدافعة عن حقوق المرأة التي شرعت لها كما بينت مثل هذه المواضيع مدى التطور الفكري لدى علماء الإصلاح في الجزائر مستفيدين في ذلك من التجارب المشرقية آنذاك.

تلك هي أهم القضايا التي أثيرت حول المرأة المسلمة في زمن عرف فيه المجتمع الإسلامي قفزة نوعية في مجـــال التفكير، وما ذلك إلالجهود علماء الإصلاح من الدعوة إلى الإصلاح والتجديد في جميع مناحي الحياة وثمرة من ثمراته.

2-الشباب :

إن من جملة ما اهتمت به (الشهاب) وأولته عناية كبيرة، بل وأسست من أجله؛ قضية الشباب، فقد جاء ضمن شعارها "أنها لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري " وأنها تصدر من قبل نخبة من الشـــبيبة الجزائرية تحت إشراف عبد الحميد ابن باديس، فلا غرو إذاً أن يكون الشباب في أولويات العمل التهذيبي الذي اتخذته (الشهاب) مبدءامن مبادئها.

ونظـــرا لحالـــة الشباب الجزائري التي صارت من أصعب المشكلات وأعقدها آنذاك، في ضل الدعايات المغرضة والحضارة الزائفة التي جعلته يتخبط بين الانفساخ والذوبان في الحضارة الغربية الفرنسية حاملا لواء التقليد، وأي تقليد؟ تقليد فيما هو مناف لعقيدة المسلم وشخصيته، ومن ثم لا نعجب أن تكون الشهاب مركزا لتجمع هؤلاء الشباب لإنقاذه من الانحلال والانحراف، يقول ابن باديس: " أعلن الشهاب مـــن أول يومه —(والمنتقد) الشهيد من قبله- أنه لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري و لم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده، وقبّح له دينه وقومه وقطع له مـــن كـــل شـــئ- إلاّ مـــنه —أمله، وحفزه في نفسه تحفيزا، وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشـــوارع... وإلا شـــباب حفظه الله للإسلام والعروبة... فأقبل على تعلُّمها، لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتزُّ بماض، ولا يألم بحاضر ولا يطمح لمستقبل ... اللهم إلا أفراد قلائل هنا وهناك"[2].

ولا أدل من هذا الوصف الدقيق الذي عليه شباب الجزائر آنذاك، ولهذا ما فتئت (الشهاب) تعمل جاهدة

---

[1]- ينظر: عبد الله كنون، مصدر سابق، ص. 569.

[2]- ابن باديس،" فاتحة السنة الرابعة عشر (الشهاب)، " الشهاب. ج.1.م.14، محرم 1357 الموافق لـــ: مارس 1938، ص.2.

لـــبيان أهمية الشباب ودوره في الرقي بالأمة وقيادتها، ومحاربة الإلحاد المتفشي في وسطه ومحاولة اقتلاعه من أصله.

أ- اعتناء (الشهاب) بالشباب:

لقد اعتنى الشهاب بتكوين الشباب عناية كبيرة، لأنه في نظرها القوة الوحيدة التي يمكن لأمة ما أن ترقى إلى مصاف الأمم المتحضرة،كما علّقت عليه آمالا كبيرة في استعادة حرية الجزائر، وأن مستقبل البلاد مـــبني بصـــورة جـــلية عـــلى تكوين الشباب تكوينا سليما مبنيا على مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية، ومقومـــات الشخصية الوطنية "فإذا تسلّح الشباب بالثقافة الصحيحة والأخلاق القويمة، والوطنية الصادقة، فإن هذا المستقبل سوف يكون مشرقا وزاهرا والعكس صحيح".[1] والدليل على هذا أن ابن باديس ورفقائه كـــانوا في عمـــل دائم على إدماج الشباب، وإشراكهم في الحركة التعليمية القائمة آنذاك، هذا ومن دون شك حتى يبعث فيهم روح الوطنية الصادقة والمحافظة على الذات وعروبة الجزائر وإسلامها .

وعلى سبيل المثال، ففي عام 1933 دعا ابن باديس جماعة من الشباب المنخرطين في عضوية جمعية الـــتربية والتعليم الإسلامية[2] لتأسيس فرع منها باسم الجمعية كي ينهض بها نهضة قوية مرموقة، وتشجيعا لهم، وحرصا منه على تكوينهم تكوينا إسلاميا عربيا بلغتهم القومية خصص لهم درسا يلقى عليهم كل يوم أحـــد من كل أسبوع، لأنه يوم عطلتهم عن العمل، بحكم أن آخر الأسبوع هو يوم الأحد عملا بالعرف الفرنسي المفروض عليهم[3].

وإن مـــن أظهر اهتمام (الشهاب) ورجال الإصلاح عموما، هو تأسيس المدارس والجمعيات باسم الشـــباب والشـــبيبة، والعمـــل على تنوير أفكارهم وتحريرها من ظلمات الجهل والتخلف، إلى نور العلم والمعـــرفة، ولهذا رأت (الشهاب) أن من واجبها باعتبارها لسان الشباب "خدمة الشباب ومناصرته" كما حرصـــت "أن ترى بيده قيادة الأمة وزعامتها"[4]، ولا يمكن ذلك حسب (الشهاب)، إلا إذا عرف الشباب أن مـــن واجبهم أن يعتقدوا أن الوطنية الحقة تكون في العمل المنتج، وأن يفهموا أن المستقبل يكون لكل

---

[1]- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ص.360.

[2]- جمعيـــة التربية والتعليم : أسسها ابن باديس عام 1930،حيث حرر لها القانون الأساسي وقدمه إلى الإدارة الفرنسية للمصادقة عـــليه فصادق عليه وكان ذلك عام 1931، وكانت تتكون من عشرة أعضاء يرئسها ابن باديس نفسه. عن قانونها الأساسي وأسماء أعضـــائها، ينظر نشرة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وهي ضمن سلسلة (الشهاب) وذلك عام 1354 هـــ الموافق لـــ: 1936، العدد الأول.

[3]- ينظر: رابح تركي، مرجع سابق، ص. 361، وكذلك "نشرة التربية والتعليم"، مصدر سابق، ص-ص.1- 4.

[4]- مجهـــول، "معـــارك الانتخاب بين الشيوخ والشباب"، الشهاب، العدد 67، 7 جمادى الأولى 1345، الموافق لـــ: 11 نوفمبر 1926، ص.1.

عـــامل جـــريء لا يخشى المخاطرة، لأن الهارب من ميدان هذا المعترك جبان وهروب، وهذا جناية على الوطن الذي يسعى كل واحد إلى العيش في كنفه والانطواء تحت سماء الحرية[1].

والواقع أن طريق إصلاح المجتمع والنهوض به بما هو عليه من الجهل والتخلف، لا يكون كذلك إلاّ إذا صـــلح شبابه وهُذّب ورُبي تربية إسلامية صحيحة مع تصفيته من الأفكار الهدامة، والمعتقدات الزائفة، فالشباب هو محط الآمال، ورجاء الوطن والدين، وهو الذي أحرى بأن يوعظ وينبّه ويربي ويهذّب، والذي هـــو أقـــرب للتفهـــيم، وأطوع توجها لطلب الحياة، ووُرود مناهل السعادة، من هنا نعلم أن الذي يأتي بالإصلاح بأنواعه من جهة العامة مخطئ ومجانب لعين الحقيقة، وشهادة الواقع، وهذا لا يعني إغفال العامة وإقصاءهم من كل إرشاد وتهذيب، بل الأولى أن تصرف العناية الكبيرة إلى الشباب، لأن بالشباب تهذيب العامة وترشيده إلى ما فيه من الصلاح والفلاح وليس العكس[2].

ولهـــذا حرصـــت (الشـــهاب) على تهذيبه وتوحيده وتخليته من العوائد الفاسدة والتقاليد المذمومة والانسياق وراء لذات الحضارة الغربية وزخارفها، ورأت من الواجب العيني المحتم الاعتناء به وبذل كل ما لديهـــا من الصيانة والحفاظ والتهذيب والتعليم والإرشاد نحو مستقبل زاهر، ولأجل هذه الضالة المنشودة الـــتي هـــي غايـــة رجال الإصلاح، عملوا على تأسيس مشاريع حرة خيرية تهذيبية تنوب عن عدم كفاية المـــدارس الـــرسمية، وما ذلك إلاّ سعيا وراء غاية محددة وهدف مسطر، وهو تربية أبناء الفقراء والمساكين خاصـــة مـــن أبناء الجزائر، وتعليمهم تعليما يرفع بعض الويلات ويخفف عنهم وطأة الجهل المبيد، ولا يتم ذلـــك إلا بإحياء اللغة العربية، وتعليم الدين الصحيح وفضائله وحثهم على التمسك به والعمل بمقتضاه، ونبذ كل ما يحوم حوله من الدعاوى الباطلة، ولا يكون ذلك إلاّ بالرجوع إلى الهدي النبوي، وسير السلف الصالح، وجعل ما وضعه (الشهاب) مبدءا في الإصلاح الديني والدنيوي، أصلا في طريق الإصلاح والتربية والتعليم وسائر شؤون الحياة وهو قول مالك بن أنس "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وإن أهـــم شـــيء ركزت عليه (الشهاب) هو تعليم الشباب وترغيبه في العلم والإقبال عليه تعلما وتعلـــيما دعـــوة وإرشاد، ومن هذا المنطلق أقبل رجال الإصلاح على تأسيس الجمعيات والنوادي وفتح مراكـــز التعليم الحرة، والمدارس التعليمية العربية، هذا وحسب (الشهاب) فإن أفيد عمل يقدم للأمة، هو التعلـــيم والتـــثقيف، ونزع هذا الرداء الخبيث النتن رداء الجهل والأمية الذي أركس شباب الأمة وأرادها أسيرة بين أحضانه، "فبالعلم يمكن لنا أن نفهم الإسلام فنقتفي آثار الرسول ونسير على منهاج الإسلام كما جـــاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه غير مشوب بشوائب الدجالين المضللين .. وبالعلم نقرأ

---

[1]- الطرابلسي، " الإنسان والدنيا- العلم والعمل"، الشهاب، عدد 46، 3 صفر 1345، الموافق لـــ: 18 أوت 1926، ص.3.

[2]- مصطفى بن حلوش، "الإصلاح المنشود"، الشهاب، ج.6، م.6، صفر 1349، الموافق لـــ: جويلية 1930، ص، 350، 351.

تاريخنا ومجدنا السالف فنعلم أننا أمة لها مجدها ولها تاريخ، وأنا لنا عزة قومية، وإننا أرفع من أن نطلب ترقيعنا في ذيل أمة تترفع عنا وتمنحنا هذا الشرف[1]"

وإذا كانت فئة الشباب خير مثال يقتدى بهم وينسج على منوالهم مادام عليهم المعول وعليهم المرتكز فلابد من توحيد الجهود والجهاد في سبيل النهوض بالأمة من كبوتها، وهذا ما دعت إليه (الشهاب) آملة تحقق هذه الدعوة، "وإذا شاءت هذه الطبقة المستنيرة أن تنهض بالشعب فما عليها إلاّ توحيد صفوفها، وأن تعني بالصالح العام عنايتها بمصالحها الذاتية[2]"، ولهذا رأت أن من أحسن الوسائل لبلوغ هذه الغاية وتحصيلها هو توحيد النفس على دراسة أساليب العمل، ثم تكوين وحدة تحت اسم جمعية أو نقابة ... على أن تكون الغاية المنشودة هي الإصلاح مركزة على أهم ناحية من نواحيه، وهو ناحية التهذيب الفكري، وتطهير الفكر، ورفع المستوى العلمي الذي يرشدنا إلى اختيار أنجع الوسائل لتحقيق التجانس بين الأفراد والجماعات، ومن ثم نصرف كل واحد إلى العمل في الصالح العام[3]، وثمة شيء جدير بالعناية والاهتمام قبل أي شيء وهو: "تنظيم العمل وتكافل القوى، وتوحيد الاتجاه، حتى لا تكون الأعمال فوضى، وأن تذهب الجهود ضحية النزاعات المتصادمة[4]" والخلافات التي مبعثها الشرُّ وإحياؤها كل الشرِّ.

ب- مقاومة الإلحاد بين الشباب:

إن ثمة حقيقة تاريخية ثابتة، وهي أن من أهداف المشروع الاستعماري الذي سطّره طوال الحقبة الاستعمارية، هو التركيز على فئة الشباب المسلم، ومحاولة خلق جيل جديد منسلخ من جميع مقوماته الشخصية ومبادئه الإسلامية، وقد نجح هذا المشروع إلى حد ما؛ ذلك أن الجهل الذي كان متفشيا في الأمة الجزائرية ساعد على انتشار بعض الأفكار والدعايات الإلحادية الآتية من الحضارة الغربية بين فئات الشباب، ووجدت هذه الدعايات ضالتها، في فئة من شباب الجزائر الذي رحّب بهذه الأفكار وهيأ لها الأوكار لتبيض في كثير من الديار، وتتنشل جميع الأخيار الذين لا يزالون متمسكين بتقاليدهم الإسلامية ومبادئهم السامية.

تلك هي الحالة التي كان يعيش فيها الشاب المسلم بين دعوة الانفتاح على الحضارة الغربية الفرنسية وبين الانحلال والانسلاخ من مقوماته، والذي يظهر من خلال الحقائق التاريخية، أن سبب انتشار الفكر الإلحادي بين الشباب يرجع إلى أمور منها:

---

[1]- أحمد حماني الميلي، "واجب شبابنا"، الشهاب، ج.2، م..14، ربيع الأول 1357 الموافق لـ: ماي 1938، ص. 74.

[2]- كاتب كبير، "ما أقدر شبابنا على العمل،" الشهاب، ج.4، م.6، ذو الحجة 1348 الموافق لـ: ماي 1930، ص.216 .

[3]-المصدر نفسه، ص. نفسها.

[4]-المصدر نفسه، ص. 218.

أولا: الجهـــل المخـــيم عـــلى أكثر شباب الأمة، وذلك نتيجة لسياسة التجهيل التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية طريقا لها، في سبيل تحقيق أهدافها الصليبية.

ثانيـــا: مقاومة ومحاربة كل دعوة إلى تحرير العقول، والدعوة إلى الإصلاح بشتى أشكاله.

ثالـــثا: ظهـــور المدرسة الفرنسية (اللائكية) وما تحمله من أفكار هدامة ودعوة إلى الإباحية وفصل الدين عن شؤون الحياة ومتطلباتها وهذه المدارس كان من نتائجها:

- أن عملت على علمنة الحياة وفصلها عن شؤون الفرد المسلم الدينية.
- نشر المبادئ العلمانية والإلحادية، وإبعاد كل ما هو من مقومات الأمة وشخصيتها.
- خلق جيل جديد يتوافق والحضارة الغربية بعيدا كل البعد عن مبادئه ودينه.
- عملت على تكوين نخبة من الشباب يحملون راية المدنية الحديثة ويدعون إليها بلسان قومهم.

أو بالأحرى عملت على فرنسة الشباب الجزائري وإلباسه لباسا عصريا يتماشى والتقاليد الأوروبية، إلى غير ذلك من آثار المدرسة الفرنسية ودورها في القضاء على مقومات الشخصية الوطنية ...

هـــذا وإن تقصـــي أســـباب انتشار الإلحاد بين الشباب ليس غاية بحثنا، والذي يدل على المقصود كنتيجة من نتائج الإلحاد، أنه تمكن في قلوب كثير من الشباب وراحوا ضحية المدنية الحديثة.

وقد نبَّهت (الشهاب) في غيرما مناسبة الشباب المغرور بالمدنية الحديثة، ما تفضي هذه الأخيرة من المخـــازي والمآســـي، التي تتطلبها قشور هذه المدنية الإباحية، التي أبهرت كل ذي قلب ضعيف بمظاهرها المزيفة ودعواها الباطلة.

والملاحـــظ أن هذا الداء الوبيل، قد دأب إلى العضو الذي إذا فسد فسد الجسد كله ما من ذلك بدٌّ وليس فيه من شك[1]، ولذا حذرت (الشهاب) الشباب بوجوب الحذر من مصارع السوء الذي سقط فيها الأولون ووقعوا في شراك الملاحدة، التي جعلت الغربيين أنفسهم يتوبون إلى رشدهم، ويتنبئون بشرّ مستطير إن لم توحَّد جهود علماء التربية لتلافي ذلك الشرّ[2].

ذلـــك أن أكـــثر الفئات من الشباب الذين ذهبوا ضحية هذه المدنية الزائفة، إنما كان ذلك بسبب الانهزامية، واستحقار الذات، وإلقاء اللوم على مجتمعه بحجة الجمود والرجعية ونبذ كل جديد وكل تطور في الحيـــاة الإنسانية "فما أجدر ذوي الحصافة ممن استهوتهم بهارج المدنية الخداعة أن يخففوا من غلوائهم، وأن يدركوا أن المدنية هي الأخذ بسهم وافر من علوم الحياة العملية فحسب، مع الاحتفاظ بخلق النزاهة،

---

[1]- السعيد الزاهري، "التفرنج الآثم، "البرق، عدد 4، 24 رمضان 1345 الموافق لـــ: 28 مارس 1927، ص .1.

[2]- ابن باديس، "القرآن يصف عباد الرحمان"، الشهاب، ج. 6، م.8، صفر 1351 الموافق لـــ: جوان 1932، ص. 303.

والوقـــوف عند الحد الذي حدّده الإسلام... أما ما عدا ذلك فهو التوحش الذي يريده من دأبهم تغميض حقوق الضعيف، وحب الأثرة والسير مع حب الذات، وتبرير الإباحية بكل وسيلة"[1] .

ولاشـــك أن مـــثل هؤلاء أدعياء التمدن والحضارة الذين يحاولون تزيين الباطل والرذائل، وتنميق الأفكـــار وتحســـينها، إنّما هم في الأصل حيارى في ريب من أمرهم، لا مسلمين مصدقين ولا جاحدين مكذبـــين، وهؤلاء من أبناء الأمة الجزائرية الذين اتخذوا وقلّدوا كل ناعق، وكل كافر جاحد، ولهذا رأى علماء الإصلاح من كتاب (الشهاب) أن من واجب الشباب المسلم، مهما كانت الناحية التي ينحوا نحوها السعي الحثيث في تفهم مثل هذه الحوائج الزائفة التي من شأنها أن تفتقّ ذهنه، فيميز ما بين الثقافة الصحيحة التي تتفق والإسلام الصحيح الذي دعا إليه النبي الكريم، وأصحابه الأطهار، ويرمي بما عدا ذلك من كل ما يـــناقض ويضاد دينه القويم، وحسب (الشهاب) – فإن هذه الخطة هي الوحيدة لبلوغ غاية تشرّف المدنية الحقة والبلاد والملة الحنيفية والقومية العربية الإسلامية[2].

ولقـــد خاطبت (الشهاب) الشباب بوجوب الرجوع إلى العلم والدين الصحيح، ونبذ كل فكرة أو فرد يحاول تمزيق هذا الدين وتحريفه، وفي هذا السياق خاطب أحدهم الشباب بقوله:

أيها الشباب قوموا كلّكم **** واطلبوا العلم بكل اجتهـــاد
إن بعض القوم من أمتنـــا **** مزّقوا الدين بأنصار الفساد
ليتهم مذ سودوا تاريخهم **** لم يبيعوا الدين بخسا بالثماد[3]

ولعل الباحث يتساءل حول تركيز (الشهاب) على الدعوة إلى الإسلام الصحيح والعودة بالمسلمين إلى مـــنابعه الصـــافية الخالية من أدران المذاهب الهدامة والأفكار الإلحادية، وجعلُ الكتاب والسُّنة وعمل السلف شعارا لها، وتركيزها على فئة الشباب بتربيته وتهذيبه وفق تعاليم الدين الحنيف وترشيده إلى ما هو أسمـــى والرقيّ به إلى سلّم السعادتين الدنيوية والأخروية، وذلك ما كانت تسعى إليه وتنشده وهذه الغاية تتمثل في:

أولا: محافظة على جوهر الإسلام الصحيح الذي به – فحسب – أفلح المسلمون من قبلهم وفازوا بالخلال الكريمة والسجايا العظيمة.

---

[1]- مجهول، "حديثنا اليوم مع الشباب"، الشهاب، ج.6، ج.8، صفر 1351 الموافق لـــ: جوان 1932، ص. 317.

[2]- المصدر نفسه، ص. 317، 318.

[3]- مجهول، " سنة1927 الحالة السياسية في فاتحتها"، الشهاب، عدد 79، 9 رجب 1345 الموافق لـــ: 13 جانفي 1927. ص3.

ثانيا : رغبة وسعيا في انتشال الشباب المثقف بالثقافة الجديدة من وهدة الشك في كل شيء يعزى إلى الديـــن بسبب ما يجده فيه من خرافات وسخافات وبدع ومنكرات، لا يمكن للعقل أن يستسيغها ولا يصدقها ولا أن يعزوها إلى دين اشتهر باتصاله بالعقل اتصالا وثيقا[1].

ولهـــذا كان الاهتمام والعناية بإنقاذ الشباب من الدّبار[2] من أوكد الواجبات، ذلك أن المدنية الحديثة بكل ما احتوته من طغيان المادة عليها وفشو الخنا[3] فيها، وانتصاب دعاة الإلحاد والمروق من الدين في طريق كـــل داع إلى الإصـــلاح، وصـــارت الشبيبة الجزائرية محاطة من كل جانب لا أحد ينقذها إلا تلبية نداء الإصلاح، وإعداد العدة لصد هجمات هؤلاء.

والسبب في إقبال الشبيبة على معرفة هذه المظاهر التي تحلّت بها المدنية الحديثة، والذي شجعها على ذلـــك مـــا كـــان يردُ عليها من أنباء وأخبار، وما كانت تقرأه وتطلّع عليه من حين لآخر من سخافات الطقـــوس المسيحية ونحوها، ومن الانتقادات المرّة على تلك السخافات بأقلام حملة النهضة العلمانية، هذا مـــن جهـــة، ومن جهة أخرى، فقد أغراها وألجأها (أي فئة الشباب) إلى ذلك المروق والانحراف بكلّ ما يعزى إلى الدين ممّا يشاهد من أعمال اللّفيف التي لا تخرج عن عبادة المخلوق، وإلى أوضاع تمت بصلة إلى مـــا في طقوس الكنيسة من سخافات وخزعبلات وقشور، وكذلك ما يرى من سكوت العلماء عن تلك المظاهر المخزية التي تمثل أمامهم في كل وقت، وآفة الحق سكوت أهله عنه[4].

وهكذا عملت هذه الجيوش الهدّامة على تقويض وهدم أهم بنيان في المجتمع الجزائري والقضاء على هـــذه الطـــبقة المتنورة التي بيدها حمل المشعل، وقيادة الأمّة إلى الأمام، كما حاولت إقصاءها من مجتمعها وعزلها عن دينها وعاداتها وتقاليدها.

ولهـــذا ما فتئ دعاة الإصلاح من تسخير كل ما لديهم لانتشال وإنقاذ هذه الفئة التي جرَّدوها من تعالـــيم الإسلام الصحيحة، وذلك بخلق جو ملائم لكسبها، وإبقائها في حظيرة المجتمع الإسلامي، ودعوتها إلى مـــا يـــتفق ومنتجات العلم والعقل إلى دين هو في طليعة الأديان من جهة أنه دين صالح للرقي من كل ناحية.

وقـــد وفقت (الشهاب) وروّادها في هذه الناحية أيّما توفيق، ومن الدلائل على ذلك وأقواها قياس حالـــة هـــذه الطبقة من الشباب التي كانت إلى المروق والخروج والإلحاد أقرب منه إلى التمسك بالإسلام وتعاليمه.

---

[1] - مجهول، "الثقافة الجديدة لا تنافي الإسلام الصحيح"، الشهاب، ج.2، م.8، شوال 1350 الموافق لـــ: فيفري 1932، ص. 99.

[2] - الدّبار: الهلاك.

[3] - الخنا: الفحش، ينظر: الرازي: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص. 197، 192.

[4] - مجهول، مصدر نفسه، ص. 97.

فانتهاك حرمات الدين والتفرنج الآثم والتقليد الأعمى والجري وراء شهوات الدنيا ولذاتها ... كان شعارها، فمثلا كان انتهاك حرمة رمضان أمرا يتنافس عليه الكثير من الشباب المتفرنج وهذا تمرد تفشى في الشباب منذ أمد بعيد، وليس هو وليد ظروف جديدة أو حوادث عصرية، أما بظهور حزب الإصلاح ورجاله، فقد تغيرت الحال، وأصبح الشباب يتنافسون ويتفاخرون في درجة التمسك بالدين الصحيح، والقيام بشعائره على أحسن حال، وما ذاك إلاّ بفضل هداية الله لهم، ثم بسبب رجال الإصلاح الذين دعوهم إلى دين الفطرة السليمة وتصفية الدين من كل الشوائب ومن كل ما ألحق من الأوهام والخرافات، كما أثبتوا أن الإسلام الصحيح لا يتعارض مع الثقافة الجديدة والتطور الجديد الذي طرأ على مختلف مجالات الحياة، بناء على صلاحية هذا الدين لكلّ مكان وزمان، وعدم تعارضه مع كل فكرة تدعو إلى النظر والتأمل والإبداع، بل إن الإسلام يعدّ أول من دعا إلى هذا، ومن رجع إلى بداية فجر التاريخ الإسلامي في أيام عزّه وسؤدده وما وصل إليه المسلمون من تطور حضاري وتقدم فكري شمل أغلب الجوانب في حياة الفرد والمجتمع ليدرك أن سبب تخلف المسلمين وانحطاطهم إنما هو من أنفسهم لا من الإسلام، وهذه حقيقة يقرّها الكثير من الغربيين ولكن جحدوها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا.

وإن من بين القضايا التي شغلت (الشهاب) وأولتها عناية كبيرة ما انتشر في أكثر أنحاء القطر الجزائري من الآفات الاجتماعية، التي شوهت جمال المجتمع الجزائري، وأجبرته على البقاء على ما كان عليه، بل وزادته في التقدم خطوات إلى الوراء من حيث لا يدري.

3- الآفات الاجتماعية:

لا نكون مبالغين إن قلنا أن المجتمع الجزائري طيلة هذه الفترة المرعبة الملامح، الطويلة النفس، قد فقد أعظم شئ لديه، وهو دينه الصحيح، الذي هو منبع كل الفضائل ومفسح كل الآمال، والمحرر من كل أصناف العبودية الفكرية التي جعلته سنين طويلة ساكنا مشلول الأطراف، معتوه الألباب، لا يدري كيف يدري، ولا يعرف كيف يفكر، وإذا فكر لا يعرف كيف يقدّر.

فَقَدَ أعظم شئ في رقيه وبقائه، في تقدمه وارتقائه، ومكمن هذه الأسباب هو الجهل المردي، الذي وقف في كل طريق إصلاح أو ترقيع إفساد، ونتج عن هذا أن تغلغلت بعض الأمراض القلبية المعدية التي أفسدت العقول ودنّستها، وقويت على الأرواح فأفرغتها من محتواها، وأجهزت على العزائم فأضعفتها، واكتسحت مقوماتها وتقاليدها الصحيحة، وألبست الدين الصحيح حلّة من الرذائل التي تأباه الفطر السليمة، والعقول الصريحة، وهكذا فقد سلب المجتمع الجزائري سعادته، وخسر دينه ودنياه، وزحزح عن الصراط القويم، الذي كان طريق سلفها، فهو بهذه الأوصاف مضرب الأمثال في التأخر، بعدما كان مضرب الأمثال في التقدم والتحرر والرقي.

وقد حاولنا في هذا الشأن أن نقف على أهم الآفات والأمراض التي كانت (الشهاب) تخوض غمار الحرب ضدها، وعلى أهم الأدواء الفاشية في المجتمع الجزائري التي فكّكت أطرافه ومزّقت وحدته، وبدّدت بيضته وفرّقت جماعته، وجعلته كالصريع في أحضان أعدائه من استعمار حاقد وطرقية متعصبة وغيرها ممن استفاد من هذا الوضع المزري، وقضى مآربه. والحقيقة والحالة هذه، أن ثمة مظاهر كثيرة لا يمكننا تقصيها والوقوف عليها مظهرا مظهرا، وإنما أتينا على ذكر أهم المظاهر التي كانت شائعة ذائعة، بل ونجدها قاضية على جميع المظاهر الأخرى صالحة كانت أم طالحة، وفي مقدمتها بعض الرذائل التي تفشت في النفوس، قلبية كـــانت أم بدنيـــة، إضافة إلى داء الجهل والفقر وهما أخوان شقيقان حيثما كان أحدهما كان الآخر معه، وكذا بعض الفواحش والمنكرات التي كانت تؤتى في النوادي والديار كالخمر والبغاء.

أ- الرذائل:

الكلام على الرذائل بكل أنواعها وتأثيرها أمر متعذر، وإنما يكفينا أن نذكر أهمّ ما فشى في المجتمع الجزائـــري وران على قلوب كثير من أفراده، و الرذائل أدقّ وصف توصف به أنها "كيفيات خبيثة تعرض للأنفـــس ، والتي من طبيعتها التحليل و التفريق بين النفوس المتكيفة بها، و أهم هذه الرذائل الوقاحة وقلة الحيـــاء، و التطاول على الأعراض بما لا تقتضيه الحشمة و الأدب من الكلام،و السفه والبله، و الطيش و التهور، و الجبن و الدناءة، و الجزع و الحقد، و الحسد والكبرياء، والعجب الذي هو أصل الهلاك، و الذي ينشأ عنه الكبر على الناس و الاحتقار لهم، و السخرية و الغدر و الخيانة و الكذب والنفاق"[1]... فأي صفة مـــن هذه الصفات يتصف بها شخصان إلاّ ألقت بينهما العداوة والبغضاء والشحناء، وأذكت نار الخلاف والاختلاف وصار بينهما نفور، وإعراض كل واحد عن صاحبه.

وليتصور الفرد رجلين اجتمعا فيهما هذه الرذائل والأخلاق القبيحة، فهل يمكن أن تجمعهما غاية أو مقصـــد؟ لأن النفس البشرية مجبولة على النفرة ممن تعدى عليها أو أخذ شيئا من حقوقها والنتيجة الحتمية التي لا مناص منها هي التفرق والتدابر والتنافر ...

وأغـــلب هـــذه الرذائل كانت متفشية في الأمة الجزائرية حيث "نقضت بناءها، ونثرت أعضاءها وقوضـــت صرحها، وبددتها شذرمذر"[2] وكانت نتيجة هذه الآفات التي عرّضت نفسها إلى الخطر، ومن طـــبيعة الوجود الاجتماعي والقانون الإنساني المبني على الظلم والجور، أن تسلطت عليها قوة أجنبية عنها لـــتأخذها بالقسر والقهر، وتكون أسيرة بين أيديها تفعل فيها ما تشاء، وتتصرف فيها كيفما تشاء ومتى تشاء، فاجتماع كل هذه الأوصاف أو بعضها نذير بالشر والسقوط ودليل على التخلف والجمود.

---

[1]- أحمـــد بن محمد بركة، "الفضائل والرذائل وأثارهما"، الشهاب، ج.3، م.7، ذو القعدة 1349، الموافق لـــ: مارس 1931 ص. 165 بتصرف.

[2] - المصدر نفسه، ص. 165،166.

هذه الصفات هي التي جعلت الجزائريين متفرقين طرائق قددا، وشيعا وأحزابا، كل حزب بما لديهم فرحون، وعن مخالفيهم ناقمون محاربون، ومن ثَم سهل على الاستعمار كسب المعركة وربح الوقت بل زاد من عنده الطين بلة، وأذكى نار الخلاف والشقاق بين الأمة الواحدة والشعب الواحد، وكلما حاول أحد التنبّه لهذه الحال قوبل بالاضطهاد والردع. والحاصل أن هذه الصفات قد رسخت في كثير من عقول الناس ونفوس القوم "وصار بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، تراهم أعزة بعضهم على بعض أذلة لغيرهم للأجنبي عنهم يدعون أعدائهم للسيادة عليهم ويفتخرون بالانتماء إليهم يمهدون السبل إليهم إلى النكاية بهم، ويكنون مخالب المقاتلين من أحشائهم، ويرون كل حسن من أبناء جنسهم، قبيحا وكل جليل منهم حقير"[1].

وهذه انهزامية في الفكر، وانبهار بالآخرين، وضعف في الشخصية ونقص في العقل، وتقليد مذموم، بل وعار على من اتصف بهذه الأوصاف، فيا للعار والشنار.

وهذه الأمراض التي تقدمت هي أمراض الأرواح – حسب ابن باديس- وهي ترجع إلى نوعين: مرض العقول، ومرض النفوس: فالأول بجمود النظر وفساد الإدراك، وتقليد الآباء واعتقاد الباطل والشك في الحق، والثاني: بفساد الأخلاق وانحطاط الصفات، وهذه الأمراض كلّها مرتبطة بعضو واحد فتصلح إذا صلح وتفسد إذا فسد، وهو كما جاء وصفه في الحديث " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب[2]" وليس المقصود من القلب مادته وصورته، وإنما المقصود النفس الإنسانية المرتبطة به، وللنفس ارتباط بالدين كله[3].

ولاشك أن هذه الأمراض التي ابتليت بها الأمة الجزائرية، وأضعفتها، وجعلت أعداءها يسومونها سوء العذاب،هو ما أدى (بالشهاب) ورجال الإصلاح أن يقفوا وقفة رجل واحد خبير بمكمن الداء، وطبيب بأمراض الأبدان والأرواح، وذلك أنهم أدركوا أنه لاصلاح للمجتمع ولا إصلاح إلاّ بصلاح الفرد، ولا يصلح الفرد إلاّ بتطهيره من هذه العوائد الممقوتة، والأدران الفاسدة والسموّ به عن كل ما يدنس روحه وبدنه.

وأما العلاج لهذه الرذائل القبيحة والتي تزيد الأمة وهنا على وهن، وتضمحل وتفنى شيئا فشيئا أو تكون تابعة لغيرها مقلدة لعاداتها وتقاليدها، هو التحلي بالفضيلة، ولعل من أسباب هذه الأمراض وأبينها هو الابتعاد عن القرآن الكريم أصل الدواء وشفاء الصدور، وكذا مخالفة السنة المحمدية والهدي النبوي وما

---

[1] - المصدر نفسه، ص. 166.

[2] – مسلم من حديث النعمان بن بشير، كتاب المساقات، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (1899)، ج.3، ص. 1219، 1220.

[3] – ابن باديس، " القرآن شفاء ورحمة، "الشهاب، ج.5، م.7، محرم 1350 الموافق لـ: ماي 1931.

كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنفيذ شرع الله وتطبيق أحكامه وتمثيل الإسلام تمثيلا عمليا لا قوليا، وهذه المخالفة هي سبب كل بلاء لحق المسلمين[1] بدليل قوله تعالى: {**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعـــاء بعضـــكم بعضا، قد يعلم الله الذين يتسللّون منكم لواذا، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة، اويصيبهم عذاب اليم**}.[2]

وإن أنجـــع علاج يكشف هذا العذاب، ويبطل أسبابه هو القرآن الكريم، الذي جاء مبينا للأخلاق الفاسدة، وذاكرا سوء أثرهما وقبح مغبتها، مبينا كذلك الأخلاق الحسنة وعظيم نفعها على الفرد والمجتمع وحسن عاقبتها، فهذا شفاؤه للنفوس والعقول، ولا يتأتى ذلك إلا بتصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، وبهما ســـلامة الأرواح والأبدان وكمالها، وعليها قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها[3]، وقد نص الوحي الإلهي أن القـــرآن شـــفاء لما في الصدور في غير ما آية من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى: {**يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين**}[4]، وقوله أيضا: {**قل هو للذين آمـــنوا هـــدى وشفاء والذين لا يومنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**}[5]، فالقرآن شفاء للاجتماع البشري، كما هو شفاء لأفراده فقد شرع من أصول الهداية والعدل وقواعد العمران ونظم العالم وسياسة الناس المبنية على العدل والإنصاف، ما فيه العلاج الكافي والدواء الشافي لأمراض المجتمع الإنساني من جميع أمراضه وعلله، بشفاء العقائد والأخلاق وهما أساس الأعمال –والمجتمع[6].

وإذا كـــان القرآن شفاء لما في الصدور كان لزاما أن تتهذب النفوس وأن تزكى، فالعلاج إذن مبني عـــلى أصـــلين عظيمين وهما الإيمان والتقوى، قال تعالى في بيان هذين الأصلين وما يترتب عنها من جزاء "**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لنزلنا عليهم بركات من السماء والأرض**"،[7] فالإيمان والتقوى هما توحيد لحـــال الجزائر، وغيرها من العالم الإسلامي، وهذا لا يتأتى "إلا بالتزامهما حتى نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب، لنبدأ بالإيمان بتطهير عقائدها من الشرك، وأخلاقنا من الفساد، وأعمالنا من المخلفات، ولنستشعر

---

[1] – ابـــن باديس، "الاجتماع العام للأمر الهام، وارتباط الجماعة بأمر الإمام"، الشهاب، ج.2، م.13،صفر 1356، الموافق لـــ: 1 أفريل 1937، ص.74.

[2] – سورة النور، الآية 61.

[3] – ابن باديس، "القرآن شفاء ورحمة"، المصدر نفسه، ص. نفسها.

[4] – سورة يونس الآية 57.

[5] – سورة فصلت، الآية 44.

[6] – ابن باديس، "الطور الأخير لكل أمة وعاقبته"، الشهاب، ج.1، م.7، رمضان 1349، الموافق لـــ: فيفري 1931، ص. 5، 6.

[7] – سورة الأعراف، الآية 96.

أخوة الإيمان التي تجعلنا كجسد واحد، فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله، وليكن دليلنا في ذلك وإمامنا كتاب ربنا وسنة نبينا، وسيرة سلفنا الصالح"[1].

فكل آية في القرآن إنما تتناول دواء العقول من الأمراض، والنفوس من الأذران والمجتمع من الأرجاس، وإنما الذي أصاب الأمة الجزائرية في دينها ودنياها، هو بعدها عن إصابة الدواء المناسب لأمراضها، فهجرت القرآن والاستشفاء به، وطلبت غيره للتداوي به، فوقعت فيما وقعت، فلا تستقيم نفوس البشرية إلاّ بإدراك كلام رب البرية، والاقتداء بنبيها أفضل الخليقة.

هذا وقد حرصت (الشهاب) على مخاطبة العقول والقلوب، وبينت أثر هذه الرذائل على الفرد والمجتمع، ووضعت مظاهر هذه الرذائل والآفات الفتاكة، التي نخرت الأمة الجزائرية، وأوهنت قواها وجعلتها كالهشيم مفككة شذر مذر، لا يجمعها جامع، إلاّ أنها اتفقت على الفرقة والتدابر والتنافر...

فمن هذه الآثار ضعف اليقين في النفوس، وذهول العقول عن مقتضيات العقائد الدينية وأظلمت البصائرَ الغفلةُ وطول الأمل، وتحكمت الشهوات البهيمية، وتسلطت الحاجات المعيشية، ومال ميزان الاختيار مع الهوى، فحشدت إلى الأنفس أوبار الرذائل فتحقُّ على الناس كلمة العذاب، ويحل بهم من الشقاء ما لا يطيقونه ولا يستطيعون تحمله[2] وحينها لا يجدون مخرجا ولا ملجأ إلاّ بالرجوع إلى الدين الصحيح الذي به سعادة الإنسان وارتقاؤه والوقوف عند حدوده ونواهيه وامتثال أوامره واتباع الداعي إليه، والحاصل أن هذه الرذائل إنما هي مصائب وابتلاءات من الله لعباده، بحكم قول الله عز وجل: {**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}[3]، وقال: {**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**}[4]، والجزاء من جنس العمل، فبقدر الابتعاد عن الدين واقتراف الرذائل والمعاصي والذنوب بقدر ابتلاء الله لهم، وقد يكون هذا بلاء وليس ابتلاء، فالبلاء مسلط على العصاة المصرين على الذنوب، والابتلاء يكون للمؤمنين حسب إيمانهم وقربهم وبعدهم من الرذائل.

ولا شك أن العلماء من رجال الإصلاح، يعلمون تماما أن ما أصيب به المجتمع الجزائري في هذه الفترات، إلا بسبب بعدهم عن الدين، أو إنما هو امتحان لهم جزاء على ما فرطوا فيه من اتباع الشرع، ولهذا تكررت نداءات (الشهاب) في الدعوة إلى من لهم همم عالية وغيرة دينية "وحميتهم الملية، أن يوجهوا العناية إلى رتق الفتق قبل اتساعه، ومداواة العلة قبل استحكامها، فيدرك أبناء الملة أحكام الله ويحكموا

---

[1]- ابن باديس، "الطور الأخير لكل أمة وعاقبته"، الشهاب، ج.1، م.7، رمضان 1349، الموافق لـ: فيفري 1931، ص، 6.5 .

[2]- احمد بن أحمد بن بركة، مصدر سابق، ص. 167.

[3]- سورة الرعد، الآية 11.

[4]- سورة الشورى، الآية 30.

بيـــنهم روابط الأخوة"[1] ويجعلوا قوله تعالى: {إنما المومنون اخوة}[2] شعارا لهم في التعامل والاجتماع حتى تستقيم الحياة وتعود المجاري إلى أصلها.

هـــذه مجمل الرذائل التي كانت (للشهاب) معها وقفات وصولات وجولات، حتى اجتثت أغلبها وأبادت معظمها، ولسان حالها "لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها".

وقـــد أفردنا بعضا من هذه الرذائل بالكلام نظرا لتبوئها وانتشارها وخطرها على المجتمع، والتي تعد من كبائر الرذائل وأشنعها، وهي الجهل والفقر والخمر والبغاء...

ب- الجهل:

إن مـــن الإنصـــاف والحكمة، القول بأن أصل الفساد والانحراف، ومجاوزة الحدود، ومبعث كل الشرور، إنما مصدره الجهل، ولهذا كانت أول آية نزلت في القرآن، بل وأول كلمة هي (اقرأ) وبالأضداد تتمايز الأشياء وتظهر الحقائق.

ومـــا أصـــاب المجتمع الجزائري في حياته، وما بلغ إليه من الهوة من الانحطاط، والتخلف وانتشار الفســـاد، وجمـــود الفكر، وفساد العقول والأبدان، والتقليد لكل إنسان من دون نظر ولا استبيان... إلاّ بالجهل هو التسليم والتقليد والجمود.

ومـــا زاد المجـــتمع الجزائري وهنا على وهن، إلاّ جهله بواقعه، وعدم شعوره بالخطر الذي يداهمه، ذلك أن من أهداف السياسة الفرنسية، ومعالمها الكبرى، هو تجهيل الشعب الجزائري وتفقيره، حتى يسهل عليها الوصول إلى أهدافها.

وهذا الداء الذي باض أدواء أخرى، هو الذي سخّرت له (الشهاب) أقلاما عالية لحث الناس على التعلم والتعليم، والخروج من ظلام الجهل إلى نور العلم، وفي هذا السياق يقول ابن (باديس):"وما بلغنا من الهوة من الانحطاط.. إلاّ بالجهل، ومعارضة من يسعى في ترقية أحوالنا، وإعانة السفل من الناس والتعصب معهم وإن كانوا على ضلال مبين"[3].

وإن أهـــم مظهر من مظاهر الجهل وأخطره، هو الجهل بالدين وأحكامه، وبالعقائد وأصولها، يقول العقـــبي واصـــفا حال المسلمين وما هم عليه من جهل بالدين: "فإن الجهل قد فشا بين جماعة المسلمين، وأصبح الكثير منهم خصوصا في مسألة العقائد – لا يفرق بين الغث والسمين، وما أوصلنا إلى هذا كله إلاّ سكوت العلماء، وعدم وقوفهم بالإنكار في وجه الضالين المضلين"[4].

---

[1]- أحمد بن محمد بركة، مصدر سابق، ص. 169.

[2]- سورة الحجرات، الآية 10.

[3]- ابن باديس، "أيها المسلم الجزائري"، الشهاب، العدد49، 15 صفر 1345 الموافق لـــ: 23 أوت 1926، ص.2.

[4]- العقبي، الشهاب، عدد 1، 25 ربيع الأول 1344 الموافق لـــ: 12 نوفمبر 1925، ص. 5.

والحقيقة التي لا مناص أن الجهل هو الذي أقعد الأمة الجزائرية وأذاقها الويلات، وجلب إليها المصائب والبلايا "فالجهل أقعد الأمة والفقر أعانه، وإذا زال الجهل زال معه الفقر بالطبيعة"[1]، ولهذا جعلت (الشهاب) من أولويات المبدأ التهذيبي محاربة الجهل والأمية، وقطع دابرهما، وما أُسست المدارس ومراكز التعليم، وما بنيت الزوايا وأقيمت النوادي والجمعيات وما بروز الصحافة... إلاّ لمحاربة الجهل وأسبابه.

هذا وإن تقاعس بعض المنتسبين إلى العلم ممن تولوا قيادة الأمة فكريا وتربويا علما وتعليما، وسكوتهم هو الذي أدى بالمجتمع الجزائري لأن يذوق مرارة هذا الداء، والذي ترك آثارا واضحة المعالم، على مختلف أنماط الحياة الدينية والاجتماعية وغيرها من المناحي الأخرى.فمن الآثار التي تركها الجهل على المجتمع الجزائري –حسب (الشهاب):

– أن كثرت الطوائف والطرق في أمة كتابها واحد، ومعبودها إله واحد.

– أن عرفت هذه الأمة تراجم الشيوخ ومناقبهم، وعقدت المجالس في ذكرهم والإشادة بهم وبأعمالهم، و لم تعرف سير الأنبياء ومعجزاتهم، والسلف وأيامهم.

– أن ظهرت المناكير والرذائل في مجتمع إسلامي شعارهُ الفضيلة، فلا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر.

– أن صارت السنة بدعة، والبدعة سنة.

– أن ظهر التفرنج الآثم، والتقليد الهازم.

– ومن آثاره أيضا أن الكثير يقولون نحن مسلمين موحدين، وأكثرهم لا يعرف قواعد الإسلام، ولا أركان الإيمان ولا نوا قضهما، ولا تاريخ شيئا مما يتعلق بذلك... ومن ذلك أن يقرأ القرآن على الموتى، ولا يقرأ على الأحياء، فيموت الحي ولا ينذر إلاّ في قبره، وأن تصرف العبادة لغير الله ...

– ومن آثاره أن قلبت الحقائق والمسميات فصار المصلح طالحا والطالح صالحا، وأن يدعي كل واحد الفضل لنفسه وليس من أهله.

– ومنها أصبح أكبر القوم أكثر الناس جهلا بالإسلام من غيره، ويعتقد فيه العلم والصلاح...

– ومنها تساعد الأفراد واختلاف الجمعيات في أسلوب عملها وهدفها... وبنيت القصور للأموات و لم تبن البيوت للأحياء، والمدارس للأبناء، وعرف النساء معامل الحرير والشقوق، و لم يعرفن المساجد والصفوف، ويعرفن المقابر و لم يعرفن المنابر.

– ومن آثاره أيضا اختلاف الآباء والأمهات الجزائريات في ذهاب ابنهما أو بناتهما إلى مدرسة إسلامية لتعلم الإسلام ومبادئ العربية... ومنها جهل الزوج بحقوق زوجته والزوج بحقوق زوجها.

---

[1]– محمد بن بكر السلاوي، "دمعة البؤساء"، الشهاب، العدد 63، 10 ربيع الثاني الموافق لـ: 18 أكتوبر 1926، ص. 1.

- ومنه آثاره تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة[1]...

هـــذه أهـــم الآثار التي تركها الجهل في المجتمع الجزائري، وسكن في معظم بيوته الأمر الذي أدى بالكثير من الجزائريين إلى اليأس والقنوط والاستكانة والاستسلام جراء هذه المخازي التي حيّرت العقلاء من المصلحين والعلماء، وبهذا سخَّروا كل طاقاتهم العلمية والفكرية في اجتثاث أصل هذا الداء الذي هو مكمن الشر كله، فلا نعجب إذن من أن يكون العمل الإصلاحي التهذيبي والاهتمام بقضايا الإصلاح الاجتماعي والديني أولى الأولويات وأكبر المهمات من سائر القضايا الأخرى كالسياسة مثلا، وفي هذا تفنيد لمن رأى أن العمل السياسي أول مهم، والحق أن الواقع الجزائري آنذاك يشهد أن أول ما يجب أن يكون هو إصلاح المجـــتمع ديـــنيا واجـــتماعيا، أما العمل السياسي فهو يأتي كنتيجة أو ثمرة من ثمرات الإصلاح الاجتماعي والديني.

جـــ- الفقر:

من مظاهر تقدم المجتمع ورقيه اكتفاؤه من ناحية الضروريات والكماليات ولا يكون ذلك إلاّ بالمال والقـــوة المادية، ومن أمارات تخلف المجتمع وانحطاطه وعدم اكتفائه داء الفقر، هذا هو ميزان قياس الأمم وتحضرها، فالفقر داء عضال ومعولٌ هدام به يكثر الإفساد ويحدث خلل في المجتمع البشري وتطوره.

والفقر يهدم جوانب الحياة الدينية والاجتماعية، وينسفها، ويشق كل فضيلة، ومزية أدبية، وأخلاق ديـــنية، فهو أبو الشرور والبلايا، ومبعث كل رذيلة، ذلك الداء العضال الذي ما حل بشعب إلا وأصاب أفـــراده وجماعته الشلل في حواسهم وشعورهم، بحيث لا يعود أحد يشعر بوجود رادع من نفسه، وتأنيب من ضميره، أو الوقوف عند حد من الحدود، من إجرام أو إثارة الحفائظ بين الأفراد والجماعة، أو ارتكاب شيء لا يتفق والفضيلة[2].

هـــذا هـــو الداء الذي أصاب المجتمع في جميع أطواره، حيث سيطر على مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية وما ذلك إلاّ ترجمة للحالة التي يعيشها والتي تعبر عن أسوء حاله، ولاشك أن من أهداف السياسة الاســـتعمارية هـــو تفقير الأفراد والجماعات وجعلهم عبيدا في أيديهم، بحيث يصير مجتمعا مقيدا بسلاسل الجـــوع، باحثا عن مصدر عيشه مطلقا جميع القوى في سبيل البقاء، ونسيان حاله وغاياته التي أوجد من أجـــلها، يقول محمد العاصمي: "ومهما حاولنا استنكار آثار الفقر الذي هو أخطر معول لهدم كل شيء، وصـــورنا فظاعة تلك الآثار تصويرا بشعا لكبح جماح الفقير، ورده إلى وعيه... ومهما فعلنا كل ذلك لا

---

[1]- ينظر: مجهول، "الجهل وآثاره"، الشهاب، ج.3، م.11، ربيع الأول 1354، الموافق لـــ: جوان 1935، ص-ص: 163- 165 بتصرف.

[2]- كاتب كبير، "الفقر مصدر الشرور والبلايا"، الشهاب، ج.6، م.7، صفر 1350 الموافق لـــ: جوان 1931، ص. 358.

نستطيع بحال إقناع من طلب الخبز لسد الرمق، بوجوب سلوك طريقة العفة"[1]، وفي هذا يستوي من له نزعة دينية، ومتدين مطبق لأغلب أحكام الشرع، وبين من يخاف عقوبة القانون وبين من يعرف عقبى الإجرام والدعارة، تلك العقبى تثلم الشرف وتفسد السمعة؛ لأن الشعور بالجوع يفقد الإنسان السيطرة على وعيه، وتصرفاته، وإنسانيته، ويجعله يتصرف على غير العادة، تلبية لغريزته التي أودعت فيه، ومن ثم فإن دافع الشهوة (أي شهوة الأكل) تجمح العقل، وتذهبه وتسيطر عليه، فلا تفكير يبقى، إلاّ تلبيته لداعي الشهوة وإسكاتها.

وإذا تمعن الباحث في هذه الآفة ونظر إليها نظرة تحليلية وأدرك أن آثار الفقر أو الجوع طبيعية فإنه لا يلبث وأن يحوّل مجرى البحث إلى زاوية أخرى يمكنه بها معرفة المسؤول عن ذلك هل الأفراد أم الجماعة؟

وتصور لنا (الشهاب)" أن أكثر الفوضى التي تسود الأمم والانقلابات والثورات وسائر الأعمال المنافية للاجتماع البشري وحقيقة العمران، معظمها راجعة إلى الفقر الذي يجعل الشعب الذي شب وترعرع على الاستقامة لا يرى الهوة التي يهوى فيها، ولا يسمع نذر الوازع والقانون، ولا يعي تأنيب الضمير ولا سقط المجتمع"[2].

لكن هناك حالات يمكن تدارك هذا الوباء، وهذا المعول الهدام وذلك باستطاعة كل شعب غني بقرائح رجاله وأفذاذه تلافي ذلك الوباء العام وتداركه، وتوجيهه، وتخفيف وطأته على الأقل، أو بعبارة أوضح "أنه إذا تطايرت الشرارة الأولى فأصابت جانبا قليلا من أفراد الشعب وأسرع أصحاب القرائح الأفذاذ إلى استنجاد الهيئة البشرية، وإرغامها –ليس بالقوة والقسر– وإنما بحسن البيان وقوة الاقتناع على التحمس والمسارعة لتدارك الواقع والخطر الداهم، وإذا أسرعت هذه الفئة ولبت النداء كان الوقع خفيفا والنتائج أخف"[3].

ولاشك أن هذه دعوة صريحة من (الشهاب)، وخطاب مقصود موجه بالأخص إلى أغنياء الجزائر وما عليهم من المسؤولية على الأوضاع السائدة في البلاد، التي هي غنية عن الوصف، وهذا كي يقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام شعبهم الذي كان يتخبط في مدلهمات الفقر، وغيابات الجهل، حتى يساهموا في إنقاذ بلادهم من هذا الوهن، خاصة وأن بالجزائر أثرياء كُثرا، وعائلات كثيرات، وتجارا كبارا يستطيعون إنقاذ أكبر قدر من الفقراء وتخفيف حدة الوضع.

وهذه الآثار المسمومة التي تأتي على الأفراد والجماعات لم يهملها الدين الإسلامي، بل أثبت من الآثار ما هو أكثر وأخطر، وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "كاد الفقر أن يكون

---

[1]- المصدر نفسه، ص. نفسها.

[2]- المصدر نفسه، ص. 158. 159.

[3]- كاتب كبير، مصدر سابق، ص. 359.

كفرا"[1] ولا عجب أن يستعيذ بالله من شر الفقر مقترنا بالكفر في سياق واحد، وذلك حيث يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر"[2].

ونظـــرة الإسلام إلى الفقر هي نظرة إنكار لا تقديس- كما يفعله بعض الصوفية- ولهذا لم يرد في الكـــتاب ولا في السُّنة ما يفيد مدح الفقر ولا الإشادة به، وحسبنا أن نذكر أن الله تعالى قد مدح الغنى، وأمـــر بالسعي في كسبه، والأمر بالشيء نهي عن ضده، قال تعالى مادحا المال:{ **المال والبنون زينة الحياة الدنيـــا**}[3]، وقـــال لرسوله: {**ووجدك عائلا فأغنى**}[4]، وقال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين :{ **ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**}[5].

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت في هذا السياق تعتبر الفقر آفة خطيرة يخشى سوء أثـــرها على الفرد وعلى المجتمع معا، وعلى العقيدة والإيمان، وعلى الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة، وعلى الأسرة والأمة جميعا[6].

والمـــتأمل في حـــال الجزائر آنذاك، يدلنا على أن ضربات هذا المعول الهدام وآثاره قد أصابت أكثر المجـــتمع، وإنما أقصى ما يمكن إثباته كنظرة تقييمه نسبية هو أ ن آثار الفقر قد أخذت في الانتشار بكيفية مـــريعة، لا تلـــبث أن تعـــم جميع الأوساط بحكم سريان العدوى من العليل إلى الصحيح، ومن الفقير إلى الغني[7].

ولا دليـــل أقـــوى من هذا الوصف المزري، والذي هو صورة مصغرة للمجتمع الجزائري، أو عينة صـــغيرة تعـــبر عن مدى معاناة الشعب الجزائري من ويلات الفقر، وبيان حال بعض الطبقات"وما على المرتاب في هذا الخطر الاجتماعي الداهم إلاّ أن يخرج باكرا، ويسير في شوارع بعض البلدان الكبيرة، ويؤم بـــالأخص محطـــات القطـــارات الكهربائية، فإنه يلبث أن يرى من العار الذي لا يتحمل مسئوليته سوى

---

[1] - أحمد الأصبهاني أبو نعيم، حلية الأولياء، ج.8، ط.3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1400 هـ -1980 م، ص. 253، ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل هو موضوع .

[2] - الحاكم من حديث أبي بكرة، كتاب الإيمان، باب التعوذ من الفقر والكفر وعذاب القبر، ج.1، ص.35، وقال حديث صحيح عـــلى شـــرط مســـلم و لم يخرجاه، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، تمام المنة في التعليق على فقه السنة، (دط)، دار إحياء التراث الإسلامي، الجزائر، ص. 232.233 .

[3] - سورة الكهف، الآية 45.

[4] - سورة الضحى، الآية 8.

[5] - سورة نوح، الآية 12.

[6] - يـــنظر أكثر تفصيل: يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت 1406هـ 1985م ص-ص .18-14

[7] -كاتب كبير، مصدر سابق، ص. 361.

الجماعة، ما تقشعر له الأبدان...يرى الملاءات البيضاء التي ترتديها الفتاة، والعذراء، العانس، وذات البعل، والعجـــوز قـــد حالت دون رؤية أديم الأرض، ويتخيل في ذلك الحين أنه في المدينة لا يقطنها غير الجنس اللطيف"[1].

وهـــذه حالة الجزائر- كما صورتها الشهاب- وهذا قليل من كثير، وغيض من فيض وإلاّ فالخيانة أكثر، وما من شك أن رجال الإصلاح، وأفذاذ الأمة وعقلاءها، قد دعوا الأثرياء والعقلاء، والمفكرين أن يـــتلافوا هـــذا الخطر الأسود، وذلك بأن يتوسلوا بكل وسيلة في رد تيار ذلك الخطر، سواء كان بتأسيس جمعيات صناعية، أو بإلفات أنظار العارفين، المناضلين عن الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والصناعية، حتى يتداركوا الحال قبل فوات الأوان[2].

والواقـــع أن هـــذه الآفة هي إحدى مظاهر المجتمع الجزائري الذي اجتمعت فيه كل الشرور وصار مضرب الأمثال، وما ذلك إلا للجهل بقواعد الإسلام ونظامه الاجتماعي، وإذا كان الفقر داء، رغم خطأ البعض وظنهم أنه لا دواء له، فإنه يشمله قوله عليه السلام" لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"[3]، وإنما يأتي الفقر كأمر طارئ لا مناص منه إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه.

د- الخمر:

يبدو أن من المظاهر المخزية التي حاربتها (الشهاب)، وبينت أخطارها، وجُرم تعاطيها،ظاهرة انتشار الخمـــر وتعاطيـــه من قبل فئة كبيرة من المجتمع الجزائري، وإن كان الملاحظ أن طريقة علاج هذه الظاهرة وعرضـــها للمجتمع ضعيف نوعا ما من ناحية المعالجة الشاملة لهذه الظاهرة وهذا ما لجأت إليه الكثير من الصحف الإصلاحية، التي حاربت بعض الآفات الاجتماعية، فقد لجأت إلى إحدى طريقتين في عرض هذه الآفات:

إما أن يُتناول الموضوع تناولا عاما بحيث يحشرون في مقال واحد أو مقالين هذه الآفات جميعا.

وإمـــا أن يكـــتفوا بالـــلمحة السريعة أو الإشارة العابرة لها دون الوقوف على حقائقها وأسبابها وعلاجها[4].

---

[1]- المصدر نفسه، ص. نفسها.

[2]- المصدر نفسه، ص. نفسها.

[3] – مسلم من حديث جابر، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، رقم (2204)، ج.4.ص.1729.

[4] – ينظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.1، ص. 214.

و(الشـــهاب) أولـــت عناية لهذا الموضوع وطرحته طرحا علميا شاملا، وكان من الكتّاب الذين اهـــتموا بهـــذا الموضوع وعالجوه (عبد الرحمان الجيلالي)[1] الذي كان دائم الاهتمام بالقضايا الاجتماعية، حيث بيّن حكمه في الشرع، وعضده ببيان أخطاره على جميع النواحي الاجتماعية والفردية.

ذلـــك أن تحريم الخمر معلوم من الدين بالضرورة، ولا يجهل هذا الحكم إلاّ أحد رجلين: إمّا مكابر لقبول هذا الحكم، وإمّا جاحد منكر لحرمته، وأمّا حرمته فدل عليها القرآن والسنة والإجماع.

وظاهـــرة الخمر قد انتشرت انتشارا مذهلا في أوساط الجزائريين،ولهذا جهدت (الشهاب) في بيان أخطاره من الناحية الدينية والصحية والاجتماعية.فمن الناحية الدينية: فالسكران لا يأتي بعبادة من العبادات على الوجه المطلوب، ولذا قال الله في حقه: {**ويصدكم عن ذكر الله**}[2].

وأما من الناحية الصحية: فقد أثبتت البحوث العلمية والدراسات القديمة والحديثة أن الخمر يسبب: إفســـاد المعـــدة والإقهاء، وتغيير الخلق والخُلق، ومرض الكبد، والكلى وداء السل...وتأثيره في الدم وفي جهاز التنفس.

وأما من الناحية الاجتماعية: فمضاره كثيرة ومنها: في التعامل ونوع النزاع والخصام بين السكارى بعضهم مع بعض، وبين من يعاشرهم ويعاملهم، ولأدنى شيء يوغلون في الشتائم والسباب[3].

ومن أسوأ حال السكران حاله في بيته مع أهله وأولاده وجيرانه، بل يعُدُّ أم الخبائث، وهذه العلة من أكبر العلل في أسباب التحريم ولذلك ورد النهي بها في النص القرآني في قوله {**إنما يريد الشيطان أن يوقع بيـــنكم العـــداوة والبغضاء في الخمر والميسر**}[4]، ومنها إفشاء السر وهو ضرر تتولد منه مضرات كثيرة، ومنها الخسة والمهانة في أعين الناس... ومن جرائم السكر أنه يغرى بجميع الجرائم ويجرئ صاحبه عليها[5]، وهـــناك مضـــرات أخرى تتعلق بالمال والإنسان، وهتك العرض وسقوط الهمة و الشرف[6]...والواقع أن

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي، كان في هذه الفترة مدرسا في مدرسة الشبيبة بالعاصمة.

[2] – سورة المائدة، الآية 91.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي، "أخطار الخمر"، الشهاب، ج.7، م.9، صفر 1352 الموافق لـــ: جوان 1933، ص ص. 271-273.

[4] – سورة المائدة الآية 91.

[5] – عبد الرحمان الجيلالي، "أخطار الخمر"، الشهاب ج.8، م.9، ربيع الأول 1352 الموافق لـــ: جويلية 1933، ص- ص، 318-320، وكذلـــك: مقال مقتبس من مجلة" المقتطف" بعنوان "حقائق صحية في أسلوب سهل، المشروبات الروحية ومضارها"، نقلته الشهاب في أحد أجزائها، ج.2، م.5، شوال 1347 الموافق لـــ: مارس 1929، ص، 17-18.

[6] – والحقيقـــة أن شـــرب الخمـــر ليس إلا نتيجة نفسية تعشق اللذة حتى في السُّم، وتبتغي النشوة حتى في الإثم، فلا تهجره بمجرد الدعايـــة، والنشر والكتب والخطب وبيان مضاره ومفاسده الخلقية، وبسن القوانين الشديدة والعقوبات الصارمة، وهذا ما أقدمت عـــليه الولايـــات المـــتحدة قـــبل سنة 1933 بمنع الخمر ومطاردته في بلادها واستعملت جميع المدنية الحاضرة كالمحلات والجرائد والمحاضرات...لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها وأنفقت على هذا الملايين من الدولارات .. ورغم ذلك لم يزد الأمريكان إلاّ =

المجتمع الجزائري قد حاز النصيب الأوفر من هذه الآثار والأخطار، والشباب قد أنهكته الحانات والمقاهي، ومـــا كثرةُ الرذائل وتفشيها إلاّ بسبب تعاطي الخمور، ولهذا وقف رجال الإصلاح في وجه هذه الظاهرة الفتاكة داعين إلى نبذها ومحاربتها، وكان من العلاج الذي وضعوه: الدعوة إلى تأسيس الجمعيات والنوادي لتجميع الشباب وتنوير عقولهم، واشغالهم بما يفيدهم.

وبهذا استطاع المصلحون أن يقضوا على أكبر قدر ممكن من الحانات، وأن ينقذوا الشباب من هذا الداء العضال.

هـــ- البغاء:

وهو من المظاهر التي انتشرت في بعض أنحاء القطر الجزائري، وبالأخص في المدن الكبرى التي تكثر فيهـــا الحركة، وإن فشو هذه الرذيلة دليل كبير على الفساد الأخلاقي والانحراف السلوكي لدى طبقات المجـــتمع الجزائري، ونظرا لخطورة هذه الرذيلة، فقد قام المصلحون ببيان هذه الآفة ومعالجتها محذرين من عواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع.

ولم يكن لهم من بيان إلاّ بالرجوع إلى هدي الإسلام، ونوره، والابتعاد عن هذه الرذائل، فإن كل ذي لب صريح يستنكر هذه القبائح ويرغب عنها، ولهذا -كما تقدم- قام الوعاظ والمرشدون من العلماء والأئمـــة وكل من يغار على الإسلام والمسلمين، يشددون النكير على هذا البلاء العام ويشرحون الأضرار الناجمة عنه[1]... وإن أنجع وسيلة للقضاء على هذا الوباء، هو معالجة هذه الرذيلة وذلك بإبطال سببها وبيان عظيم قبحها وسوء عاقبتها.

وقد نص الشارع الحكيم على حرمة الزنا ونهى عن قربانه فقال: {**ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وســـاء سبيلا**}[2]، وقوله ولا تقربوا أبلغ في النهي من قوله ولا تزنوا، وأفادت هذه الآية تحريم الزنا وتحريم الدنـــو منه لا بالقلب ولا بالجوارح[3]، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زنـــاه الكلام، واليدان زناهما البطش، والرجل زناها الخطو، والقلب يهوى ويتمنى، يصدق ذلك الفرج أو يكذبه"[4]، ولما نهى الشارع عن قربان الزنا، سدا لذريعة الوقوع فيه حقيقة، ولهذا كانت هذه الفاحشة من

= غراما بالخمر وعنادا في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة سنة 1933 إلى سحب هذا القانون وإباحة الخمر إباحة مطلقة، ينظر: علي الحسن الندوي أبي الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط.2، دار الكتاب القاهرة، 1370 هـــ - 1951م، ص .67 .

[1] - عمر بن عيسى بن إبراهيم، "البغاء الرسمي وأضراره"، البصائر، العدد 59، 6، محرم 1356 هـــ الموافق لـــ: 19 مارس 1937، ص.4.

[2] - سورة الإسراء الآية 32.

[3] - ابن باديس، "حفظ النفوس،" الشهاب، ج.7،م.6، ربيع الأول 1349 هـــ الموافق لـــ: أوت 1930.

[4] -مسلم، كتاب القدر، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم (2657)، ج.4، ص، 2046،2047.

الكبائر التي وردت في سياق ذكر كبائر أخرى، كالقتل، وقتل الأولاد، وأكل مال اليتيم، والقول على الله بلا علم، وهذه لا شك من الكبائر الموبقات المهلكات.

وقد نهى الشارع الحكيم عباده من الوقوع في هذه الفاحشة بما فرض عليهم من الواجبات وألزمهم بها، كفرض الحجاب الشرعي، وستر الحرة ماعدا وجهها وكفيها وجمع ثيابها عن الخروج بالتجليب إذا أمنت الفتنة، كما حرم عليها التطيب، وقعقعت حليها عند الخروج، وخلوتها بالأجنبي، واختلاط الرجال بالنساء، فتظافر النهي والتشريع على إبعاد الخلق عن هذه الرذيلة وسوء مغبتها[1].

وقد رأى (ابن باديس) أن أنجع وأفضل علاج لهذه الرذيلة هو بتقبيحها وبيان سوء عاقبتها، لأن الله تعالى بين قبحها في آخر الآية فقال "إنه كان فاحشة وساء سبيلا" والفاحشة هي الرذيلة التي تجاوز الحد في القبح، وعِظَمُ قبح الزنا مركوز في العقول من أصل الفطرة كان و لم يزل معروفا، كما بين سوء عاقبة الزنا بقوله "وساء سبيلا"، فيحصل لدينا أن مفاسده خطيرة وأضراره جسيمة: فهو طريق مؤد إلى شرور ومفاسد كثيرة، وعذاب عظيم في الآخرة.

وطريق مؤد إلى فساد الأبدان، وفساد الأعراض، وضياع الأموال، وخراب البيوت، وانقطاع الأنساب، وفساد المجتمع وانقراضه، زيادة على ما فيه من معنى قتل النفوس، هذه الأخيرة يشير إليه ابن باديس بقوله "في الزنا إراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها، فلو كان منها ولد لكان مقطوع الصلة، ساقط الحق، فمن تسبب في وجوده على هذه الحالة فكأنه قتله، ولهذا بعدما نهى عن قتل الأولاد نهى عن الزنا الذي هو كقتلهم لأنه سبب لوجودهم غير مشروع[2].

وهو طريق إلى اختلاط الأنساب وعدم الاعتناء بالزواج والزهد فيه، وهو أيضا مدعاة إلى احتراف مهنة الزنا وهو ما يسمى بالبغاء.

فقد انتشر هذا البلاء في كبرى المدن، وصار مهنة كثيرة ممن باعوا شرفهم وغرضهم بأبخس الأثمان، فهذه الظاهرة انتشرت في العاصمة بكثرة، وأضحت مهنة اتخذها كثير من البغايا، حيث غصّت الطرق بهن، وبخاصة العواهر الأوروبيات اللائى فتحن ديارا خاصة تمارس فيها هذه الرذيلة بصفة رسمية، ولهذا ما فتئ رجال الإصلاح ينبهون على هذه المظاهر التي تنافي المدنية الحقة، كما كانوا يطالبون الحكومات الفرنسية باتخاذ ما يلزم لمنع هذا الداء، وفي هذا السياق تفاءلت (الشهاب) بالمبادرة التي لجأت إليها الحكومة، والتي اتخذت موقفا "نبيلا" إزاء البغايا في العاصمة، والتي تقضي بالضرب على أيدي هذا النوع

---

[1] – ابن باديس، المصدر نفسه.

[2] – ابن باديس، المصدر السابق.

الســـاقط أو المكروب الفتاك بالصحة والأخلاق والآداب العامة، وهذا الموقف رجت به جميع النوادي التي لها علاقة بالسياسة الأهلية وسُرَّت به وقابلته بمزيد من الارتياح[1].

ورغـــم هـــذا الإجراء الذي تقدمت به الحكومة، فإنه لم يسلم من النقص، ذلك أن مسلك إدارة المحافظـــة في العاصـــمة مع ما في ذلك من المحاسن، فإنه لا يخلو من النقائص، ويتجلى ذلك من جهة طرد العواهـــر وإغـــلاق دورهن في الأحياء الأوروبية، وإفساح المجال لهن في الأحياء العربية، مع أن هذا أجدر بالعـــناية، ولهذا دعت (الشهاب) إدارة المحافظة بأن لا يقتصر عطفها على غير أحياء الأسر الإسلامية ذات الـــتقاليد المحـــترمة، وهـــذا دون شك دعوة إلى الفجور وتعميمه أو زرع بذور الاستهتار حتى في الأحياء السالمة[2].

ولهذا تأسفت (الشهاب) على ما وقع في التقصير في تنفيذ ذلك الأمر –الذي أشرنا إليه– من جانب غـــض الطـــرف على العواهر الأوروبيات، وتركهن يسرن ويمرحن في طول البلاد وعرضها، في حين أن الواجب يقتضي بتشديد الرقابة على الجميع[3].

وإذا كـــانت هذه البلوى قد عمت وشاعت فلا يدل على جوازها، ذلك أن الشريعة الإسلامية لا تتفق ومهنة الفجور، ولهذا قال أحد كتّاب (الشهاب): "ولو خيرنا لابتدأنا باختيار إلغاء هذه المهنة السافلة في أوســـاطنا من أصلها تماما، ثم إذا طلبنا التسوية في الحقوق السياسية أحيانا، فإننا نرفضها رفضا باتا فيما عداها مما يمسنا بكرامتنا الدينية"[4].

والملاحظ أن مسألة العهر الرسمي الذي أقرته أغلب البلدان الأوروبية، وذلك رغبة منها في المحافظة على العفاف العمومي، وتنظيم هذه المهنة في إطار الأعمال الأخرى، ولهذا رأى بعض المصلحين أن أنجح الوســـائل لإيقاف هذا التيار الجارف أو تخفيف وطأته، هو حصر البغاء وجمعه في دور خاصة منعزلة عن الـــبلاد بعيدة عن مراكز تجمع السكان، وبدونه يختلط الحابل بالنابل، وتكون حالة الآداب مستهدفة على الـــدوام لاختلال النظام والخطر العام، الذي يؤدي إلى تعكير صفاء الحياة وتشويه نظام الاجتماع البشري، وبالتالي السقوط إلى مرتبة الحيوانية[5].

ولهذا اقترحت (الشهاب) على الإدارة الفرنسية ما يلي:

– مضاعفة الضرائب على هذا النوع المكدر صفو الحياة الاجتماعية.

---

[1] – مجهول، "دور البغاء، "الشهاب، العدد 12،169 جمادى الأولى 1347هـ الموافق لـ: 25 أكتوبر 1928، ص13.

[2] -المصدر نفسه، ص. نفسها.

[3] -المصدر نفسه، ص.14-15

[4] – مجهول، مصدر سابق، ص.15.

[5] - المصدر نفسه، ص. نفسها.

- سن قوانين وشروط ثقيلة على المتورط في مهاوي الفحش[1].

وبالتالي يمكن لهذا الداء الفتاك أن يتلاشى ويضعف أمام حركة المصلحين الذين حمّلوا مسؤولية الوعظ والإرشاد، ويقهر أمام القوانين الزجرية. والحاصل إذا تم ذلك كانت من نتائجه محق الأمراض المعدية التي تنجم عنه كأمراض السل والزهري المتفشية في كل أمة تهاونت في حسم البغاء، ثم القضاء على الإجرام وتقليله على الأقل، وإصلاح النسل وإخصابه بحيث يكون الجسم ذا مناعة لا تتسرب إليه الأمراض الوراثية المذكورة[2]. ومن بينها الأمراض الذهنية التي أثبتت الدراسات العلمية الحديثة، على أن من نتائج الزنا على الأبدان، إضعاف القدرات الذهنية للفرد وإتلافها.

والحاصل أن آفة البغاء قد أنهكت المجتمع الجزائري وعكّرت من صفاء الحياة الاجتماعية وجاءت على الشباب خاصة فخدرته وجعلته أسير الشهوات، وقضاء الحاجات، وما ذلك إلاّ لابتعادهم عن دعوة المصلحين، والإعراض عن الانخراط في حركتهم التهذيبية، وعرّضوا أنفسهم فهلكوا إلاّ من رحم الله.

4- محاربة سياسة الفرنسة والتنصير:

لم تكن الحملة الفرنسية على الجزائر حملة تأديبية على الإهانة التي تعرض لها قنصلها المقيم بالجزائر، ولم يكن منها تأديب الداي أو الثأر للكرامة، كما تعوّد أن يكتب معظم المؤرخين الفرنسيين، ولكنها فكرة اختمرت في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا، وشرعوا في التخطيط لها واستهدافها من قبل، وأرادوا أن يؤسسوا إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف، واسعة الأرجاء هذا من جهة، ومن جهة أخرى رغبة الكنيسة في القيام بحرب صليبية جديدة وإعادة الكرة بحملة ثانية على بلاد الإسلام التي بدأ الضعف يسري إلى جسمها[3]، واتضحت نوايا الاستعمار الصليبي منذ البداية، وكشف عن سياسة البعيدة، وأهم معالم هذه السياسة التي أرادها كوسيلة لبلوغ وتحقيق غايته سياسة الفرنسة والتنصير .

أ- سياسة الفرنسة:

لقد كانت الفرنسة[4] شاملة لجميع مناحي الحياة الجزائرية الدينية والاجتماعية، والثقافية...وكان الهدف منها هو صبغ الجزائر بصبغة فرنسية بحتة، محاولة منها لقطع كل ما يتصل ويرتبط بمقوماتها

---

[1]- المصدر نفسه، ص. 16.

[2]- المصدر نفسه، ص. نفسها.

[3]- ينظر: محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ش.و.ن.ت، الجزائر 1973، ص.129، وكذلك: سليمان الصيد، الشخصية الجزائرية عبر التاريخ، دار البعث، الجزائر 1979، ص.55. وينظر: أيضا ما كتبه: إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح،ط.1، منشورات المكتب التجاري، بيروت 1961، ص-ص. 136،137.

[4]- الفرنسة: معناها إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها في الجزائر في إطار غزو ثقافي مركز وموجه نحو تحطيم مقومات شخصيتها العربية الإسلامية بهدف الاستعمار والتنصير. ينظر: سعيد عليوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية في =

الشخصـــية الوطـــنية؛ أي قطـــع جميع روابط الجزائر بثقافتها ولغتها القومية وتاريخها الإسلامي وانتمائها الحضاري، وبالتالي فإن الهدف الذي سعت إليه هو تكوين جيل جديد ممسوخ من كل شيء ومقطوع عن جـــذوره الأصـــلية[1]،وانـــتماءاته الحضارية، فلا هو عربي مسلم ولا هو فرنسي؛ أي أنها كانت تسعى إلى تجريدهم من بعض الخصائص الإنسانية التي هي حق لكل واحد في العالم، لكن ما هي المعالم الكبرى لهذه السياسة؟ وما هي مظاهر هذه الفرنسة وفيما تجلت، وما هي الخطوط العريضة لهذه السياسة؟

من الممكن أن نلخص هذه السياسة ومظاهرها في النقاط التالية:

- تحطـــيم المؤسســـات الثقافية العربية الإسلامية، وبالقضاء عليها قضت فرنسا على القاعدة الأساسية للتعليم الإسلامي العربي وتجلى ذلك في:

* إقصاء اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها، واعتبار العربية لغة أجنبية لا يجوز أن تعتمد في تحرير الوثائق الرسمية.

* سد أبواب التعليم العربي الذي كانت فيه العربية هي اللغة السيّدة بالاستيلاء على موارد الأوقاف التي كانت مصدرا للإنفاق على التعليم.

* تضييق الخناق على تعليم اللغة العربية ومطاردتها حتى خارج المدرسة الفرنسية.

- نهـــج سياســـة الـــتجهيل التي اتبعتها منذ البداية كأسلوب من أساليب الفرنسة بعد أن خربت مؤسسات التعليم، وصادرت الأوقاف التي تمولها[2].

- إنشاء مدارس خاصة ووضع برامج معينة، وحسب أهداف استعمارية واضحة، حرصت على أن يكون التعليم بالفرنسية، واعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية، ومنعتها بعض الأحيان من أن تدرس في المدارس الحرة كالزوايا والكتاتيب..

وكان من نتائج هذه السياسة:

* بـــروز طوائـــف معاديـــة للعربية تعمل على محاربتها، وظهور دعاة الاندماج والتجنيس الذين أنكروا وانســـلخوا مـــن مقومـــا تهم الشخصية والتحقوا بركب الحضارة الغربية، وناصبوا العداء لدعاة الوطنية والإصلاح، كما انتشرت ظاهرة التحدث باللغة الفرنسية بين الجزائريين أنفسهم، أدى هذا إلى ضعف اللغة العـــربية، وطغيـــان اللهجات المحلية على لسان المجتمع الجزائري، كالعامية، والبربرية، أضف إلى هذا فإن الإدارة الفرنســـية فرضت حصارا عاما على اللغة العربية سواء كان في التعليم أو في استعمالها في المجالات

= الجزائـــر، ج.2، دكتوراه، الأمير عبد القادر، 2000، ص.944. وكذلك: رابح تركي،" الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزئر(1925-1939) دورها في نهضة الجزائر الحديث مرجع سابق، ص. 188.

[1] - سعيد عليوان، المرجع نفسه،ص. نفسها.

[2] - يـــنظر:عـــبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص. 78، 79، وكذلك: سعيد عليوان، مرجع سابق، ص. 1017.

الرسمية،باستثناء المصالح الخاصة بالتوثيق الشرعي لأحكام الزواج والطلاق؛ أي أنه حصار محكم على المجتمع الجزائري، كما شددت الرقابة على جميع المنافذ التي تربط الجزائر بالمشرق[1].

وإذا كانت الإدارة الفرنسية قد انتهجت هذه السياسة لتحطيم المجتمع الجزائري وتفكيكه إربا إربا، فما هو موقف الحركة الإصلاحية عموما و(الشهاب) على وجه الخصوص من هذه السياسة، وما هي الوسائل التي استخدموها لصد مثل هذه الأساليب الاستعمارية، وكيف كان رد الفعل عليها؟ وهل اختاروا طريقة المواجهة العلنية أم طريق العمل الموازي والمناقض لهذه السياسة؟

ب- موقف (الشهاب) من سياسة الفرنسة:

لعلّه من الضروري الإشارة إلى أن (الشهاب) لم تكن السّباقة في اتخاذ موقف واضح تجاه سياسة الفرنسة، وإنما الشيء المؤكد أنها جاءت ضمن القوى الفاعلة في المجتمع التي حملت راية الدفاع عن الوطن وصد سياسة الاستعمار،" فالمجتمع الجزائري قاوم طيلة الاحتلال سياسة الفرنسة، وكان سبيله إلى ذلك هو الرفض الكامل لكل ما يأتيه من الإدارة الفرنسية، حتى ولو كان يخدم مصالحه"[2] بحكم النظرة العدائية لوجوده في الوطن الجزائري، وسياسته الإرهابية التي أثقلت كاهل المجتمع بمختلف طبقاته وعن رفض المجتمع الجزائري للفرنسة تقول إحدى الفرنسيات" وبدأ الصراع يوم بدأ المحتل يفرض لسانه وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى، المعلم والطبيب...إلى أن تقول:ورد المسلمون الهداية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة(1830-1850)بحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ وينشئ المستشفيات فلا يتردد عليها المريض،وتعددت الصعوبات، في وجه المحتل وكثرت، وأصبح الدين الإسلامي كالإسمنت المسلح يحمي من التفكك والاندماج"[3].

وهكذا عبر المجتمع الجزائري في جميع مراحله عن الرفض الكلي لهذه السياسة بمختلف طبقاته، إلاّ أن المقاومة الشديدة لهذه السياسة إنما تمثلت في الحركة الإصلاحية، ورجال الإصلاح الذين وقفوا كرجل واحد ضد هذه السياسة، وكانت(الشهاب) من الأوائل الذين جابهوها بحكم أن(الشهاب) تعد اللبنة الأولى في ظهور الشكل الحديث للحركة الإصلاحية، وتجمعها تحت لواء جمعية العلماء.

جـ- مقاومة الشهاب للفرنسة:

لقد عملت (الشهاب) منذ البداية كغيرها من القوى على مجابهة النفوذ الاستعماري وإضعاف سياسته، وإحباط المحاولات التي تهدف إلى إخضاع المجتمع الجزائري بشكل عام،على أن الملاحظ في هذه

---

[1]- سعيد عليوان، مرجع نفسه، ص. نفسها

[2]- أحمد بن نعمان، "مقاومة المجتمع الجزائري لسياسة الفرنسة"، الثقافة، عدد 58، شعبان، رمضان 1399 هـ الموافق لـ: يوليو، أغسطس 1979م، ص. 59.

3- Yvonne turin, Affrontement culturel dans L'Algerie, colonial, Francois maspero,paris,1971, p. 36

المقاومـــة أنها لم تتخذ شكل المجابهة والصراع الصريح،بل فضلت العمل المضاد والموازي للسياسة الفرنسية، وذلـــك مـــن خـــلال قيام صاحب (الشهاب) وجماعته بالدعوة إلى التعلم والتعليم، وفتح مراكز التعليم والكـــتاتيب، ونشر العلوم الإسلامية وتبصير الناس بدينهم الحق وبالأضداد تتمايز الأشياء وتجلو الحقائق يقـــول الزواوي:"فتطهير المجتمع من كل ما نشكوه الآن من هذه الجذور السامة وتلك السوائل السارية المهلكة يتوقف كل شيء على بث التعليم الإسلامي الصحيح الذي يزف إلى عقول الناشئة الإسلامية تعاليم الإســـلام ومحاســـنه السامية في صوره الجميلة الحقيقية ويمتزجها بأرواحهم وأنفسهم مزجا يشعرهم دوما بالعزة الإسلامية حيثما حلوا وارتحلوا"[1].

ورغـــم المحـــاولات الاســـتعمارية في اتباع "سياسة فرق تسد" من خلال استمالة بعض الطرقية وتســـخيرها في إحداث التصدع والشقاق في صفوف الحركة الإصلاحية، حيث أخذت تنشر الخرافات والأباطيل وتشجيع الطرقية في نشر مبادئها وعقائدها الباطلة، وذلك بعد أن فشلت في القضاء على الروح الإســـلامية في نفـــوس الجزائريين بواسطة سياسة التضليل والتجهيل من جهة، ومن جهة أخرى فشلها في سياســـة الترهيب والقوة، ومن ثم اضطرت إلى ضرب المسلمين من وسطهم وبأيدهم، وذلك للقضاء على الوازع الديني الذي ظل فترة طويلة صامدا في وجه كل المحاولات الرامية إلى مسخه ودحره ومن ثم وجدت (الشـــهاب) نفسها أمام قوتين كبيرتين: فكانت تقاوم سياسة الفرنسة من جهة وتحارب الطرقية من جهة أخرى، فكانت تعمل على جبهتين.

وهكـــذا ظلت(الشهاب) حاملة راية الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية، واقفة أمام كل محاولة تســـعى للـــنيل منها، ونلحظ ذلك من خلال شعارها ومبادئها التي اتخذتهما طريقا في العمل الإصلاحي التهذيبي والانتقادي[2].

ولعل صاحب (الشهاب) ابن باديس، ومكانته العالية وموقعه في قلوب الجزائريين، وشخصيته الفذة هي التي زادت في تشبث أغلب الجزائريين بمبادئهم ومقوماتهم، إضافة إلى المنهج الإصلاحي الذي اتخذه ابن بـــاديس طريقا له في (الشهاب) ونكاد نجزم أن ابن باديس قد استطاع أن يحدّ من سياسة الفرنسة إلى حد كـــبير تجلى ذلك في مقالاته القوية والشديدة في بعض الأحيان، واستطاع أن يوجه الفكر الجزائري ضمن الأطر والمبادئ الإسلامية وأن يبصر المجتمع الجزائري بواقعه المزري، والخطر المحدق به في دينه ودنياه.

ويمكن القول أن (الشهاب) بشعاراتها ومبادئها وكتابها وكتاباتهم،كلها كانت ضد سياسة الفرنسة، ومـــن الأســـاليب القوية التي اعتمدتها في صد الفرنسة، ومجابهتها بالمثل، إحياء اللغة العربية والمحافظة عليها بتعلُّمها وتعليمها.

---

[1]- أبو يعلى الزواوي، "إلى الأستاذ الشيخ محمد الزرقي"، الشهاب،ج.9، م.11، رمضان 1354 الموافق لـــ: ديسمبر 1935، ص.

[2]- ينظر: الفصل الأول ضمن مبحث "مبادئ الشهاب".

– المحافظة على اللغة العربية:

وذلك أن المحافظة عليها هو المحافظة على أعز المقومات الأساسية التي تبنى عليها الشخصية الوطنية، وهي إحدى الدعائم الرئيسية التي تربط بين الأجيال المسلمة، بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولهذا نلحظ أن (الشهاب) الأغر قد سخر كل ما يملك لإحياء اللغة العربية تعلما وتعليما، ولا أدل من تأسيس الزوايا والمدارس والكتاتيب القرآنية التي تلقن فيها الدروس والعلوم بالعربية، وكذا تدريسها كفن مستقل بذاته، وذلك حفاظا على اللسان العربي الذي به يدرس ويفهم الدين الإسلامي، يقول ابن تيمية في معرض بيان أهمية اللغة العربية والنطق بها وكراهية النطق بغيرها:"واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا"،[1] وقال: "وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار–وللرجل مع صاحبه... فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهذا مكروه"[2].

وبهذا ما فتئ ابن باديس وجماعته في التنويه بشأن العربية وأهميتها في الحفاظ على الشخصية الوطنية الإسلامية، والوقوف أمام التيارات التغريبية التي أرادت فرنسة اللسان العربي،واللغة العربية، والتفكير، والثقافة، والذوق العام، والملابس، والمفاهيم الحضارية، والسلوك الاجتماعي،[3] وذلك في إطار مشروع يهدف إلى تحطيم الشخصية الوطنية بهدف الفرنسة والتنصير وبالتالي يسهل عليها إدماج المجتمع الجزائري بطريق أيسر.

ومن هذا المنطلق فقد جعل ابن باديس اللغة العربية" رديفة الإسلام وخصص لها مكانة في مشروعه الإصلاحي، وإعطائها المرتبة الثانية ضمن شعاره الوطني الثلاثي الأبعاد، الشعار الذي جعلته الحركة الإصلاحية دليلا موجها لنشاطها"[4]، وكذلك لمشروعها الإصلاحي الهادف إلى الوقوف أمام كل محاولة تهدف إلى تحطيم المجتمع الجزائري وإخضاعه بطريقة أو بأخرى.

---

[1]– أحمد ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (د. ط)، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1994،ص.185.

[2]– المصدر نفسه، ص. 184.

[3]–ينظر: رابح تركي، مرجع سابق، ص.118.

[4]– عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق،ص.75.

- لماذا العربية أو العروبة*؟

لعل اهتمام (الشهاب) باللغة العربية، يرجع إلى إدراكها ما للغة من تأثير في الفكر ومسخ له "فالعربية هي إحدى الدعائم الثلاث التي تقوم عليها شخصية المجتمع الجزائري، ولا يمكن أن تحدد معالم هذه الشخصية وتزدهر من غير أن تكون العربية الدعامة الأساسية لها، والروح النابضة بحقيقتها والرمز المعبر عنها"[1]، ومن جهة أخرى فإنها رابطة بين الأجيال في الماضي والحاضر" فهي التاريخ الذي يربط بين ماضي الجزائر بحاضرها ومستقبلها، وأجداد أبنائها بأحفادهم، والتاريخ الذي نسج حياتها الثقافية، ومزج بين عناصرها كل الامتزاج التام بين السكان الأصليين والعرب الفاتحين..، والاتحاد الحاصل في العقيدة واللسان يقطع الطريق على متقول أو شاك في عروبة الجزائر ووحدتها اللغوية"[2]،وفي هذا السياق أورد ابن باديس أثرا نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذي يقول"ليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي" [3]، يقول ابن باديس:"تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كما الشأن في الأفراد،فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات، وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعّرب بها ويتأدب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها، وينظر لمستقبله من خلالها، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات"[4].

والكلام بالعربية والدعوة إليها لا لشيء إلاّ أنها لغة القرآن، ولغة التخاطب والشعور بالروابط الفكرية والحضارية التي تجمع بين الأفراد والمجتمعات العربية الإسلامية، ولعله من الأسباب التي أدت بانحطاط المستوى التعليمي والعلمي للجزائريين، وسيطرة اللسان الفرنسي على الجزائريين ابتعادهم عن المدارس العربية الحرة، والاستغناء عنها في كثير من الأحيان، بل نبذوها وراء ظهورهم وجعلوها لغة تخلف وانحطاط، يقول أحد كتاب الشهاب: "فاللغة العربية لغة الجزائريين القطرية عليها مدار حياتهم ...في

---

* - العربية من الوجهة القومية هي الرابطة الشعورية والفكرية التي تربطنا بجنسنا، وبقومنا، وثقافة هذا الجنس، والجنس هنا هو العروبة: "وهي شعور وجداني وكيان ثقافي واتجاه حضاري،واللغة هي التعبير عن هذا الشعور"وهي كما وصفها(أي اللغة) محمود قاسم "الترجمان الذي يعبر عما في القلب من عقائد وعما في العقل من أفكار وعما في النفس من الآم وآمال،"ينظر: المرجع نفسه، ص.76، وكذلك: محمود قاسم، مرجع سابق،ص.64، نقلا عن التقرير الأدبي الذي ألقاه ابن باديس بجمعية التربية والتعليم 1358 هـ ماي 1939، في البصائر السنة الرابعة العدد.171.

[1] - عبد القادر فضيل، ومحمد الصالح رمضان، المرجع نفسه، ص.75.

[2] - المرجع نفسه، ص.نفسها.

[3] - لم أقف عليه.

[4] - ابن باديس، " الجنسية القومية والجنسية السياسية،" مصدر سابق، ص.504.

ديـــنهم، في قوميتهم، في آدابهم، في وطنيتهم، وفي تاريخهم... وهي اللغة التي يتمسك بها وبأهدابها، ولو تعلقوا بأذيالها وكفاها شرفا أن تكون لغة القرآن، بها قامت الفصاحة والبلاغة في أسواق الأدب"[1].

هـــذا وقد عاتب (الشهاب) الأدباء والمفكرين على استعمال اللغة الفرنسية في خطبهم ومحاضراتهم حـــتى في مخاطبة أبناء جنسهم، وحذرت من التأثير السلبي الذي ينجم عن هذا السلوك منها: "فقد العصبية والجهـــل بالتعالـــيم الدينية، واحتقار بني جنسهم ونسيان تاريخ الآباء والأجداد، وسوق الأبناء إلى حيث يتشكلون بالأشكال والأزياء غير العربية ..."[2]، بل وتنبأت (الشهاب) أن العاقبة لكثير من الجزائريين بعد حـــين من الدهر – وهو قريب – ستكون نتيجتها استبدال جنسية جزائرية بجنسية أخرى[3]، وقد تحقق هذا الظن، وأقدم بعض الجزائريين على التجنس بالجنسية الفرنسية والتخلي عن جنسيتهم، وهذه إحدى أهداف سياسة الفرنسة والتي كانت تسعى إليها الإدارة الاستعمارية.

هذا ولم تمنع (الشهاب) من تعلم اللغات الأخرى، بل دعت إلى تعلم الفرنسية وغيرها من اللغات، وذلك إلى جنب اللغة العربية الفصيحة لا العامية، وذلك للمحافظة على التعاليم الدينية، والإرث الحضاري من أدب وتاريخ وثقافة، وبذلك يكون جانب الأمن من الانسلاخ والانحلال من الجنسية العربية الإسلامية أقوى وأضمن، كما دعت إلى المحافظة عليها"كمحافظة المصريين على لغتهم العربية والزيادة عليها باللغات الأجنـــبية الـــتي أخذوا منافعها دون قشورها، فنظموا حياتهم الاجتماعية على النمط العصري من تأليف المحـــاكم، وترتيب دواوين الحكومة، ومصلحة السكة الحديدية والتلغراف ... والغرفة التجارية، كل ذلك باللسان العربي فضلا عن الطب والهندسة والعلوم الرياضية"[4].

وأنجـــع طـــريق كان المصلحون من كتاب (الشهاب) يرونه نافعا ومجديا للحفاظ على العربية من الفرنسة هو "وجود صحافة عربية بين الوطنيين بلغتهم الأصلية ترشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدارين"[5]، بـــل إن من يرى خلاف ذلك – حسب الشهاب – "فرأيه وفكره عقيم وذاكرته الفكرية ضعيفة وهو إلى الأمية أقرب منه إلى العلم"[6].

ونظـــرا لهذه الأهمية التي يكتسيها عنصر اللغة في الحفاظ على مقومات الأمة، والوقوف أمام سياسة الفرنســـة، فقد أعطت (الشهاب) اهتماما بالغا، ورأت أن أكبر بلية نزلت بالأمة الجزائرية، هو تفريطها في

---

[1]- مجهول، "حول كلمة من وزير الداخلية للوفد الجزائري"، الشهاب، عدد 43، 23، محرم 1345 الموافق لـــ: 13 أوت 1926 ص. 3.

[2]- المصدر نفسه، ص.نفسها.

[3]- ينظر: المصدر نفسه.

[4]- المصدر نفسه، ص. 1 بتصرف.

[5]- مصطفى بن شعبان، "الحياة الجديدة"، الشهاب، عدد 62، 6 ربيع الثاني 1345 الموافق لـــ: 14 أكتوبر 1926، ص. 1.

[6]- المصدر نفسه، ص. نفسها.

لغـــة دينها[1]، ولهذا دعت إلى العضّ عليها بالنواجذ، والاهتمام بها "فما علينا إلاّ المحافظة على لغتنا الشريفة لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لغة الآباء والأجداد... لغة العز والفخار والمجد والحضارة... لغـــة مكـــارم الأخلاق والفضيلة... لغة الشرف والحياة..."[2]، وما ذلك إلا للحفاظ على كيانها وصد سياســـة الفرنسة التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية بهدف إحلال اللغة الفرنسية محلها وجعلها لغة أجنبية – كما فعلت – وقد وقف الشهابيون في صد هذه السياسة ونشر العربية الفصحى وتعليمها للأجيال الناهضة وإحباط المشروع الفرنسي الذي كان يستهدف مقومات الأمة الجزائرية.

جـــ-سياسة التنصير:

لقـــد كشف الواقع الجزائري نوايا الاستعمار منذ بدأ حركته الاستعمارية، وهو إنما أراد إخضاع المجـــتمع الجزائري بأي طريق، وبأي والوسائل متخذا قاعدة" الغاية تبرر الوسيلة "*،وكان من الوسائل التي اســـتخدمها، التنصير، كإحدى الأسلحة الفتاكة في تطبيق وتحقيق أهدافه الاستعمارية، وذلك ليسهل عليه إخضاع المجتمع بأقصر طريق وأيسر سبيل، وكانت هذه السياسية تحمل الطابع الإنساني، وخدمة الإنسانية، والحق أنه خلاف ذلك، بل أصدق وصف يمكن إطلاقه عليه ما قاله- محمد ناصر- في شأن هذه السياسة" واتخـــذ لباسا ملائكيا ظاهره التطبيب والمواساة والتعليم، وأخفى تحت مسوحه دسائس شيطانية تستهدف تحرير المسلمين من مقوماتهم الشخصية المقدسة"[3].

ولا ريـــب أن الباعث الحقيقي الأول في رأى القائمين على التنصير إنما هو"القضاء على الأديان غير النصـــرانية"[4]، وذلـــك أنهم رأوا من أمر الإسلام وانتشاره حول العالم، وأفزعتهم شدة تأثيره في النفوس فأولوا جلساتهم ومؤتمراتهم للمؤامرة ضد تلك الشمس المشرقة وإطفائها بأفواههم: حيث عقدوا الجلسات

---

[1]- ينظر: العربي التبسي، "أزفت ساعة الجماعة"، الشهاب، عدد 31، ذو القعدة 1344، الموافق لـــ: حوان 1926، ص. 3.

[2]- مصطفى بن شعبان، "اللغة العربية والمحافظة عليها،" الشهاب، عدد 66، 4 جمادى الأولى 1345، الموافق لـــ: 3 نوفمبر 1926 ، ص. 3

*- وهي قاعدة ميكيافيلية وضعها (ميكيافلي) من أجل بلوغ السلطة و الحكم بأي طريق، وأن الغاية الوحيدة هي تحقيق الوصول إلى الحكم دون الالتفات إلى الوسيلة المستعملة.

[3]- محمد ناصر المقالة الصحفية، ج1، ص،137.

[4]- مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت 1986، ص.45، نقلا عن كتاب:
The missuinmary out houk en the light af war and the religions out look, n, y, 1920, p,35.

والمؤتمـــرات للمداولة والتفكير في الطرق التي توصلهم إلى نفوس المسلمين[1]، وكان من أبرز مؤتمراتهم التي عقدوها بشأن دراسة حال" التبشير العالمي" مؤتمر القدس[2] سنة 1924.

وأحسن طريق سهّل على هؤلاء تنفيذ مشروعهم هو طريق الاستعمار، فالعلاقة بينهما علاقة وطيدة وكـــل مـــنهما يعتمد على الآخر ويكمله، كما أن آباء التنصير كلهم ركزوا على الفرنسة –كما سبق– بغـــرض التنصـــير والتمكين للاستعمار، كما ركز رجال فرنسا من الساسة والعسكريين على التنصير بغية الفرنسة والإدماج والتمكين للاستعمار[3].

وكـــان أول مـــن دعـــا إلى التنصـــير بصفة رسمية، وبطريقة منظمة، وأسس المراكز التنصيرية هو (الكاردينال لافيجري) سنة 1867، وهذه السنة من أشد السنوات هولاً على المسلمين الجزائريين ولا سيما في الجـــنوب، فقـــد التهمت الزرع ونشرت الوباء والمجاعة والموت في كل بيت جزائري[4]، وحينها وجد لافيجري الفرصة ليعلن بدعوته ومشروعه التنصيري الذي طالما تحين الفرصة المواتية للصدع به، يقول المدني "فكـــان يطوف بالأنحاء التي فتك بها الجوع والمرض، ويحمل الصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله"[5]، وإنها لخطة تجعل العاقل حيران، والمتدين في شك من أمره، وصدق من قال: "كاد الفقر أن يكون كفرا"[6].

وقـــد استخدم المنصّرون مختلف الطرق والوسائل في سبيل تحقيق أهدافهم وتجسيدها في الواقع، فلم يكـــتفوا بـــالدعوة النظرية من الكتابة في المجلات والصحف والنشرات، كما أنهم لم يسلكوا طريق القهر والإكراه والقسر، لكنهم استغلوا جميع المناسبات وترقبوا جميع الفرص "فصناعة التعليم والتطبيب والوعظ،

---

[1]- الفرقد،"الضمير"،وادي ميزاب، العدد، 84، ذي الحجة 1446، الموافق لـــ: 25، ماي،1928، ص2.

[2]- ومـــن أشهر المؤتمرات النصرانية التي عقدت لدراسة أساليب التنصير قبل مؤتمر القدس، مؤتمر القاهرة سنة1906، ومؤتمر (لكنو) بالهـــند سنة 1911، وهو امتداد لمؤتمر القاهرة. ومنذ سنة 1912 قامت سلسلة من المؤتمرات بلغت 21 مؤتمرا للإرساليات وقادة الكـــنائس، وكـــان الغـــرض منها هو التركيز على التعاون بين الكنائس، ينظر: عبد الجليل شلبي، معركة التبشير والإسلام، ط.1، مؤسسة الخليج العربي،1409، هـــ 1989م،ص-ص،287، 306، وكذلك: إبراهيم سليمان الجبهان، معاول الهدم في النصرانية والتبشير،ط.1، دار الفتح، الشارقة،1415-1995، ص-ص. 43،50.

[3]- سعيد عليوان، مرجع سابق، ص. 997.

[4]- المدني، كتاب الجزائر، ص. 61.

[5]- ينظر: المدني المصدر السابق، ص. 61. ويذكر المدني أن" الكاردينال لا فيجري"، جمع طائفة من الأيتام واليتيمات يبلغ عددهم حـــوالي 1500 شخصا، فرباهم في ظل الكنيسة، وعلى دين المسيح. ينظر: المدني، المصدر نفسه، ص.61. وتذكر بعض المصادر أن هـــذه الفئة بعد أن تقدم بهم السن، رجعوا إلى دينهم وتحلوا عمّا كانوا عليه من قبل، ولم يبقى إلا حوالي 41 شخصا. ينظر: محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية والتبشير، ط.2، مطبعة الاعتدال، دمشق 1352 هـــ 1934م، ص. 79، 80.

[6]- تقدم تخريجه، وهو إن كان لا يثبت سندا، فإننا أتينا به لصحة معناه، وشهادة الواقع بذلك.

ونقل الكتب من لغة إلى لغة"[1] والإغراءات المادية، والدعوة المعسولة وإنشاء المدارس والكليات التنصيرية... كلها كانت خير عون لهم، ومعول هدم لغيرهم.

والمنصّرون مجمعون على استخدام جميع الوسائل، مؤكدين على استغلالها جميعا، تجلى ذلك في نشر "العقيدة النصرانية" في نفوس البشر غير النصرانيين، على أن المسلمين هم أولى بهذا من غيرهم لأن الإسلام في نظرهم أشد الأديان حرسا في رفض الاستعباد، لذلك يسعى كل "المبشرين" في أن ينصروا جميع المسلمين ويردوهم عن دينهم وعن عقيدتهم من عقيدة التوحيد إلى عقيدة التثليث.

وأما تصريحات زعمائهم وساساتهم من أصحاب الفكر السانسيموني غداة لاحتلال أن من جملة أهدافهم الأساسية من غزو الجزائر، نشر النصرانية والقضاء على الإسلام، وفي سبيل ذلك ومن أجل تحقيق غاياتهم، توصلوا حقيقة إلى تنصير بعض أبناء المسلمين بوسائل التمويه والتضليل، وتذرّعوا للوصول إلى عقيدة الناشئة: بالتعليم ومواساة الفقراء والمساكين والأيتام، وإيواء من لا ملجأ لهم كالبغايا الذين يطردون من المجتمع، وكان تركيزهم على النساء والشباب لسهولة تقليدهم هذه التعاليم وتقبلها[2].

وإذا كانت حركة التنصير قد استطاعت أن تجد لنفسها مكانا داخل بنية المجتمع الجزائري وأن تحقق بعض أهدافها، فما هو رد الفعل الجزائري على هذه السياسة التنصيرية عموما والحركة الإصلاحية خصوصا و(الشهاب) بالأخص؟ وكيف تعاملت (الشهاب) مع هذه الحركة التنصيرية التي وضعت الدين الإسلامي في المساومة؟وما هو موقفها؟ وما هي الوسائل التي سخرتها لوقف الزحف الصليبي التنصيري؟

د- موقف الشهاب من التنصير:

لعله من الصعب إطلاق القول بأن (الشهاب) كان لها موقف صريح ضد عملية التنصير التي اجتاحت المجتمع الجزائري في فترات ماضية، بحكم أن حركة التنصير بدأت في التلاشي والضعف أمام المحاولات الإصلاحية التي بدأها نخبة من العلماء والمصلحين في بداية القرن العشرين، والتي تُوّجت بانطلاق الحركة التعليمية البادیسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما خلفته الحرب العالمية الأولى من آثار واضحة المعالم في الحياة الفكرية والسياسية، وظهور الحركة الوطنية في شكلها الجديد المنظم بشقيها السياسي والإصلاحي، كل هذه الأسباب وغيرها أضعف من نفوذ الحركة التنصيرية ونشاط المنصرين، إلاّ أن بعض آثار هذه الحركة لم تزل تسري في بعض طبقات المجتمع، إضافة إلى بقاء بعض الاعمال التنصيرية في بعض أنحاء الوطن الجزائري خاصة منها في بلاد القبائل.

---

[1]- مصطفى خالدي، عمر فروخ، مرجع سابق، ص. 48. نقلا عن كتاب: Julins Rivheter, Ahistory of the protestant missions in the near (Englih translation adapted by the Author), N.Y 1910, p80.

[2]- ينظر: محمد ناصر، مرجع سابق، ص. 139.

ولقد أدركت (الشهاب) خطورة هذه الفئات التي احتلت احتلالا واسعا ومنظما لبعض أمّات مدن الوطن، فهم يهاجمون الإسلام وتعاليمه في كل لحظة، ويتذرعون إلى ذلك بكل وسيلة، ويرسمون خطط مهاجمة الإسلام في وطنه وفي صدور أهله، وهم إذ ذاك طائفتان: الطائفة البروتستانتية والطائفة الكاثوليكية، وهذه الأخيرة تمثلها بعثات الآباء البيض "الذين استعذبوا كل كريهة وركبوا كل صعب لخدمة أمتهم في رابطتهم المذهبية، وهم في جهودهم وأساليبهم ونظمهم ومقاصدهم يعملون ويسيرون مع ضياء التجارب ليبني الآخر منهم على أساس السابق"[1].

والـــذي يلاحـــظ أن (الشهاب) قد سلكت في مكافحة هذه الطائفة التنصيرية مسلكين أساسيين: مســـلك التحذير وبيان خطر هؤلاء على عقيدة المسلم ودينه، والمسلك الثاني اهتمت ببيان حقيقة الإسلام وقواعده الصحيحة وما يضاده من الملل والنحل المختلفة.

هـــ- مسلك التحذير:

لم يكـــن خطـــر هـــؤلاء المنصِّرين يخفى على العلماء المصلحين من كتاب (الشهاب) وغيرهم، بل أدركوا حقيقتهم وحقيقة ما يهدفون إليه، ولهذا راحوا يحذرون من أعمالهم ومن نشاطهم الذي يهدف إلى القضاء على الإسلام وإحلال دينهم النصراني محله، وقد أرعبها الموقف عندما رأت اعتناق الشباب للصليب وحمله معهم وتلاوتهم الإنجيل... فما كان في وسعها إلاّ أن دعت إلى وجوب الأخذ بشيء من نظم العصر لمقاومـــة وصد أعمال هذه الجاليات، و ذلك بتأليف الجمعيات الدينية لبيان حقيقة الإسلام، وإقامته على قواعده الصحيحة إقامة مبنية على علوم القرآن[2].

ومـــن المواقف المشهودة (للشهاب) كشفها لنشاط جماعة من "المبشرين" الأمريكيين (ميتوديست) بـــبلاد القـــبائل، الذين ما برحوا يتجرءون أمام الأهالي على القدح والطعن العنيف في الإسلام وعلى صد هـــؤلاء الأهالي من آداء واجباتهم الدينية. ومن وسائلهم في ذلك إكراههم على الإفطار في شهر رمضان، وإعطـــاء لهـــم الخمـــر، والمأكولات المحرمة عليهم دينا كالخنزير وغيره[3]. كما نبهت (الشهاب) الشعب الجزائري خطورة هؤلاء ببيان حقيقة تاريخية قد يتجاهلها أكثر المجتمع الجزائري آنذاك، بحكم جهله بتاريخه القـــريب والبعيد، وهو أن هؤلاء الآباء البيض رجالهم ونساؤهم أول من مهّد ومكّن للاستعمار الفرنسي الاستيلاء على الوطن[4].

---

[1]- العـــربي التبســـي، "كلمة دينية إلى ذوي الأحلام والنهى،" الشهاب، ج.9، م.8، جمادى الأولى 1351 الموافق لـــ: سبتمبر 1932، ص.479.

[2]- المصدر نفسه، ص. 480.

[3]- مجهول، "جماعة المبشرين"، الشهاب، ج.5، م.5، محرم 1348 الموافق لـــ: جوان 1929، ص.13.

[4]- المقال نفسه، الشهاب، ج.6، م.5، صفر 1348 الموافق لـــ: جويلية 1929، ص.13.

ونظرا لتفاقم أمر هؤلاء القساوسة، واستفحال أمرهم، فقد دعت (الشهاب) المسلمين إلى النهوض من هذه الكبوة وهذا التخاذل المميت بقولها "فالواجب علينا –معشر المسلمين– أن نطرح التخاذل والتكاسل ونتحد جميعا، أمام هذا الخطر الأجنبي المراد منه محو ما نعدُّه أنفس شيء لدينا ألا وهو ديننا"[1].

ومما يؤكد خطر النصرانية وعداءها للمسلمين تلك الحملات الشرسة على الإسلام وتصويره بالصورة المنفردة المبغضة المثيرة للأحقاد والحاملة على التعصب حتى أنهم قد يجعلون لأتباعهم دعوات تكرر في أوقات مخصوصة ضد الإسلام والمسلمين، والدليل على هذا ما وضعه الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة (عنابة) لأتباعهم من دعوات في صلاتهم اليومية تُكرر في أوقات مخصوصة ضد الإسلام والمسلمين، وهذا نص الصلاة اليومية: "يا قلب يسوع الإلهي أتقدم إليك بقلب مريم الدامي بصلواتي وأعمالي وآلامي في هذا النهار... وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص من أجل اتحاد كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الإسلام"[2]، هذه هي نظرتهم إلى الإسلام نظرة حاقد متعصب...

هذا ولما أقدم أحد المتعصبين على التشكيك في الإسلام والطعن فيه والنيل من أهله ورميهم بأقبح الصفات، وأشنع الأسماء، وهو بدعوته يدعو "عيسى ومريم" لمحو الإسلام –حسب زعمه– وما حملته هذه إلاّ لجهله بالإسلام وتعاليمه، وبالطبع من جهل شيئا عاداه، قامت (الشهاب) بالرد عليه والتحذير من كيده، يقول أبو يعلى الزواوي: "وبالجملة فإن هذا الداعي ضعيف العقل... إلى أن قال... وأبعد الناس عن دين المسيح الإفرنج–أمثال هؤلاء المتعصبين الذين بذلوا الملايين من الدنانير لتنصير البشر كلهم باسم المسيح وغرضهم من ذلك استعباد البشر بإزالة ملكهم وسلب أموالهم لتكون جميع لذات الدنيا وشهواتها خالصة لهم فهل جاء المسيح لهذا أو بضده؟"[3].

ولم يكونوا دعاةُ التنصير وحدهم يعملون على تنصير الجزائريين، وردهم عن دينهم، وإنما كانوا مؤيدين من طرف الاستعمار ماديا ومعنويا، وفي هذا السياق يقول الزاهري وهو يتحدث عن التنصير وخطره وأشكاله: "والأمر الثالث الذي لا ريب فيه أيضا أن الاستعمار يعين الملحدين على نشر الإلحاد بين المسلمين، ويحمي أيضا جمعيات المبشرين، ويعاونها بالمال وربما أمدها بإعانات مالية من أوقاف المسلمين"[4]، والتنصير إنما هو مشروع صليبي محدد الأهداف لا يتوان في القيام بالهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين، باسم الإنسانية والمدنية والبحث العلمي، وهم بذلك يهدمون كل يوم صرحا من أصول

---

[1]– مجهول، "جماعة المبشرين"، الشهاب، ج.7، م.5، ربيع الأول 1348 الموافق لـ: أوت 1929، ص.14.

[2]– مجهول، "عن الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة"، الشهاب، ج.2، م.12، صفر 1355 الموافق لـ: ماي 1936، ص.55.

[3]– أبو يعلى الزواوي، "كاثوليكي يدعو عيسى ومريم لمحو الإسلام"، الشهاب، ج.4، م.12، ربيع الثاني 1355 الموافق لـ: حويلية 1936، ص.178.

[4]– محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص. 113.

الإسلام وقواعده بمختلف الطرق والوسائل، يقول الزاهري" وفي كل يوم تصدر آلف من الصحف والمجلات والخطب والمحاضرات وكلها مطاعن ومفتريات على الإسلام، وفي كل لغة من اللغات، ومع ذلك فإن المسلمين مازالوا طوائف وشيعا منقسمين على أنفسهم، متفرقين على دينهم و لم يشعروا بما حاق بهم جميعا من الخطر العظيم"[1]، ولهذا رأت الشهاب أن أنجع وسيلة لصد هذا التيار الجارف هو:

5- الدعوة إلى الإسلام الصحيح:

لاشك أن الخطة التي سارت عليها (الشهاب) منذ تأسيسها، إنما هي خدمة الإسلام وتبصير الجزائريين بدينهم الصحيح، وبيان ما يناقضه من الدعايات المغرضة، والتيارات الإلحادية المعادية للإسلام، ولهذا ما برح ابن باديس في دروسه العلمية، وتفسيره للآيات القرآنية من بيان الإسلام الصحيح، وشموليته، وأنه قاض وناسخ للأديان السابقة يقول:" الإسلام دين الله الذي شرعه وارتضاه...وهو تشريع عام لجميع أعمال الإنسان..وهو الحق والعدل والخير والإحسان...وقد وضع عقلاء الأمم شرائع في بعض نواحي أعمال الإنسان، ولكنها بإجماع المشرعين لا تخلو من نقص واعوجاج واضطراب..."[2]،ولابن باديس وقفات كثيرة في بيان الإسلام وحقيقته من خلال خطبه ومحاضراته وتفسيره[3].

والإسلام الذي يراه ابن باديس هداية للمسلمين وطريقا للخلاص من الأوضاع المتردية هو الإسلام الذاتي المبني على التفكير والبحث لا الإسلام الوراثي المبني على التقليد والجمود[4]، ولهذا كانت (الشهاب) تدافع عن الإسلام دفاعا مستميتا، وتذب عنه وعن كل ما يشوبه من الأخطار التي كان يواجهها آنذاك المتمثلة أساسا في الضربات التي كان يتلقاها على يد حكام الاستعمار، وكذلك خطر المستشرقين ودعاة التنصير ومن والاهم من الشيوخ المؤيدين لمؤامرات الاستعمار، إضافة إلى الطرقية التي شوهت جمال الإسلام ووقفت حجر عثرة في طريق التقدم، وذلك بتشويهاتهم التي يلقونها على الأذهان الساذجة والاعتقادات الباطلة والفاسدة، وكذا علماء الدين الذين اشتهروا بالإخلاد والركون إلى الخمول والجمود[5]، إضافة إلى البدع والمنكرات التي غيرت وبدلت معاني الإسلام الصحيح، وجعلته شبحا مخيفا حمل رايته بعض المشايخ الذين اتخذوا الجمود والتقليد شعارا لهم، وكل هذه العوامل كانت في صالح الاستعمار وأذنابه من المنصرين لِبثّ ونشر أفكارهم وتنفيذ مشاريعهم.

---

[1]- المصدر نفسه، ص.114، 115.

[2]- ابن باديس،" الرسل والرسالة والرسول والمرسل إليهم"، الشهاب، ج.2، م.10، شوال 1352 الموافق لـ: جانفي 1934.

[3]- ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير، مصدر نفسه.

[4]- ابن باديس "الإسلام الذاتي والإسلام الوراثي" الشهاب، ج.3، م.14، ربيع الأول1357،الموافق لـ: ماي 1938.

[5]- ينظر: محمد الصالح خبشاش، "عوائق تقدم الجزائريين"، المنتقد، عدد 04، 3 محرم 1343 الموافق لـ 23 جويلية 1925، ص.2.

ولهـذا تصـدت (الشـهاب) لإفشال كل محاولة أو سياسة تهدف إلى تنصير الجزائريين وفرنستهم وبالـتالي إفشـال مشـروع الإدماج، ووقفت بكل رجالها المخلصين لرد هذا العدوان، وهذه الأخطار المتكاثرة، كما أكدت الكيان الروحي للأمة الجزائرية ووضعته في سياقه التاريخي، وردت على كل مشكك في هـذا الكيان، وفي مقومات الأمة التي تتكون منه وتستمد روحها منه كما قدمت خدمة للإنسانية من خلال خدمة الإسلام، لأن الإسلام كما يقول ابن باديس "دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلاّ به، وأن خدمتها لا تكون إلاّ على أصول"[1].

كما عملت على تحرير العقول والنفوس من براثن الجمود والتقليد والتعصب للأفكار والآراء ودعت إلى إطـلاق العنان للعقل كي يسبح في بحر المعرفة، وينظر كيف يستنبط الأفكار ويسايرها وفق متطلبات العصر، وهذا ضمن الإطار الإسلامي الصحيح ولأن العقل الصريح لا يناقض –بتاتا– النقل الصحيح، وهذا كلـه من أجل تكوين وإعداد جيل عصري يتماشى ومتطلبات العصر، بعيدا عن الركود والجمود والجهل والتقـليد، حتى يتمكن من صد الهجمات التنصيرية والوقوف أمام الزحف الصليبي...ولا يمكن ذلك إلاّ بالتعليم والتثقيف والتربية الصحيحة وإيقاظ الهمم والنفوس.

وبهـذا فـإذا تتبعنا كتابات العلماء المصلحين في (الشهاب)، وعلى رأسهم ابن باديس الذي نجده مرتـبطا بالإسـلام إرتباطا شديدا وعلاقاته مع الناس "فلا تخلو كلمة من كلماته أو درسا من دروسه من التعـليق عـلى الإسلام وعلى أحوال المسلمين في الجزائر وفي غيرها من البلدان الإسلامية، والأخطار التي تحيـط بهـم، ومن التذكير بالحقيقة القرآنية، والعقيدة الإسلامية المبنية على التصور الصحيح وفق الآيات والأحـاديث النبوية التي يرى فيها المخرج من دائرة الإفلاس التي تتعرض لها الشعوب الإسلامية والعربية، وكأنـه يقول لا يستقيم أمر المسلمين ولا يصلح حالهم إلاّ إذا رجعوا إلى دينهم الصحيح الذي ابتعدوا عنه بسـبب ظروف الاستعمار، ورواسب عصور الانحطاط من جهة أخرى"[2]، وفي هذا الصدد لو نظر المتأمل إلى مجلة (الشهاب) نظرة متأنية، وقرأ واجهة المجلة، أدرك ذلك السر العظيم والمغزى الوفير من أهداف ابن باديس وصحبه وغاياتهم وتصوراتهم لأسباب صلاح الأمة وسعادتها، وذلك من خلال شعار المجلة المثبت في الواجهة "لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها".

والحاصـل أن (الشـهاب) قد وضعت برنامجا محددا للوقوف أمام سياسة الفرنسة والتنصير اللذان يعتـبران مـن الأهداف الكبرى للإدارة الاستعمارية، ولا يتم ذلك إلاّ بالرجوع إلى الإسلام وإلى منابعه الصـافية، ومصـادره الصحيحة الثابتة، وقد وفقت (الشهاب) أيما توفيق واستطاعت أن تسهم مع القوى

---

[1]- ينظر: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج.4، ط.1، دار البعث الجزائر 1425هـ، 1984، ص. 112.

[2]- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص. 67 بتصرف كامل.

الأخـــرى في إحباط المشروع الاستعماري الصليبي الذي كان يهدف إلى إدماج الجزائر في فرنسا، والقضاء على الإرث الحضاري للأمة الجزائرية.

الخلاصة:

وخلاصـــة ما يمكن قوله أن الشهاب أضافت إلى جانب الإصلاح الديني إصلاح المجتمع الذي هو أساس الإصلاح ومحله، ويتجلى ذلك في الجهودات التي بذلتها في إصلاح المجتمع من كل ما يدنسه، ويجعله مجـــتمعا ســـاكنا يتخـــبط في ظلمات التخلف والفقر ونحوهما من جهة، ومن جهة أخرى السعي لإفشال المخططـــات الإســـتعمارية الهادفـــة إلى القضـــاء وإخضاع المجتمع الجزائري عن طريق المشاريع الصليبية والسياسات الإضطهادية، وفي هذا السياق فإن المصلحين من كتاب الشهاب جعلوا قضايا المجتمع الكبرى مـــن أولويـــات العمل الإصلاحي التهذيبي، فكانت قضية المرأة المسلمة الجزائرية من القضايا الكبرى التي عالجـــتها وتناولـــتها في صفحاتها مجيبة على كثير من التساؤلات والإشكالات التي أثيرت حولها سواء بين المصلحين أنفسهم أو بين المصلحين وغيرهم، وذلك في ظل وضع المرأة الخطير الذي كانت تعانيه من جهل وأمية، وبين النداءات والكتابات التغريبية المنادية بحرية المرأة دون قيد ولا شرط، حيث عالجتها بنوع من الانصاف والعدل مبدية ما للمرأة من حقوق وواجبات مدافعة عنها وعن كل ما يشوه سمعتها.

كما أولت عناية تامة بفئة الشباب الجزائري المسلم تعلما وتعليما محذرة أياه من الدعايات المغرضة والاغـــراءات الماديـــة الغربية الداعية إلى الانفساخ والانحلال، فكانت عثرة في وجه هذه المحاولات، كما قاومت الفكر الإلحادي الذي جلبته المدنية الحديثة، وذلك عن طريق بعث الهمم في إقامة المدارس والنوادي وفتح الكتاتيب للتعليم والتهذيب، وفق التعاليم الإسلامية، وقد حققت نتائج مرضية دل على ذلك الواقع التاريخي.

كمـــا حـــاربت الآفات الاجتماعية بجميع أشكالها وألوانها التي كانت مستحكمة في المجتمع حيث شخَّصت الداء وبينت الدواء الناجع لتفادي هذه الأمراض وسوء عاقبتها ومغبتها، ومن جانب آخر وقفت ضـــد سياســـة الفرنسة والتنصير التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية محاولة منها لدمج المجتمع الجزائري وصبغه صـــبغة فرنسية بحتة، فكانت تعمل على إفشال كل محاولة تسعى من خلالها فرنسا لتحقيق أهدافها، وذلك بنشر التعليم باللغة العربية وتعلمها حفاظا على المقومات الشخصية وصيانة لها، كما رفعت لواء الدفاع عن مذهب السلف والرجوع إليه.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخلاصة

وبـــناء عـــلى هذا الذي قمنا بتقديمه، والخطوات المنهجية التي اتبعناها توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن عرضها كالآتي:

1-أن الإنطلاقة الفعلية للحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، وتاريخها الحقيقي يبدأ من تأسيس الصحف الإصلاحية بدءا بالمنتقد ثم الشهاب التي عمرت طويلا مقارنة بالصحف الإصلاحية الأخرى.

2-أن مجموعـــة الشهاب عبارة عن دائرة معارف إسلامية بالمفهوم الواسع في عصرها؛ إذ يجد فيها الباحث كل ما يتصل بالحياة الأدبية والفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية.

3- تعتـــبر مجـــلة الشـــهاب ثروة فكرية وأدبية ومصدرا هاما في التأريخ للحركة الوطنية الجزائرية عموما والإصلاحية على وجه الخصوص، ويمكن القول أن الشهاب أنشئت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميع مراحلها وبكل تطوراتها وتقلباتها في مرحلة من أخطر وأعقد المراحل في تاريخ الجزائر.

4- أن الشـــهاب من حيث القيمة العلمية والتاريخية والمحتوى، ثالث مجلة إسلامية إصلاحية في العالم العربي الإســـلامي بعد العروى الوثقى للأفغاني ومحمد عبده والمنار لرشيد رضا؛ حيث رفعت لواء الإصلاح الإسلامي في الجزائـــر، واخـــترقت الحدود الجغرافية لتصل إلى البلدان العربية والإسلامية، حيث وجدت لها رواجا وقبولا لدى الخاصة من العلماء والمصلحين، وحتى العامة من الناس.

5- أن الشـــهاب ســـاهمت في تكويـــن نهضة تربوية إصلاحية عميقة الجذور في الجزائر كانت من أقوى النهضات الإصلاحية والتربوية التي ظهرت في العالم الإسلامي في العصر الحديث.

6- أن الشهاب خدمت الأمة الجزائرية من الناحيتين الدينية والاجتماعية:

*** فمن الناحية الدينية:**

أ- زعـــزعت العقـــائد الـــتي كانت سائدة في أعماق المجتمع الجزائري، وشخصت أدوائه، وحددت العلل فأجهزت عليها، وغيَّرت الكثير من المفاهيم والقضايا التي كانت تحسب من صميم وكمال الإسلام.

ب- وضـــعت الأساس والمنهج السليم في الإصلاح الديني في القطر الجزائري وزرعت البذرة الأولى لتطهير العقائد من الأدران والبدع الإعتقادية والعملية وفق خطة رسمتها لنفسها وسارت عليها منذ تأسيسها، رافعة مبادئ وشعارات واضحة كاشفة عن غايتهاوأهدافها.

جـــــ-حـــاربت الطرقية في معاقلها، بعد أن صدر من الطرقيين انحرافات وسلوكات مست جوهر الإسلام وعقيـــدة المســـلمين، كما حاربوها لما علموا فيها من بلاء على الأمة من الداخل والخارج، فعملوا على كشفها وفضـــحها ونقدهـــا باللســـان والكتابة محتجين في ذلك بالدليل والبرهان، مستندين إلى الكتاب والسنة، وما عليه السلف والأئمة.

د- عمـــلت على كشف وفضح أخطر طريقة صوفية ظهرت في بداية القرن العشرين وهي الطريقة العليوية حيـــث تصدت لها وسخرت في ردعها خيرة المصلحين من العلماء ، فكشفوا عقائدها الباطنية وحذروا من بدعها الاعتقادية والعملية، وقد وفقت الشهاب في هذا إلى حد كبير.

هـــ- حاربت البدع العملية والاعتقادية ودعاتها وأنصارها وأجهزت على كثير منها فأبطلتها، كما وقفت عثرة أمام تلك الخرافات والترهات التي أركست المجتمع الجزائري وجعلته صريعا في أحضان الاستعمار وأذنابه من الطرقيين والجهلة.

و- صححت الكثير من العوائد الممقوتة التي كانت مستقرة في عقول الجزائريين إلى حد وصل الكلام عليها من قبيل المحظورات، فعملت على تخلية العقول والقلوب من هذه العادات الفاسدة المستحكمة ثم تحليتها بالأعمال والأفعال الشرعية الموافقة لروح الإسلام.

ن- بيـــنت الإسلام الصحيح المبني على الاتباع والانقياد للأحكام الشرعية كما دعت إلى الرجوع إلى منابع الإسلام الصافية منهجا وسلوكا واعتقادا، فهي بهذا الأساس من المجلات التي حملت راية السلفية في الجزائر ودافعت عن مذهب السلف.

- **وأما من الناحية الاجتماعية:**

فقـــد أولت الشهاب عناية كاملة لأكبر القضايا التي تخص المجتمع الجزائري وعملت على إصلاح الفرد ثم الجماعة حيث:

أ- عـــالجت قضية المرأة المسلمة الجزائرية وحالتها الاجتماعية في ظل الظروف القاسية التي كانت تعانيها، والـــتي قـــد أثيرت حولها عدة إشكالات وتساؤلات وصارت محل جدل باعتبارها شريكة الرجل في الحياة، حيث أثـــرت هـــذه المناقشات ثورة فكرية ودينية، حررت العقول من الجمود والتقليد إلى النظر والتفكير، وإن كان هذا الـــنقاش حول المرأة أضفي عليه الجانب الفقهي الشرعي، وهذا يدل على تبلور الفكر الجزائري وتطوره، ومسايرته للتحولات والتطورات الفكرية السائدة آنذاك، كما يدل على تحرير العقل الجزائري من القيود والأغلال التي كانت تحكمه وتكبله.

ب- أعطـــت لـــلمرأة مكانتها المرموقة، ومنزلتها الاجتماعية، كما فتحت لها مجال المشاركة في الحياة الاجـــتماعية كعنصر فاعل في المجتمع، وغيَّرت النظرة الضيقة والمحدودة نحو المرأة في زمن غلبة الجهل والتقليد والتعصب.

جـــ- أولت عناية تامة بفئة الشباب الجزائري، بل أسست هذه المجلة من أجله، فكانت لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري، كما هو شعارها.

د- اهـــتمت بالشباب الجزائري تعلما وتعليما وتبصيرا له بواقعه في ظل الدعايات المغرضة والحضارة الزائفة التي جعلته يتخبط بين الانفساخ والانسلاخ من مقوماته، وبين الذوبان في الحضارة الغربية حاملا لواء التقليد المنافي لعقيدته وشخصيته وسلوكه.

هـ- قاومت الإلحاد بين الشباب في زمن المدنية الحديثة ومغرياتها، والنداءات المناهضة للإسلام، فعملت على بعث الهمم في إنشاء المدارس والجمعيات والنوادي والكتاتيب للتعليم التهذيب، وفق تعاليم الدين الحنيف، وحثهم على التمسك به علما وعملا، وذلك محافظة على جوهر الإسلام عقيدة وشريعة، كما سعت بكل الوسائل لإنقاذ الشباب المثقف بالثقافة الغربية وإرجاعه إلى حظيرة الإسلام وثقافته.

و- أن الشهاب حققت نتائج مرضية في تكوين الشباب وتعليمهم تعليما إسلاميا موافقا لروح العصر ومتطلبات المدنية الحديثة، ولا أدل من الإقبال الكبير على المدارس والانخراط في الجمعيات والنوادي.

- حاربت الآفات التي كانت مستحكمة في المجتمع الجزائري، وقضت على أغلبها، وبصرت الجزائري بخطرها ونتائجها، كما أجهزت على الرذائل التي كانت منتشرة انتشار النار في الهشيم في ربوع القطر الجزائري، وبينت سوء عاقبتها بالأدلة النقلية والبراهين العقلية.

- حاربت سياسة الفرنسة التي اتبعتها السلطة الاستعمارية في سبيل تحقيق غايتها والتي أرادت من خلالها تحطيم المؤسسات الثقافية العربية الإسلامية والقضاء عليها، حيث تصدت لها وعملت على توهين النفوذ الاستعماري وإضعاف سياسته وإحباط جميع المساومات والمحاولات التي تهدف إلى إخضاع المجتمع الجزائري بشكل عام، وذلك من خلال المحافظة على اللغة العربية وإحيائها تعلما وتعليما.

- وقفت في وجه الحركات التنصيرية التي كانت في ظاهرها تحمل الطابع الإنساني، فحذرت من سوء قصدهم ومن حقيقتهم وأهدافهم وأعمالهم ونشاطهم، كما عملت على نشر الإسلام الصحيح وتبصير المسلمين بدينهم وبيان ما يناقضه ويضاده من الديانات المحرَّفة وخطرها على عقيدة المسلمين، كما سعت في إفشال كل محاولة لتنصير الجزائريين، وقد نجحت في هذا الأمر إلى حد ما، ولا أدل من شهادة الواقع التاريخي.

- ساهمت في انتعاش الحياة الفكرية في أوساط النخبة، وأعطت دفعا قويا للعلماء والمصلحين في تحرير الفكر الجزائري من الجمود والخمود، فهي بهذا الاعتبار مدرسة شعبية على حد تعبير أحمد حماني – عصرية على أحدث نظام وأشهى أسلوب.

- حملت لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما أساس صلاح الدين والمجتمع، فكانت منبرا لذلك، يشهد لها المبادئ التي رفعتها والتي لخصتها في ثلاث أمور:

- المبدأ السياسي: أفصحت عن موقفها من الإدارة الاستعمارية
- المبدأ التهذيبي: عملت على إنارة العقول وتقويم الأخلاق وتطهير العقائد الإسلامية من طريق الإسلام وإرجاع المجتمع إلى الهداية الإسلامية الخالصة.
- المبدأ الانتقادي: الذي جعلتها منطلقا للنقد والنقض عملا بحديث "من رأى منكرا فليغيره" وقد وجدت نفسها مضطرة إلى هذا انتصارا للدين ودفاعا عن الوطن.

هذا وإن بحثنا في مجلة الشهاب ما هو إلا محاولة للوقوف على أهم القضايا التي كانت محل اهتمام وعناية، ويجدر بالباحثين والمهتمين بدارسة الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص، أن يولوا اهتماما بهذه

المجلة، فما يزال فيها من مواضيع وقضايا هامة تخدم الحركة الوطنية والإصلاحية، منها موقفها من القضايا السياسية التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة إضافة إلى موقفها من قضايا الوطن العربي والإسلامي في تلك الفترة أيضا.

وخلاصة الخلاصة، أن الشهاب قد وضعت اللبنة الأولى للحركة الإصلاحية، وكانت ضمن القوى الفاعلة والمجاهدة في سبيل تحرير الوطن الجزائري من الاستعمار وأذنابه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

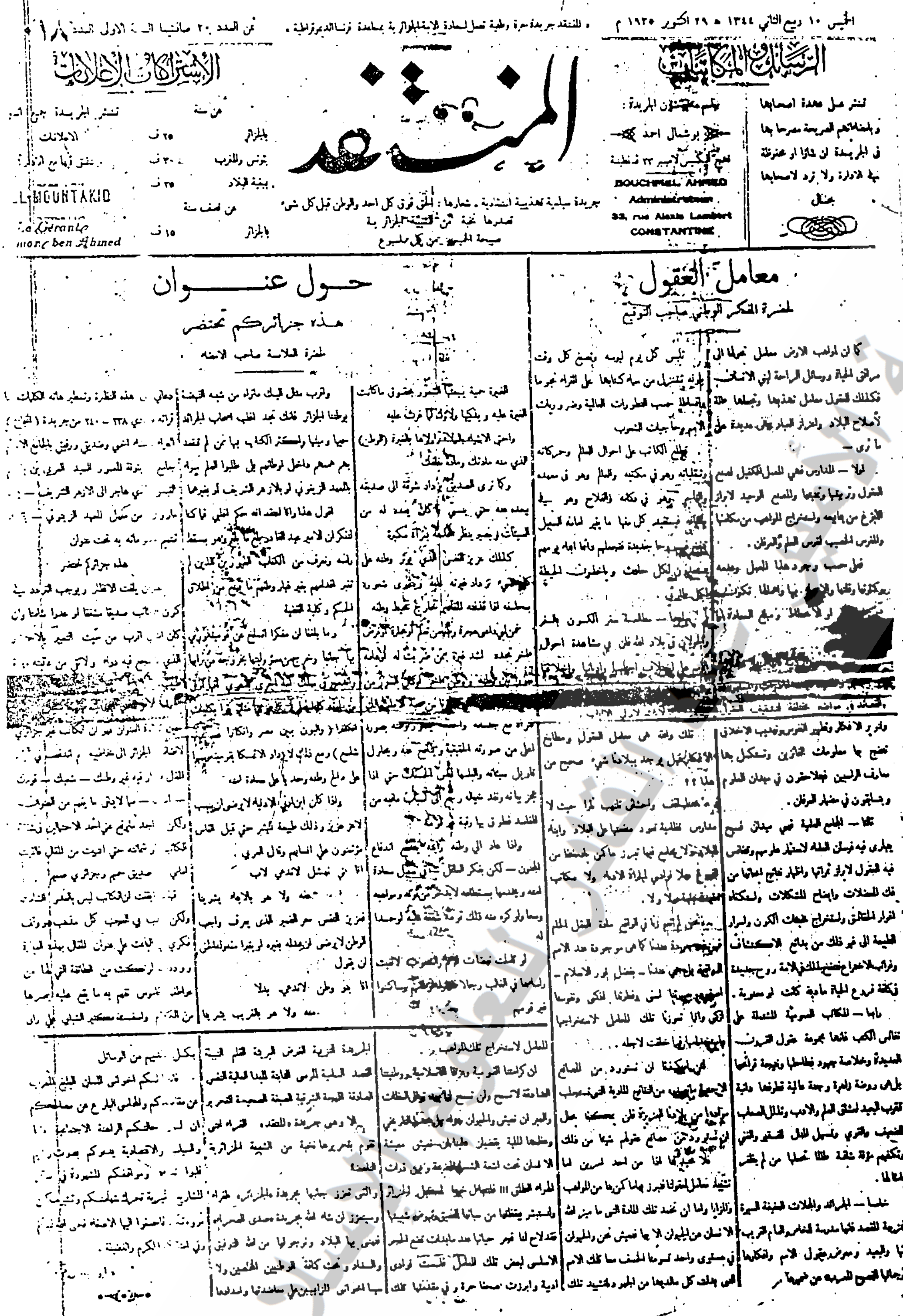

الخميس ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٤ هـ ٢٩ اكتوبر ١٩٢٥ م

المنتقد جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الامة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديموقراطية

ثمن العدد ٢٠ صانتيما السنة الاولى العدد ١٨

المنتقد

جريدة سياسية تهذيبية انتقادية . شعارها : الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء

تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية

الرسائل والمكاتيب

يسلم مكتوبات الجريدة : بوشمال احمد

BOUCHEMAL AHMED Administrateur 33, rue Alexis Lambert CONSTANTINE

الاشتراكات والاعلانات

EL-MOUNTAKID

معامل العقول

لحضرة المفكر الوطني صاحب التوقيع

حول عنوان

هذه جزائركم تحتضر

لحضرة العلامة صاحب الامضاء

الملحق رقم 1: صورة من جريدة المنتقد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الاولى — « الشهاب جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الامة الجزائرية بمساعدة أبنا الديمقراطية » — العدد ٣

المراسلات
تنشر على عهدة اصحابها وباغلبيتهم الصريحة مقرراتها في الجريدة ان شاؤا او محتفظة في الانشرة ولا تزد لاصحابها بحال
الكتابات
باسم مدير شؤون الجريدة وصاحب امتيازها :
بوشمال احمد
نهج البكيس لابير عدد ٢٣ قسنطينة
BOUCHMAL AHMED
ADMINISTRATEUR-GERANT
23 RUE ALEXIS LAMBERT - CONSTANTINE

الشهاب

عام ١٣٤٤

اشتراكات
عن سنة بالجزائر ٥٠ فرنكا بتونس والمغرب ٦٠ فرنكا
بقية البلاد ٢٥ فرنكا عن نصف سنة بالجزائر ١٥ فرنكا
الاعلانات
تنشر الجريدة جميع انواع الاعلانات
وبثمن فيه مع الادارة
ثمن نسخة ٢٥ ص
ACH-CHIHEB

الخميس ٩ جمادى الاولى ١٣ هـ | جريدة سياسية تعدنية انتقادية . شعارها : « الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء » | غرة سبتمبر ١٩٢٥ م

الى الاصلاح الديني

فلنحارب التخاذل المميت

بسلاح التناصر الشديد

قبل لنا من سبيل الى ذلك ، وسلاحنا نبذ الاتفاق فذلك الصدع على قاعدة تقديم القلة على الكثرة ؟

ذلك سبيلنا فيما نعلم — والا نكصنا على الاعقاب ، فكان مثلنا مثل من قعد جبنا تراكمت عليه الاحزان درة تخطف لشعة انوارها الابصار . اليس من المعجزة ان يكون ذلك البايد الذي يفوق جماله الطبيعي ودواعة الفطري جمال ودواء اي دمية عرضة لتهكم الساخرين ولكآبة الناقمين ؟

ما احوجنا الى رجال مخلصين ، يشدون المخاصر وراء السعي في تطهير النفوس المشوهة بدرن التفرق والتخاذل ، وذي صقل وجه الدين المنيف تلك الجوهرة ، التي ابى الله الا ان تبقى صافية الاديم ، ولو عمل العابثون شرواتهم احتيالا على طمسها ، حتى لاتحكى — فيما يزعمون — صور العالم السيئة فيها ، فيوشكوا ينضب اهل غضب ، ويسجل عليهم بالفضيحة وسوء المصير!!

وخليق بنا ان نواصل السعي في خلق رجال الاخلاص والجلد ، ولو كلفنا من التضحيا ما تبذل بسببه انفسنا ، بل وتفرسنا باستخراج ما فيها من المواهب الفكرية والادبية الفاتحة بطرق تفكير في نفوس المتخاذلين المتقاعسين تجريها نار الغيرة على الدين والملة والوطن ، ثم لا البد ان تقلب حكمتان الامة من حالة الى رفعة ومن ذلة الى عزة — فيحة لجاحكك الانكار — لكن تلك غاية تصل اليها ، وليست مما يبعدة ، فما اذا كانت مرافقها قريبة ، وعثرة على الصلاحية في نفسها لان تشبعها من تلك للبادى السابة بحمل الشعب سوقا اليها ، وملتفا حول تعاليمها ، ومتأثرا بصفاء مظهرها ومخطما بكرة بانية اخلاصها ، وذلك هو السر في الوصول الى قيام الرجال النظام عرش هذه الغاية ، والى تصويرهم الوجدانيات في صور محسوسة ، والادواء والادوية في صور كانها ملموسة ، ذلك الامر الذي يعززون به مواطئ الحاجة على التنويه لتسهيله عليها بشعورهم المؤثر في نفوسهم قبل كل احد المبلغ تاثيره ، ليتبينهم انف « الناتحة الثكلى ليست كالنائحة المستاجرة » .

ثم هم من اول خطوة في هذا السبيل يستعدون لمقابلة كل طارئ يصدر رحب ، لان الكتب العزيز شدد في وجوب الاصلاح ، ولو امتنى الى مكالفة الباغي حيث قال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » وسلاحنا المنهج الديني — على اننا اذا سبينا ذلك الكد والنصب والمجاهدة في سبيل اصلاح الدين آلاما وشرورا فلا ضير ، متى نتجنا ان الخيرات الناشئة عن ذلك تدفعها وتعوضنا بدليل استعذاب الميتة مع المرارات ، المصادفة في سبيلها وليس ذلك الا ان الخيرات لا يدوم استجلابها كالتمس اذا جبها الدجى استانف النهار يشرق بانوارها ، واقل تلك المرارات ما يتالم من وصب التاديب واللوم على ما لم يمكن مظلم ، حسبما نعاني به نحن « المخلصون يتخبطون في الظلام على امل من لم يمكن مسلم بقدر ما يبلغ اخلاصهم » .

ولئن تمسكنا بهذا السلاح للسوي الذي يرينا طريق الارشاد لن نخلع بعده ابدا ، بل نتماثل بمرونة التخاذل بشتوبه مثله ، ونقبله بمنظوره البشع في اعين المتخاذلين — تلك الشيمة الشهية الاحلام ، للسلوبة الارادة ، التي لعضل داؤها ، ولطا طوطن نفسادها والتي جعلت الكتب والريبة والملق والدهاء — والمرارة والدباجة والالم والسلف والسماية والغيبة من مطابقها في غضونها وروا حاتها ، كانها من طائفة المبذلين ، الذين يجاذبون الدنايا بمثلها ويدفعون الفكر المتقلد بالدليل الفاسد ، فكانما يعاكم بصول بها لا تبدي انفسكم لتتكبر تم ؟ ، بل تحب جيد انفاسها في حياة تلك الرذائل المجرة نمرة ، والمرج والمرج دينا وفضيلة ، يهاب عن كهال نفس = وهي العاطل = وتضليل اذنابها المتاجرة احزابها ، للمتخلين حتى راجيهم رؤسا ، وابتزاز الاموال من غيرهم بلسم الدين ، الغر ماهي الاجارة عن ضريبة واثارة الصمت والقاضي عن حق مقدس لمحارل الابدي الاجيبة لارهاق وجهه تطويعا لنفوس اولئك المستخذين ، الذين يحسنون لساليب الخضوع ، تاركين دينهم العزيز فريضا لسهام الزرايا والمرتقات ، راضين بالتزر اليسير من الحياة ، والملكن المبسور منها والوحالة ، وشمائم التشدق بكرة واصيلا بقولهم : « الجود نفسه » ، حتى اخي عليهم الدهر كما اخي على لبد

اما الجبام فانها كاخيامهم . واري نساء لحلي غير نساننا ثم هي لو وقعت عند هذا الحد لهان الخطب ، ولكن تراها تغلي في اجتذابها مراجل المتخذ على الجهم ، فيما نترى هؤلاء الذين هم صنيعة بديها على طائفة اخرى تخطفها الحياة من عاداها بعد تجريدها من كل فضيلة لتظفر هي بالشرر المتطاير ، من غير ان ترهب فيها منذرا ، لها بوخامة الغاية في قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ومن دون ان تخشى يقظة الاحرار ، ساخرين عن امثال لشبلعها ، قصد استفراغ ما فيها من الفضلات الاخلاقية للنتنة التي تريها عند المعاب فيها عن السالم ، وتصد ايقاعها في الحبالة المنصوبة ، وهناك يقال لها : فساء صباح المنذرين

واذا كان تلك الصورة تكييف جرثومة التخاذل المستوف لشرايين الشعب الجزائري ، الذي كاد تتمكن البديع من ازدرادة ، وتكوين جبهة من جبار مخلصين تقم الدليل على انه لم يمت ما دام نبض في صدورهم — وان قلوا — تسعى ان تستقيم في ارض نفوس المتخلين المخيبة في اصل فطرتها كل ما راق فيكونون لنا ، كما رجع الخمر الى صفة فاخرة فلنستظل فاستوى على سوقه يعجب الزراع ، وتأتي ايضا ان تقف هذه العدوى المستعرجة بجيودنا المتواصلة من بين قوت دم شعبي في حلوق المتنعمين للكابرين الذين لا يرعوون ولا يشبعون غارة لتعمر قرطماي بتمتع اوارها ، الذي زاد اليهم قالة لم انها اكلة عمرة اللئام فاكتفوا منوالي الاحوال متخذلين فاكلم عبد التفا والهاوم ، يجب قطع دابرهم ولو ادى الامر ان يتاموا — كما يقع في الحروب الطاحنة الدامية — من يحكم عليه بتصوير للاشراف على غايته من التناصر — وسلاحنا الدين والذي يحمي بيضة الدين هو الدين — وحسبنا ذلك

ثم لا ريب ان تتمكن الفاتحة المزتكزة على الاخلاص بقدر ما يمكن في شان ربط العلاقات الدينية ، والتسلي بقوة الاعتصام بعرى الدين والاخوة ، والتحام بيننا الذي يتطلب على الجزائرات المشتبة للوحدة المجلية للاعمال والآمال

(يتبع)

« عبد الحق »

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 2: الشكل الأول لجريدة الشهاب قبل أن يطرأ عليها التغيير

السنة الثانية — ثمن النسخة ٦٠ صانتيما — العدد ١٨

تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية تحت اشراف مؤسسها الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الشهاب
صحيفة سياسية
تهذيبية انتقادية
شعارها :
الحق فوق كل احد
والوطن قبل كل شيء »
مدير شؤون الجريدة
وصاحب امتيازها
احمد بوشمال

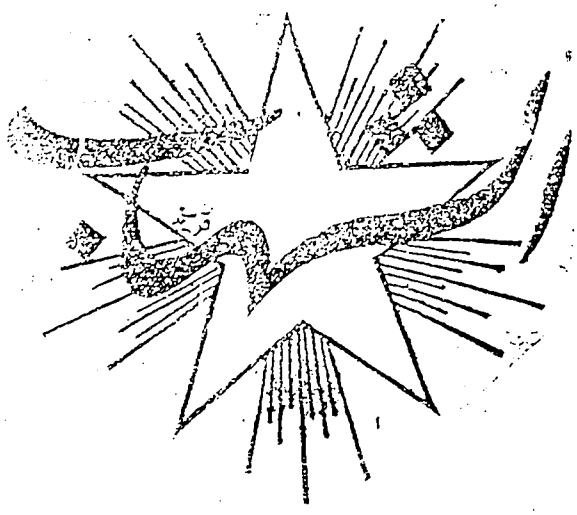

الشهاب
صحيفة حرة وطنية
تعمل
لسعادة الامة الجزائرية
بمساعدة
فرنسا الديمقراطية

ADMINISTRATEUR
GÉRANT
Benchimal Ahmed
13, Rue a. Lambert, 13
CONSTANTINE

قسنطينة يوم الخميس ٢٣ رجب ١٣٤٥ هـ — ٢٧ جانفي ١٩٢٧ م

كلمات العظماء

لينظر جبابرة الارض الى مواطئي اقدامهم ، لينظروا الى الشعوب التي يقهرونها والمبادي التي يزدرونها ،فانه من ثمة سوف تخرج القوة التي تصرعهم .

اناتول فرانس

الملحق رقم3 : صورة لعدد من الشهاب وتحت العنوان نجمة خماسية

الجزء الاول المجلد الخامس

أنشئت سنة ١٣٤٣

الشهاب

مجلة اسلامية جزائرية - شهرية

تبحث في كل ما يرقي المسلم الجزائري

لمنشئها

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

تصدر بقسنطينة غرة كل شهر قمري

مبدؤنا في الاصلاح الديني والدنيوي :

« لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها »

مالك ابن انس

« الحق والعدل والمؤاخات ، في اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات »

منشئ المجلة

المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة

الملحق رقم4 : صورة العدد الأول من الشهاب الشهري

الجزء الرابع المجلد الخامس

قل هذه سبيلي : أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين

أنشئت سنة ١٣٤٣

أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

قسطنطينة غرة ذي الحجة ١٣٤٧ هـ ماي ١٩٢٩ م

مجالس التذكير

ما هو أفضل الاذكار

تمهيد . حالتا العبد . الفتوى النبوية فيهما . القسم العلمي . أفضل الأذكار . آيات في الباب . أحاديث فيه . القرآن يحصل فضل الحالتين . القرآن والذكر القلبي . القرآن والذكر اللساني . القرآن والذكر العملي . بعض علوم القرآن . نتيجة الاستدلال . القسم العملي ، مقدار التلاوة . ما يقصده من التلاوة ، التحذير

تتمة ما في العدد السابق

القسم العملي

مقدار التلاوة

قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخلي ليله ونهاره من تلاوة القرءان وكان — كما قال القرطبي — يختمه في سبع . وهكذا قال لعبد الله بن عمرو (ض) : « واقرأ في كل سبع ليال مرة » وقد كان قال له اولا « واقرأ القرآن في كل شهر » فلما قال انه يطيق اكثر من ذلك نقله الى العشرين والى الخمسة عشر والى العشر وانتهى به الى السبع في قول الاكثر . وكان هذا فعل الاكثرين من السلف .

الملحق رقم5: الصفحة الأولى من مجلة الشهاب

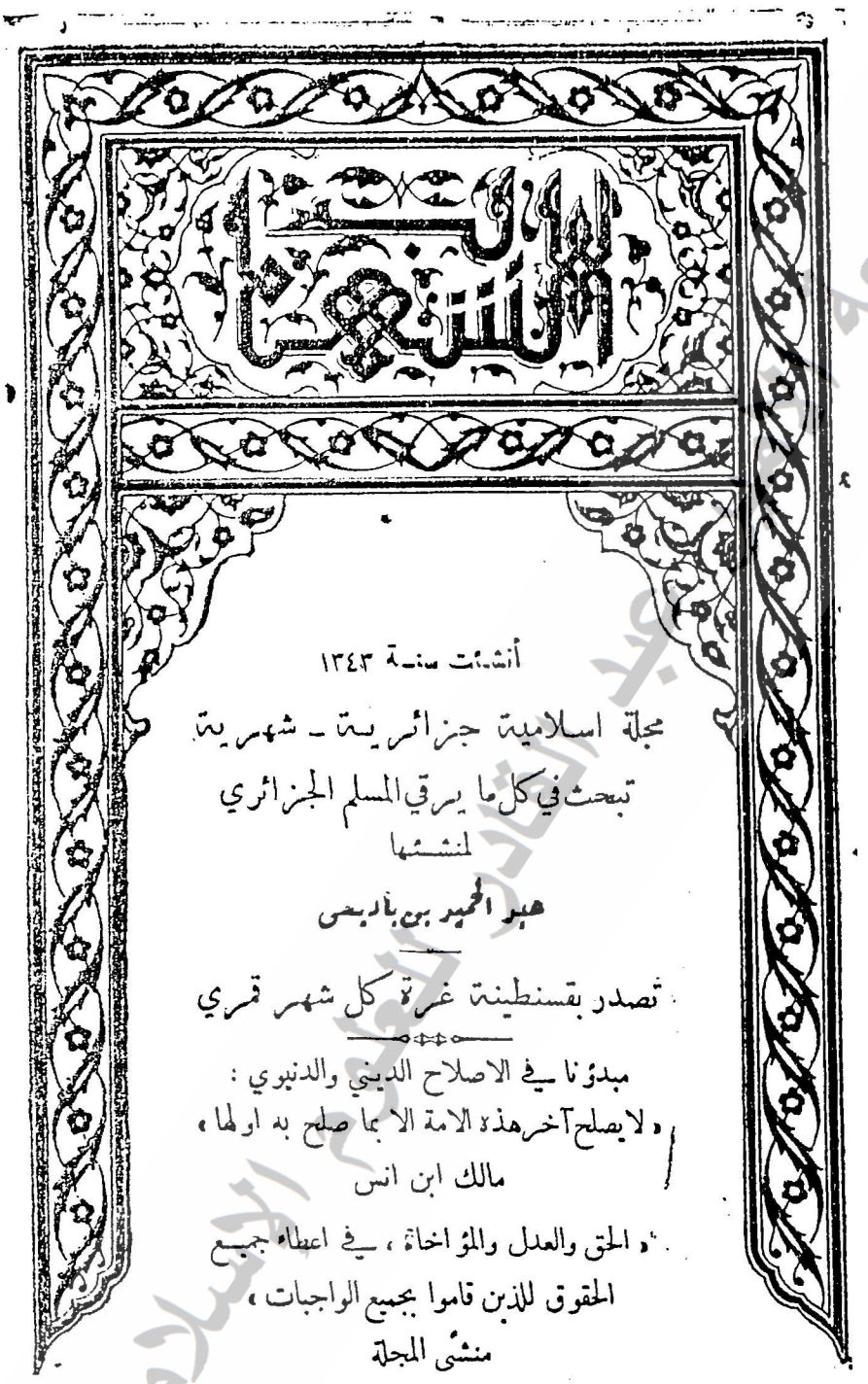

الجزء الاول من المجلد الثاني عشر ج: 1 م: 12 (ثمنه ٥ فرنك)

مع هذا الجزء رسم الاستاذ الابراهيمي

الملحق رقم6: صورة عن تغير الشهاب الشهري من حيث الشكل والمضمون مع حذف الكلمات الأربع المثبتة في الأعداد السابقة

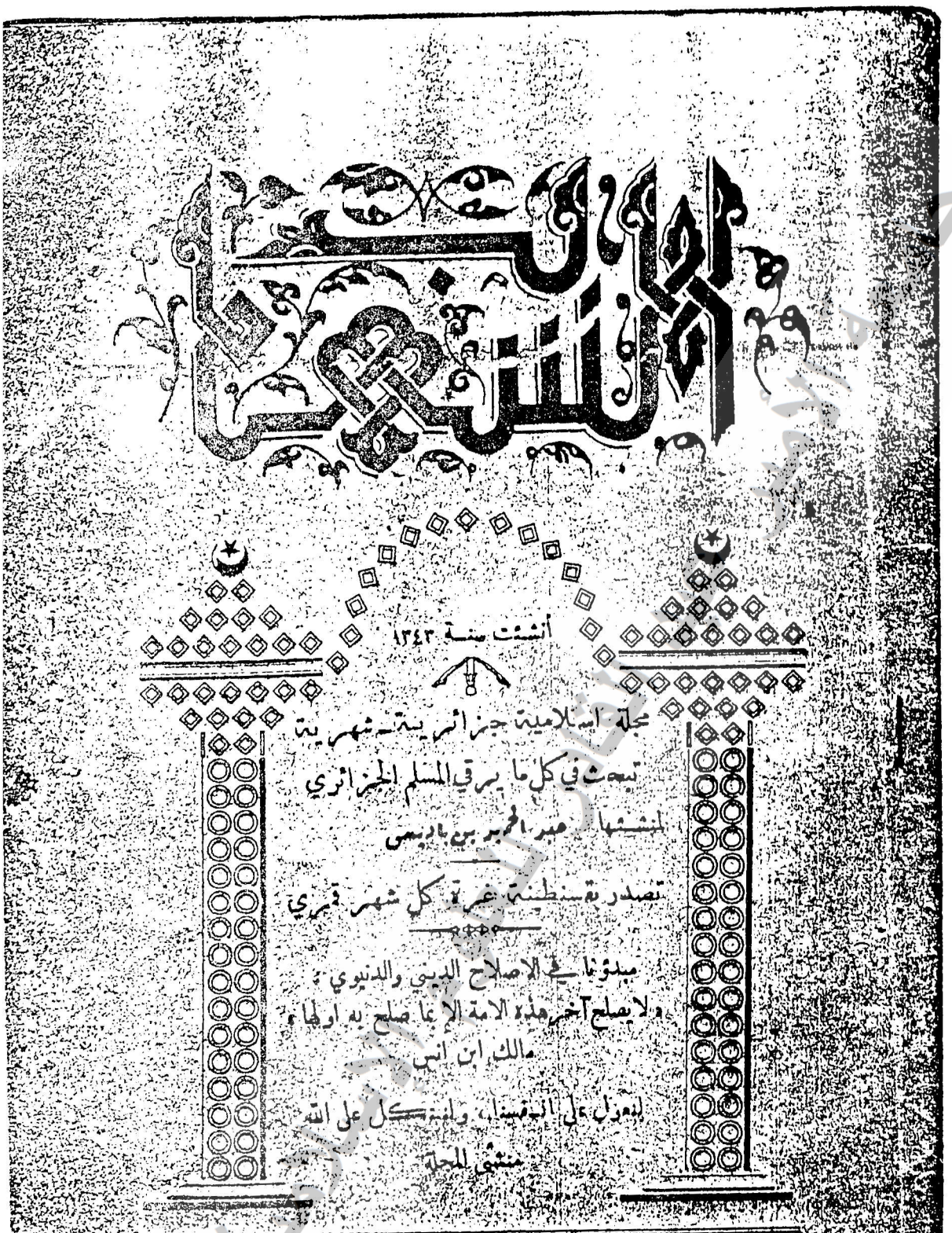

الملحق رقم7: الشكل الأخير للمجلة مع تغير جذري من حيث الشكل والمضمون

الملحق رقم 8

تراجم أهم كتاب الشهاب الذين ساهموا بقسط كبير في الكتابة فيها.

مع قائمة من المراجع لتراجم كل كاتب.

1- أبو يعلى الزواوي: (1295هـ-1373هـ-1878م-1952م).

هو السعيد بن محمد الشريف، ولد بقرية تعارست بزواوة، ومن ثم نسبته الزواوي، درس في زواوة على شيوخها، وحفظ القرآن، قضى تعليمه في تعلم العربية وآدابها ودراسة الفقه، سافر إلى سوريا واشتغل بالصحافة العربية، رجع إلى الجزائر سنة 1920 فاشتغل بالكتابة في الصحافة، حيث ملأ الصحف الجزائرية الإصلاحية بمقالات كثيرة، كتب في المنتقد والشهاب، وصدى الصحراء والنجاح...له اشتغال بالفقه والتاريخ، من أبرز أعضاء جمعية العلماء ومن المصلحين الذين حاربوا الخرافات والبدع في كتاباته، له آثار مطبوعة ومخطوطة، من آثاره المطبوعة: "الإسلام الصحيح"، "جماعة المسلمين" و"ديوان خطب".

للإطلاع راجع:

- المدني، كتاب الجزائر، ص. 94.
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.2، ص.ص. 145-155.
- عادل نويهض، معجم الإعلام، ص. 164.
- الشهاب، عدد 95، 6 ماي 1927، ص. 1.
- الشهاب، عدد 34، جويلية 1926، ص. 3.

2 - أحمد توفيق المدني: (1899-1983م)

ولد بتونس من أصول جزائرية، تعلم المبادئ الدينية، وانتسب إلى المدرسة الخلدونية واصل دراسته بين عام 1913 وعام 1915 بالزيتونة وتخرج منها، له ثقافة واسعة، عرف بنضاله الوطني وبنشاطه السياسي، كان من مؤسسي الحزب الدستوري، وجمعية العلماء ونادي الترقي بالعاصمة، له نزعة ثورية، شارك بقلمه وكتاباته في الصحف الوطنية الجزائرية، والمجلات الثقافية بمقالات وأبحاث تاريخية وسياسية، صال صولات وجولات عريقة ما يزيد على عشرة أعوام منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهري، وبعد الاستقلال تقلد عدة مناصب منها: سفير العراق، تركيا، والباكستان 1971، عين مستشارا ومؤرخا بالمركز الوطني للدراسات التاريخية ومشرفا على القسم العثماني، إلى أن توفاه الله يوم 18 أكتوبر 1883، من آثاره: كتاب الجزائر، حياة كفاح...

للإطلاع راجع:

- Ali Merad. La refamisme musulman , p.166.
- عبد الله مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص 207.
- فاطمة تازير وفضيلة نكور، أحمد توفيق المدني، التاريخ، عدد 18، ص. 7-8.
- المدني، حياة كفاح، ج.1، ج.2، ج.3.
- محمد بلقزد، الشيخ أحمد توفيق المدني، التاريخ، عدد 18، ص.ص.77-106.
- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي، ص. 489.

4- الطيب العقبي: (1307هـ-1377هـ-1890-1957م).

الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح، وإلى هذا ينسب كل فرد من عائلته، ولد ببلدة سيد عقبة، انتقل مع عائلته إلى الحجاز سنة 1313 هـ وهو لم يبلغ سن التمييز واستقر بالمدينة النبوية، أخذ العلم عن جميع من الأساتذة والشيوخ، شارك في الحياة السياسية هناك قبل الحرب العالمية وبعدها، عين مديرا لجريدة "القبلة" من طرف الشريف حسين، رجع إلى الجزائر في مارس 1920 وعمره 31 سنة استطاع أن يبعث في الجزائر نوعا من اليقظة ولونا من النهضة الأدبية والإصلاحية، كما كان خطيبا ومرشدا بعد تأسيس نادي الترقي، شارك في تأسيس جمعية العلماء، عين نائبا للكاتب العام للجمعية، أسس جريدة الإصلاح (1928-1948) شارك بقلمه في إثراء الحركة الصحفية، توفي بالعاصمة بداء السكري عام 1957م.

للإطلاع راجع:

- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر العصر الحاضر، ج.1،ص-ص.125-127.
- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج.1. ص-ص.104-124.
- محمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.2.ص.230.
- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي، ص.496.
- محمد الطاهر فضلاء، الشيخ الطيب العقبي، الثقافة، عدد 66، ص.ص 35-53.
- Ali Merad. La refamisme musulman , p.93-106 .

5- عبد الحميد بن باديس: (1889-1940م).

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، من مواليد مدينة قسنطينة من أسرة علم وجاه، أتم حفظ القرآن الكريم في سنة مبكرة، وارتحل عام 1908 إلى تونس حيث التحق بجامع الزيتونة، فقضى هناك

أربع سنين، رجع إلى الجزائر، ثم رحل حاجا إلى الحجاز، وفي سنة 1913، بدأ حركته التعليمية مدرسا ومعلما وواعظا بالجامع الأخضر، ومسجد سيدي قموش، ربط بين حركته التعليمية والنشاط الصحفي فأسس جريدة المنتقد سنة 1925 ثم الشهاب، عين عام 1931 رئيسا لجمعية العلماء المسلمين، ساهم في نشر الدعوة الإصلاحية السلفية في الجزائر، عدّه أكثر الكتاب أب النهضة الجزائرية ومجددها، له آثار مطبوعة، توفي سنة 1940.

للإطلاع راجع:

- عمار طالبي، آثار ابن باديس، ج.1، ص. 72.
- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص.ص. 191-192.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.1، ص.217.
- سلسلة نوابغ العرب، مجموعة من الأساتذة، ص.ص.53-56.

Ali Merad. La refamisme musulman , p.p 80-86.

- علي مرحوم، عبد الحميد بن باديس، الثقافة، عدد 56، ص.ص.13-35.

6- محمد السعيد الزاهري (1899-1957م).

ولد بقرية ليانة قرب بسكرة، تتلمذ على يد الشيخ بن باديس في قسنطينة ثم درس بالزيتونة وحصل على شهادة التطويع سنة 1924، وهو شاعر وصحفي وكاتب من رجال الحركة الإصلاحية، أسس جريدة الجزائر سنة 1925، والبرق سنة 1927، كان عنيفا في نقد الطرقية والهجوم على البدع، كما عرف أيضا بأسلوبه الحاد يهاجم خصومه بعنف فيها غير قليل من التهكم والسخرية، له مقالات كثيرة في الصحف الإصلاحية خاصة منها (الشهاب)، كما كتب مقالات كثيرة أيضا في صحف المشرق لا سيما "الرسالة" و"المقتطف" و"الفتح"، تدهورت أحواله واضطربت سيرته السياسية إبان قيام الثورة التحريرية، فتلوثت سمعته السياسية، فاضطرت الثورة إلى أن تجعل حدا لحياته، من آثاره: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير.

للإطلاع راجع:

- عادل نويهض- معجم الأعلام، ص. 157.
- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج.1، ص.62.
- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي، ص.510-511.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.2، ص.
- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص.85.

- جريدة الشهاب عدد 84-87-101.
- جريدة البرق عدد 19، ص.1.
- جريدة البرق عدد 22، ص.1.

Ali Merad. La refamisme musulman , p. 111.

7- مبارك الميلي: (1316هـ-1364-1998-1945).

هو الشيخ مبارك بن محمد بن مبارك الميلي، نسبه إلى الميلية (جيجل)، ولد فيها ثم حل بميلة، من تلاميذة الأستاذ عبد الحميد بن باديس الأولين، أتم دراسته الابتدائية ثم التحق بمعهد ابن باديس سنة 1929، سافر إلى تونس وأتم دراسته بجامع الزيتونة، وهو من العلماء الذين رفعوا راية العلم والإصلاح في الجزائر، وكان عضوا بارزا في جمعية العلماء، ساهم في إثراء الحركة الصحفية، تولى التحرير في جريدة المنتقد ثم الشهاب، وأسند إليه رئاسة التحرير في جريدة البصائر أسس بميلة مدرسة الحياة، ومسجد وجامعا، أهم ما اشتهر به هو كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث، وكتابه، "رسالة الشرك ومظاهره".

للإطلاع راجع:

- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج.1.
- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج.2، ص.ص.14-16.
- أحمد الخطيب، جمعية العلماء، ص.164.
- المدني، كتاب الجزائر، ص.93.
- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي، ص.503.
- حمزة بوكوشة، "الأستاذ الميلي عالم حجة نظار"، الثقافة 88.ص.ص119-121.
- محمد صالح الجابري، "المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية"، الثقافة 102، ص.ص. 19-35.

-Ali Merad. La refamisme musulman , p.19-35.

8- محمد العاصمي (1888-1951م):

ولد بنواحي بلدة المنصورة في بلاد القبائل، وتعلم بزاوية الهامل، ثم درّس بها بالأغواط ومدينة الجزائر، وكان شيخا عالما، أديبا واسع الإطلاع، له اشتغال بالصحافة، عين مفتيا للمذهب الحنفي سنة 1944، وكان من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ثم انقلب عنها في الأربعينيات، حيث أصدر مجلة "صوت المسجد" لسان حال رجال الدين الرسميين، توفي إثر حادث بسيارته بالعاصمة.

للإطلاع راجع:

- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج.2، ص.173.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص.212.
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص.94.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.2، ص.230.

9- المولود الحافظي (1895-1948).

من مواليد قرية بوقاعة (ضواحي سطيف)، تعلم بها، ثم بالأزهر بمصر، وهناك أتم دراسته، بدأ نشاطه الصحفي منذ سنة 1925 ساهم بقدر كبير في الصحافة الإصلاحية في العشرينيات بكتاباته ومقالاته، وكانت الشهاب الأسبوعي قبلة له، انشق عن الحركة الإصلاحية بعد تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 وكان من أنصار جمعية علماء السنة سنة 1932، تولى رئاسة تحرير جريدة "الإخلاص" لسان حال هذه الجمعية، تقلد عدة وظائف إدارية.

للإطلاع راجع:

- محمد ناصر المقالة الصحفية، ج.2، ص.222.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص.118.

10- محمد الهادي السنوسي (1320هـ-1383هـ-1902م-1968م).

شاعر وأديب ولد بقرية "ليانة" قرب بسكرة تعلم بقسنطينة وتونس، شارك بقلمه في النهضة الإصلاحية، حيث كان من أوائل معلمي المدارس الحرة للجمعية، وقد ألجأته ظروف قاهرة في الحرب العالمية الثانية إلى العمل بالإذاعة الجزائرية ليعود بعد الاستقلال إلى التعليم الثانوي، من الصحف الأولى التي كان ينشر فيها قصائده ونثره: "المنتقد" والذي كان يلقب "بشاعر المنتقد"، ثم الشهاب من آثاره: شعراء الجزائر في العصر الحاضر جزئين، طبع بتونس، أناشيد مدرسية وروايات تمثيلية.

للإطلاع راجع:

- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج.1.
- عادل نويهض، معجم الأعلام، ص.157-158.

11- محمد بن الحاج الطرابلسي (1887-1948).

ولد بمدينة طرابلس، وكان والده قد نزح إليها من بريان (جنوب الجزائر) حفظ القرآن الكريم، وأتقن

تجويده بالروايات السبع، واشتغل بمدارس الاتحاد الترقي، وبعد الاحتلال الإيطالي لطرابلس غادرها عائدا إلى مسقط رأسه "بريان" اشتغل بالتعليم طوال حياته منتقلا ما بين القرارة وبريان وبسكرة وقسنطينة، شارك بقلمه في الصحف العربية شعرا ونثرا، وهو عضوا بارزا في جمعية العلماء، وكان من المصلحين البارزين في ميزاب، والجزائر، جاهد لإصلاح المجتمع بلسانه ومقالاته في الصحف سيما جريدة الشهاب، والإصلاح، ووادي ميزاب.

للإطلاع راجع:

- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج.2، ص.121.
- محمد دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج.2، ص.ص.222-225.
- محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج.2،ص.ص.229.
- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص.680.

12- محمد العيد آل خليفة (1904-1979).

ولد محمد العيد في مدينة (عين البيضاء) من أسرة دينية عريقة، تعلم القرآن الكريم واللغة العربية في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى بسكرة ودرس على بعض شيوخها، وفي سنة 1922 غادر بسكرة إلى تونس لمدة سنتين انخرط في سلك تلامذة جامع الزيتونة، عاد إلى الجزائر (بسكرة)، وأصدر مع العمودي جريدة صدى الصحراء، ومع العقبي جريدة الإصلاح، كما ساهم في مد جريدة الشهاب بالقصائد البديعة ذات الاتجاه الإصلاحي، وفي سنة 1927 وكلت إليه مهمة التدريس بمدرسة الشبيبة الإسلامية، كما أسهم تأسيس جمعية العلماء، وفي عام 1954 ألقى عليه القبض ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية، له ديوان شعر وملحمة شعرية.

للإطلاع راجع:

- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج.1، ص.12.
- أبو القاسم سعد الله، محمد العيد، ص.29.
- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص.66-67.

الملحق رقم 9

قائمة بالأسماء المستعارة وأصحابها الحقيقيين.

نظرا للظروف العصيبة التي كان كتاب الجرائد والمجلات يتعرضون إليها من طرف الاستعمار الفرنسي فقد كانوا يلجئون إلى التوقيع بإمضاءات مستعارة تقية وحذرا من الإجراءات والعقوبات التي تستخدمها الإدارة ضدهم إما بالسجن أو بحجز الجرائد ومنعها من الصدور وبذلك تتعطل المسيرة النضالية لهذه الجرائد.

وقد بقيت الكثير من الإمضاءات مجهولة، الأمر أدى بنا إلى أن نجهل الكثير من المقالات وأصحابها. وهذه بعض الإمضاءات التي استطعنا أن نقف على أصحابها بهذه الإمضاءات المستعارة، مستعينين ببعض من سبقونا إلى هذا الأمر كمحمد ناصر وغيره.

الاسم المستعار	الاسم الحقيقي
ابن حمديس	الطاهر بوشوشي
ابن الشبيبة	الطاهر بوشوشي
شاعر المنتقد	محمد الهادي السنوسي
الغريب	محمد اللقاني بن السائح
بيضاوي	مبارك الميلي
السلفي	مبارك الميلي
الهلالي	مبارك الميلي
إصلاحي	مبارك الميلي
تأبط شرا	محمد السعيد الزاهري
الراصد	محمد السعيد الزاهري
رقيب	محمد السعيد الزاهري
الخبير	أحمد توفيق المدني
المنصور	أحمد توفيق المدني
نفريث	أحمد توفيق المدني
الجزائري	أحمد توفيق المدني
العبسي	ابن باديس
القسنطيني	ابن باديس
رشيد	محمد العابد الجلالي
كاتب كبير	محمد العاصمي
السلفي-أيضا	أبو يعلى الزواوي
الفرقد	سليمان بن يحيى بوجناح
ف	سليمان بن يحيى بوجناح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ع	الطيب العقبي
سلفي	الطيب العقبي
سمهري	محمد الأمين العمودي
الفتى القبائلي	باعزيز بن عمر
الفتى الزواوي	باعزيز بن عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر الأولية

I- الوثائق الأرشيفية:

1-Note du C.I.E au préfet de Constantine N° I.oI 6.Historique et position du parti du peuple Algerien. Du parti Comniste de l'Algerie et du Cingrés musulman (4 Décembre 1941) Archives Historique wilaya de Constantine.

II- الكتب باللغة العربية:

1- أحمد ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج.2،(د.ط)، دار المعرفة بيروت.

2- أحمد ابن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق، محمد الصادق قمحاوي، ج.5، (د.ط) دار المصحف، القاهرة.

3-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط.2، دار الكتاب البليدة، 1382هـ-1963م.

4- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى، تحقيق: مصطفى عبد الرزاق، ط.1، دار الغرب، القاهرة 1957.

5- جمال الدين يوسف بن تغرى الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان ج.4، (د.ط) المؤسسة المصرية للتأليف والنشر والترجمة.

6- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت.

7- الخطابي، مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعه تهذيب بن القيم، تحقيق محمد حامد الفقهي،ج. 5، (د.ط)، مطبعة السنة المحمدية، 1368هـ-1941.

8-شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج.1، (د.ط)، القاهرة، 1352هـ.

9-الشاطبي أبو إسحاق، الاعتصام، تحقيق: سليم الهلالي، ج.1، ط.1 دار بن عفاف 1418هـ-1997م.

10- ابن أبي عاصم، كتاب السُّنَّة، ج.1، المكتب الإسلامي، دمشق، 1980م

11- عبد الرحمن ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج.6،ط.1، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، الهند، 1372هـ-1953.

12- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة. (د.ط) دار الجيل، بيروت.

13- عثمان بن حسنين المالكي، سراح السالك شرح أسهل المسالك، ج.2، (د.ط)، مؤسسة العصى للمنشورات الإسلامية.

14- علي بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج.1، ط.1، دار ابن عفان، 1418هـ-1997م.

15- عماد الدين ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج.3،ط.1، دار الفيحاء، دمشق 1994.

16- علاء الدين الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ج.7،ط.1، دار الكتاب العربي بيروت.

17- عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج.1،ط.1، دار اليقظة العربية، 1371 هـ-1971م.

18- القسطلاني، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللادنية، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ج.4، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1996.

19 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج.7،(د.ط)، دار الفكر بيروت.

20- مالك بن أنس، الموطأ، (رواية أبي مصعب) تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود محمد خليل، ج.1،ط.2، مؤسسة الرسالة بيروت 1413حـ-1993م.

21- مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، ط.1، دار الراية، الرياض 1422هـ-2001م.

22- محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (د.ط) دار الشهاب، الجزائر 1992.

23- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، ج.5، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997.

24- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج.2، ش.و.ن.ت، الجزائر.

25- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، ج.1، (د ط). دار نهر النيل.

26- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن،ج.22، ط.4، دار المعرفة.بيروت 1400- 1980م.

27- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي من الأحاديث النبوية، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، ج.2،ط.1، دار الراية الرياض، 1418هـ-1998م.

28- محمد ابن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، ج.2،ط.1، مطبعة السعادة، مصر، 1331هـ.

29- محمد بن عبد الله بن العربي، عارضة الأحوذي، لشرح صحيح الترمذي، ج.4، (د.ط)، دار الكتاب العربي.

30- محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، (د.ط)، المطبعة السلفية القاهرة 1346هـ-1927م.

31- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج.12، ط.1، مطبعة المنار، مصر 1353هـ-1934م.

32- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ عبده، ج.1، (د.ط) مطبعة المنار مصر 1350 هـ-1931م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

33- محمد رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم ودراسة: وجيه كوثراني، ط.1، دار الطبعة، بيروت 1980م.

34- محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط.2، مطبعة الاعتدال، دمشق 1352 هـ 1934م.

35- محمد عبده، الثائر جمال الدين الأفغاني في رسالة الرد على الدهريين، (د.ط)، دار الشهاب، الجزائر 1992.

36- محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم المدنية، ط.4، مطبعة المنار مصر 1931.

37- محمد عبده، رسالة التوحيد، تعليق: رشيد رضا، ط.13، المنار، القاهرة 1968.

38- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج.2،ط.1، المطبعة العربية 1371هـ-1971م.

39- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج.3، ط.1، المطبعة العربية، 1389هـ-1969م.

40- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج.2، ط.1، مطبعة البعث الجزائر 1976.

41- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج.1، ط.1، المطبعة التونسية تونس، 1345هـ-1926م.

42- وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج.3، ط.1، دار البعث الجزائر، 1405هـ-1974م.

43- وزارة الشؤون الدينية، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط.1، مطبوعات الوزارة، الجزائر 1403هـ-1983م.

44- يوسف ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج.23، (د.ط)، مكتبة المؤيد 1991.

المذكرات:

1 - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)،ج.52 (د ط).ش.و.ن.ت.الجزائر.

2- عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر(1920-1936 ج.1، م.و.ك، الجزائر 1948.

3 - محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته،(د ط)، دار الثقافة، بيروت 1927.

4 - محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين،(د ط)، مطبعة دحلب.1985.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5 - محمد سعيد (الأمير)، مذكراتي،ط.2، مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1371هـ-1951م.

6 - محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،(د.ط)، ش.و.ن.ت. الجزائر 1979م

الدوريات:

بالعربية:

1-الشهاب (1925-1939).

2- الأمين العمودي،" المرأة المسلمة الجزائرية"، الإصلاح، العدد 08، 7 جمادى الثانية الموافق لـ: 28نوفمبر1929م

3- ابن باديس،" خطتنا ومبادئنا وغاياتنا وشعارنا"، المنتقد، عدد 1، 11 ذي الحجة 1343هـ الموافق: 2جويلية 1925م.

4- ابن باديس، "المنتقد والوشاة"، المنتقد، عدد 14،12 ربيع الأول 1344هـ الموافق: 01 أكتوبر 1925م.

5- أحمد بن عبد الحفيظ السرحاني، "الإسلام لا يقدس الأشخاص"، البصائر، عدد 121، جمادى الأولى 1357هـ الموافق لـ: جويلية 1938م.

6- بلقاسم بن أوراق، "الزردة رأس كل شر"، البصائر، عدد 63، 4 صفر 1354 هـ الموافق لـ: نوفمبر 1934م.

7- حمزة بوكوشة، "حجاب المرأة دين"، البصائر، عدد58، 29 ذي الحجة 1355هـ الموافق لـ: 02 مارس 1937م.

8- الطيب العقبي، "جريدة المنتقد في نظر الكتاب"، المنتقد، عدد05، 11 محرم 1344هـ الموافق لـ: 30جويلية 1925م.

9- الطيب العقبي، "إلى الأمام إلى الأمام"، البرق، عدد 7، 16 شوال 1345هـ الموافق لـ: 18 أفريل 1927م.

10- عبد الحفيظ الهاشمي، "كثرة الازدحام في المقاهي دليل على فشو البطالة"، النجاح، عدد850، 16 شعبان 1348هـ الموافق لـ: 26 جانفي 1930م.

11- عمر بن عيسى بن إبراهيم، "البغاء الرسمي وأضراره"، البصائر، العدد59، محرم 1355هـ الموافق لـ: 19 مارس 1937م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

12- الفرقد، "الضمير"، وادي ميزاب، العدد 84، 04 ذي الحجة 1346هـ الموافق لـ: 25 ماي 1928م.

13- مبارك الميلي، "حاجتنا إلى الإصلاح"، الإصلاح، عدد 05، جمادى الأولى 1348هـ الموافق لـ: 17 أكتوبر 1929م.

14- مجموعة من أولياء التلاميذ،"ذوو الأقدار" البرق، عدد 19، 15 محرم 1346 هـ الموافق لـ: 12 جويلية 1927م.

15- مجهول، "أهذا يعامل العلماء"، النجاح، عدد382، جمادى الثانية 1345هـ الموافق لـ: 17 ديسمبر 1934م.

16- محمد السعيد الزاهري، "التفرنج الآثم، "البرق، عدد 04، 24 رمضان 1345هـ الموافق لـ: 28 مارس 1927م.

17-"الخرافات والتعصب الأعمى"، البرق، عدد 02، 10 صفر 1346 هـ الموافق لـ: 18 أوت 1927م.

18-محمد الصالح خبشاش، "عوائق تقدم الجزائريين"، المنتقد، عدد 04، 3 محرم 1343هـ الموافق لـ: 23 جويلية 1925م.

19- محمد رشيد رضا، "مجلة المنار" المنار، ج.1، م.1، ط.2، شوال 1315هـ الموافق لـ: مارس 1888م.

20-"رسالة التوحيد"، المنار، ج.32، م.1، جمادى الثاني 1316 هـ الموافق لـ:1899م.

21-"المسيحية الإسلامية الملقبة بالأحمدية"، المنار، ج.8، م.24، 30 ذي الحجة 1341 هـ الموافق لـ: 13 أغسطس 1923م.

22- أبو يعلى الزواوي، "نحن الإصلاحيين وخصماؤنا" البصائر، عدد 04، 20شوال 1345 هـ الموافق لـ: 24 جانفي 1936م.

23- أبو اليقظان، "شعور الأمة نائم فماذا ينبهه"، وادي ميزاب ، عدد 42، 29 محرم 1346، هـ الموافق لـ: 29 جويلية 1927م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالفرنسية:

1- Cloud collot, « le Régime Juridique de la presse musulman Algériennes » dons : Revue Algérienne des Science Juridique, économique et politique n° 2, 2em trimestre juin 1969.
2- Bergue Augutin, « les intellectuel Algériens », in R.A,n° 91 1947.
3- Desparmet, -j-, « la politique des oulamaa Algériens (1911-1937) » in l'A.F, n°7 juillet 1937.
4- Despamet, jean, « Naissance d'une histoire national de l'Algérie » in l'A.F, n°7 juillet 1933.
5- Minout jean, « les élection indigénes aux delégation financiares », in A.F n°2, février 1935.
6-Mouhandis, -L, « cheikh. B. Badis à tunis », in A.F, n°6 juin 1937.

المراجع:

الكتب بالعربية:

1- إبراهيم سليمان الجبهان، معاول الهدم في النصرانية والتبشير، ط.1، دار الفتح الشارقة 1415هـ-1995م.

2- إحسان حنفي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط.1، منشورات المكتب التجاري، بيروت 1961م.

3- أحمد آل بوطامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، ط.2، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة 1395هـ.

4- أحمد أمين، زعماء الإصلاح، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت 1979م.

5- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج.2،ط.1، دار البعث، الجزائر 1405هـ-1984م.

6- أحمد الخطيب، جمعية المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)، ط.1 دار القلم، دمشق 1408هـ-1988م.

7- أحمد شلبي، المجتمع الإسلامي (أسس، تكوينه، أسباب تدهوره، الطريق إلى إصلاحه)، ط. 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1967م.

8- أحمد نبيل بلاسي، الاتجاه العري الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1980م.

9- جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830إلى 1960، ط.1، دار المعارف، القاهرة 1959م.

10- حميدة عميراوي، حمدان بن عثمان خوجة، ط.1، دار البعث، الجزائر 1987م.

11- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، (د.ط)، دار الأمة، الجزائر 1980م.

12- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر1981م.

13- ربيع بن هادي المدخلي، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الكتب والرجال والطوائف، (د.ط)، مكتبة الصحابة، جدة 1992م.

14- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج.4، (د.ط)، م.و.ك، الجزائر 1985م.

15- سليمان الصيد، صالح بن مهنا، ط.4، دار البعث، الجزائر 1983م.

16- سليمان الصيد، الشخصية الوطنية عبر التاريخ، (د.ط)، دار البعث، الجزائر1979م.

17- صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، (ط.د)، م.و.ك، الجزائر 1984م.

18- صالح العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ج.2،ط.3، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 1419 هـ.

19- صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، (د.ط)، الزيتونة للإعلام والنشر، الجزائر 1989م.

20- صلاح الدين مقبول، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الجماعات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها، ج.1،ط.2، دار ابن الأثير، الكويت 1996م.

21- صابر طعيمة، العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، ط.1، دار الحداثة 1980م.

22- عبد الإله بلقزيز، الخطاب الإصلاحي في المغرب، التكوين والمصادر، ط.1، دار المنتخب، بيروت 1997م.

23- عبد الجليل شلبي، معركة التبشير والإسلام، ط.1، مؤسسة الخليج 1409هـ-1989م.

24- عبد الحليم عويس، أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإصلاحي الجزائري، (ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب،مركز البحوث)،ج.2، الرياض، جامعة الإمام.

25- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، م.و.ك، الجزائر 1984م.

26- عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م.

27- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط.1، دار الأمة، الجزائر 1980م.

28- عبد القادر المغربي، جمال الدين الأفغاني، (د.ط) دار المعارف، مصر 1948م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

29- عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، (1931-1945)، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 1996م.

30- عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، (1931-1945)، ط.1، دار البعث، الجزائر 1401هـ-1981م.

31- عبد الرحمن الملك مرتاض، النثر الأدبي (1931-1954)، (د.ط)، د.م.ج، الجزائر 1983م.

32- عبد المنعم أحمد النمر، البابية والبهائية، (د.ط)، مطبعة الشهاب، الجزائر.

33- عزي عبد الرحمن، عالم الاتصال، (د.ط)، د.م.ج، الجزائر 1982م.

34- علي حسن عبد الحميد، التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية، ط.2، دار التوحيد، الرياض.

35- علي حسنين الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،ط.2، دار الكتاب العربي القاهرة، 1370 هـ-1962م.

36- عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة (1954-1962)، (د.ط)، م.و.ك، الجزائر 1985م.

37- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)،ج.2، ط.4، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.

38- الحركة الوطنية الجزائرية، (1930-1945)، ج.3، ط.4، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م.

39- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.1،ط.3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م.

40- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.2،ط.3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م.

41- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.3،ط.3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م.

42- تاريخ الجزائر الثقافي، ج.5،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.

43- تاريخ الجزائر الثقافي، ج.3،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.

44- لويس برنارد، أصول الإسماعيلية الفاطمية والقرمطية، ط.1، دار الحداثة 1980.

45- مازن صلاح الدين حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)، ط.1، دار القلم، دمشق 1408 هـ-1988م.

46- مجموعة من الأساتذة، سلسلة نوابغ العرب (ابن باديس)، (د.ط)، دار العودة بيروت 1946م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

47- محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، (د.ط)، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الجزائر.

48- محمد حسين الجيزاني، قواعد معرفة البدع، ط.1، دار بن الجوزي، السعودية 1998م.

49- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ط.8، دار الشهاب، الجزائر 1987م.

50- محمد السعيد رزار، بدر التمام في اختصار الاعتصام، (د.ط)، دار الإمام مالكن الجزائر 1419هـ-1999م.

51- محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ط.1، دار البعث، الجزائر 1981م.

52- محمد عباس، رواد الوطنية، ج.2، (د.ط)، مطبعة دحلب، الجزائر 1992م.

53- محمد عيد عباسي، بدعة التعصب المذهبي وآثارها الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين،ط.2، المكتبة الإسلامية، عمان 1986م.

54- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط.1، دار النفائس، بيروت 1406هـ-1986م.

55- محمد الهادي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، (د.ط)، مطبعة البعث، الجزائر 1400هـ-1980م.

56- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها)، من 1903 إلى 1931، ج.2، (د.ط)، ش.و.ن.ت، الجزائر 1978م.

57- الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، (د.ط)، ش.و.ن.ت، الجزائر 1980م.

58- الشعر الجزائري الحديث وخصائصه الفنية (1925-1975)، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984م.

59- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة،ج.2،ط.1، مكتبة المعارف الرياض 1416هـ-1996م.

60- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة، ج.1،ط.1، مكتبة المعارف الرياض 1412هـ-1992م.

61- ضعيف سنن أبي داود، ط.1،مكتبة المعارف الرياض 1419هـ-1998م.

62- صحيح سنن أبي داود، ج.2،ط.1، مكتبة المعارف الرياض 1419هـ- 1998م.

63- صحيح سنن أبي ماجة،ج.1،ط.3، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، 1408هـ-1988م.

64- تمام المنة في التعليق على فقه السنة،(د ط)، دار إحياء التراث الإسلامي، الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

65- صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم،ط.2، دار البيان، الجزائر 1993م.

66- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى (د ط) م.و.ك.، الجزائر 1983م.

67- مصطفى خالدي، وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، (د ط)، بيروت 1986م.

68- مصطفى نعمان البدري، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ط.1، دار الجيل، بيروت 1411هـ- 1991م.

69- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م.

70- يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، (د ط) مؤسسة الرسالة، بيروت 1406هـ - 1985م

الكتب باللغة الفرنسية:

1-Ali Merad, la réformisme musulman en Algérie de (1925-1940), Essai d'histoire religieuse et social, (mouton et co),paris,1967.
2-Charle Rebert Ageron, l'histoire de l'Algérie Contemporaire (1871-1919) T.2,édition 1,presse universitaire de France, Paris 1979.
3- Charle Rebert Ageron, les Algérien musulman et la France (1871-1919), T.1, presse universitaire de France.
4- Yovone turin, Affrontement culturel dans l'Algérie colonel, Francois masperon, Paris 1971.

الموسوعات والمعاجم وكتب التراجم:

1- أحمد بن نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، ج.9، ط.3، دار الكتاب العربي، بيروت 1400هـ-1980م.

2- أحمد فايز الحمص، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج.1، ط.2، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1413هـ-1992م.

3- جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ط.3، مطبعة الهلال، 1992م.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج.1، (د.ط)، دار صادر، بيروت.

5- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج.3.ط.5. دار العلم للملايين، بيروت 1980م.

7- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج.11،ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1401هـ - 1981م

8- سير أعلام النبلاء،ج.4،ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1401هـ - 1981م.

9- تذكرة الحفاظ، ج.4،ط.3، دار الكتب العلمية، بيروت.

10- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر،ط.2. مؤسسة نويهض، بيروت،1400هـ -1980م.

11- عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ج.3،(د.ط)، دار الآفاق الجديدة بيروت.

12- عفت وصال حمزة، سيرة عمر بن عبد العزيز، ط.1، دار بن حزم، بيروت 1414هـ -1998م.

13- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1414هـ-1993م.

14- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج.1، ط.3، المطبعة الميرية، مصر 1301هـ.

15- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.

16- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج.1، (د.ط)، دار نهر النيل.

17- محمد أبوا زهرة، أحمد بن حنبل حياته وعصره وآرائه الفقهية، (د.ط)، دار الفكر القاهرة.

18- مرعي بن يوسف الكرمي، الكواكب الذرية في مناقب المجتهدابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن خلف، ط.1، دار الغرب الإسلامية بيروت 1406هـ-1986م.

19 - ابن منظور، لسان العرب، ج.2، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة

20- الموسوعة العربية العالمية، ج.2، ط.2، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض 1419هـ-1999م.

21- الموسوعة العربية الميسرة، لجنة من العلماء والباحثين، (د.ط)، القاهرة 1965م.

22- يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ-1995م .

الرسائل الجامعية:

1-أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ماجستير، الجزائر، 1991-1992م.

2-سعيد عليوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية في الجزائر،ج.2، دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر،2000م.

3- عبد الرحمن صالحي، منهجية التفسير عند ابن باديس، ماجستير، جامعة الجزائر، 1991-1992م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

5- مفيدة بلهامل، وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ماجستير،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 1997.

6-نور الدين ثنيو، قضايا الحركة الإصلاحية عند رابح زناتي ومحمد الأمين العمودي خلال الثلاثينيات، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 1996-1997.

الدوريات:

بالعربية:

1- أحمد نعمان، "مقاومة المجتمع الجزائري السياسة الفرنسية"، الثقافة عدد 52، شعبان رمضان 1399هـ الموافق لـ: يوليو، أغسطس 1979.

2- أحمد حماني،"دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين"، الثقافة، عدد 38، ربيع الثاني وجمادى الأولى، أبريل ماي 1997.

3- حسين عبدالله آل الشيخ،" الوهابية وزعيمها محمد بن عبد الوهاب"، العربي، عدد 147، الكويت، فبراير 1971م.

4- حنفي بن عيسى،"تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر" الثقافة،عدد 38، ربيع الثاني وجمادى الأولى 1397هـ - أبريل ماي 1977م.

5- رابح تركي،" نشأة الحركة الإصلاحية"، الأصالة، عدد24، ربيع الأول والثاني 1395هـ -مارس أبريل 1975م.

6- رابح تركي،"الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر(1925- 1939) دورها في نهضة الجزائر الحديثة"، الثقافة، عدد81، يونيو 1984م.

7- فاطمة تازير وفضيلة تكور: أحمد توفيق المدني (1889- 1983)، التاريخ، عدد18، النصف الأول من سنة 1985، الجزائر. 1985م.

8- أبو القاسم سعد الله،"حركة الأمير خالد"، الجيش، عدد 3، جوان 1973.

9- محفوظ قداش،" الأمير خالد ونشاطه السياسي" التاريخ وحضارة المغرب، عدد04، جانفي 1986م.

10- محمد البشير الإبراهيمي،" عبد الحميد المفتش" الرسالة، عدد2،3، جمادى الأولى والثانية 1400هـ - الموافق لـ أفريل ماي 1980.

11- محمد البشير الإبراهيمي، "أنا"، مجمع اللغة العربية، ج.2، القاهرة 1996م.

12- محمد بلقزد،"الأستاذ الشيخ أحمد توفيق المدني (1889- 1983) لمحات من حياته وأعماله" التاريخ، عدد18. النصف الأول من سنة 1985.

13- محمد مراد سيد بركات، "ابن باديس المجدد الديني والمصلح الاجتماعي"، الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد30. شعبان 1417هـ الموافق لـ: 1996.

14- محمود قاسم،" مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر في عصر النهضة فكرة جمال الدين الأفغاني في الإصلاح"، الثقافة عدد 81 شعبان، رمضان 1404هـ مايو يونيو 1984م

الدوريات:

بالفرنسية:

1- Ali Merad, « La Formation de la presse musulman en Algérie (1919-1939) », in IBLA, N° 105,1er trimestre 1964.
2- Mohammed Hocine ben khira, « le mouvement de rénovation : l'Islah » Revu autrement, N° 95, Paris, décembre,1987.
3- Saadeddine ben cheneb, « Quelque historiens arabes moderne de l'Algérie », in R.A, N°100, Année 1956, Alger.
4- Saadellah , « the Algerian Oulema (1919-1931) », In R. d'histoire Meghrebin, N° 2, juillet, july, tunis.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الصحف والمجلات

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

الفهرس العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات وفق ترتيب السور

الصفحة

سورة الفاتحة

- صراط الذين أنعمت عليهم (6) ..... 116.

سورة البقرة

- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله (170) ..... 142.
- ولا تعزموا عقدة النكاح (233) ..... 138.
- وليكتب بينكم كاتب (282) ..... 159.
- واستشهدوا شهيدين من رجالكم (282) 159

سورة آل عمران

- ولكن كونوا ربانيين (78) 158
- واعتصموا بحبل الله جميعا (103) 107

سورة النساء

- وإن خفتم شقاق بينهما (35) 10
- فلا وربك لا يومنون (65) 147
- وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا (177) 10

سورة المائدة

- إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء (91) 186
- ويصدكم عن ذكر الله (91) 186

سورة الأنعام

- وأن هذا صرا طي مستقيما (153) 132
- إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (159) 133

سورة الأنعام

- قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (69) 178

سورة الأنفال

- فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم (1) 10
- ويمكرون ويمكروا الله (30) 123
- ولا تنازعوا فتفشلوا (46) 178

سورة يونس

- يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم (57) 178

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة هود:

- وما كان ربك مهلك القرى (77) 10
- إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت (88) 10
- ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك (118) 145

سورة يوسف

- قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة (108) 69

سورة الرعد

- إن الله لا يغير ما بقوم (11) 179

سورة الحجر

- لأزينن لهم في الأرض(39) 132

سورة النحل

- أدع إلى سبيل ربك بالحكمة(125) ..... .69

سورة الإسراء

- ولا تقربوا الزنا (32) ..... 187 ،166
- وأجلب عليهم بخيلك (64) 132

سورة الكهف

- المال والبنون زينة الحياة الدنيا (45) 184

سورة النور

- يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان (21) 132
- قل للمومنين يغضوا من أبصارهم (30) 166
- ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها.(31) 164
- لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم (61) 178
- فليحذر الذين يخالفون عن أمره (61) 134

سورة الفرقان

- وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا (30) 108

وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية (35) 108

سورة الروم

- ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم (31-32) 145
- كل حزب بما لديهم فرحون (32) 107

سورة الأحزاب

- إن المسلمين والمسلمات(35) 155

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يأيها النبيء قل لأزواجك (59)..... 164.

سورة سبأ

- قل إنما أعظكم بواحدة (46)..... 141.

سورة فاطر

- إن الشيطان لكم عدوّ .(6.)..... 132.

سورة يس

- ألم أعهد إليكم يابني آدم(60)..... 132.

سورة فصلت

- قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (44) ..... 178.

سورة الشورى

- أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا(13)..... 103

- وما أصابكم من مصيبة (30)..... 179

سورة الأحقاف

- وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (15)..... 155

سورة الحجرات

- إنما المومنون اخوة (10)..... 180

سورة نوح

- ويمدكم بأموالكم وبنين (12)..... 184

سورة الجن

- وإنا لمسنا السماء (8)..... 66

سورة الضحى

- ووجدك عائلا فأغنى (8) 184

سورة العلق

- اقرأ (1) 155

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث والآثار:

الصفحة

- اختلاف أصحابي لكم رحمة ..... واه جدا 144
- اختلاف أمتي رحمة ..... لا أصل له 144
- أصحابي كالنجوم ..... موضوع 144
- ألا تعلمين هذه رقية النملة ..... صحيح ..... 158.
- ألا وإن في الجسد مضغة ..... صحيح 101. 117
- إن الله يبعث لهذه الأمة ..... صحيح 10
- خرج ومعه بلال ..... صحيح 157
- خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... صحيح 132
- خير الناس قرني ..... صحيح 80. 108
- خير نساء ركبن الأمل ..... صحيح 157
- طلب العلم فريضة على كل مسلم ..... صحيح 159
- كاد الفقر أن يكون كفرا ..... موضوع 184
- كان الفضل بن العباس ..... صحيح 166
- كتب على ابن آدم ..... صحيح ..... 187.
- كنا نخمر وجوهنا ..... صحيح 165
- لا تنزلوهن الغرف ..... موضوع 160
- لا يصلح آخر هذه الأمة (أثر) ..... صحيح 68
- لكل داء دواء ..... صحيح 185
- اللهم إني أعود بك في الكفر ..... صحيح ..... 184.
- ليس بكريم من لم يهتز ..... موضوع 113
- ليس منا من دعا إلى عصبية ..... ضعيف 22
- ماذا أبقيت لأهلك ..... صحيح ..... 114.
- ما منكن امرأة تقدم ثلاثة ..... صحيح 157
- من أحدث في أمرنا هذا ..... صحيح 133
- من كذب علي متعمدا ..... صحيح 113
- يا أبا بكر إن الله رضى عنك ..... موضوع 114
- يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله ..... صحيح ..... 12.
- يا عائشة إن لكل ذنب توبة ..... ضعيف 133

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الإسلام 51، 54.
- الإصلاح 57، 122، 129، 217 221.
- الإقدام 27، 54،55.
- الأمة العربي 73، 85.
- البرق 57، 122، 129، 217
- البصائر 219.
- البلاغ 57، 128، 129، 130، 131.
- الجزائر 51، 52، 65، 67، 217
- الحق 51، 57.
- ذو الفقار 28، 52، 67.
- الرسالة 218.
- الرشيدي 53، 54.
- صوت المسجد 219.
- صدى الصحراء 56، 216، 221
- الصديق 55.
- العروة الوثقى 24، 27، 34، 35 38، 48.
- الفاروق 51 ،55 .
- الفتح 37، 38، 73، 121، 154 218.
- القبلة 217.
- كوكب إفريقيا 27.
- لسان الدين 55.
- اللواء 38.
- المؤيد 38.
- المصباح 53، 67.
- المغرب 27، 58، 129.
- المغرب العربي 54.
- المقتطف 218.
- المنار 27، 34، 36، 37، 38، 45 47، 73، 117، 154، ، 164 205.
- المنتقد 48، 55، 56، 61، 62، 63، 64، 70، 78، 84، 85، 94 121، 122، 168، 205، 216، 218، 219.
- ميزاب 58.
- الندم 124.
- النجاح 54، 123، 216.
- وادي ميزاب 56، 93، 221.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

– أ –

- آجرون 44، 106.
- أحمد البكاي 126
- أحمد بن حنبل 11، 147.
- أحمد بن العابد56
- أحمد بوشمال 61، 64.
- أحمد التيجاني 124.
- أحمد حسين هيكل 73.
- أحمد حماني 115، 121، 122.
- أحمد الخطيب 153.
- أحمد القادياني 116، 118
- أسماء بيت أبي بكر 165.
- الأمير خالد 40، 47، 54 55، 62.
- الأمير عبد القادر 18، 30 35.

– ب –

- باعزيز بن عمر 44، 74.
- البخاري 162.
- البشير الابراهيمي25،32، 42،41،37، 62
- بلحسن النجار 121.
- بلال 157.

–ت –

- توفيق المدني 49، 51، 52، 75، 88 91، 92، 198،216
- ابن تيمية 11، 194.

– جـ –

- ابن جلول 69.
- جمال الدين الأفغاني 4، 8، 16، 19، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 29، 35، 36، 38، 45، 47، 205.
- الجصاص 165.

– حـ –

- أبو حاتم 160.
- حسين بن خيرة 10
- حسين الجزيري 124.
- حمدان خوجة 18، 30.
- حمدان الونيسي 42.
- حفصة 158.
- أبو حنيفة 147، 148.

– خـــ –

– الخطابي 158.

– ابن خلدون119.

– د –

– ديبارمي 19، 41، 43، 44 61.

– ر –

– أبو راس الناصر 30.

– ز –

– زكي مبارك 73.

– س –

– ابن سبعين 119.

– السخاوي 161، 162.

– السعيد زموش 43.

– سفيان بن عبينة 135.

– سيدي الفاطمي 126.

– ش –

– الشاطبي 131.

– الشافعي 147، 148.

– شعيب على التلمساني 121.

– الشفاء بنت علي 158.

– شكيب أرسلان 25، 73، 34، 85.

– شمس الدين الذهبي 90، 160.

– الشيخ يوسف 38.

– ص –

– الصادق دندان 51.

– صالح بن مهنا 45.

– ط –

– الطاهر بن عاشور 121.

– الطيب العقبي 25، 32، 41، 42، 57، 63، 68، 71، 74، 85، 86، 93، 105، 119، 122، 129، 180، 217.

– ع –

– عائشة 160.

– العابد بن أحمد 121.

– عبادة بن الصامت 153.

– ابن عباس 157، 166.

– ابن عبد البر 158.

– عبد الحفيظ الهاشمي 54.

– عبد الحليم بن سماية 27، 34، 46

– عبد الحميد الثاني 17، 19.

– عبد الرحمن الجيلالي 44.

– ابن عتيق 43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عدة بن تونس 118.
- ابن عربي 119.
- ابن العربي 135.
- العربي التبسي 25، 63، 88،89، 129، 130.
- العربي فخار 53.
- عروة 165.
- ابن عزوز 126.
- ابن العفيف 119.
- على بن أبي طالب 120.
- على مرّاد 49، 60.
- ابن عليوة 118، 120، 121 ، 128
- عمر اسماعيل 130.
- عمر بن عبد العزيز 11.
- عمر بن قدور 51، 55.
- عمر راسم 46، 51، 52، 67.
- العمودي 57، 161، 221

- ف-

- ابن الفارض 119.
- فاطمة بيت المنذر 165.
- الفضل ابن العباس 166.
- الفضيل الورتلاني 43.
- فيو ليت 14، 62.

- ق-

- أبو القاسم الزياني 126.
- أبو القاسم سعد الله 3، 17، 29.

ابن القيم 11.

- ل-

- لا فيجري 198.

- م-

- مالك بن أنس 68، 134، 135، 137، 147،148 ، 165، 170.
- مالك بن نبي 24، 43.
- مبارك الميلي 14، 25، 33، 43، 53، 74، 87، 88، 93، 100، 102، 122، 123، 128، 130، 153، 161 ، 164، 219.
- محب الدين الخطيب 37، 38، 79.
- مصطفى صادق الرافعي 73 74.
- مصطفى كمال 38.
- محفوظ قداش 106.
- محمد باشا حمبا 54.
- محمد بناني 126.
- محمد بن الحاج الطرابلسي 63، 68 ، 93 ، 220.
- محمد بن عبد الوهاب 4، 7، 19، 24، 29، 30، 31، 33، 71.

- محمد بن مصطفى الخوجة 27، 34، 45.
- محمد بن العابد43
- محمد بن عبد الكريم 126.
- محمد خير الدين 38.
- محمد رشيد رضا 11، 17، 19، 26، 34، 35، 36، 38، 44، 73، 116، 126، 164، 205.
- محمد السعيد17.
- محمد السعيد الزاهري 43، 55، 56، 57، 89، 91، 94، 201، 202، 217.
- محمد العاصمي 31، 130، 159، 182، 219.
- محمد عبده 4، 12، 17، 19، 24، 26، 27، 28، 29، 34، 35، 36، 38، 44، 45، 46، 47، 49، 52، 205.
- محمد العربي 121.
- محمد عز الدين القلال 52.
- محمد علي 30.
- محمد علي دبوز 122.
- محمد العيد 63، 44، 76، 94، 221.
- محمد ناصر 51، 154، 197.
- محمد ناصر الدين 7، 144.
- محمد النخلي 121.
- محمد الهادي السنوسي 43، 44، 63، 94.
- موسى علي العقبي57
- المولود بن الموهوب45،121،46.
- ميمان 123.

-ن-

- النجم الاسرائيلي 119.
- النعيمي 5.

- هـ -

- أم هاني 157.
- هود 8.

- و -

- وهب بن كيسان 68.

- ي -

- أبو يعلى الزواوي 14، 40، 74، 89، 129، 147، 193، 201، 216.
- أبو اليقظان 59، 63، 77، 94.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان

- اسطنبول 37،42.
- الأزهر 61
- الأغواط 91،219
- أمريكا 120
- انجليترا 19، 116
- إيران 116
- إيطاليا 19
- باريس 18، 73، 79، 80
- الباكستان 216.
- بريان 220.
- بسكرة 56، 57، 217، 220، 221.
- بغداد 148
- بيروت 25، 58.
- تركيا 216
- تلمسان 19، 27، 34، 36، 42، 54، 58، 76، 112، 217، 220، 221.
- جيجل 53، 218.
- الحجاز 42، 61.
- دمشق 18، 37، 58، 73
- دمنهور 73
- الزيتونة 61.
- سطيف 32.
- السعودية 40.
- سوريا 16، 19.
- الشام 61.
- طرابلس 19، 221.
- العراق 19، 216.
- عين البيضاء 221.
- غرداية 146
- فرنسا 18، 73، 79، 80.
- فلسطين 19، 116، 118.
- القاهرة 37، 73، 198.
- القدس 198.
- القرارة 221.
- قسنطينة 34، 42، 123، 201، 220، 221.
- لبنان 19، 25.
- مراكش 19.
- مستغانم 57، 118، 121، 123، 128
- مصر 16، 30، 34، 40،42، 73، 116، 148.
- المغرب 30، 34، 76، 119، 122، 130.
- ميلة 219.
- الهند 116، 117، 198.
- وهران 30، 51، 53.
- اليابان 120.
- اليمن 37، 120.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

المحتوى الصفحة

الإهداء.....

شكر وتقدير.....

المختصرات الواردة في البحث.....

المقدمة.....1

الفصل التمهيدي

مفهوم الإصلاح و جذور الحركة الإصلاحية في الجزائر

1- مفهوم الإصلاح:.....8

- لغة.....8

- اصطلاحا.....9

2-العوامل الداخلية و الخارجية لفكرة الإصلاح في الجزائر.....15

أ- العوامل الخارجية.....17

- الجامعة الإسلامية.....17
- الحركة الوهابية.....29
- الصحافة المشرقية.....33

-العروة الوثقى.....35

- المنار.....35

- آثار الحرب العالمية الأولى.....39

ب- العوامل الداخلية.....42

- الحركة التعليمية البادیسية.....42

الخلاصة.....47

الفصل الأول :

التعريف بالشهاب

تمهيد.....48

1 - مختصر عن تطور الصحافة العربية في الجزائر (1900 – 1930).....48

أ- قبل الحرب العالمية الأولى 49

ب - بعد الحرب العالمية الأولى 54

2 - ابن باديس والشهاب.....59

3 - الشهاب بطاقة فنية.....61

أ- جريدة المنتقد 61

ب- الشهاب (1925 - 1939).....64

- جريدة الشهاب (1925- 1929.....64

- مجلة الشهاب (1929 – 1939).....68

4 - محتويات الشهاب.....70

أ- كجريدة.....70

ب- كمجلة.....72

5 - ظروف نشأتها.....76

6 - مبادئ الشهاب.....78

أ- المبدأ السياسي.....78

ب- المبدأ التهذيبي.....80

جـ- المبدأ الانتقادي.....81

7 - أهم كتاب الشهاب.....83

8- موقف الإدارة الاستعمارية من الشهاب.....94

الخلاصة.....98

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

قضايا الإصلاح الديني

- تمهيد..... 99

1 – تطهير العقائد..... 100

2 – موقف الشهاب من الطرقية..... 103

- محاربة الانحرافات الطرقية..... 104
- موقفها من الطريقة العليوية..... 112
- موقفها من الطريقة التيجانية..... 124
- الصحافة الطرقية والشهاب..... 128

3 – البدع والمنكرات..... 131

4– موقف الشهاب من بعض العوائد الممقوتة..... 137

- بعض الأنكحة الفاسدة وعادة الناس فيها..... 137
- الجمود والتقليد..... 141
- الخلاف والاختلاف..... 144

5 – دعوة الشهاب للرجوع إلى مذهب السلف..... 147

الخلاصة..... 149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

قضايا الإصلاح الاجتماعي

تمهيد.....150

1-المرأة الجزائرية.....150

أ- بداية المعركة.....152

ب- تعليم المرأة.....154

- دعاة تعليم المرأة.....155

جـ- سفور المرأة.....163

2 - الشباب.....168

أ- اعتناء (الشهاب) بالشباب.....169

ب- مقاومة الإلحاد بين الشباب.....171

3- الآفات الاجتماعية.....175

أ- الرذائل.....176

ب- الجهل.....180

جـ- الفقر.....182

د- الخمر.....185

هـ- البغاء.....187

4- محاربة سياسة الفرنسة.....190

أ- سياسة الفرنسة.....190

ب- موقف (الشهاب) منها.....192

- المحافظة على اللغة العربية.....194

لماذا العربية أو العروبة؟.....195

جـ- محاربة التنصير.....197

د - موقف الشهاب من التنصير.....199

- مسلك التحذير..... 200
5- الدعوة إلى الإسلام الصحيح..... 202
الخلاصة..... 204
الخاتمة..... 205
الملاحق..... 209
قائمة المصادر والمراجع..... 224
الفهارس.....
الآيات..... 237
الأحاديث..... 240
الصحف والمجلات..... 241
الأعلام..... 242
الأماكن والبلدان..... 246
الفهرس العام..... 247

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية